



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الشعر السياسي
في الكويت قبل الاستقلال
«دراسة موضوعية»

إعداد

مناف عوض الكفري

الكويت

2015



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري



الصف والتنفيذ

أحمد متولي أحمد جاسم
علاء محمود

الإخراج وتصميم الغلاف
محمد العلي

حقوق الطبع محفوظة

هاتف: +٩٦٥ ٢٢٤٣٠٥١٤

فاكس: +٩٦٥ ٢٢٤٥٥٠٣٩

E-mail: kw@albabtainprize.org

التصدير

عزيزي القارئ..

في هذا المهرجان الشعري (مهرجان ربيع الشعر الثامن) يسعدني أن أقدم كتاب «الشعر السياسي في الكويت قبل الاستقلال» للباحث في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري الأستاذ مناف عوض الكفري، وهو في الأصل أطروحة نال عنها الباحث درجة الماجستير من جامعة القديس يوسف في بيروت في شهر نوفمبر ٢٠١٤م، وتبرز أهمية الكتاب في أنه غير مسبوق من ناحية اختصاصه بالشعر السياسي في الكويت قبل الاستقلال، حيث قام الباحث برصد هذه الظاهرة ودراستها داخل إطار محدد المعالم، الأمر الذي معه يصبح الكتاب مرجعاً من المراجع المهمة الموثقة في هذا الموضوع من خلال النصوص الشعرية إضافة إلى الدراسة والتحليل القائم على التفكير والمنطق العلمي الصحيح.

يتناول الكتاب موضوع الشعر السياسي في الكويت قبل الاستقلال من جانبين أولاهما: القضايا السياسية الداخلية. وثانيهما القضايا السياسية الخارجية، فأما الداخلية فتركز الدراسة على مواقف الشعراء من الأحداث السياسية، سواء أكان ذلك في مواقفهم من قضايا الوطن، أو مواقفهم تجاه المواجهات الحربية التي تعرض لها الوطن عبر مسيرته الطويلة ما قبل الاستقلال.

وأما في موضوع القضايا الخارجية، فتركز الدراسة على إبراز جذوة الحس القومي لدى شعراء هذه المرحلة، وتوثق مواقفهم وتضامنهم مع كافة الأقطار العربية التي تعرضت للاستعمار أو الاحتلال .. والمقاومة الباسلة من الشعوب العربية ضد هؤلاء المعتدين الطامعين في السيطرة على الوطن العربي، واستغلال ثرواته وخيراته لمصلحتهم، وحرمان أصحابه من الاستفادة منها، حيث جعلوا من

أنفسهم أصحاب الحق والأوصياء، وجعلوا من أصحاب الأرض الشرعيين الغرباء الذين تجب محاربتهم وطردهم وحصارهم..

كما يرصد الباحث في هذا الكتاب مواقف الشعراء الكويتيين من كثير من القضايا العالمية كالحرب العالمية الثانية ومحاور الاحتراب فيها، وإبراز المواقف من هذه الدولة أو تلك بحسب موقفها من أمتنا وقضاياها. ويخلص الباحث في دراسته إلى أن مواقف الشعراء الكويتيين التي عبروا عنها دون خوف أو وجل.. إنما تبين عن حرية واسعة تمتعوا بها من حكاهم المتعاقبين من أسرة الصباح، كما تفصح عن حرص هؤلاء الشعراء على الارتقاء بوطنهم في كافة المراحل التي مرّ بها.. وتكشف الدراسة أيضاً عن مدى الوعي السياسي الذي تمتع به هؤلاء الشعراء للأحداث التي تدور من حولهم مهما زادت الشُّقة وبعدت المسافة، مما يؤكد وحدة المشاعر والأرواح والأحاسيس. ومن الشعراء الذي رصد الباحث نصوصهم الشعرية وقصائدهم: الشاعر عثمان بن سند الوائلي وعبد الجليل الطبطبائي وفهد العسكر ومحمود شوقي الأيوبي وخالد الفرج وصقر الشبيب وعبد الله سنان وراشد السيف ومعظم شعراء هذا الوطن الحبيب.

ولا شك أن هناك شعراء نظموا شعرهم على طريقة الشعر النبطي، وعبروا عن مواقفهم السياسية في مختلف القضايا، يحتاج شعرهم أيضاً إلى الرصد والدراسة، والمجال مفتوح للباحثين والدارسين للإبحار في هذا الاتجاه. وأخيراً شكرنا للباحث على هذا الاختيار الموفق لدراسته وتمنياتنا للقارئ بالنفع والفائدة..

والله ولي التوفيق

عبد العزيز سعود البابطين

الكويت في ١٤٣٦/٥/٤ هـ
الموافق ٢٠١٥/٢/٢٣ م

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماء وملء الأرض وملء ما بينهما وملء كل شئ في كل وقت وحين. وصلاة ربِّي وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين. بسم الله نستهل كل قول وعمل مبتغيين به وجه ربنا العظيم، هو المولى عليه نتوكل وبه نستعين.

الغرض السياسي في الشعر العربي الفصيح غرض أساسي وملزمٌ لبدايات نظم الشعر، منذ عصر ما قبل الإسلام، وتجلَّى ذلك في القصائد التي وثَّقت وقائع الشعراء مع الملوك والأمراء، أو تلك التي وثَّقت المعارك والحروب في فترة كانت شحيحة التدوين لبدائية أدواته. ومن منطلق أنَّ الأدب بعامة، والشعر بخاصة، إشارة تاريخية لا تقلُّ أهمية عن الآثار المادية المحسوسة، ومؤشِّرٌ على نموِّ الوعي السياسي أو قصوره، في المجتمع بعامة وعند الشعراء بخاصة، كان من المناسب إلقاء الضوء على هذا الغرض في حقبة كانت شبه الجزيرة العربية ترزح فيها تحت المعثرات السياسية الداخلية والخارجية، ويعاني فيها أبنائها من الصراعات الدموية المبنية على رغبة بعض الأمراء والوجهاء في بسط السيطرة والاستئثار بالحكم في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية.

والشعر السياسي هو كلُّ ما يُنظم في شأنٍ من شؤون السياسة، داخليةً ووطنيةً كانت، أو خارجيةً قوميةً وعالميةً؛ يدعو به الشاعر لقبيلة أو حزب أو دولة، أو يتبنَّى به مبدأً سياسياً كالشورى أو الديمقراطية، أو ينقد به السلطة السياسية حاكماً

وحكومة، أو يؤنق فيمجد به بطولة، أو يصف به تخاذلاً وهزيمة. واختلفت دواعي هذا النظم بين شاعر وآخر؛ فمنهم من كتب بدافع العصبية أو المنفعة، وآخرون دفعهم مبدأ أو تبني فكرة، وبعضهم نظم انطلاقاً من مبدأ عروبي، وفئة حمل شعرها طابع التكسب.

إن اختيار دولة الكويت لدراسة الأدب السياسي عند شعرائها، يعود إلى كونها دولة ناشئة، قياساً إلى كثير من الدول العربية الأخرى ذات القدم التاريخي المبني على حضارات ما زال الكثير من آثارها شاهداً على وجودها إلى أيامنا. كما أن حداثة الدولة، ثم نهوضها في زمن قياسي لتأخذ مكانها بين الدول المتحضرة دولة متطورة سياسياً واقتصادياً وثقافياً، جعلت الخط البياني لدراسة التطور فيها أقصر وأوضح، وخصوصاً أن مقومات الحضارة كانت شبه جاهزة، سواء أكانت في الجانب السياسي بالاستقرار والسعي إلى الاستقلال، ثم السيادة دولة لها أهميتها في الوطن العربي، أم في الجانب الاقتصادي باستخراج النفط ثم تصديره، الأمر الذي وضع الكويت على درب التمدن في فترة زمنية وجيزة، أم في الجانب الثقافي بتطور أساليب التعليم، وفتح آفاق جديدة مع ثقافات الدول العربية والغربية.

وإن الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة تمتد بين عامي (١٨٠٠ - ١٩٦١). فأمّا تاريخ البداية فقد وقع الاختيار عليه بناءً على عامل يتعلق بالبدايات الشعرية في الكويت، حيث إن أقدم نماذج شعرية سياسية استطعنا الوصول إليها ترتقي إلى الفترة التي عاش فيها رائدا الشعر العربي الفصيح في الكويت، وهما: عثمان بن سند الوائلي (١٧٦٦ - ١٨٢٧)، وعبدالجليل الطبطبائي (١٧٧٦ - ١٨٥٣)، واللذان نظما في القضايا السياسية منذ عام ١٨٠٠ تقريباً، حيث إن النظم في الغرض السياسي يتطلب مقدرة خاصة، ووعياً منفتحاً مهتماً بالأحداث، وقدرة على فهم القضايا السياسية وخلفياتها لنقدها أو مدحها، الأمر الذي بدا مكتملاً عند الشاعر عثمان بن سند بعيد زيارته البصرة وبغداد عام ١٨٠٤، واتصاله بالولادة

والوجهاء آنذاك، وكلاهما أتاح له التثقيف السياسي المناسب، وأدّى إلى تطوُّر وعيه وانفتاحه. وكذلك الأمر عند الشاعر عبدالجليل الطبطبائي الذي بدأ شعره السياسي يخرج إلى النور عام ١٨٠٢، حين نظم في هذا التاريخ قصيدة شرح فيها أشواقه لأهله في الزُّبارة، إبَّان حصارها من إمام عُمان.

وإنَّ نسبة بواكير الشعر في الكويت إليهما تعتبر منطقية؛ فبدايات دولة الكويت واضحة المعالم، ولا جزء غامض في تاريخها، إذ إنَّ الكويت دولةٌ حديثة الاستقرار نسبياً، تحوَّلت من تجمُّع قبليٍّ -كغيرها من التجمُّعات القبليَّة في شبه الجزيرة العربيَّة- إلى مجتمع متكاملٍ، ثمَّ دولة مدنيَّة، وذلك إبَّان تقليد صباح الأوَّل الحكم عليها في منتصف القرن الثامن عشر، الأمر الذي تمَّ بالتشاور والتوافق بين زعماء القبائل المسيطرة في المنطقة آنذاك. ويمكن القول:

لعلَّ بعض الشعراء وُجدوا قبلهما أو كانوا معاصرين لهما، بيدَ أنَّ عدم التدوين حالٌ دون وصول أشعارهم إلينا، لكنَّهم بالضرورة أبناء القبيلة العربيَّة التي عانت التَّرحال والسَّفر في الصَّحاري بحثاً عن موارد العيش، ممَّا ينسب هذا الشاعر أو ذاك إلى شبه الجزيرة العربيَّة ككلٍّ، وإلى الكويت أو غيرها كمسقط رأس، فيكون مُتَنَزِعاً على نسبته إلى دولةٍ بعينها، وكلُّ يُعتبره شاعر منطقته.

أمَّا تاريخ نهاية الفترة الزمنيَّة التي تغطّيها الدراسة، فهو عام الاستقلال ١٩٦١ الذي أعلنت فيه دولة الكويت إلغاء معاهدة الحماية البريطانيَّة على أراضيها، والتي كانت قد وقَّعت في الثالث والعشرين من يناير عام ١٨٩٩. ولأنَّ الاستقلال يشكِّل مفصلاً سياسياً مهماً في تاريخ دولة الكويت، فضلاً عن أنَّ المرحلة التي تسبق هذا التاريخ هي مرحلة البدايات والبواكير الثقافيَّة والحضاريَّة والسياسيَّة، فقد وقع الاختيار على دراسة أبرز القضايا السياسيَّة التي تضمَّنها الشعر العربيّ الفصيح في دولة الكويت، إلى جانب تحليل مواقف الشعراء إزاء هذه القضايا، سواء أكانت وطنيَّة أم قوميَّة أم عالميَّة.

تميّزت الحياة في الكويت في النصف الأول من القرن العشرين باطراد النمو المتسارع على أكثر من صعيد؛ فالتبادلات التجارية مع الدول العربية ثم الشرق آسيوية، أتاحت للكويتيين الاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى، والإفادة منها على قدر المهم والمطلوب، فضلاً عن البعثات التعليمية التي أوفدت للدراسة خارج إطار شبه الجزيرة العربية، علاوة على نمو الحالة الاقتصادية بشكل متسارع بعيد اكتشاف النفط وتصديره، الأمر الذي تطلب من الكويتيين التفكير جدياً في ضرورة التغيير والتطور. وقد أسهمت هذه العوامل مجتمعة في دعم المسيرة الديمقراطية، دعماً دفع الكويتيين إلى العمل المتواصل من أجل تحقيق هذا الهدف، وبدا ذلك جلياً من خلال مطالباتهم بتطبيق مبادئ الحكم المشترك عبر مجلس الشورى ومجلس البلدية والمعارف والصحة والأوقاف والمجالس التشريعية، وذلك كله جعل الديمقراطية سمة للنظام الكويتي. ومعرفة كيفية استعمال الديمقراطية بشكل إيجابي سمة المجتمع الكويتي، ويؤكد التاريخ هذه النقطة؛ إذ لا نزاعات على السلطة أو انقلابات أو مظاهر معارضة واضحة المعالم، كانت في تلك الفترة، ويبقى أن نستشف حقيقة هذا الرأي من الوثائق الشعرية التي تركها لنا الشعراء.

لذلك كانت دراسة الشعر السياسي في الكويت ترمي، في بعض جوانبها، إلى الاطلاع على مدى نمو الوعي السياسي لدى الشعراء الكويتيين، والذي بدا شبه واضح -من نظرة أولى- من وفرة الإنتاج الشعري ذي الغرض السياسي، وذلك قبل الخوض في دراسته وتحليله. كما تبغي دراسة الحركة الشعرية المرتبطة بالأحداث السياسية في الكويت قبل الاستقلال أمرين:

أ- موضوعي؛ غايته محاولة تفسير الشعر بموضوعية، للكشف عن القضايا السياسية: الداخلية التي تجسّد فيها حب الوطن أولاً، وطبيعة العلاقة بين الشعب والطبقة الحاكمة ثانياً، والخارجية التي تصوّر مدى تماسك اللحمة العربية، والتآلف والاتحاد بين الشعوب العربية في وجه المستعمر الأجنبي الغاشم، أو وصف حالة

التفرُّق والتشرذم التي مُنيت بها الأمّة العربيّة في تلك الفترة، والتي كانت سبباً في عدم القدرة على مواجهة المستعمر بيد من حديد، ثمّ نشوب الكثير من النزاعات العربيّة العربيّة التي كان لها تأثير سلبيّ واضح في عدم الاتّحاد.

ب- تحليلي؛ غايته الوقوف على حقيقة مواقف الشعراء الكويتيّين إزاء القضايا السياسيّة بشقيّها، ومدى توافقها مع ما دوّنه التاريخ السياسيّ، وهذا قد يرجّح إسهام الشعر في التوثيق السياسيّ إزاء الوثائق المكتوبة الأخرى. فضلاً عن معرفة مدى توازي الشعر مع خطّ التطوُّر السياسيّ آنذاك.

الإشكاليّة والفرضيّات

لأنّ الجانب الاجتماعيّ هو الأكثر اتّصالاً بالجانب السياسيّ، حيث الأوّل يتناول علاقات الشعب بعضه ببعض، والآخر يتناول علاقات السُلطة الحاكمة بالشعب، فهل كان للمجتمع تأثير في مواقف الشعراء إزاء بعض القضايا السياسيّة الوطنيّة؟ وهل كان الواقع الاجتماعيّ سبباً في رفض الوطن عند بعض شعرائه؟ هذا ما يحيلنا إلى السؤال عن مهمّة السُلطة في ضبط أيّ خلل قد يطرأ على المجتمع؛ فهل ألقى الشعراء مسؤوليّة الاضطراب الاجتماعيّ على عاتق الحاكم وحكومته، أو كانت مهمّة الحكومة محصورة في الجانب السياسيّ فقط، من وجهة نظر الشعراء الكويتيّين؟

وإذا كان للمجتمع دورٌ وتأثير في الموقف السياسيّ للشعراء الكويتيّين، فهل كان هذا هو الباعث الوحيد لهم على رفض أوطانهم ونقدها، والرغبة عن الإقامة فيها؟ وهل كان للدين دورٌ إزاء دور المجتمع في شحذ نقمة الشعراء على أوطانهم ومجتمعاتهم، أو كان الرفض نابعاً من أزمات نفسيّة خاصّة بكلّ شاعر، دفعته إليها ضغوط الحياة مثلاً؟ وهذا الرفض، إن وجد، هل كان قراراً نهائياً وموقفاً ثابتاً لم يحدوا عنه، أو انحصر رفضهم في بعض مفاهيم الوطن، ثمّ إنهم مجّدوا وفخروا

وتغنّوا بمفاهيم أخرى لاحقاً؟ وهل كان الرفض والزهد عن الأوطان في عهد حاكم بعينه، أو كان لازمة شعريّة نفسيّة ردّدها الشعراء من دون النظر إلى هذا الحاكم أو ذاك؟.

لَمَّا كان معظم الشعر السياسيّ شعر مناسبات، إذ لا تصدر القصيدة السياسيّة -بخاصّة- إلا إزاء حدث سياسيٍّ، سواء أكان وطنيّاً، أم قومياً، أم عالمياً، فما هي القيمة السياسيّة التي حملتها قصائد المناسبات الوطنيّة في الكويت في تلك الفترة؟ أكانت خالصة للمناسبة المحتفل بها، أو للشخصيّة المكرّمة المحتفى بها، أم تضمّنت أغراضاً وأهدافاً أبعد من تخليد المناسبة وتمجيدها، تناول الشعراء فيها أغراضاً سياسيّة متنوّعة بين المدح والقدح والشكوى والنقد؟.

يُثبت لنا التاريخ السياسيُّ أنّ الكويت -في المرحلة موضوع الدراسة- تعرّضت للكثير من الغزوات في بداية القرن التاسع عشر وصولاً إلى النصف الأوّل من القرن العشرين، كان آخرها معركة الرّقعيّ عام ١٩٢٨، وحيث إنّ الكويت لم تبخل بالشعراء طول هذه الفترة، بدءاً من عثمان بن سند وعبد الجليل الطبطبائي، وانتهاءً بفهد العسكر ومحمود شوقي الأيوبي وخالد الفرج على سبيل المثال لا الحصر، فهل نظم الشعراء في أحداث هذه المواجهات الحربيّة بين الكويتيّين وغزاتهم، أو أهملوا النظم فيها؟ وعلى أساس الشعر إشارة تاريخيّة مهمّة إلى هذه المواجهات، كيف صوّرها الشعراء الكويتيّون، وخصوصاً أنّ هذه المعارك كانت بين طرفين عربيّين: الكويتيّون من جهة، والإخوان من جهة، وكلاهما من أبناء شبه الجزيرة العربيّة؟.

إنّ محاولات إثبات الولاء الوطنيّ لشاعر ما، أو نفيها عنه إذا ما نقد الوطن بعمومه ورفض الإقامة فيه، سمة تتعلّق بالشاعر نفسه، ولا تؤثر في الواقع من حوله، إذ إنّ المنقود رمزيّ، وجغرافيّ جامدٌ في أحد مفاهيمه. بيد أنّ قضايا سياسيّة أخرى نقدها الشعراء الكويتيّون مسّ أثرها الواقع في أكثر من مجال، وبخاصّة السياسيّ، حيث يكون النقد موجّهاً إلى السلطة بمحوريها: الحاكم والحكومة. لكن،

هل تعتبر جرأة الشاعر على نقد رموز النظام الحاكم معارضةً سياسيةً مبكرةً، أو كانت نابعةً من خوفه على المجتمع والدولة والحكومة؟ وإذا ما وجد هذا النقد عند بعض الشعراء، فما هي الرموز التي نقدها؟ وهل نقدها بشكلٍ صريحٍ مباشر، أو اكتفى بالإشارات فقط؟.

هذا يحيلنا إلى السؤال التالي: هل كان النقد السياسيُّ للسلطة في الكويت مكتئفاً في عهد حاكم بعينه دون غيره، وتراجع لاحقاً في عهد حاكم لاحق له، أو كان النقد تفريراً لضغوطٍ تعرّض لها الشعراء من مجتمعهم، فأثروا كيل التُّهم والانتقادات على صاحب الأمر والنهي في هذا المجتمع؟ وربما كانت هذه الجرأة في النقد دليلاً على مساحة حرّية التعبير في الكويت آنذاك، على افتراض أنّ الناقد لا يتجرأ على النقد في حضرة المنقود إلا إذا كان الأخير مفسحاً المجال لحرّية النقد، البناءً بخاصّةٍ. والأمر الذي يثير التساؤل، هو أنّه إذا تعرّض بعض الشعراء لنقد السلطة الحاكمة في بعض المناسبات، فهل من الممكن أن يعودوا لمدحها في مناسبات أخرى؟ وهل تعتبر مدائحهم في هذا المقام تكسبيّةً، وبعيدة عن صدق المشاعر وحقيقتها؟

لم يكن اهتمام الشعراء منصباً على القضايا السياسية الداخلية فحسب، بل إنَّهم تعدّوها للنظم في قضايا سياسية خارج إطار دولة الكويت، وخصوصاً التحرّرية الثورية منها، تلك التي قامت في الدول العربية المحتلة من دولٍ أجنبيّة استعماريّة. والسؤال الذي نفترضه في هذا المقام هو: هل كان اهتمام الشعراء بقضايا التحرّر العربيّة أكثر من اهتمامهم بالقضايا السياسيّة الوطنيّة الداخلية، أو فرض الواقع الحربيّ نفسه على أغراضهم الشعريّة وتوجّهاتهم؟ وإذا كان الشعراء الكويتيّون مهتمّين بالقضايا العربيّة في الدول القريبة منهم والمجاورة لهم، فهل كان هذا الاهتمام منصباً على دولة أكثر من غيرها، أو على إقليم أكثر من غيره؟ وهل أهملوا في المقابل بعض حركات التحرّر المهمّة في الوطن العربيّ، أو أحاط تناولهم

للقضايا التحررية بأرجاء الوطن العربي كاملاً من شرقه إلى غربه ومن جنوبه إلى شماله؟ وهل ربط الشعراء الكويتيون الدين بالحركات الاستعمارية على الوطن العربي؛ سواء أكان هذا الربط مباشراً بأن يكون سبباً من أسباب الاستعمار، أم غير مباشر بأن يكون الدين وسيلة حفز وتحريض؟.

وإذا كان النصف الأول من القرن العشرين قد شهد أحداثاً دامية كان أحد طرفيها أجنبياً والآخر عربياً، فما مواقف الشعراء الكويتيين إزاء الصراعات والنزاعات العربية العربية، وخصوصاً التي نشبت في شبه الجزيرة العربية إبان سعي الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود لتوحيد القبائل في مملكة واحدة؟ وهل بنى الشعراء مواقفهم من هذه الصراعات على قواعد موضوعية تجريدية بعيدة عن الولاء والمناصرة لطرف على حساب الطرف الآخر؟ وإذا كانت قضايا التحرر من قبل صفة عامة تقريباً عند شعراء الكويت، فهل كان توصيف الأحداث العربية العربية حكراً على شعراء معينين دون غيرهم؟ ولماذا كان ذلك إن وجد؟ وهل كان بعض الشعراء متقلبي الولاء في نظمهم، إذا ما نظموا مدحاً في طرف وقدحاً في آخر، ثم مدحوا الطرف المذموم لاحقاً نتيجة تغير موقفه السياسي؟ هذا يحيلنا إلى المدائح التي نُظمت في البلاط السعودي وفي غيره، فما هي طبيعتها، وأهدافها، وغاياتها؟ أتكسبية كانت، أم خالصة للمدح؟.

أمّا في ما يتعلق بالقضايا السياسية العالمية، فإن الإحاطة بها احتاجت إلى استقصاء دقيق في دواوين شعراء المرحلة. وعلى الرغم من تفرّقها في المصادر، كانت ذات قيمة سياسية عالية، وتشير إلى الوعي السياسي المنفتح على ثقافات الغرب في النصف الأول من القرن العشرين. لكن هل كان موقف الشعراء الكويتيين واحداً إزاء هذه القضايا، ولا سيّما مع اتفاق منبعهم الثقافي في أغلب الأحيان، أو لكل منهم رؤيته الخاصة إزاءها؟ ولما كانت الحرب العالمية الثانية مفصلاً تاريخياً

وسياسياً رئيساً في تشكيل دول العالم لاحقاً، فكيف وثَّق الشعراء الكويتيون لهذه الحرب الدموية؟ وهل كان موقفهم إنسانياً لما أصاب اليابان من دمار، أو حالت نقيمتهم على الغرب دون تعاطفهم مع أيِّ طرفٍ إزاء طرفٍ آخر؟ وهل كان للدور الغربي الاستعماري في الوطن العربي أثر في رأي الشعراء الكويتيين؟ وهل ربط الشعراء القضايا العربية بالعالمية؟.

ونفترض أنَّ الالتزام الديني في شبه الجزيرة العربية قد ألجأ بعض الشعراء إلى إدخال الصبغة الدينية على أحداث هذه الحرب، لكن هل كان كل الشعراء متشابهين في استعمال هذا الربط بين الدين والسياسة، أو اعتمد بعضهم الموضوعية والواقعية في تصوير الأحداث آنذاك؟ وهل كانت الحرب العالمية الثانية هي الوحيدة التي تناولها الشعراء الكويتيون من سائر المعارك الأخرى التي نشبت بين عدَّة أطراف غربية، قُبيل الحرب العالمية الثانية، وفي أثنائها، وبُعديها، كمعركة باتان مثلاً، أو الاحتلال الهولندي لإندونيسيا، أو الحرب في فيتنام؟ ولما تميَّزت به طبيعة الحرب العالمية من استعمال أسلحة الدمار الشامل، ما هي مواقف الشعراء من استعمال هذه الأسلحة؟ وهل قارنوا بين القوَّة العسكرية الغربية والأخرى العربية؟.

ويثبت التاريخ السياسي الحديث نسبياً، والحاضر السياسي في أيَّامنا، أنَّ القرار السياسي العالمي تحكمه يدان لجسد واحد: الأولى هي الهيئات السياسية الدولية التي أنشأتها بعض الدول الغربية لتنظيم شؤون الحرب والسلم في العالم ككل، والثانية هي الولايات المتحدة الأمريكية التي تمثل الدور السياسي الأبرز في العالم، فضلاً عن أنَّها صاحبة القرار في أبرز الهيئات الدولية، كمجلس الأمن ومنظمة حقوق الإنسان وغير ذلك. فما هو موقف الشاعر الكويتي من الولايات المتحدة الأمريكية؟ وما هو موقفه من الهيئات السياسية الدولية؟ ولماذا انتقد الشاعر خالد الفرج أمريكا في حين أنَّها لم تتدخل عسكرياً في الدول العربية في تلك الفترة؟ أكان وعياً منفطحاً من الشاعر على فهم وإدراك للمؤامرات السياسية التي تدور في خبايا الهيئات التي تديرها أمريكا أو تشرف عليها؟.

إنَّ بداية القرن العشرين قد شهدت تأليف عدد من الأحزاب السياسيَّة العالميَّة والعربيَّة، فما هو موقف الشعراء الكويتيِّين من هذه الأحزاب؟ وهل تطرَّقوا إلى ذكر تفاصيلها من أهداف ومنطلقات وشعارات؟ وكيف بيَّنوا نظرة الغربيِّين إلى الحزب الشيوعيِّ مثلاً؟ ولماذا وقف بعض الشعراء مع أتباع الحزب الشيوعيِّ في جانب، ونفوا عن أنفسهم انتماءهم إلى الحزب الشيوعيِّ في جوانب أخرى؟ وهل ربط الشعراء المعتقدات الدينيَّة بمواقفهم من الأحزاب السياسيَّة، كأن يروا ألاَّ حزبَ فوق الحزب الإسلاميِّ على سبيل المثال؟.

ولأنَّ موقف الغرب من القضايا العربيَّة الحسَّاسة كان موقفاً سلبياً بعامَّة، فإن الافتراض الأوَّل هو أن يتناول الشعراء الكويتيُّون أبرز الشخصيَّات السياسيَّة العالميَّة بسلبيةٍ واضحة، وبخاصَّة في ما يتعلَّق بالرؤساء وزعماء الحرب والقادة. والافتراض الثاني أنَّ الشاعر الكويتيَّ كان منصفاً وموضوعياً في تناوله للشخصيَّات العالميَّة، بأن يأتي على ذكر بعض الصفات الإيجابيَّة في هذه الشخصيَّات. لكن، هل كان لتوظيف الشخصيَّات نمطاً شكليَّ خارجيَّ يتعلَّق بجمع عدد منهم في بيت شعريٍّ واحد بغية التركيز على سلبيةِ الشخصيَّة، أو جاءت هذه الشخصيَّات عرضيَّة في سياق الحديث عن أيِّ قضية عربيَّة أو عالميَّة؟ وهل ربط الشعراء مواقفهم من الشخصيَّات بمواقف هذه الشخصيَّات من القضايا العربيَّة؟ ولما كان السياق يتناول توظيف الشخصيَّات العالميَّة، فكيف وظَّف الشعراء أبرز المدن والدول الغربيَّة في أشعارهم؟.

منهج البحث

من استقراء الدواوين الشعريَّة، والدراسات الأدبيَّة التي ترجمت لشعراء المرحلة، سنحاول تتبُّع القضايا السياسيَّة التي تضمَّنَّتها أشعارهم، داخليَّةً وطنيَّةً كانت أو خارجيَّةً قوميَّةً -سواء أكانت تلك القضايا إيجابيَّة أم سلبيةً-، وتوضيح مواقف الشعراء إزاءها بناءً على تحليل النصوص الشعريَّة، ثمَّ مقارنتها بالوثائق التاريخيَّة والسياسيَّة. وسنعمد في الدراسة على المنهج الموضوعي التحليليِّ، مع

مراعاة المنهج التاريخي في تتبع الحوادث السياسية ونصوصها الشعرية زمنياً، مع اعتمادنا على قاعدتين أساسيتين: أولى قبل التحليل، وثانية في أثائه. أمّا الأولى فهي الاستقصاء والبحث على قدر الإمكان في المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع. وأمّا الثانية فهي المقارنة بين الإشارة التاريخية التي تضمّنها الشعر، والوثيقة التاريخية المدوّنة في كتب التاريخ والسياسة، بهدف تحرّي الدقّة في التحليل، وفي حقيقة المعلومة السياسية.

بنية الدراسة

أمّا الخطوط الكبرى للدراسة فيجب توضيح مسوِّغات تقسيمها؛ فحيث إنّ الوطنية أسبق في النفس من القومية، إذ التغنّي بالوطن وتذكُّره والحنين إليه، أو نقد بعض مظاهره، هو أوّل باعث للشاعر على الخوض في غمار الشعر السياسي، حيث لا يمكن أن يكون الشاعر قومياً من دون أن يكون وطنياً في الدرجة الأولى، ولا يمكن أن ينتصر شاعر لقضايا سياسية خارجية إذا لم يكن منتصراً لهذه القضايا في وطنه الأم، ويكون من المناسب أن تبدأ الدراسة بالقضايا السياسية الوطنية، وللمزيد من الدقّة، نسمّي عنوان الباب «القضايا السياسية الداخلية في الشعر العربي في الكويت قبل الاستقلال»، ونفرد الفصل الأوّل من الباب للقضايا الوطنية، والحديث عن الوطن عند شعرائه الكويتيين.

ولأنّ الوطنية تتخذ توجّهاً إيجابياً في كلّ الأماكن التي ترد فيها، فليس من الصواب أن يحمل الباب عنواناً هو «القضايا الوطنية في الشعر العربي في الكويت»، إذ إنّ الباب يتضمّن قضايا سياسية نقدية إزاء السلطة الكويتية، بغضّ النظر عن تأكيد الدراسة وطنية الشاعر أو نفيها عنه، لكنّ اجتماع السلبية والإيجابية في الباب، جعل التخصيص والحصر بالوطنية أمراً لا يشير إلى حقيقة مضمونه، ولهذا كان من المناسب أن يكون عنوان الباب متناولاً القضايا السياسية الداخلية، حيث يضمّ القضايا بشقيها: الإيجابي الوطني، والسلبي المعارض.

أمّا الباب الثاني فعنوانه «القضايا السياسيّة الخارجيّة في الشعر العربي في الكويت قبل الاستقلال»، أي القضايا السياسيّة التي دارت أحداثها خارج إطار دولة الكويت، وتضمنها الشعر العربي في الكويت. ولأنّ هذا الباب يتضمّن فئتين من القضايا: أولاها عربيّة محصورة في إطار الوطن العربيّ، وثانيها قضايا عالميّة خارج إطار الوطن العربيّ، فقد يكون جعل القضايا القوميّة أو الشعر القوميّ عنواناً لهذا الباب، أمراً مجانباً للدقّة والصواب؛ إذ سار الشعر القوميّ في مفهومه الاصطلاحيّ في الجانب الإيجابيّ غالباً، وقُصد به الشعور الأخويّ بين أبناء الأقطار العربيّة والتزام بعضهم قضايا بعض الثوريّة. ولمّا تناول بعض الشعراء أبرز القضايا السياسيّة العالميّة في أشعارهم، ووقفوا منها موقفاً متباينة بين السليبيّة والإيجابيّة، فكان من الأدقّ الاتكاء على التعميم في عنوان الباب ليشمل القضايا السياسيّة الخارجيّة العربيّة والعالميّة.

تجدر الإشارة إلى أنّ طبيعة المادة المدروسة هي التي تتحكّم في بنى الفصول والمباحث؛ إذ إنّ اهتمام الشعراء الكويتيّين لم يكن منصباً على القضايا جميعها بشكلٍ متساوٍ، بل إنّ عنايتهم ببعض القضايا جاء على حساب تجاهلهم لتفاصيل قضايا أخرى معاصرة لها. فمن ذلك على سبيل المثال، اهتمام الشعراء الكويتيّين بالقضايا الوطنيّة أكثر من عنايتهم بتدوين المواجهات الحربيّة. ومن ذلك أيضاً، عنايتهم بالقضيّة الفلسطينيّة أكثر من عنايتهم بأيّ قضيّة عربيّة أخرى معاصرة لها. إنّ كلّ فصلٍ يتضمّن نماذج من الشعر الفصيح في الكويت، تؤثّق الحال السياسيّة آنذاك، وتبيّن طبيعة التوجّه السياسيّ في النظم الشعريّ، لتكون القصيدة السياسيّة جزءاً من الوثائق التي يمكن الاستناد إليها في أثناء دراسة التطوّر الشعريّ في الكويت، وتطوّر الوعي السياسيّ لدى أفراد المجتمع الكويتيّ، وخصوصاً الشعراء.

تجدر الإشارة إلى أنَّ دواوين الشعراء الكويتيين قبل الاستقلال تعتبر مادةً أساسيةً في الدراسة، ومصدرًا أولًا يتمُّ الاستناد إليه في أثنائها. كما أنَّني قد ألجأ مضطراً إلى بعض المراجع الإلكترونية، وذلك من نظرة أولى على طبيعة المادة المدروسة والفترة الزمنية التي تغطيها، وإن تمَّ ذلك فضمن شرط أن يكون المرجع الإلكتروني موثقاً بأصالة مادته المنشورة، وإن تعذَّر ذلك، فإن تكون المعلومة موافقة لحقيقة ما توارد عنها وغير مجانية للصواب.

أسأل الله التوفيق في هذه الدراسة، وأن يُنتفع بها، عساها تحمل قيمةً أكاديميةً أدبيةً للباحثين وطلبة العلم، ولا أبرئ نفسي من كلِّ خطأ قد يرد فيها.

والحمد لله رب العالمين

«فאלله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين»

مناف عوض الكفري

الكويت في ١/٥/١٤٣٦هـ

الموافق ١٩/٢/٢٠١٥م

الباب الأول

القضايا السياسية الداخلية

في الشعر العربي في الكويت قبل الاستقلال

تمهيد

بداية الاستقرار الرسمي لدولة الكويت، ونهوضها كياناً مستقلاً تحت غطاءٍ سياسيٍّ تحكمه النُظم والقوانين، وسيادتها دولةً مدنيّةً لها حاكمها القائم على أمرها، وحُكومتها المتولّية تنظيم شؤونها الداخليّة والخارجيّة، كانت في منتصف القرن الثامن عشر، حين تقلّد الشيخ صباح (الأوّل) بن جابر الصّباح^(١) الحكم في الكويت، إذ تمّ اختياره بالتوافق بين أطراف القوّة المسيطرة في المنطقة آنذاك. وقد بارك المجتمع الكويتيّ تنصيب آل الصّباح حكمًا على الكويت بالشورى، من طريق ديمقراطيٍّ أشبه بالانتخابات لاحقًا؛ فقد اختار الكويتيّون حاكمهم بمحض إرادتهم وحدّدوا له مهمّاته. ثمّ عرفوا أشكالاً من التنظيم السياسيّ مختلفة في نضجها ومسؤوليّاتها لاحقًا، فأسّسوا مجلس الشورى عام ١٩٢١، ثمّ المجالس الإداريّة المنتخبة: كالمجلس البلديّ عام ١٩٣١، ومجلس المعارف عام ١٩٣٦.

ومنذ ذلك الوقت، تسوّرت الكويت بالحدود السياديّة، وأصبح لها حكومتها المسؤولة عنها، فأخذ الوطن معنىً جديدًا عند أبنائه، وأصبح لمفردة الكويت مفهومٌ اصطلاحيّ جديد في أذهانهم، ففضّل بعضهم هذا الاستقرار السياسيّ، بينما رأى فيه آخرون سجنًا كبيرًا قيّد لهم ضمن قوانين وحدود كانوا متحرّرين منها قبل ذلك.

(١) صباح بن جابر الصّباح (١٧٧٦م)، أوّل حاكم للكويت، اختلف المؤرّخون على تاريخ بداية حكمه، وقد ذكر المؤرّخ حسين الشيخ خزل أنّه كان في سنة ١١٢٩ هـ / ١٧١٦م، حين تحالف ثلاثة من أبرز زعماء القبائل التي سكنت الكويت، وهم: صباح بن جابر بن سلمان بن أحمد، وخليفة بن محمّد، وجابر بن رحمة العتيبي، على أن يتولّى صباح بن جابر الرئاسة وشؤون الحكم، وأن يتشاور معهم في ذلك، بينما يتولّى خليفة بن محمّد شؤون المال والتجارة، ويتولّى جابر بن رحمة شؤون العمل في البحر. انظر: حسين الشيخ خزل، تاريخ الكويت السياسي، ط٨، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، ١٩٦٢، ج١، ص ٤٢-٤٤.

ولأنّ الدولة حديثة عهدٍ بالنشوء، فقد كانت العلاقة بين الحاكم وأبناء شعبه علاقةً ذات فضاءٍ مفتوح؛ فلا حواجز أمنيّة مشدّدة بين الطرفين، كذلك التي تفرضها الدول بعامةً في وقتنا الحالي، بل إنّ الحاكم ترك المجال مفتوحاً أمام عامّة الشعب للتعبير عن آرائهم، وتقديم متطلّباتهم إليه بشكلٍ مباشر، فضلاً عن إشراكه شريحةً من الوجهاء والعلماء في بعض شؤون الحكم بالشورى. هذا الأمر زاد من اهتمام جزء كبير من الشعب بالسياسة الداخليّة، وأرسخ فيهم الجرأة على نقدها حيناً، وتقديم الولاء للسياسة حيناً آخر.

وتشغل القضايا السياسيّة الداخليّة حيّزاً لا بأس به في ديوان الشعر العربيّ في الكويت، اتّخذت معالجة الأوضاع السياسيّة فيها ثلاثة اتّجاهات: الوطنيّ، والحربيّ، والنقديّ. وقد ارتبط حضورها في الشعر بالحدث والمناسبة، ارتباطاً أحوج بعض الشعراء إلى النظم في قضية أكثر من غيرها، بحسب أهميّتها ومعاصرتها. وقد تنوّع النظم في هذه الاتّجاهات الثلاثة، بين التمجيد والإشادة تارةً، والرفض والنقد تارةً أخرى، ففي الاتّجاه الوطنيّ سنقف على مفاهيم الوطن أولاً، ثمّ مواقف الشعراء الكويتيّين من هذه المفاهيم، بين رفض بعضهم لها، وقبول البعض الآخر. ثمّ نتناول أبرز المناسبات الوطنيّة، وأهميّتها في توثيق بعض الأحداث السياسيّة، وأسلوب الشعراء في نظمها، ودورها في إيصال المعلومة المراد نقدها أو مدحها أمام وجهاء القوم وعامّتهم على السواء. وسيكون للمدح السياسيّ نصيبٌ من هذه الدراسة، والوقوف على بعض النماذج للمفاضلة بين الشعراء المدّاح حقيقةً، والآخرين المتكسّبين بمدحهم.

أمّا الاتّجاه الثاني فسوف نتطرّق فيه إلى المواجهات الحربيّة التي دارت في الكويت في تلك الفترة، والتشديد على منطلقهم الوطنيّ في هذا التوثيق، إذ إنّ واجب الدفاع عن الوطن، والحفاظ على قدسيّة منازل الآباء والأجداد، دفعهم إلى النظم ذوداً عن الحمى، ولهم في ذلك مواقف مختلفة سنقف عليها في مكانها من

هذا الباب. ثمَّ الاتجاه الثالث، حيث سنتناول فيه أبرز مظاهر النقد السياسي، والتي نقد فيها الشعراء السُّلطة بشقيها، والأسباب التي دفعت الشعراء إلى هذا النقد، ودراسة القصائد بين الحقيقة والإسراف في النقد.

ولمَّا كان الوطن هو الأسبق إلى الوجود في الطبيعة البشريَّة، ولما يحمله من مفاهيم تتنوع بحسب أهواء الشعراء وأغراضهم، وحضوره الكثيف نسبياً سواء أكان مصرِّحاً به واقعاً، أم مضمراً رمزياً، فقد وجد الشعراء فيه فضاء واسعاً ينظمون أغراضهم فيه، ويعبِّرون في أثنائها عن ولائهم للوطن، أو شكواهم منه أو إليه، ويعبِّرون من وطنيتهم إلى القوميَّة العربيَّة.

ومن هنا يمكننا البدء بدراسة مفهوم الوطن ودلالاته عند الشعراء الكويتيين، ومواقفهم إزاء وطنهم الكويت، أو أوطانهم الخاصَّة.



الفصل الأول

الوطن في الشعر العربي في الكويت

إنَّ استقراء نماذج الشعر الفصيح في الكويت في البدايات، يشير إلى أنَّ حُبَّ الوطن هو أوَّل باعثٍ للشاعر على الخوض في غمار الشعر السياسي؛ إذ إنَّ القصائد الوطنية تتولَّد من رَحَمَيْن: الأوَّل هو الإحساس بالفقد بعيداً عن الوطن، والثاني هو الاتصال والتوحد بين الشاعر ووطنه، لدرجة أنَّه لا يستطيع الانفصال عنه. هذا على عكس القصيدة القومية التي تتولَّد بالضرورة من رحم الوطنية وحُبِّ الوطن؛ فلا يمكن أن يكون الشاعر قومياً إلا إذا كان وطنياً مخلصاً أولاً.

على الرَّغم من اختلاف أغراض الشعر وتعدُّد مذاهب الشعراء فيه، وتنوُّع مشاربهم، أجمعوا على التغنِّي بالوطن والإشادة به، وتكليل أشعارهم بالتعبير عن انتمائهم إليه، وعدم رغبة الكثيرين منهم في الانفصال عنه. فمنهم مَنْ دفعته الغربة المكانية إلى النُّظم حنيناً إلى الماضي في وطنه، ومنهم مَنْ تشوَّق العودة إلى ربوعه، ومنهم مَنْ فخر بوطنه ومَجَّده؛ يدفعه إلى ذلك شعوره الصادق، أو واجبه في تخليد ذكرى أبرز مناسباته الوطنية. وتعتبر القصائد التي نظمها الشعراء بدافع الحنين إلى أوطانهم من أهمِّ النماذج الشعرية التي يمكن الاستناد إليها في تحديد مفهوم الوطن عند شعراء هذه المرحلة، علاوة على دورها في إبراز عقيدة الولاء للوطن، وفقه الانتماء إليه الذي سعى الشاعر إلى تعزيزه عبر نظمه. ولذلك من المفيد إلقاء الضوء على هذا الاتجاه، لصدق عاطفة الشاعر في التعبير عنه.

تسير دراسة هذا الفصل في اتجاهين: الأول تحديد مفهوم الوطن عند شعرائه ومواقفهم إزاءه، بدءاً من مفهوم الوطن في عيون الشعراء، سواءً أكان هذا الوطن وطناً رومانسياً، بحيث إنه نتيجة شحنة عقلية وجدانية كامنة بداخل الفرد، فالوطن الرومانسي هو الوطن الذي نحمله ونحميه ونفديه. أم وطناً مادياً؛ فهو الوطن الذي يحملنا ويحمينا ويضمنا، فهو ليس مجرد أرض ولو كانت مقدسة، بل هو شركة في المغامر والمغارم، ونظام للتكافل الجمعي يتساوى فيه صغير القوم وكبيرهم، قريبهم وبعيدهم. والثاني تحليل مواقف الشعراء الكويتيين من الوطن الكويت، تلك المواقف التي تباينت بين الرفض والقبول. وبدايةً يستوقفنا مفهوم الوطن في قصائد الشاعر الكويتي، وما حمل الشاعر الوطن من دلالات وحملها معه.

أولاً: مفهوم الوطن

الوَطَنُ لُغَةً: «هو المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه، وأَوَطَنُهُ؛ اتَّخَذَهُ وَطَنًا، يُقَالُ: أَوْطَنَ فُلَانٌ أَرْضَ كَذَا وَكَذَا؛ اتَّخَذَهَا وَطَنًا»^(١). و«وَطَنَ بِالْمَكَانِ يَطِنُ وَطَنًا: أَقَامَ بِهِ. أَوْطَنَ الْمَكَانَ: وَطَنَ بِهِ، وَالْبَلَدَ اتَّخَذَهُ وَطَنًا. وَاطَنَهُ عَلَى الْأَمْرِ: أَضْمَرَ فَعَلَهُ مَعَهُ، وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ. وَطَنَ بِالْبَلَدِ: اتَّخَذَهُ مَحَلًّا وَسَكَنًا يَقِيمُ فِيهِ. اتَّطَنَ الْبَلَدُ: اتَّخَذَهُ وَطَنًا. الْمَوْطِنُ: كُلُّ مَا أَقَامَ بِهِ الْإِنْسَانُ لِأَمْرٍ. وَالْوَطَنُ: مَكَانُ إِقَامَةِ الْإِنْسَانِ وَمَقَرُّهُ، وَإِلَيْهِ انْتِمَاؤُهُ، وَوُلِدَ بِهِ أَوْ لَمْ يُولَدْ، وَجَمَعُهُ أَوْطَانٌ»^(٢).

أما الوَطَنُ اصطلاحاً، فقد قسّمه الجرجاني قسمين: «الوطن الأصلي؛ هو مولد الرّجل والبلد الذي هو فيه. وطن الإقامة؛ موضع ينوي أن يستقرّ فيه خمسة عشر يوماً أو أكثر، من غير أن ينوي أن يتّخذهُ مَسْكَنًا»^(٣). وفي المعجم الفلسفي:

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط ١ [طبعة جديدة منقّحة]، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠، ج ١٣، ص ٤٥١.

(٢) مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، المعجم الوسيط، ط ٣، القاهرة: مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية، ١٩٨٥، ج ٢، ص ١٠٨٤.

(٣) علي بن محمّد الجرجاني، التعريفات، ط ١، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٨٨٨، ص ١١٢.

«الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة، والوطن الأصلي: هو المكان الذي ولد فيه الإنسان، أو نشأ فيه. والوطن بالمعنى الخاص هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان القومية. ويتميز الوطن عن الأمة والدولة بعامل وجداني خاص، وهو الارتباط بالأرض وتقديسها، لاشتمالها على قبور الأجداد»^(١). وفي معجم المصطلحات السياسية الدولية: «الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها، وانتمائه إليها»^(٢).

وللوطن دلالات أخرى، كأن يُقصد به مكان له صفة تاريخية، ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٣). والمقصود بالمَوَاطِن هنا مواقع المعارك، أي في أكثر من مكان وأكثر من موضع، ليكون بذلك مفهوم الوطن تحت دلالة خاصة أخرى تشمل مكان وقوع المعارك. ويشير إلى ذلك ابن عاشور في تفسيره: «وَمَوَاطِن: جمع مَوْطِن، والموطن أصله مكان التَّوَطُّن، أي الإقامة. ويطلق على مقام الحرب وموقفها، أي نصركم في مواقع حروب كثيرة»^(٤).

ثمّة نقاط التقاء بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي لمفردة الوطن ومفهومه، بيد أن الوطن بمفهومه الاصطلاحي أكثر اتساعاً؛ فالوطن بمفرده القاموسية معناه ثابت لا يتغير إلا إذا دخل المجاز في التعبير عنه. أمّا المفردة الاصطلاحية فهي مرتبطة بالمعاني التي تحملها، وهي متطورة نتيجة تطور الوعي المرافق لتطورات

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، [بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية]، ط٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ج٢، ص ٥٨٠.

(٢) أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية الدولية، [إنجليزي فرنسي عربي]، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص ٩٣.

(٣) التوبة، ٢٥/٩.

(٤) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، [الطبعة التونسية]، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ج ١٠، ص ١٥٥.

الحياة، بجوانبها الثقافية والاجتماعية والدينية، وتبعاً للأحداث السياسية التي تؤثر في رؤية الشاعر وانتمائه، الأمر الذي يحوّل هذه المفردة إلى مفهوم يختلف أسلوب تناوله وفهمه بين شخص وآخر.

ويرى يحيى الجبوري في دراسته عن الحنين إلى الأوطان دلالة أخرى غير ما ذهبنا إليه، فقال: «كان الوطن عند الجاهليّ الأهل والديار، وكلُّ منزل ينزله ويحنُّ إليه، ولمَّا استقرَّت القبائل في القرى والمدن صار مفهوم الوطن واضحاً هو الأرض والبلد بحدوده وأهله ومغانيه، وصار الشعر يردّد أسماء المدن ويتغنّى بجمالها ويحنُّ إلى مراعيها، وكثر بعد ذلك الانتساب إلى المدن والاعتزاز بها، والمدن أوطان»^(١).

كان الوطن في الثقافة العربية القديمة، يعني -علاوة على كونه مسقط الرأس- المكان الذي يضمُّ الأهل والأحبة؛ إذ يشكلون جوهر الرابطة الاجتماعية في الوطن، ويؤكد ذلك ما نظمه الشاعر قيس بن الملوّح^(٢):

أَمْرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارٍ لَيْلَى
أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفَنَ قَلْبِي
وَلَكِنْ حُبٌّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا^(٣)

(١) يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي: الحنين إلى الأوطان، ط١، عمان: دار الجدلاوي، ٢٠٠٧، ص ١٢.
(٢) قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري (... - ٦٨ هـ / ... - ٦٨٧ م) شاعر غزل، من أهل نجد. لقّب بمجنون ليلي لهيامه في حبّ ليلي بنت سعد التي نشأ معها إلى أن كبرت، ثمّ حببها أبوها عنه، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فبُرى حبناً في الشام وحبناً في نجد وحبناً في الحجاز، إلى أن وُجد ملقى بين أحجار وهو ميتٌ، فحُمِلَ إلى أهله ودفن عندهم. وقد جُمِعَ بعضُ شعره في ديوان، وصنّف ابن طولون كتاباً في أخباره سمّاه «بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر». وكان الأصبغي ينكر وجوده، ويراه اسماً بلا مسمّى. والجاحظ يقول: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل فيه ذكر ليلي إلا نسبوه إلى المجنون. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٩، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠، ج ٥، ص ٢٠٨.
(٣) داود بن عمر الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ط١، بيروت: دار البحار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ج ١، ص ١٤.

«فقد كان الوطن كل شيء، ما عرف العرب غير هذا، فلئن ضاق فهو بئر في صحراء نائية، ولئن اتسع فهو دارٌ أو بيتٌ من الشعر، أو قريةٌ صغيرة، أو مدينةٌ كبيرة، أو في أي بقعة من هذا العالم الواسع الأطراف. فعند الشاعر العباسي ابن الرومي^(١) لا يتعدى بيت حبيبته»^(٢):

مَا أَصْبَحْتُ دُنْيَايَ لِي وَطَنًا

بَلْ حَيْثُ دَارُكَ عِنْدِي الْوَطَنُ^(٣)

وأتسع المفهوم؛ فصار المكان العام رمزاً للمكان الخاص، وصارت الدولة منزل الشاعر ومكان إقامته، كما قال بديع الزمان الهمذاني^(٤):

إِسْكَنْدَرِيَّةٌ دَارِي - لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي

لَكِنْ لَيْلِي بِنَجْدٍ - وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي^(٥)

ويتسع مفهوم الوطن أو يضيق تبعاً لمدى الوعي وعلو الهمة ورحابة الخيال؛ فيكون دولة أو أمة أو امرأة أو أباً أو غير ذلك، مرتبطاً بمقدرة الشاعر على توظيف

(١) ابن الرومي (٢٢١-٢٨٣ هـ / ٨٣٦-٨٩٦ م) علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير، من طبقة بشّار والمتنبّي، رومي الأصل، كان جدّه من موالى بني العبّاس، ولد ونشأ في بغداد، ثمّ مات فيها مسموماً، وقد قيل: دسّ له السمّ القاسم بن عبيد الله (وزير المعتضد) وكان ابن الرومي قد هجاه. له «ديوان شعر» في ثلاثة أجزاء، واختصره كامل الكيلاني، وسمّى المختصر «ديوان ابن الرومي». انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٢٩٧.

(٢) محمّد حسن عبدالله، عبد اللطيف النّصف: تجربته الشعرية ورؤيته الإصلاحية، ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٢، ص ٩٠. [ندوة منشورة عُقدت في الثامن والعشرين من يناير ٢٠٠٢].

(٣) علي بن العبّاس بن جريج ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، ط١ [ضبط نصوصه وعلّق حواشيه وقدم له: عمر الطّبّاع]، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ج ٣، ص ٥٦٥.

(٤) بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨-٣٩٨ هـ / ٩٦٩-١٠٠٨ م) أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أبو الفضل. ولد في همدان وانتقل إلى مدينة هراة سنة (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) فسكنها، ثمّ ورد نيسابور بعدها بسنتين. كان قويّ الحافظة، ويضرب المثل بحفظه. ويذكر أنّه نظم أكثر مقاماته ارتجالاً. له «مقامات» أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها، وله ديوان شعر صغير، وله رسائل مجموعة عُدتّها ٢٣٣ رسالة. توفّي في هراة مسموماً. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ١١٥-١١٦.

(٥) محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مقامات بديع الزّمان الهمذاني، ط١، الهند: مطبعة بومباي، ١٩٢٣، ص ٨٤. [المقامة الجاحظية]. [بومباي هو الاسم القديم لمدينة مومباي].

هذا المفهوم. ولمّا كان التّرحال سمةً أبناء تلك المرحلة قبيل استقرارهم، فقد كان الحنين إلى الوطن -في بعض جوانبه- يجسّد الحنين إلى الرّبع والذّكريات فيه، من غير أن يقصد الشّاعر بقعةً جغرافيّةً دون أخرى، إلّا تلك التي ضمّتهم. وقد حفظ لنا التّراث الشعريّ عددًا لا بأس به من النّصوص الإبداعية التي تشهد على تعلق الشعراء بديارهم وأوطانهم، وقديمًا صوّر الشاعر ابن الرّومي الوطن بأنّه مرتع الشّيبية والصّبا، بعيدًا عن تصويره للوطن المتعلّق بالمكان الجغرافيّ:

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ وَالصَّبَا
وَلَيْسْتُ نَوْبَ الْعُمَرِ وَهُوَ جَدِيدٌ
فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأَيْتُهُ
وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيدُ^(١)

وحديثًا؛ يُتعارف على الوطن بأنّه الرّقعة الجغرافيّة المحدّدة سياديًا ودوليًا، والتي تمنح كلّ الأفراد المقيمين فيه بشكل أصيلٍ ودائمٍ جنسيّة الانتماء. والجنسيّة بعامةً هي: «رابطة سياسيّة وقانونيّة بين الشخص ودولة معيّنة، تجعله عضوًا فيها، وتقيّد انتماءه إليها، وتجعله في حالة تبعيّة سياسيّة لها، ويُسمّى مَنْ يتمتع بهذه الرابطة وطنيًا، أمّا الذي لا يتمتع بها فهو الأجنبيّ. ولجنسيّة الفرد أهميّة كبرى في تحديد حقوق الشخص وواجباته؛ فاللّوطنيّ حقوق أكثر، وعليه التزامات أكثر ممّا على الأجنبيّ. فمثلاً: الحقوق السياسيّة قاصرة على الوطنيّين ولا يتمتع بها الأجنبيّ، وبعض الواجبات أيضًا كالخدمة العسكريّة، والوطنيّون لا يجوز إبعادهم عن إقليم الدولة، بعكس الأجانب. والذي يضع قواعد الجنسيّة في كلّ دولة هو قانونها الداخليّ، وتختلف الدول فيما بينها في القواعد التي تنظم بمقتضاها جنسيّتها»^(٢).

(١) إبراهيم بن علي الحصريّ القيروانيّ، زهر الآداب ونثر الألباب، ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٧٠، ج٣، ص ٧٣٧. [باب: الفاظ لأهل العصر في ذكر الوطن].

(٢) عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ط١، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ١٩٨١، ج٢، ص ٩٩.

ويعتبر هذا المفهوم المعاصر من مظاهر الحداثة، مع تسليمنا بأن الانتماء الوطنيّ متّصل بالفطرة الإنسانية؛ فلا يعلو عند الشعراء وينخفض عند غيرهم، إلا أنّ الشعراء أكثر قدرة على التعبير عن معاناة الغربة، باعتبارهم شريحة سريعة التأثر، لهم قدرة على رسم مكنوناتهم ووصف حالات الأنين والحنين. كما أنّ الأسلوب الفنّي الذي عبّروا به عن أوطانهم جعل إرثهم الشعريّ محطة تستوقف الباحثين لدراسته. وللوقوف على أبرز المفاهيم الدلاليّة التي حملها الوطن عند الشّعراء الكويتيّين، والمتنّقلة بين الاتّساع تارة، والتّخصيص والرّمز تارة أخرى، كان من الضروريّ تناول هذه المفاهيم الدلاليّة بشيءٍ من التفصيل كما الآتي:

أ - وطن الشعراء بمفهومه الواسع

ينبغي التسليم بأنّ العرب -منذ القدم- عرفوا هذا المصطلح، لكنّهم لم يقصدوا به مكاناً محدّداً كالدولة بمعناها المعاصر، فمنهم من جعل وطنه مسقط رأسه، ومنهم من جعله ملعب الصبا، ومنهم من جعله الذاكرة الحافلة بذكريات الأحبة. ويلتقي هذا المفهوم مع ما نظمه الشاعر الكويتيّ خالد الفرج^(١)، إذ جذبه إلى وطنه ثلاثة أشياء؛ مسقط الرأس، الطفولة، الذكريات، فقال:

وَطَنِي وَمَهْدُ أَبِي وَمَسْقَطُ رَأْسِي

أَهْـوَاهُ حَتَّى آخِرِ الْأَنْفَاسِ

(١) خالد بن محمّد بن فرّج الصرّاف الدوسري (١٨٩٨-١٩٥٤) ولد في مدينة الكويت وتوفّي في لبنان، قضى حياته العلميّة بين الكويت، ومومباي، والبحرين، والسعودية. تلقّى علومه المبكّرة عند المطوّع في الكتاب، وعند افتتاح المدرسة المباركيّة عام ١٩١١ التحق بها، وحين أنهى دراسته فيها عمل مدرّساً بذات المدرسة. نشط في الاطلاع على كتب التراث المختلفة، كما تعلّم اللغة الإنجليزيّة، ودرس الهندسة خلال عمله في مومباي. له «ديوان خالد الفرج» الجزء الأوّل والثاني، و«أحسن القصص» وهو ملحمة شعريّة في سيرة الملك عبدالعزيز آل سعود، ومسرحيّة غير مكتملة بعنوان «في بلاد عبقر ووبار». انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط١، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ، ٢٠٠٨، ج ١٠، ص ١٧٥.

وطني قضيتُ بهِ سُوِيَعَاتِ الصَّبَا
تاللهِ لَسْتُ لَهَا الحَيَاةَ بِنَاسِي
للهِ مَا أَحَلَّى تَذْكَرَ عَصْرَهَا
حُلُمٌ جَمِيلٌ فِي لَذِيذِ نَعَاسٍ^(١)

ويرى الشاعر أحمد مشاري العدوانى^(٢) في بعض تعريفاته لمفهوم الوطن، أنه المكان الذي يضمُّ الأحبة والأصدقاء، بعيداً عن الرُّقعة الجغرافيَّة السَّياديَّة المعاصرة:
فَقُلْتُ لَهَا دِيَارِي حَيْثُ أَلْقَى
غَرِيبَ هَوَى يُبَادِلُنِي المَحَبَّةَ^(٣)

وأصحاب هذا الاتجاه -الوطنُ المكان الذي يضمُّ ذكريات الأهل والأحبة- لا يرون الأرض إلاَّ يباباً، إن خلت من الأحبة وذكرياتهم. فلا حنين في رمل صحرائها، ولا في صخور شواطئها إذا لم يكن للذكريات أثرٌ عالقٌ في الذاكرة مرتبطٌ بها. ولعلَّ هذا ما قصده الشاعر فهد العسكر^(٤) في قوله:

- (١) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، تقديم وتحقيق: خالد سعود الزيد، ط١، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ج ٢، ص ٢٢٩.
- (٢) أحمد مشاري العدوانى (١٩٢٣-١٩٩٠)، ولد بحيِّ القُبْلَة في الكويت العاصمة، وفي الكويت توفِّي. أصدر وهو طالب، بمعاونة من طلاب البعثة مجلة «البعثة» في القاهرة (١٩٤٦-١٩٥٤) التي تُعدُّ الأمَّ الرمزيَّة للصحافة الكويتيَّة. تقلد عدداً من المناصب الثقافيَّة في الكويت. صدر له ثلاثة دواوين: الأوَّل صدر في حياته بعنوان «أجنحة العاصفة»، والثاني صدر بعد رحيله بعنوان «أوشال»، والثالث بعنوان «صور وسوانح». ومن مؤلفاته المبكرة مسرحيَّة مدرسيَّة بعنوان «مَهْزَلَة في مَهْزَلَة»، كما كتب العدوانى بعض القصص القصيرة، وعدداً من المقالات في مجلة البعثة. انظر: معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ٢، ص ٢٢١.
- (٣) مؤسَّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ، أحمد مشاري العدوانى: الأعمال الشعريَّة الكاملة، ط١، الكويت: مؤسَّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ، ١٩٩٦، ص ١٩.
- (٤) فهد بن صالح بن محمَّد العسكر (١٩١٧-١٩٥١)، ولد في الكويت وتوفِّي فيها، اختلف في تحديد تاريخ ولادته بين عامي (١٩١٣-١٩١٧)، قضى حياته في الكويت، وزار السعودية والعراق. تلقَّى تعليمه المبكر في الكتاب، ثمَّ التحق بالمدرسة المباركيَّة حيث تتلمذ على عدد من علماء عصره، ثمَّ على تثقيفه الذاتي. اعتمد على ثروة ورثها عن أبيه: لذا لم يرتبط بأيٍّ من الأعمال، وقد اعتذر عن عدم قبول وظيفة عرضها عليه الملك عبدالعزيز آل سعود بعد استقباله في الرياض. فاز بالمركز الأول في المسابقة الشعريَّة التي نظمها إذاعة لندن ١٩٤٥. له مجموع شعريٌّ في كتاب «فهد العسكر: حياته وشعره»، وله قصائد منشورة في عدد من الصحف والمجلَّات. شاعر مجدِّد، نظم في كثير من أغراض الشعر، أطلقت الكويت اسمه على إحدى مدارسها الرسميَّة تكريماً له. انظر: معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٤، ص ٥٨٣-٥٨٤.

يَا رِفَاقِي لَا تَحْفِرُوا لِي - إِذَا مَا
مُتُّ شَوْقًا - قَبْرًا بِقَفْرِ يَبَابٍ
اخْفِرُوا لِي قَبْرًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْ
رِ لَعَلَّ الْأَمْوَاجَ تَبْكِي شَبَابِي
وَأَدْفِنُونِي بَيْنَ الصُّخُورِ عَسَى يَهْ
دَأُ رُوعِي وَتُورَتِي وَاضْطِرَابِي^(١)

ويشكل الحنين إلى الوطن عند آخرين الحنين إلى القوم المقيمين فيه، ومن ذلك ما نظمه الشاعر عبدالله بن علي بن صانع^(٢) نزيل دُبي^(٣)، قال:

تَذْكُرْ قَوْمَهُ فَجَفَا كَرَاهُ
أَخُوهُمْ حَلِيفُ النَّائِبَاتِ
إِذَا أَرْخَى السُّدُولَ عَلَيْهِ لَيْلُ
أَفَاضَ الطَّرْفَ نَحْوَ النِّيَّاتِ^(٤)

فإذا كان الوطن هو مسقط الرأس ومكان الميلاد والنشأة، فإنَّ الوطنيَّة هي المشاعر والذكريات التي تربط الشعراء بهذا المكان. وتتضح تلك الرؤية عند العسكر

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ط٤، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٧٩، ص ٢٩٣.
(٢) عبدالله بن علي بن حمود بن عبدالرحمن بن أحمد الصانع آل حمود (١٩٠٢ - ١٩٥٤)، أديب وشاعر وسياسي ومؤرخ كويتي، ولد في الكويت وفيها عاش وتوفي. تلقى مبادئ القراءة والحساب على عدد من علماء عصره، ثم أقحمه والده في سلك التجارة وعهد به إلى أحد التجار في الكويت. كان على علاقة وثيقة بحكام دُبي وأبوظبي ومسقط، وتقلد عدة مناصب ثقافية وسياسية. له بحوث منشورة في مجلات الكويت وكاظمة والبعثة والرائد الكويتية واليقظة. كان متولعاً بالآداب العربية، ويميل إلى دراسات التاريخ، واستطاع -بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم- حفظ عدد كبير من أشعار فطاحل العرب. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ٦٩.
(٣) دُبي: «إحدى مدن عُمان المشهورة». انظر: مجلة الكويت، ١٩٢٨، م ١، ج ٤، ص ١٥١. [مدينة دُبي حالياً إمارة تتبع دولة الإمارات العربية المتحدة، وتشتهر بنشاطها السياحي والتجاري].
(٤) م، س، م ١٢، ص ٧٠. انظر: مجلة الكويت، ١٩٢٨، ج ١، ص ٥، ص ١٥٠.



في قصيدته «الحنين إلى الوطن» حيث وافق فيها ما نظمه ابن الرُّوميّ من قبل.
فيقول مُستذكراً مراتع الطفولة والصِّبا، ومنازل الأحبة العبة بذكريات الهوى،
لتكون أوّل ما يستدعيه في تشوّقه إلى وطنه:

فَهْنَا الطُّفُولَةُ وَالصَّبَا وَهْنَا الْهَوَى
وَهْنَاكَ مَلْعَبُهُ وَهَذَا الْمَنْزَلُ
وَهْنَا الْأَحَبَّةُ وَدَعَاؤُهُ هَا هُنَا
وَمَضَى وَرَاحَ بِحُسْنِهَا يَتَغَزَّلُ^(١)

وقد وجد هذا المفهوم التّقليديّ مكاناً في نفوس شعراء الكويت؛ لارتباطه بالعاطفة
الإنسانيّة الفطريّة، والانتماء الأساسيّ إلى الأسرة التي تُعتبر أوّل مجتمع وأصغره في
التّاريخ. ومن أبرز النماذج الشعريّة التي تشير إلى تمكنه من نفس الشاعر، ما نظمه
عبدالجليل الطّبطبائيّ^(٢)، في تعبيره عن شجّنه مع حزنه وأسفه لبعده عن أهله في
الرُّبارة^(٣) أيّام حصارها من سلطان بن سَعيد إمّام عُمان عام ١٨٠٢، فأقلق ذلك

(١) مجلّة البعثة (الكويت)، القاهرة: بيت الكويت في القاهرة، السنة السابعة، ١٩٥٣، العدد ٨، ص ٥١٣. [وهي
مجلّة ثقافيّة شهريّة تعنى بالأخبار الكويتيّة المحليّة بعامّة، والثقافيّة بخاصّة. أصدرها بيت الكويت في القاهرة
في ديسمبر ١٩٤٧، وسبقته عدّة أعداد غير مرقّمة. للمجلّة دور ثقافيّ بارز في الكويت، بخاصّة أنّ معظم
أعدادها كانت تباع في الكويت. وقد عنيت بأخبار البلاد، وحفّلت بالمقالات والموضوعات والصور النادرة.
استمرّ صدورها ثماني سنوات، ثمّ توقفت عن الصدور في أغسطس ١٩٥٤].

(٢) عبدالجليل بن ياسين بن إبراهيم الطّبطبائيّ (١٧٧٦-١٨٥٣) ولد في مدينة البصرة العراقيّة، وقضى حياته
بين البصرة والأحساء والبحرين والكويت، وتوفّي في مدينة الكويت. كانت له مساجلات مع أدباء البلاد التي
أقام فيها أو مرّ بها، ومدايح ملوكها وأمرائها وأهل الوجاهة فيها. له ديوان «روض الخل والخليل» جمعه
ابن النّاظم، وطبع ثلاث مرّات: أوّلاها في الهند، وثانيها في مصر، وثالثها في دمشق. انظر: معجم البابطين
لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٠، ص ١٧٥. [ورد اسم الشاعر في المعجم المذكور
بزيادة ألف في كنيته «الطّبطبائي»، ولعلّ هذا كان تصحيفاً في اسمه، إذ إنّ جميع المصادر التي ذكرته أوردته
بدون الألف الزائدة «الطّبطبائي»، وما زال أحفاده يحملون الكنية نفسها كما صوّناها].

(٣) الرُّبارة: مدينة قطريّة، تقع على الساحل الشماليّ لجزيرة قطر، تبعد عن العاصمة «الدوحة» مائة وخمسة
كيلات. سمّيت بهذا الاسم بسبب ارتفاع أرضها، وكلّ أرض مرتفعة هي رُبارة. ولعلّها سمّيت نسبةً لأهالي
الرّبير الذين وفدوا إليها من جنوب العراق، إبّان حلول الطاعون بديارهم. كانت تمثّل أكبر مدن الخليج العربيّ
التقليديّة لصيد وتجارة اللؤلؤ، في الفترة الممتدّة ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وفي الثاني
والعشرين من يونيو ٢٠١٣، صدر قرار من اليونسكو بإدراج مدينة الرّبارة ضمن المواقع الأثريّة العالميّة،
واعتبرت من مدن التراث الإنسانيّ العالميّ.



الشاعر الطبطبائي -الذي كان يومئذٍ في البصرة، مخلفاً أهله وأولاده في الزبارة- فنظم قصيدة مطوّلة وأرسلها إلى صديقه عثمان بن سلمان مُشيراً إلى الواقعة نفسها، ومُتَشوِّقاً إلى لقاء أهله وأصحابه في الزبارة، وكان يومئذٍ في السابعة والعشرين من عمره فقال:

أَتُوقُ إِذَا هَبَّ الْجَنُوبُ لِأَنِّي
أَشْمُ الْغَوَالِي مِنْ مَهَبِّ الْجَنَائِبِ
نَأَتْ دَارُ مَنْ أَهْوَى وَعَزَّ مَرَارُهَا
وَمِنْ دُونِهَا قَدْ حَالَ قَرْعُ الْكَتَائِبِ
فَلَا خَبَرَ بِالْجَزْمِ يَرْفَعُ عَنْهُمْ
وَحَالِي فِي خَفْضِ مِنَ الشُّوقِ نَاصِبِ
طَوِيلُ اغْتِرَابٍ وَافِرُ الشُّوقِ كَامِلُ
غَرَامِي وَحُبِّي لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ^(١)

أكثر ما يؤرِّق الشاعر في غربته الذكريات التي لا تفتأ تعصف بذاكرته، لتوقظ فيها الحنين. ويؤكد محمود شوقي الأيوبي^(٢) ما ذهبنا إليه في تحديد هذا المفهوم الواسع للوطن، إذ إنّه لا يرى في ذلك المكان «السّاحل - الكويت» إلّا موطناً

(١) عبد الجليل الطبطبائي، ديوان السيّد عبد الجليل الطبطبائي، ط ٢ [على نفقة حكومة قطر]، القاهرة: المطبعة السلفيّة ومكتبتها، ١٩٦٦، ص ١٨.

(٢) محمود شوقي عبدالله الأيوبي (١٩٠١ - ١٩٦٦)، ولد في الكويت، وتوفّي فيها. تلقّى علومه الأولى في مدرسة زكريّا الأنصاريّ، ثمّ تتلمذ بالمدرسة المباركيّة وتابع تحصيله فيها. سافر إلى مدينة البصرة، وتعلّم فيها فنّ الطباعة، والتحق بدار المعلمين ببغداد، وأنهى دراسته عام ١٩١٨. عاش في الكويت والعراق وسوريّة ولبنان وفلسطين ومصر وإيران والسعوديّة وإندونيسيا ولندن والبحرين. ظل يمارس أعماله في إندونيسيا لمدة واحد وعشرين عاماً، حتّى عاد إلى الكويت عام ١٩٥٠ على إثر الثورة الإندونيسيّة على الاحتلال الهولنديّ. له عدد من الدواوين المطبوعة هي: «الموازن في الأخلاق ونظام الحياة»، و«رحيق الأرواح»، و«الأشواق»، و«هاتف من الصحراء»، و«ألحان الثورة»، و«ديوان الملاحم العربيّة»، وله قصائد نشرتها صحف ومجالات عصره، وله عدد من الدواوين المخطوطة: «الينابيع»، و«الصباح الجديد»، و«أحلام الخليج»، و«أغاني الحمى»، و«فردوس الشعر». انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٩، ص ٦٩١.

للأحبة الذين استدعاهم في تذكُّره، موافقاً ما ذهب إليه من سبقه من الشعراء إلى تمكُّن هذا المفهوم من نفسه وارتباطه بمشاعره ووجدانه، فعبر عن ذلك في سنوات غربته^(١) عن وطنه وأهله وأحبَّته:

نَذَكَّرْتُ أَحْبَابِي الَّذِينَ رُبُّوعُهُمْ
على سَاحِلٍ فِيهِ الْمُنَى يَتَشَعَّشَعُ
تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى كَصَابٍ لِيذِي الْأَسَى
وَأَهْوَالٍ دَهْرِي لِلْكِيَانِ تُرْزَعُزُعُ^(٢)

وما من شك في أنَّ للابتعاد عن الوطن دوراً في تعميق الحب والتعلق الوطنيَّين، لذلك فاضت قريحة الشاعر بأشجانه التي عبر بها عن الوطن، وخاطبه بأسمى كلمات الشعر وأرقها. ومن الملاحظ أنَّ هذا المفهوم مرتبط ارتباطاً مباشراً بالغربة المكانية التي تولد الحنين إلى الوطن والأهل فيه، فهذا يؤكد الرؤية المشتركة التي حملها الشعراء التي تقوم على وحدة الروح الشعرية، واتفاق المنبع الوجداني بينهم، مهما باعدت بينهم مسافات الزمن، ومهما تبدلت الحياة أو أثريت مرجعيتهم الثقافية فيها.

ب - وطن الشعراء بمفهومه المعاصر

كما ورد الوطن بمفهومه الواسع في ديوان الشعر الكويتي، فإنَّه ورد بمفاهيم أكثر تخصيصاً؛ كحنين الشاعر إلى الوطن بمفهومه المعاصر، أي الأرض والسيادة على إقليم مُحدَّد متمثِّل في الدولة التي ينتمي إليها بحدودها الجغرافية السيادية. والمفهوم المعاصر للوطن هو المفهوم القائم على مبدأ سيادة الدولة ضمن إطار جغرافيٍّ سياسيٍّ متوافقٍ مع نظام العلاقات الدوليَّة الحديث.

(١) خلال غربته في إندونيسيا بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٥٠.

(٢) مجلة البعثة، السنة الخامسة، ١٩٥١، العدد ١٠، ص ٣٨٠.

وتجلّى هذا المفهوم في أواخر المرحلة الوسيطة لنظام الحكم السياسي في الكويت، تلك المرحلة الممتدة بين قيام الدولة واستقلالها، حيث يجري بناء الدول؛ أي النظام السياسي، وبناء الأمة؛ أي المجتمع السياسي. وتستهدف عملية بناء الأمة إسكان الهويّات السابقة للدولة في إطار يتفق عليه الجميع، هو الهوية الوطنية الجامعة التي تُقرّ الهويّات الأصليّة، إلّا أنّها تنقلها من الإطار السياسي إلى الإطار الاجتماعي والثقافي.

فبعد أن بدأ النظام السياسي يستقلّ بالحكم السياديّ لدولة لها حدودها الجغرافيّة الأدقّ تحديداً من الدولة القبليّة، تحوّل الوطن من مجرد ذكرى يستحضرها الشاعر، إلى فكرة راسخة في وجدانه، تُستعاد كلّما عصفت به رياح الغربة، وأرهقه الحنين إلى أرضه. ومن ذلك ما نظمه الأيُّوبيّ مُستعيداً ما علق بذاكرته من صور وطنه الكويت، محاولاً تحديد رقعة الجغرافيّة السياديّة، فوصف بعض تضاريسه الطبيعيّة التي تحدّه، كالرمال التي تشير إلى حدوده مع الصحراء، ثمّ البحر الذي يشير إلى اتصاله بشواطئ الخليج العربيّ:

يا بِلاداً لَنْ تَبْرَحَ النَفْسَ حَتَّى
لَوْ قَضَيْتُ الْأَجْيَالَ عَنْهَا مُهَاجِرٌ
كَيْفَ أَنْسَى رِمَالَهَا؟ كَيْفَ أَسْأَلُو
بَحْرَهَا الْأَزْرَقَ الْخِضَمَّ الرَّاخِرُ؟^(١)

وتارةً يرتبط المفهوم المعاصر بالغربة المكانية التي تجلّت في قصائد الشعر المهجريّ؛ تلك التي تروي معاناة الشاعر في غربته، وتبيّن مدى حاجته إلى أحضان وطنه. فالأيُّوبيّ -بعد كلّ تلك السنين التي قضاها من حياته في بلاد الغربة- قال

(١) مجلة البعثة، السنة الثامنة، ١٩٥٤، العدد ٢، ص ١١٧.

مُتَشَوِّقًا إِلَى وَطَنِهِ الْكُوَيْتِ، وَمُصَوِّرًا إِرْهَاقَهُ مِنَ الْغُرْبَةِ، وَالْعَذَابَ الَّذِي يُعَانِيهِ دَاخِلَ
الْمَنْفَى بِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ مَشَاقِّ وَصْعَوَاتٍ:

وَطَنِي الَّذِي ضَاقَتْ مَعَابِرُهُ عَلَى
خَطَوِي، وَلِي فِي رَحْبِهِ مَا يَكْفُلُ
فَهَرَبْتُ أَقْتَحِمُ الْقِفَارَ كَأَنَّنِي
حَرِيْتُهَا وَعَلَى الرَّبَى أَتَنَقَّلُ
حَتَّى خَرَجْتُ لِأَزْخَبِيلِ غَابُهُ
مُتَكَاثِفٌ وَثَرَاؤُهُ مُسْتَكْمَلٌ
يَمْشِي بِي الْغَرْبِيُّ يَمْتَصُّ الدَّمَ
وَبَنُوهُ فِي الْقَفْرِ الْمُحْطَمِ أَوْغَلُوا^(١)

البعد المكاني بين الشاعر ووطنه شاسعٌ، بيد أنه متَّصلٌ به روحياً ووجدانياً،
فيخاطب الشاعر الكويتَ ويتوحد فيها، ويتمازج معها إذ يسمِّيها الوطنَ، فينسب
نفسه إلى هذا الوطن ببناء النسبة التي اتَّصلت بمفردته. ويشير هذا التركيب
اللغوي للمفردة إلى مدى اللُحمة بين الشاعر ووطنه، تلك التي تدعوه إلى التشوُّق
الدائم غير المنقطع إليها، وتوجِّج في نفسه الشوق للعودة إليه، وترافقه في أشدَّ
سنوات العمر عذاباً وقهراً، في سنوات غربته عن الكويت. فلولا ذاك الحلم الذي
يراه قريباً في العودة، ولولا التشوُّق الدائم لهذا الوطن، لكان قتيل هموم الغربة
وتشريدِها، فيعبّر عن ذلك الأيُّوبيُّ بكلماتٍ تمسُّ الوجدان، سهولة اللغة، لا تحتاج
إلى زخرفة، صادرة عن مشاعر مفعمة بالحنين والعذابات المعتقدة:

(١) نورية الرومي، محمود شوقي الأيُّوبي: حياته وتراثه الشعريُّ عرض ونقد، ص ٣١.

تُجَاذِبُنِي الْحُتُوفُ بِكُلِّ أَرْضٍ
وَيُنْعِشُنِي إِلَى الْأُوطَانِ شَوْقِي
فَلِي عَشْرُونَ عَامًا كُنْتُ فِيهَا
بِأَلَامٍ مِنَ التَّشْرِيدِ زُرْقٍ^(١)

وإنَّ الشاعرَ إذ يصرُّ على أنَّ الكويتَ هي الوطنُ الأمُّ الذي يضمُّ كلَّ الأوطانِ المتفرَّعة عنه، فإنَّه يستغني عن اللفظ المفرد «الوطن»، ويأتي بالجمع «الأوطان» بكلِّ مفاهيمها وما ضمَّته من أهلٍ وصحبٍ وذكريات، ليتضمَّن حنينه كلَّ تفاصيل هذا الوطن.

وكما كان للمهجر والغربة، والاتصال الروحيِّ بين الشاعر ووطنه، أثر واضح في تحديد الشعراء لمفهوم الوطن المعاصر، فقد كان للاتصالين الروحيِّ والمكانيِّ أثرٌ أوضح تمثِّل في الفخر بالوطن وتمجيده، وبخاصَّة عندما يتغنَّى الشعراء بعلم الكويت، ومعروف أنَّ العلمَ هو الهوية السياديَّة لكلِّ دولةٍ في العالم، وتمجيد العلم هو اعتراف بشرعيَّة الدولة والاعتراف بها وطنًا، ومن ذلك ما نظمه الشاعر أحمد السيِّد عُمر^(٢) في قصيدته «علم الكويت»:

دُمْ هَذَا عِلْمَ الْكُوَيْتِ مُكْرَمًا
لَكَ فِي أَعَالِي الْجَوِّ خَيْرُ مَكَانٍ
رَفِرِفَ عَلَى هَذَا الرُّبُوعِ مُؤَيَّدًا
فَإِلَيْكَ أَنْظَارُ الْبِلَادِ رَوَانِي

(١) محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعري عرض ونقد، ص ٢٤.

(٢) أحمد السيِّد عُمر عاصم (١٩١٩-١٩٩٨)، ولد في الكويت، تلقَّى تعليمه في المدرسة المباركيَّة، ثمَّ المدرسة الأحمديَّة، وتخرَّج في ثانويَّة العُشَّار بالعراق ١٩٤٠. بدأ حياته العمليَّة كاتبًا للحسابات، وتدرَّج إلى أن شغل منصب وكيل وزارة مساعد لشؤون النفط ١٩٥٦، وسكرتير اللجنة التنفيذيَّة العليا، ورئيس مجلس إدارة شركة البترول الوطنيَّة الكويتيَّة لمدة عشر سنوات. شاعر أديب، له مجموعة من القصائد المنشورة، منها: قصيدة «علم الكويت» التي كانت تدرَّس في مقرَّر المدارس المتوسِّطة الحكوميَّة. انظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ط٢، الكويت: مؤسَّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢، ج١، ص ٢٣٨.

إِنَّا إِذَا الْخَطْبُ إِغْتَرَاكَ جَمِيعُنَا

نَفْدِيكَ بِالْأَزْوَاجِ وَالْأَبْدَانِ^(١)

كما تغنّى الشاعر راشد السّيف^(٢) بعلم وطنه الكويت، متفاخرًا بسيادته، وواصفًا إيّاه برمز الحياة، مشيرًا بذلك إلى ما ذهبنا إليه في أنّ العلم هو الهوية الرسمية للسيادة والاستقلال، فقال في قصيدته «تحية العلم»:

رَمَزُ الْحَيَاةِ، فَرَفَرَفَ أَيُّهَا الْعَلَمُ

لِلشَّعْبِ، إِنَّ يَدِيكَ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ

كَرَايَةٍ مِنْ دَمِ الْأَجْدَادِ يَرْفَعُهَا

مَنْ يَطْلُبُ الثَّأَرَ فِي الْأَعْدَاءِ يَفْتَحِمْ^(٣)

كما يبدو الاعتراف بالوطن السياديّ جليًّا في القصائد التي نظمها الشعراء في وطنهم وهم في ربوعه، وخصوصًا عندما يقربون الوطن «الكويت» بالأسرة الحاكمة آنذاك، في إشارة منهم إلى سيادة هذا البلد واستقلاليتّه بنفسه في الحكم، وحسن تنظيم حاكميه شؤون البلاد والعباد، ومن ذلك ما أشار إليه أحمد مشاري العدوانى في قوله:

وَطَنِي الْكُوَيْتُ وَمَهْدُ كُلِّ مُنَجِّدٍ

شَهُمٍ وَكُلِّ نَجِيبَةٍ حَسَنَاءٍ

نَلْتِ الْمُنَى وَبَلَّغْتَ كُلَّ مُؤَمِّلٍ

وَتَكْفَلْتِ رِعَايَةَ الْأُمْنَاءِ

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في القرنين، ط١، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨١، ج ٢، ص ٣٠٧.
(٢) راشد سيف راشد السّيف (١٩٠٠ - ١٩٧٢)، ولد في مدينة الكويت، وفيها قضى حياته، وفيها توفي. نشرت له قصائد في صحف عصره، وصدر عن المترجم كتاب باسمه، تضمّن عددًا من قصائده، وله قصائد لا تزال مخطوطة في حوزة أسرته. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ٧، ص ٦٠١. [أفرجت أسرة الشاعر عن قصائد الشاعر المخطوطة والتي وقعت في ثمان كُرَاسات؛ كل كُرَاسة منها تقع في مئة وخمسين ورقة تقريبًا، وقد أزمعت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ في الكويت، طباعتها في ثمانية مجلدات تضمّ الأعمال الشعريّة الكاملة للشاعر السيف، لتكون الطبعة الأولى لأشعاره والمتوقع صدورها في مارس ٢٠١٥].

(٣) يعقوب الغنيم، الأزمنة والأمكنة، ط١، الكويت: مطابع الهدف التجارية، ٢٠١٣، ج ٧، ص ٣٠٧.

وَاحْتَلَّ نَجْمُكَ فِي السَّمَاءِ مَحَلَّهُ

عَلَيَا تَسَامَتْ كَوَكَبِ الْجَوَازِ^(١)

ويحدّد الشاعر عبدالله سنان محمّد^(٢) وطنه بمسقط رأسه وأرض قومه وأجداده، وملاعب الصبا والذكريات، ويحصرها جميعاً في بقعة جغرافيّة محدّدة، هي أرض الكويت، فيقول:

بِأَرْضِ الْكُوَيْتِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ

لِقَلْبِي عَنْ قُرْبِهَا مُضْطَبَّرُ

بِلَادِي وَمَسْقَطُ رَأْسِي وَأَزْ

ضُ قَوْمِي وَمُنْشِئَتِي مِنْ صِغَرٍ^(٣)

كما يبرز المفهوم المعاصر للوطن عند الشاعر الكويتيّ في أشعاره التي تصوّر حميَّته على وطنه، واستعداده لبذل روحه في سبيل الدِّفاع عن حرّيّة الوطن وسيادته وكرامة أبنائه، مضمّناً فخره وإشادته به ضمن حدوده السياديّة، ومن ذلك ما نظممه يوسف السيّد هاشم^(٤) في قصيدة ألقاها لمناسبة المولد النبويّ الشريف عام ١٩٥٢، يؤكّد فيها مكانة الوطن الكويت في نفسه، وفي نفوس أهل الكويت، فيقول:

(١) مجلّة البعثة، السنة الأولى، ١٩٤٧، العدد ٩، ص ١٧٩.

(٢) عبدالله بن سنان بن محمّد السنان (١٩١٧ - ١٩٨٤)، ولد في مدينة الكويت، وتوفّي فيها. عاش في الكويت والهند. تلقّى تعليمه الأوّل في الكتاب على يد الملاّ، فحفظ جزءاً يسيراً من القرآن الكريم، ثمّ التحق بالمدرسة الأحمدية وتخرّج فيها بعد أربع سنوات. عمل مدّة مدرّساً في المدارس الحكوميّة، ثمّ سمساراً في السوق مدّة من الزمن، وتقلّد لاحقاً عدداً من الوظائف الحكوميّة، كان أبرزها مدير الشؤون الإداريّة في مديريّة الأوقاف، وتقاعد عام ١٩٦٩، وافتتح «مكتبة القلم» لبيع الكتب والقرطاسيّة. كان عضو رابطة الأدباء في الكويت وأحد المؤسّسين لها، وقد مثّل الرابطة في كثير من المؤتمرات الأدبيّة عربيّاً وعالمياً. صدر له الدواوين التالية: «نفحات الخليج»، «الإنسان»، «البواكير»، «طلائع الفجر»، «الله والوطن»، «الشعر الضاحك»، وله مختارات في كتاب «عبدالله سنان محمّد: دراسات ومختارات». له مسرحيّة بعنوان «عمر وسمر». انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ٢٥٢.

(٣) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٤) يوسف السيّد هاشم السيّد أحمد الرفاعي (١٩٣٢-...) من علماء الدين البارزين في الكويت. شغل منصب وزير البريد والبرق والهاتف عام ١٩٦٤، ثمّ عُيّن وزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء، ورئيساً للمجلس البلديّ، ورئيساً لمجلس التخطيط (١٩٦٥-١٩٧٠)، وذلك بجانب استماره عضواً منتخباً في مجلس الأُمّة الكويتيّ (١٩٦٣-١٩٧٤). من مؤلّفاته: «الصوفيّة والتصوّف في ضوء الكتاب والسنة»، و«خواطر في السياسة والمجتمع»، و«أدلة أهل السنة والجماعة»، المسمّى «الرّدّ المحكم المنيع»، و«سيرة وترجمة الإمام السيّد أحمد الرفاعي: مؤسّس الطريقة الرفاعيّة»، و«نصيحة لإخواننا علماء نجد». انظر: ويكيبيديا.

وَطَنِي فِدَاؤُكَ كُلُّ نَفْسٍ حُرَّةٍ
فَلَأَنْتَ مَوْطِنُ كُلِّ حُرٍّ ضَيِّغٍ
وَطَنِي سَتَغْلُو رَغْمَ كُلِّ مُكَابِرٍ
وَتَسْوَدُ بَيْنَ مُكَرَّمٍ وَمُعْظَمٍ^(١)

ويقابل ذلك ما نظمه محمود الأيوبي في قصيدته «لؤلؤة الخليج»، إذ يقول
في مطلعها:

نَادَيْتُ لَوْلُؤَةَ الْخَلِيجِ فِدَاكِ
رُوحِي، وَرُوحِي بَعْضُ مَنْ يَهْوَاكِ^(٢)

إنَّ هذا الافتداء للوطن الذي يؤمن به الشاعر كان نتيجة حتمية لسيادة الوطن؛
إذ إنَّ انفراد أيِّ دولة بنظام حكم خاص بها -في شبه الجزيرة العربية المتنازع على
أراضيها بين القبائل التي تسكنها- يجعلها مطمعاً للدول المجاورة، ومطلباً حثيثاً
من حكامها لضمِّ هذه الدولة إلى ملكهم، على اعتبارها جزءاً منها، وانفصالها هو
تمردٌ داخليٌّ على السُّلطة الأقوى في الصحراء. وتتجلَّى هذه النظرية بشكلٍ خاصٍّ
إذا كانت الدولة حديثة عهدٍ بالنشوء السياسيَّ المستقلَّ كدولة الكويت. ومن هنا
نضج مفهوم الوطن المعاصر في فكر الشَّاعر الكويتيِّ ووجدانه، فنظم قصائده في
الدَّود عن هذا الوطن، فقال الأيوبيُّ:

وَطَنِي! أَحْمِيكَ، لَا تَخْشَ الرَّدَى،
بِدِمَائِي وَبِرُوحِي وَجْهٌ وَدِي
كُلُّنَا نَزَفٌ لِمَوْتٍ لِكَيِّ
نَسْبِقُ الْأَجْيَالَ لِلْعَيْشِ الرَّغِيدِ

(١) مجلَّة البعثة، السنة السادسة، ١٩٥٢، العدد ٣، ص ١٣٩.
(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ط١، الكويت، ١٩٦٩، ص ٢١.

الْكُوَيْتُ الْحُرُّ لَا يَرْضَى سِوَى

شَيْخِهِ الْمِغْوَارِ ذِي الرَّأْيِ السَّدِيدِ^(١)

يستعمل الأيُّوبيُّ «الكويت» بالتذكير، على غير ما جرت عليه العادة باعتبارها إمارة أو دولة فتَوَثَّتْ؛ إِلَّا أَنَّ الشاعِرَ ذَكَرَهَا فِي تَأْكِيدٍ مِنْهُ أَنَّهَا وَطَنٌ.

وحيثُ يحنُّ الشاعِرُ إلى وطنه يتذكَّرُ آلامَ الوطن، فيتأَلَّمُ معه، ويتموَّجُ الحزن والشَّكوى في نظمه، ويزيد من لوعته ما يعانِيهِ وطنه في غيابه عنه، فيمدحه ويشير إلى بعض أماكنه المشهورة التي تعتبر معالمَ أساسيةً يُشار إليها بالبنان عند الحديث عن الدولة، كما عبَّرَ عن ذلك الشاعِرُ خالد الفرج في قصيدته «الرَّجَاءُ بعد اليأس» التي نظمها عام ١٩٢٦:

وَطَنِي سُوَيْدَاءُ الْقُلُوبِ مَحَلُّهُ

عِنْدِي، وَإِنْسَانُ الْعُيُونِ صَفَاتُهُ^(٢)

فَإِذَا تَأَلَّمَ وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ

هَاجَتْ عَلَيَّ مِنَ الْحَشَا زَفَرَاتُهُ^(٣)

ومن هنا نجد أنَّ الوطن بمفهومه المعاصر لا ينفصل عن المواطنة التي تختزن في فكر الشاعِر وفؤاده، فالإنسان ارتبط منذ وجوده بالمكان والزَّمان. وإذا كان المكان دلالةً على وجود الإنسان في جزءٍ معيَّن منه، فإنَّ الزَّمن هو الذي يُحدِّد ميقات هذا الوجود ومدَّته. ولذلك فالمكان هو الوطن، والانتماء المكانيُّ هو الانتماء الوطنيُّ، وكلاهما يجسِّدان الوطن بمفهومه الذي يعني البقعة الجغرافيَّة ذات السيادة المستقلَّة. فإذا كانت المواطنة ممارسة وسلوكًا ضمن مجموعة من القيم، فإنَّ الوطن هو الغاية الأسمى التي تُجسِّدها هذه المواطنة.

(١) نوريَّة الرُّومي، محمود شوقي الأيُّوبي: حياته وتراثه الشعريُّ عرض ونقد، ط١، الكويت: شركة المطبعة العصريَّة ومكتباتها، ١٩٨٢، ص ٢٣٧.

(٢) الصَّفَاة: ساحة تتوسَّط مدينة الكويت، وتُعتبر مَعلَمًا رئيسًا من معالمها.

(٣) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٠٨.

ج - وطن الشعراء بمفهوم الهوية

إنَّ الهدف الأول والأسمى للشعر الوطني هو إرساخ مبدأ الانتماء في نفس الشاعر أولاً، وفي نفوس المتلقين ثانياً، سواءً أكان هذا الانتماء وطنياً خالصاً إلى الوطن الصغير الخاصِّ بأبنائه، أم انتماً إلى الوطن العربي الكبير، أم انتماً إلى مذهبٍ دينيٍّ أو سياسيٍّ. ويُعدُّ الانتماء والوطنية في جوهر الهوية التي تسم الفرد وتعرِّف مكنونه ووعيه. ويستوقفنا في الشعر العربي في الكويت مجموعة من المفاهيم الدلالية لمصطلح الهوية، في ما يأتي تفصيل أهمها وأبرزها:

١ - الهوية الوطنية

إذا كان الوطن هو مسقط الرأس حيناً، والذكريات التي يتضمَّنُها حيناً آخر، والأهل والأحبة في أحيانٍ كثيرة، فإنَّ الهوية الوطنية تمثل التعلُّق بالمنطقة التي يرتبط بها الشعب -أو الفرد- ارتباطاً تاريخياً طويلاً؛ أي تلك المنطقة التي تولدت فيها الهوية الوطنية والمكان الذي يُتغنَّى بأمجاده.

وتكثر الأمثلة التي تشير إلى مكانة الكويت الوطن في نفوس شعرائه، نقف على بعض منها في هذه النقطة لتأكيد حفاظ الشاعر الكويتي على هويته الوطنية وعدم انسلاخه عنها، بينما سيكون الحديث عن هذا الجانب مفصلاً في مبحث الوطن بين الرفض والقبول الذي سيأتي لاحقاً في هذه الدراسة. ومن أبرز الأمثلة ما نظمه الشاعر أحمد مشاري العدوان في تأكيد حبه وطنه الكويت:

وَطَنُ نَفْدِيهِ وَنَبْنِي مَجْدَهُ

بَعَزَائِمِ أَغْيَا اللَّيَالِي فَلَهَا^(١)

(١) مجلة البعثة، السنة السادسة، ١٩٥٢، العدد ٢، ص ٦٥. [لم تُنشر في أعماله الشعرية الكاملة].

وَمَنْ ذَلِكَ مَا نَظَّمَهُ الشَّاعِرُ عَبْدِ الْمَحْسَنِ الرَّشِيدِ^(١) مَقْسِماً عَلَى دَوَامِ حُبِّهِ
لِوَطْنِهِ الْكُوَيْتِ، وَاسْتَعْدَادِهِ لِفِدَائِهِ بِالْغَالِي وَالنَّفِيسِ، قَالَ:
وَطَنِي! خُذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ بِأَنْنِي
رُوحِي وَمَا مَلَكَتْ يَدَايَ فِدَاءً^(٢)

وَتَغْنَى الشُّعْرَاءُ بِالْكُوَيْتِ الْوَطْنَ وَأَسْبَغُوا عَلَيْهِ صِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ، فَمِنْهُمْ
مَنْ شَبَّهَهُ بِلَيْلَى، وَمِنْهُمْ مَنْ شَبَّهَهُ بِالْأُمِّ الْحَنُونِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى فِيهِ الْحَيَاةَ كُلَّهَا،
وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَاهُ الْأَبَ، وَالشَّعْبُ أَبْنَاؤُهُ الْبَارُونَ بِهِ.

٢ - هَوِيَّةُ الْوَلَاءِ لِمَحَلِّ الْإِقَامَةِ

تَأْتِي بَعْضُ الْإِحَالَاتِ الْوُطَنِيَّةِ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ الْكُوَيْتِيِّينَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ بَلَدٍ، فَهُمْ
الَّذِينَ تَنَقَّلُوا بَيْنَ عَدَّةٍ أَمَاكِنَ، وَلِهَذَا لَمْ تَخَفْ تِلْكَ الْعِلَاقَةُ الْحَمِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ
تَنْشَأُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبُلْدَانِ الَّتِي أَقَامُوا فِيهَا، بِحَيْثُ جَعَلَ لِحُضُورِهَا أَوْطَاناً نَصِيباً
فِي دَوَاوِينِهِمْ. وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَتَغَنَّى الشَّاعِرُ بِمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَوَطْنِهِ سِوَاءِ أَكَانَ
بِمَفْهُومِهِ الْقَدِيمِ، أَمْ مَفْهُومِهِ الْمَعَاصِرِ، بَلْ جَاءَ تَغْنِيهِ أحياناً بِالْمَكَانِ الَّذِي يَقِيمُ فِيهِ،
وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ مَا نَظَّمَهُ الشَّاعِرُ الْأَيُّوبِيُّ الَّذِي قَضَى فِتْرَةً طَوِيلَةً مِنْ حَيَاتِهِ مَقِماً
فِي إِنْدُونِيسِيَا، فَقَالَ فِي قَصِيدَتِهِ «صُرَاخُ الْأَحْرَارِ» الَّتِي نَظَّمَهَا عَامَ ١٩٤٨:

أَلَا هُبُّوا اسْمَعُوا الْوُطْنَ الْفَخِيماً

يُثِيرُ جِهَادَهُ الرُّوحَ الْعَظِيماً^(٣)

(١) عبد المحسن محمد الرشيد البدر (١٩٢٧-٢٠٠٨)، ولد في حيِّ القُبْلَةِ في الكويت، وفيها توفي. درس في
الْكُتَّابِ مَبَادِي الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ، ثُمَّ التَّحَقَّقَ بِالْمَدْرَسَةِ الْقُبْلِيَّةِ ثُمَّ الْمَدْرَسَةِ الْمُبَارَكِيَّةِ. وَلاحقاً أَتَمَّ دِرَاسَتَهُ التَّرْبَوِيَّةَ
فِي بَرِيطَانِيَا، حَيْثُ حَصَلَ عَلَى دَبْلُومٍ فِي التَّرْبِيَةِ وَعِلْمِ النَّفْسِ. تَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْفَارْسِيَّةَ وَقَرَأَ حَوْلَ الْأَدَبِ الْفَارْسِيِّ،
مِمَّا مَكَّنَهُ مِنْ تَرْجُمَةِ بَعْضِ أَشْعَارِهِ إِلَى اللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ، ثُمَّ نَشَرَهَا فِي مَجَلَّةِ «الْمُسْلِمُونَ». هُوَ أَحَدُ الْمَوْسُسِينَ
لِنَادِي الْمُعَلِّمِينَ، وَالْمُحَرِّرِينَ لِمَجَلَّةِ الرَّائِدِ، وَمَوْسُسَ رَابِطَةِ الْأَدْبَاءِ وَأَوَّلَ أَمِينٍ عَامٍّ لَهَا. مَثَّلَ الْكُوَيْتَ فِي كَثِيرٍ مِنْ
الْمُؤْتَمَرَاتِ التَّرْبَوِيَّةِ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَجْنِبِيَّةِ. لَهُ دِيْوَانُ شَعْرٍ «أَغَانِي رُبْعٍ». انْظُرْ: مَعْجَمُ الْبَابُطِينَ لِلشُّعْرَاءِ
الْعَرَبِ الْمَعَاصِرِينَ، ج ٣، ص ٤٩٤.

(٢) م، ن، ج ٣، ص ٤٩٤. انْظُرْ: مَجَلَّةُ الْبَعْثَةِ، السَّنَةِ الرَّابِعَةِ، ١٩٥٠، الْعِدَدُ ٣، ص ١٠٧.

(٣) مَحْمُودُ شَوْقِي الْأَيُّوبِي، أَلْحَانُ الثَّوْرَةِ، ص ٣٢٨.

فالشاعر يسمّي إندونيسيا وطنه؛ يتوجّه إلى المتلقّين بقصيدته التي نظمها
إشادة ببطولات الإندونيسيين في حرب الاستقلال الوطنيّة (١٩٤٥-١٩٤٩)،
ووجدوا من حقّ البلاد التي يقيم فيها عليه أن يوليها الاحترام والولاء ويشيد
ببطولات أبنائها وإنجازاتهم.

ومن أبرز الأمثلة التي تستوقفنا، قصيدة للشاعر البحرانيّ المولد الكويتيّ
الأصل جاسم عيسى النّصرالله^(١) الذي دفعه حبُّ البحرين إلى اعتبارها وطنه
الثاني في قصيدته «حنين الغريب»^(٢)، مصوِّراً الشّوق والحنين إليها، فيقول:

وَطَنِي نَحْوَ مَائِكَ الْعَذْبِ حَنًا
مُغْرَمٌ طَيْرُ قَلْبِهِ فِيكَ غَنَى
يَا بِلَادَ الْحَبِيبِ مَسْقَطَ رَأْسِي
وَأَمَانِي الْكَئِيبِ إِذْ يَتَمَنَّى
يَا بِلَادِي وَيَا سَمِيرَةَ رُوحِي
كَيْفَ يَسْأَلُوكَ مَوْلَعَ وَمُعْنَى؟
يَا أَوَالَ^(٣) مَرَضْتُ مِنْ طَوْلِ بُعْدِي
هَلْ دَوَاءٌ مِنَ الْمُحَرِّقِ^(٤) يُجْنَى؟

(١) جاسم عيسى النّصرالله (١٩٢٣-٢٠١١)، ولد في البحرين وكان أبواه قد نزّحا من الكويت بلدهما الأصليّ وأقاما هناك، ولذا نشأ ابنهما في البحرين وتعلّم بها، ثمّ صار مُدرّساً بعد تخرّجه في مدرسة الهداية الخليفيّة في المنامة. نزح بعد ذلك إلى الهند، وعمل قليلاً في التجارة وقليلاً في التدريس لبعض أبناء الجالية العربيّة في مومباي، وبعد زمن أمضاه هناك عاد إلى الكويت وتزوَّج واستقرّ فيها. عمل في الجمارك وفي شركة نفط الكويت ١٩٤٦ وفي وظيفة من وظائف المحاكم الإداريّة منذ سنة ١٩٥١ حتّى تقاعد في سنة ١٩٧٢. له شعر قليل أورد منه الباحث خالد سعود الزيد في كتابه «أدباء الكويت في قرنين». انظر: خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ٢، ص ٣٤٠.

(٢) بعد أن قضى زمناً من عمره في مدينة مومباي في الهند، نظم هذه القصيدة متذكّراً صباه وواصفاً حنينه إلى البحرين، وقد نشرت عام ١٩٤٧ في مجلة العرب التي كانت تصدر في دلهي عاصمة الهند. وقد خمّس هذه القصيدة الشاعر الكويتيّ خليفة الوقيّان. انظر: خالد سعود الزيد، م، ن، ج ٢، ص ٣٤٤-٣٤٣.

(٣) أَوَالَ: هي الاسم القديم لجزيرة البحرين، سمّيت بذلك على اسم صنم كان لبني بكر بن وائل وإخوتهم من بني تغلب بن وائل، قبل أن تشيع النصرانيّة في بني تغلب. وكانت قبائل بني وائل منتشرة على ساحل الخليج العربيّ، فنزل فريقٌ منهم الجزيرة، وسمّيت باسم صنمهم «أَوَالَ». انظر: عبدالجليل الطبطبائي، ديوان السيّد عبدالجليل الطبطبائي، ص ١٩. [الحاشية].

(٤) المُحَرِّق: مدينة في جزيرة البحرين المملكة.

كَمْ لَيَالٍ عَلَى رُبَاكِ تَقْضُتْ

لَوْ رَأَيْتَنِي بِهَا الْعَذُولُ لَجُنَّا^(١)

فحديث الشاعر هنا عن الشوق إلى الوطن، قد يبدو من الوهلة الأولى أنه عن وطنه الكويت، إلا أن سياق القصيدة يشير إلى أنه نظمها في تشوقه إلى مملكة البحرين، ونلاحظ أن الشاعر كان عميق الارتباط بهذا البلد، وعلاقته الراسخة بمملكة البحرين كقيلة بأن تجعله ينطق بمثل هذه الأبيات.

٣ - الهوية العربية

إن الهوية العربية هي التي تجمع أبناء الوطن العربي تحت مظلة واحدة عنوانها العرب. وتعتبر هذه الهوية الأوسع والأكثر انتشاراً في النصف الأول من القرن العشرين، حيث شهد الوطن العربي في هذه المرحلة أحداثاً سياسية دموية ومواجهات عنيفة بين العرب والمستعمرين الأجانب، إذ كان المستعمر الأجنبي يصول في البلاد العربية ويجول، مُغتصباً أرضاً ومفتعلاً فتنةً ومعتدياً على سكان البلاد الأصليين، وكلُّ غرضه هو توسيع رقعة امتداد نفوذه، وزيادة مصادر دخله بالظلم والتعسف. وقد كان لهذا الوضع السياسي أثرٌ بالغ في العرب آنذاك واستمر إلى أيامنا.

وقد أسهمت هذه الأوضاع السياسية المتردية في إرساخ الهوية العربية في نفوس العرب - على تعدد انتماءاتهم الوطنية - لتكون مبدأً أوّل من مبادئهم السياسية. ومما ساعد على ارتقاء الهوية العربية على حساب الهوية الوطنية الخاصة، أن الهمّ الأوّل للعرب تمثل في محاربة المستعمر الأجنبي والسعي الحثيث لطرده من البلاد العربية، غير مولين بناء الأوطان والتغزل بها اهتماماً رئيساً، قياساً إلى ولاء انتسابهم إلى الأمة العربية.

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في القرنين، ج٢، ص ٣٤٢.

وشكّل الوطن العربيّ برقعته الجغرافيّة الشاسعة الأمّ الحاضنة والوطن الكبير للعرب، ليكون الوطن الأمّ، وباقي ما يحتضنه من دول هي الأوطان المتفرّعة عنه، ولعلّ أقرب مثالٍ على مفهوم الوطن الكبير، ما نظمّه الأيوبيّ:

يَدْعُوكُمْ الْوَطَنُ الْكَبِيرُ لِنَهْضَةٍ
خُلُقِيَّةٍ لِلنَّاشِئِينَ تَصَمَّمُ
إِنَّ الْكُوَيْتَ وَأَهْلَهَا وَخُمَاتَهَا
جُزْءٌ مِنَ الْوَطَنِ الْكَبِيرِ مُكَرَّمٌ^(١)

ويشدّد الأيوبيّ على مفهوم الوطن الكبير في أكثر من مكان، فنراه يفرّد قصيدة لهذا المفهوم عنوانها «في الوطن الكبير»، وممّا جاء فيها:

لِلصَّيْدِ فِي الْوَطَنِ الْكَبِيرِ تَجَالُدُ
وَبِكُلِّ رُبْعٍ ثَوْرَةٌ تَتَفَتَّقُ^(٢)

ويخاطب الشعوب العربيّة جميعاً عام ١٩٥٥ ويدعوهم إلى السعي للعيش بحريّة في كلّ أوطانهم، وإنّه إذ يجمع الأوطان يرى أنّ كلّ بلد عربيّ وطن لكلّ عربيّ، وليس حكراً على مكان الميلاد أو مسقط الرأس، فيقول:

عِشْ لِأَوْطَانِكَ حُرّاً ثَائِراً
فِي مَيَادِينِ الرَّدَى لَا يَخْنَعُ^(٣)

وتتجلّى محبّة الأيوبيّ للوطن العربيّ الكبير في أبهى صورها وأكثرها عاطفة في قوله:

لَبَّيْكَ يَا وَطَنِي الْحَبِيبُ أَزْفَهَا
بُشْرَى عَرَائِسُهَا ضُحَى تَتَرَنَّمُ

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٩.

(٢) م، ن، ص ٣٧٥.

(٣) م، ن، ص ٣٩٧.

وَتَحِيَّةٌ أَنْدَى هَوَى مِنْ أُنَّةِ الـ
 -وَلَهَانَ، بَادَرَ لِأَحِبَّةٍ يَلْتَمُّ
 هَذَا هُوَ الْوَطَنُ الْكَبِيرُ وَهَذِهِ
 أَمْجَادُهُ مِنْهَا الضَّيَاءُ يَخَيِّمُ
 أَصْبَحْتُ يَا وَطَنِي الْعَظِيمَ كَعَابِدِ
 يَزْعَاكَ فِي ظِلِّمِ النَّوَى وَيُهِمُّهُمْ^(١)

ومن أبرز الدعوات التي شدّد فيها الشعراء على ضرورة التمسك بالهويّة العربيّة، ما نظمه الأيوبيّ في دعوته العربَ إلى نصرّة قضية فلسطين، فقال:

يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ إِنَّ الْخَطْبَ ذُو شُعَبٍ
 وَفِي فَلَسْطِينٍ لِإِعْدَامِ مَيْدَانٍ
 بَنُو عُمُومَتِكُمْ تَاللهِ قَدْ نَكَبُوا
 لِكِنَّهُمْ فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا خَانُوا
 قُومُوا بِوَاجِبِكُمْ فَالضَّرُّ مَسَّهُمْ
 فَذَا يَتِيْمٌ كَسِيرُ الْقَلْبِ لَهْفَانُ^(٢)

كما أنّ الهويّة العربيّة قد طغت -أحياناً- على الهويّة الدينيّة المقدّسة، ومن ذلك ما نظمه الشاعر خالد سُعود الزّيد^(٣) في بواكير شعره؛ إذ كانت قصائده الأولى تتسم بالعروبة والقوميّة، وهي التيّار السائد بعد الحرب العالميّة الثانية،

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٦.

(٢) م، ن، ص ٢١١.

(٣) خالد سعود المحمّد الزيد (١٩٣٧-٢٠٠١)، شاعر ومؤلف كويتي، ولد في مدينة الكويت، وفيها كانت إقامته ووفاته. التحق بالمدرسة القبليّة، ثمّ المدرسة المباركيّة، ثمّ ثانويّة الشويخ. أحد مؤسّسي رابطة الأدباء في الكويت، وانتخب أميناً عاماً للرابطة (١٩٦٧ - ١٩٧٣)، وشغل عدّة مناصب ثقافيّة في الكويت. له من الدواوين المنشورة: «صلوات في معبد مهجور»، و«كلمات من الألواح»، و«بين واديك والقرى»، و«صلوات من كاظمة»، وله ديوان شعر بعنوان «وَجَلَّ». ومن مؤلفاته: «أدباء الكويت في قرنين» في ثلاثة أجزاء، و«خالد الفرّج حياته وآثاره»، وحقّق ديوان خالد الفرّج في جزأين، و«عبدالله سنان محمّد: دراسات ومختارات»، و«الشاعر محمّد ملا حسين: حياته وآثاره»، وله مؤلفات تحليليّة وتوثيقية عن المسرح في الكويت. انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ٧، ص ٣١٤.

والمطلب الوحيد للشعوب العربية آنذاك يكاد ينحصر في التحرُّر والتطلُّع نحو الوحدة والخلاص من الاستعمار، مُتَّخِذاً العروبة مذهبَه ومبدأه الذي لا يحيدُ عنه:

يَا سَائِلًا عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي

إِنَّ الْعُرُوبَةَ مَبْدَأِي وَمَعَادِي^(١)

متوافقاً بذلك مع الشطر الأول من مطلع قصيدة ابن تيمية^(٢):

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي

رُبِّقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ^(٣)

بل إن بعضهم لا يرى النصر محققاً إلا باستثارة الهوية العربية في نفوس العرب، فيقول الأيوبي:

إِنَّ الْعُرُوبَةَ إِنْ تَحَفَّزْ شَعْبَهَا

لِلْفَوْزِ جَاءَ النَّصْرُ مِنْهُ وَمَا كُبِّحَ^(٤)

والمتمائل في النهضة العربية أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، يلاحظ أنَّ أوَّلَ فَنٍّ اعتمدته النَّهْضِيُّونَ العرب هو الشُّعر، لمقدرته على ربط الإنسان العربيِّ بقضايا أمته، ولما للشُّعر من أُلْفَةٍ في الوجدان العربيِّ، ومقدرةٍ

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ط٣، الكويت: مطبعة السَّلام، ١٩٧٦، ج١، ص ١٦.

(٢) ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحرائيِّ الدمشقيِّ الحنبليِّ، أبو العباس، تقيُّ الدين ابن تيمية. ولد في حرَّان وتحوَّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. طلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها، فتعصَّب عليه جماعة من أهلها فسجن مدةً، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أُطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ هـ وأُطلق، ثم أُعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاريان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدلَّ وبرع في العلم والتفسير. أمَّا تصانيفه ففي الدرر أنها ربُّما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج١، ص ١٤٤.

(٣) أحمد بن عبد الله المرادوي، اللآلئ البهية شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص ٧.

(٤) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٧٨.

على الإسهام في تعزيز الهوية العربية؛ فقد نظم الشعراء وأكثروا في القضايا العربية، وتكثفت دعوتهم إلى الوحدة تحت ظلال الأمة العربية الواحدة. فيؤكد الأيوبي أن الهوية العربية هي الهوية الحقيقية التي لا خلاص من الاستعمار إلا بالتزام نهجها، وبأن العروبة هي الدافع لجميع العرب ليتوحدوا في هويتهم العربية، وإن نأت بهم الأرض وباعدت بينهم الديار، فيقول:

فِي كُلِّ رُبْعٍ لِلْعُرُوبَةِ هَاتِفٌ
أَبَدًا يُهَلِّلُ لَا يُبَالِي بِالْعِدَى
صَوْتُ الْعُرُوبَةِ وَاجِدٌ مَهْمَا نَأَتْ
دَارَاتُنَا، يُصْغِي إِلَيْهِ مَنْ اهْتَدَى^(١)

والتمسك بالهوية العربية دفع بعض الشعراء إلى الدِّفاع عنها دفاعاً عن الدين والعرض والكرامة، ومن ذلك ما نظمته الشاعرة مريم خالد العدساني^(٢) التي رأت أن العيب ليس في العروبة أو هوية الانتماء إليها، بل في العرب المتخاذلين والمنفصلين عن هويتهم العربية، في أبيات تمثل الحكمة السياسية، وتجسد الوعي السياسي عند المرأة الكويتية في أوائل الخمسينيات:

بَيْنِي الْعُرُوبَةُ وَاضْطَفَاهَا مَذْهَبِي
لَهُمَا خَلَصْتُ فَهَلْ تَلُومُ تَعْصِي؟
قَوْمِي بَنُو قَحْطَانٍ عَزَّ نَظِيرُهُمْ
فِي الْخَالِدِينَ وَطَابَ ذِكْرُ الْمَنْسَبِ
أَبْنِي الْعُرُوبَةِ إِنْ تَقُولَ فَيُكْمُ
مُتَقَوْلٌ عَنِ حَالِكُمْ ذُو مَارِبِ

(١) مجلة البعثة، السنة السابعة، ١٩٥٣، العدد ٤، ص ٢١٠.

(٢) شاعرة كويتية، عاشت في منتصف القرن العشرين، لها قصيدة منشورة في مجلة البعثة. ولم تترجم لها أي من كتب التراجم والسير التي تناولت شعراء الكويت وأدباها.

الجِسْمُ مُغْتَلٌّ تَهَيَّجُ كُرُوبُهُ
فَإِذَا تَقَوَّى الجِسْمُ لَيْسَ بِمُكْرَبٍ
وَاللَيْثُ وَسَنَانًا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
فَإِذَا تَمَطَّى اللَيْثُ لَذَّ بِالْمَهْرَبِ
مَا فِي العُرُوبَةِ يَا بَنِيهَا مَغْمَزُ
لَوْ يَصْدُقُونَ فَفِي سُبَاتِ اليَعْرَبِي
وَالْإِبْرَنْ إِنَّ ذَنْبًا جَنَاهُ لِعَلَّةٍ
فِيهِ يُدَانُ وَلَيْسَ أُمُّ المُذْنِبِ^(١)

وَمِنَ المَلاحَظَةِ أَنَّ ارتفاع الأصوات المنادية بالعروبة، وازدياد المحاولات التي تحتُّ على تعزيزها في فكر المواطن العربي، يبقى رهين اللحظة السياسيَّة. فعلى الرَّغم من أصالة هذه الهويَّة وقِدَمِها في الشُّعر العربي، فإنَّ بروزها وضُمُورها مرتبطان بالأوضاع السياسيَّة.

ولم يَعرَ الشعراء بتحديد مفهوم هذه الهويَّة وتفصيله، لكنَّهم حاولوا استثارته في نفس المواطن العربي، بفعل القصائد التي تُذكِّرُ بأمجاد أجدادهم العرب وبطولاتهم، وكيف أنَّ وحدتهم قديمًا كانت سبيلًا للارتقاء بهم بين الأمم الأخرى، بل والسِّيادة عليها. من ذلك استصراخُ الشاعر صقرِ الشَّيب^(٢) العربَ في أثناء جهاد فلسطين، مذكِّراً إياهم بأنَّهم من نسل يَعْرَبَ، وإخوة في الدَّم والأصالة قبل أن يكونوا إخوة في الانتماء:

(١) مجلَّة البعثة، السنة السادسة، ١٩٥٢، العدد ٦، ص ٣١٩.

(٢) صقر بن سالم بن شبيب الشَّمْرِي (١٨٩٦ - ١٩٦٣م)، شاعر كويتي كفيف البصر، ولد في الكويت وعاش فيها. تلقَّى تعليمه الأوَّلِيَّ عند الملوَّع في الكُتَّاب، ودرس ألفيَّة ابن مالك في النحو على الشيخ عبدالله الخلف الدحيان. اشتغل واعظاً في مسجد المحلة، ثمَّ سافر إلى الأحساء لدراسة العلوم الشرعيَّة، وهناك انتقد أساليب التعليم، ثمَّ عاد إلى الكويت وتوفِّي فيها. له ديوان: «صقر الشَّيب» جَمَعَهُ وقَدَّمَ له أحمد البشر الرُّومي، و«عقود الجمال في مدائح آل شَمْلان» وهو ديوان مخطوط بحوزة سيف مرزوق الشَّملان. انظر: معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ٩، ص ٤٧٨.

بَنِي يَعْزُبٍ مِنْ كُلِّ ذِي نَجْدَةٍ حُرٍّ

فَلَسَطِئُنْ مَسْتَهَا يَدُ الْعَسْفِ وَالْجَوْرِ^(١)

كما يؤكد الشَّبيب في موضع آخر ضرورة أن يعود العرب إلى نسبهم من جدِّهم يَعْزُب الذي ينحدرون منه، فيقول:

أَكَانَ يَعْزُبٌ يَرْضَى اللَّهَوَ وَهُوَ يَرَى

مِنْ قَوْمِهِ أَحَدًا قَدْ سِيءَ أَوْ نَكَبَا؟^(٢)

فكان اعتماد الشعراء على عنصر التذكير بالأمجاد الماضية للعرب، أسلوباً حافظاً للهويَّة العربيَّة عند أقوامهم، مشدِّدين على أنَّ التعاون بينهم قديماً كان على أساس الانتماء إلى العرب، ومن ذلك ما نظمه الشاعر الشَّبيب في قصيدته «الأعمالُ لا الأقوال»^(٣):

بَنِي الْعُزْبِ الْأَلَى مَا عُدَّ مِنْهُمْ

فَتَنَى عَنْ نَصْرِ مَعْشَرِهِ يَحِيدُ

أَمَا كَانُوا وَبَغَضُهمُ لِبَغْضٍ

إِذَا حُمَّ الْعِدَا، رُكُنٌ شَدِيدُ

أَمَا أَدَى تَعَاوُنُهُمْ إِلَى مَا

يَعْمُهُمْ بِهِ الْعَيْشُ الرَّغِيدُ^(٤)

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ط٢ [أعدّها وقَدَّم لها وعلّق عليها: يعقوب يوسف الغنيم]، الكويت: مؤسّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٨، ص ٣٦٤.

(٢) م، ن، ص ٢١١.

(٣) م، ن، ص ٢٥٩. [الحاشية].

(٤) م، ن، ص، ن.

ومن ذلك أيضًا ما نظمه الشاعر عبدالله محمّد النُّوري^(١) في قصيدة أنشدها في شهر مايو- أيار ١٩٤٦، يذكرّ العرب بأيّام المجد المنصرمة، علّهم يهبّون كرجلٍ واحدٍ في نصرة فلسطين التي احتلّها اليهود، قال:

أَتَشْقَى فِلَسْطِينَ وَأَنْتُمْ حُمَاتُهَا
فَأَيْنَ السَّيُوفُ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ السُّمُرُ؟
وَأَيْنَ رِجَالُ الْمَجْدِ مِنْ كُلِّ عِثْرَةٍ
يُمَثِّلُهَا صِيَتْ وَيَرْفَعُهَا ذِكْرُ؟^(٢)

ومن أبرز مَنْ استحضّر روح الفارس العربيّ القديم لحفّز النفوس العربيّة النائمة، الشاعرُ فهد العسكر الذي تغنّى في قصيدته «مُناجاةُ العيد» بأمجاد الأسلاف والأجداد، وكيف كانوا قادةً تخرّ أمامهم الملوك والجبابرة، بدءًا من الخليفة الراشد عمر بن الخطّاب، إلى الصّحابة سعد بن أبي وقّاص، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان:

حَدَّثَهُ قَدْ طَابَ الْحَدِيثُ عَنِ الْأَلَى
فَعَسَى تُثِيرُ بِنَفْسِهِ الْبُرْكَانَا
عَنْ مَجْدِنَا وَمُلُوكِ أَهْلِ الْأَرْضِ هَذَا
لَا نَكْسُوا الْأَعْلَامَ وَالْتِيْجَانَا

(١) عبدالله بن محمّد النُّوري (١٩٠٥ - ١٩٨١)، ولد في مدينة الرُّبَيْر جنوب العراق، وعاش في الكويت والعراق وتنقّل بين عدّة دول منها: الهند وسيلان والبحرين وبعض دول الخليج العربيّ. تلقّى مبادئ القراءة والكتابة على يد والده، ثمّ تابع تعليمه في مدارس العراق، ثمّ انتسب إلى دار المعلمين في بغداد، ولم يستكمل دراسته فيها لانتقاله مع والده إلى الكويت واتخاذها دار إقامة عام ١٩٢٣، لكنّه انكبّ على دراسة النحو واللغة على والده. عمل في عدّة مهّن ووظائف، فبدأ تاجرًا، ثمّ معلمًا في المدرسة المباركيّة ثمّ الأحمديّة، ثمّ كاتبًا في المحكمة عام ١٩٣٦ ثمّ مفتشًا في وزارة الأوقاف، ثمّ مديرًا للإذاعة الكويتيّة، وانتهى بأنّ افتتح مكتبًا للمحاماة ١٩٦١، ظلّ يعمل به حتّى عام ١٩٧٧. نشط في المناسبات الاجتماعيّة والدينيّة وكان خطيبًا مفوّهًا. وتوفّي في الكويت. له ديوان: «من الكويت» في طبعتين: الأولى في الكويت عام ١٩٦٢، والثانية في القاهرة عام ١٩٦٥.

انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ١٢٧.
(٢) عبدالله النُّوري، من الكويت، ط١، الكويت: مطبعة المقهوي، ١٩٦٢، ص ٦٦. [نسخة مصوّرة محفوظة لدى مكتبة البابطين المركزيّة للشعر العربيّ في الكويت].

حَدَّثَ عَنِ الْفَارُوقِ عُنُوانِ الْعَدَا
لَةِ كَيْفَ شَادَ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَا
وَعَنِ الْغَضَنْفَرِ سَعْدَ هَلَا زَلَزَلَتْ
بِرْئِيرَهَا أَشْبَابُهُ الْإِيْوََانَا
وَعَنِ الْفَتَى الْمِقْدَامِ أَعْنِي خَالِدًا
أَيَّامَ مَرْزُقَ جَيْشُهُ الرُّومَانَا
وَعَنِ الشَّامِ وَعَنْ مُعَاوِيَةَ الَّذِي
أَعْلَى الْبِنَاءِ وَشَيْدَ الْأَزْكَانَا^(١)

ثمَّ إلى القائد قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ الذي وصل بفتوحاته إلى الصَّين «بلاد السُّند والهند»، وطارق بن زيَاد الذي فتح الأندلس، ثمَّ عن هارون الرَّشيد وخلافته التي أعادت أَيَّامَ الخلافة الرَّاشِدة:

وَأِدِرْ عَلَى أَسْمَاعِنَا ذِكْرَ الَّذِي
لِلصَّيْنِ قَادَ الصَّيْدِ وَالشُّجْعَانَا
وَالضُّيْغَمِ ابْنَ زِيَادَ طَارِقَ كَيْفَ قَا
دَ السُّفْنَ لَمَّا أَنْ غَزَا الْإِسْبَانَا
رَجَّعَ بِرَبِّكَ قَوْلَهُ «إِنَّ الْعَدُوَّ
وَ أَمَامَنَا أَمَّا الْخِضْمُ وَرَانَا»
وَعَنِ الرَّشِيدِ وَكَيْفَ أَشْرَقَ تَاجُهُ
شَمْسًا أَنْارَ سَنَاوُهَا الْبُلْدَانَا
فِي عَصْرِهِ الذَّهَبِيِّ صَفَّقَ رَاقِصَا
طَرَبًا عَلَى هَامِ السَّمَكِ لِوَإِنَا

(١) عبدالله زكريَّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ط٤، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٧٩، ص ١٣١.

وَالْمَجْدُ مُزْدَهَرٌ مُطْلٌ مِنْ عِلِّ

عَشِقَ الْوُجُودُ شَبَابَهُ الرَّيَّانَا^(١)

وانتهى العسكرُ إلى مقارنة حالنا بتلك الحال؛ إذ إنَّهم يتَّصفون بالعِزَّةَ والحرِّيَّةَ والانتصارات، أمَّا نحن فالجهل شَتَّتْ شَمْلَنَا، والفساد بعثر مُلْكَنَا؛ لذا لا سبيل لنا إلى استعادة أمجاد مَنْ سبق إلَّا بالتكاتف وامتلاك القوَّة، فقال:

كَانُوا عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ سَادَةً

أَبَدًا وَكُنَّا بَعْدَهُمْ عِبْدَانَا

عَبِثَ الْفَسَادُ بِنَا فَبَعَثَ مُلْكَنَا

وَالْجَهْلُ شَتَّتَ شَمْلَنَا فَكَفَانَا

أَبْنَاءَ يَغْرُبُ وَالْكَوَارِثُ جَمَّةٌ

هَيَّا انْبِذُوا الْأَحْقَادَ وَالْأَضْغَانَ

وَتَأَلَّفُوا وَتَكَاتَفُوا وَتَسَانَدُوا

مُتَرَاصِفِينَ وَحَرَّرُوا الْأَوْطَانَ

إِنَّا بَعْضُ لَا يَعِيشُ بِهِ سِوَى

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ صَارِمًا وَسِنَانَا^(٢)

ويؤكدُ الشَّاعر الكويتيُّ عبدالله زكريَّا الأنصاري^(٣) أنَّ هويَّته العربيَّةَ مرتبطةٌ بالقضايا العربيَّةَ على رقعة الوطن العربيِّ الشَّاسعة، وأنَّ عروبته ليست محصورةً

(١) عبدالله زكريَّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٣١.

(٢) م، ن، ص، ن.

(٣) عبدالله بن زكريَّا الأنصاري (١٩٢١-٢٠٠٦)، ولد في الكويت، كان والده إمامًا لمسجد العبد الرزاق وكان يملك مدرسة لتعليم القرآن والقراءة والكتابة، وقد تعلم في مدرسة والده، وفي عام ١٩٢٨ التحق بالمدرسة المباركية ودرس فيها حتَّى عام ١٩٣٦، بعدها بدأ بالتدريس في دائرة المعارف، وتمَّ اختياره للتدريس في المدرسة الشَّرقيَّة بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٢. تقلد عددًا من الوظائف الحكوميَّة بعد استقلال الكويت، فعمل في الدولة خمسة وأربعين سنة ما بين التدريس، والعمل في بيت الكويت في القاهرة، ووزارة الخارجية. له ديوان شعريٌّ طبع بعد وفاته «ديوان عبدالله زكريَّا الأنصاري»، وله مجموعة من المؤلَّفات منها: «فهد العسكر: حياته وشعره»، «مع الكتب والمجلات»، «الشعر العربيُّ بين العاميَّة والفصحى»، «صقر الشَّبيب». انظر: خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج٢، ص ٣٤٧.

في وطنه الكويت فقط، بل يرى أنَّ الصامت على ما يجري في فلسطين من تقسيم
فتهجير فاستعمار، لا يستحقُّ الهويةَ العربيَّة، فيقول:

نَحْنُ لَسْنَا عَرَبًا إِنْ لَمْ نَدَعْ

فِكْرَةَ التَّقْسِيمِ تَنْزَاحُ بُخَارًا^(١)

ولم تكن الدَّعوات المستحضرة لأمجاد العرب مقتصرةً على بطولات العرب
وفتوحاتهم فقط، بل إنَّ الشاعر لم يترك وسيلةً يستنهضُ بها الهمم، ليعيدَ بها
ثقة الفرد العربيِّ بهويَّته العربيَّة، فاستحضر الأخلاق والقيم والمبادئ المتأصلة في
التاريخ العربيِّ. ومنه ما أشار إليه صقر الشَّبيب مُذكِّراً بالأخلاق التي تحلَّى بها
الأجداد، وبها نصَّروا بعضهم بعضاً، في قصيدته «صرخةٌ في العرب أثناء جهاد
فلسطين» التي نظمها عام ١٩٤٨ فقال:

عُرِفْنَا قَدِيمًا بِالْوَفَاءِ وَإِنِّي

أَرَى عَنْ فِلَسْطِينَ التَّخْلِي مِنَ الْغَدْرِ^(٢)

وبعض الشعراء تخلَّى عن حَفْزِ الهويةِ العربيَّة متعمِّداً، فأثر استحضار الأمجاد
الأجنبيَّة علَّها تكون حافزاً أجدى من نظيرتها العربيَّة التي أصبحت لازمة شعريَّة
في كلِّ محفل، مناسبةً أو غير مناسبة، ومن ذلك ما قاله الشاعر خالد الفرج في
حثِّ العرب على التطوُّر والتقدُّم العلميِّ كما اليابان، والنهضة يدًا واحدة في وجه
كلِّ معتدٍ، كوثة الإيطاليين، ووحدة في الصف مترافقة مع صرخات النصر المدوِّية،
كتلك التي أطلقها جنود الجيش الألماني في الحرب العالميَّة الثانية، فقال:

يَا نَشْءُ هَلْ مِنْ نَهْضَةٍ نُخِي بِهَا

الْمَجْدَ الْأَثِيلَ كَنَهْضَةِ الْجَابَانِ؟

(١) عبدالله زكريَّا الأنصاري، ديوان عبدالله زكريَّا الأنصاري، [طبعة خاصَّة بترخيص من أصحاب الحقوق]،
الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠١٢، ص ١٨٢.

(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٦٤.

يَا نَشْرُءُ هَلْ مِنْ وَثْبَةٍ نَشْفِي بِهَا
هَذَا الْغَلِيلَ كَوْثَبَةَ الطَّلِيَّانِ؟
يَا نَشْرُءُ هَلْ مِنْ صَرْخَةٍ تَدْعُ الْعِدَا
صَرْعَى الذُّهُولِ كَصَرْخَةِ الْأَلَمَانِ؟^(١)

وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الدعوات إلى التمسُّك بأمجاد العرب القدماء، والتذكير بالبطولات الخالدة التي حفل بها التاريخ، وخطب الاستنهاض والتمني التي أطلقها الشعراء، لا تمثل صراعاً على الهوية عند المواطن العربي، ولا سعيًا من الشعراء لتغليب هويَّة على أخرى، بقدر ما تمثل صراعاً بين هويَّة الماضي وهويَّة الحاضر والمستقبل.

٤ - الهوية الدينيَّة

الهويَّة الدينيَّة التي يكتسبها الإنسان من إيمانه برسالة من الرُّسالات السماويَّة، تأتي في مرحلة متأخرة عن اكتسابه للهويَّة الوطنيَّة؛ تلك التي يكتسبها من كونه جزءاً من شعبٍ ومن أُمَّةٍ جمعت بين أفرادها روابط العيش معاً في الأرض والتَّاريخ والثَّقافة؛ روابط تشمل اللغة والعادات والتقاليد والتجارب. وتتبع أهميَّة الهويَّة الدينيَّة من تأثيرها في القضايا السياسيَّة باعتبار الدِّين مرتبطاً بالجوانب الأساسيَّة للكرامة الإنسانيَّة، والانفتاح على الآخرين، والأولويَّات الحقيقيَّة في حياة الأفراد وحياة جميع الشُّعوب. كما من شأنه أن يحثَّ على سُبُل الكرم والتعاون؛ إذ يُعَدُّ الدِّين مَعِيناً زاحراً ينهل منه المنافحون عن القضايا الحياتيَّة بكلِّ جوانبها.

ثمَّة اتِّصال قد ينشأ بين الهويَّتين الوطنيَّة والدينيَّة؛ إذ في الدِّين من التعاليم ما يأمر الإنسان بالمحافظة على تلك الروابط التي تتشكَّل منها الهويَّة الوطنيَّة،

(١) خالد محمَّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٣٦.

كما في الدعوة إلى الوحدة في قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(١). ولطالما كانت الوحدة التي تقوم على أساس العقيدة والولاء للدين هي أسرع الطرق لتحقيقها، وذلك دعا الشعراء لاستعمال الدين وسيلةً تحريضيةً لجمع شمل العرب كلٍّ بحسب ديانته. ومن ذلك ما نادى به الشاعر محمد الحبيب^(٢) في مخاطبته العرب المسلمين، مشدداً على أن انتماءهم الأول والأخير إلى هذا الدين في قوله:

فَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ نُعِيدَ الَّذِي مَضَى
فَعِزًّا وَمَجْدًا قَدْ تَأْتَلَّ وَانْبَرَا
وَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ مَجْدُنَا
عَظِيمًا وَمَنْ كُنَّا فُؤِيقَ السُّهَى قَدْرًا^(٣)

ويشدّد بعض الشعراء على الهوية الدينية في سبيل القيام بالوحدة العربية المنشودة، فيناجي الشاعر فهد العسكر عيدَ المولد النبوي الشريف في قصيدته «مُناجاةُ العيد»، ويتحسّر فيها على ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من تأخر وتشرذم جرّاء إهمالها شرع الله، ويبثُّ فيها شكواه للنبي محمد ﷺ متمنياً له الانبعاث ليرى حال الأمة وضياعها وبعدها عن العمل بالكتاب والسنة، والانسحاق وراء الهوى والشهوات، وترك العمل بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر الذي أدّى إلى انتشار الرذائل والموبقات، فيقول في بعض أبياتها:

(١) آل عمران، ١٠٣/٢.

(٢) محمد الحبيب: شاعر كويتي، ولد في الكويت، وعاش فيها. تلقى تعليمه المبكر في المدرسة المباركية، ثم اشتغل بالتجارة ثم موظفاً في وزارة الإعلام، عاش في زمن الشاعر فهد العسكر المتوفى عام ١٩٥١، فجاء شعره تجديداً متجاوزاً مع العسكر ومتأثراً به، له عدد من القصائد متفرقة بين عدة مصادر. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٦، ص ٤٦.

(٣) م، ن، ج ١٦، ص ٤٧.

إِنَّا نَسِينَا اللَّهَ حَتَّى سَلَطَ الـ
 بَارِي عَلَيْنَا يَا نَبِيَّ عِدَانَا
 وَيَلَاةَ أَهْمَلْنَا التَّعَالِيمَ الَّتِي
 جَاءَ الْكِتَابُ بِهَا فَمَا أَشْقَانَا
 مَا إِنْ تَرَكْنَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى مَعًا
 حَتَّى أَلْفَنَّا الْإِثْمَ وَالْعُدْوَانَ
 نَغْصِي أَوْامِرَ كُلِّ فَرْدٍ مُصْلِحٍ
 وَالِدَيْنُ عَنْ عِضْيَانِهِ يَنْهَانَا
 وَالْخُتْلُ وَالتَّدْجِيلُ قَدْ فَتَكَ بِنَا
 وَتَقَوُّدُنَا أَطْمَاعُنَا عُمِيَانَا
 كُلُّ بِمَيِّدَانِ اللَّذَائِذِ وَالْهَوَى
 يَجْرِي وَمَا تَلْقَى لَدَيْهِ عِنَانَا^(١)

وقد لجأ الشعراء إلى تأكيد الهوية الدينية وإبرازها في قصائدهم، لما كان
 لهذه الهوية من آثار إيجابية في التاريخ السياسي الإسلامي العربي، فوجدوا أنها
 أجدى من استنهاض الهوية العربية فقط، وذلك ما أشار إليه الأيوبي في قوله:
 الدِّينُ يَأْمُرُنَا بِالْإِتِّحَادِ فَلَا
 تُخَالِفُوا سُنَّةَ الْإِسْلَامِ فِي الْكُرْبِ^(٢)

فدعواتهم ونداءاتهم المتكررة لإيقاظ هذا العربي النائم لم تفلح، فأرادوا أن
 يحركوا العقيدة الإيمانية عند هؤلاء، وكيف أن فلسطين - القضية التي شغلت

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٣٠.

(٢) نورية الرومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وراثته الشعري عرض ونقد، ص ٥٤٠. [حوّل الشاعر همزة
 الوصل في «بالإتحاد» إلى همزة قطع لإقامة الوزن. كما يجوز للشاعر تحويل همزة القطع إلى همزة وصل.
 وسترد هذه الضرورة في أكثر من مكان في الدراسة لاحقاً].

العرب في تلك الفترة وما زالت- هي الدولة التي تحتضن المسجد الأقصى ثاني القبلتين، فيحاول الشاعر استنهاضهم وتعزيز هويتهم الدينية، مستنداً إلى قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ، لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١). وفي توافق معنوي للشاعر عبدالله النوري مع هذه الآية القرآنية، بيتان من قصيدة نظمها عام ١٩٤٦، يقول فيهما:

ففي المسجد الأقصى ومسرى نبيكُم
تُذَلُّ به التَّقْوَى، يُهَانَ به الذِّكْرُ
وهَلْ يَزْتَضِي الإسلامُ هَذَا لمسجدٍ
إِلَيْهِ سُجُودًا فِي صَلَاتِهِمْ خَرُوءًا؟^(٢)

وعلى الرغم ممَّا للدين من أثرٍ في تحريك المشاعر واستنهاض الحمية، كما تلك الهوية الدينية التي تمسك بها اليهود ليجعلوا من فلسطين وطنًا لهم، فإنَّ اجتماع الهوية الدينية مع الهوية الوطنية والعربية يزيد من تقارب العرب فيما بينهم، فلا يمكن الاعتماد على هذا الجانب من الهوية فقط، بل لابدَّ أن تجتمع الهويَّات معًا للوصول إلى الوحدة المنشودة. وهذا ما شدَّد عليه صقر الشبيب في بعض نظمه، حيث قال:

فَلَيْسَ الْعُجْمُ تُغْدَلُ إِنْ تَرَاحَوْا
بِنَجْدَتِهَا وَلَا تُلْحَى الْيَهُودُ
فَإِنْ مَاتُوا بِدِينِهِمْ إِلَيْهِمْ
وَنِعَمَ الرَّابِطُ الدِّينُ الْفَرِيدُ

(١) سورة البقرة، ١١٤/١.

(٢) عبدالله محمد النوري، من الكويت، ص ٦٦.

فَفَيْمًا بَيْنَنَا لُغَةً وَدِينٌ

وَفَيْمًا بَيْنَنَا نَسَبٌ أَكِيدُ^(١)

ويؤيد هذا الانسجام بين الهويتين الوطنية والدينية، أن نصوص الشريعة الإسلامية أوجبت الجهاد الدفاعي عن الوطن والشعب واعتبرت من يقتل في سبيل الدفاع عنهما شهيداً، ولعل هذا ما دفع الشاعر عبدالعزيز الرشيد^(٢) لإعلان الجهاد في قصيدته التي وجهها إلى الشباب آنذاك، فقال:

فَإِلَى الْجِهَادِ تَقَدَّمُوا يَا سَادَتِي

إِنَّ الْجِهَادَ عَلَيْكُمْ لَمُؤَكَّدٌ^(٣)

ولم يغفل عن ذلك صقر الشبيب في دعوته أبناء قومه إلى الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل نصرة إخوانهم في فلسطين، فإن كانت عروبتهم لا تحرّكهم فليفطنوا إلى أن الجهاد واجب على كل مسلم، فقال:

وَقَدْ أَصْبَحَتْ فَرَضًا مَعُونَتُهُمْ بِمَا

تَصُونُونَ مِنْ غَالِي الْحَيَاةِ أَوْ التَّيْرِ

لِمَنْ ذُخِرْنَا أَمْوَالُنَا وَنُفُوسُنَا

إِذَا مَا رَغِبْنَا عَنْهُمْ الْيَوْمَ بِالذُّخْرِ^(٤)

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٢٦٢.

(٢) عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البَدَّاح (١٨٨٧-١٩٣٨)، ولد في الكويت، وعاش في الكويت والعراق والسعودية ومصر وسنغافورة وإندونيسيا. وتوفي في إندونيسيا ودفن فيها. له قصائد منشور في كتاب «عبدالعزیز الرشيد: سيرة حياته» وكتاب «الشيخ عبدالعزيز الرشيد: دوره في الحركة الأدبية والثقافية في الكويت»، وله قصائد نُشرت في صحف عصره، وله مجموعة من المؤلفات المطبوعة، منها: «تاريخ الكويت»، و«الدلائل البيّنات في حكم تعلم اللغات»، و«تحذير المسلمين عن أتباع غير سبيل المؤمنين»، و«محاورة إصلاحية». انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١١، ص ٢١٩.

(٣) م، ن، ج ١١، ص ٢٢١.

(٤) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٦٤.

كما أكّد أحمد السَّقَّاف^(١) دعوته الشباب العربيّ إلى الجهاد دفاعاً عن الأراضي المحتلة من المستعمرين، وذلك في قصيدته التي ألقاها في النادي الثقافي القومي^(٢)، فقال:

أَقْضِي اللَّيْلَ مُضْطَرِمَ الْفُؤَادِ
أُنَادِي أُمَّتِي أَدْعُو بِلَادِي
أُرَدِّدُ، حَيَّ حَيَّ عَلَى الْجِهَادِ
لَقَدْ بَانَ الضَّلَالُ مِنَ الرَّشَادِ
فَتُورُوا يَا شَبَابَ الْعَرَبِ طُرّاً^(٣)

ويدعو الشاعر أحمد السَّقَّاف الأمة العربيّة إلى النهوضِ نصرّة لفلسطين، مشدّداً في خطابه على الغيرة الدينيّة التي تمسّ جانب العقيدة عند الفرد العربيّ المسلم، وكيف أنّهم إن لم ينتصروا للقدس لدحر اليهود المعتدين، فإنّ الخسارة للدين الإسلامي، وليس خسارة متعلّقة بالوجود الجغرافي والعروبيّ فقط. فيقول في قصيدة له أنشدها بعد النكبة في عام ١٩٤٨:

يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ هُبُّوا ذَا أَوَانُكُمْ
عَارٌ عَلَيْكُمْ إِذَا مَا نِمْتُمْ الْآنَا
اللَّهُ أَكْبَرُ إِنْ يَبْنِ الْيَهُودُ لَكُمْ
بِأَرْضِكُمْ عَنُوءَةً مُلْكًا وَسُلْطَانًا

(١) أحمد محمّد السَّقَّاف (١٩١٩-٢٠١٠)، ولد في الكويت وتوفي فيها، أديبٌ وشاعرٌ كويتيٌّ وأحد أهمّ رؤاد النهضة الفكرية في الكويت، يرجع نسبه إلى أسرة السَّقَّاف الهاشمية المنتشرة في كثير من الأقطار العربيّة. مؤلفاته: «المقتضب في معرفة لغة العرب»، «أنا عائدٌ من جنوب الجزيرة العربيّة»، «الأوراق في شعراء الدّيارات النصرانيّة»، «حكايات من الوطن العربيّ الكبير»، «تطوّر الوعي القوميّ في الكويت»، «العنصريّة الصهيونيّة في التّوراة»، «شعر أحمد السَّقَّاف»، «قطوف دانيّة... عشرون شاعرًا جاهليًا ومخضرمًا»، وغير ذلك. انظر: خالد سعود الزّيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٢) في حفلة التعارف التي أقامها النادي الأدبيّ لأعضائه مساء الخميس ١٢/٣/١٩٥٣. انظر: خالد سعود الزّيد، م، ن، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٣) خالد سعود الزّيد، م، ن، ص ٢٩٠.

مُوتُوا فِي الْمَوْتِ إِغْلَاءً لِدِينِكُمْ

وَيَمُوتُوا الْخُلْدَ فِي تَكْرِيمِ رِضْوَانَا^(١)

ومُهْمَّةُ الإشارة في هذا المكان إلى أَنَّ مفهوم الهوية الدينية عند الشعراء الكويتيين - أولئك الذين يمثلون أنموذجاً للطبقة الواعية المثقفة في المجتمع - قد كان بعيداً كلَّ البعد عن التَّعصب والتَّطرف الديني، ودليلاً حقيقياً على فصل الدين عن الدولة في أمور الحكم والسياسة، إلَّا أَنَّ الشاعر الكويتي قد استعان بالهوية الدينية للتَّحريض وشحذ الهمم الباردة في نفوس العرب.

فلم تكن مشكلة العربي مع الوجود اليهودي مسألة متعلِّقة بالديانة اليهودية التي تحتلُّ بقعةً عربيَّة، فاليهود -كطائفةٍ دينيةٍ- سكنوا قديماً ولا زالوا في جميع الدول العربيَّة فضلاً عن فلسطين، إلَّا أَنَّ مشكلته كانت في تعصُّب بعض اليهود واعتمادهم على هويتهم الدينية في بناء وطنٍ سياسيٍّ قوميٍّ لهم في فلسطين.

ويؤكِّد ما نرمي إليه الشاعر خالد سليمان العَدَساني^(٢) في قصيدته «مات الضَّمير»:

مَا نَقَمْتِي نَحْوَ «الْيَهُودِ» وَإِنَّمَا

رَجِسُ بَبْغَضِهِمْ لَهُ إِسْتِغْلَاءُ

فَالْعُنْصُرِيَّةُ يَدِينُهُمْ وَسِمَاتُهُمْ

وَشَرَائِعُ التَّمْيِيزِ ثُمَّ لِوَاءُ^(٣)

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في القرنين، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٢) خالد بن سليمان العَدَساني (١٩١١-١٩٨٢)، ولد في مدينة الكويت وفيها توفي، له ديوان شعريٌّ مطبوع ضمَّ عدداً من قصائده تحت عنوان «عَدَسَانِيَّاتٌ»، ونشرت له صحف عصره عدداً من القصائد، كما صدر له كتاب «نصف عام على الحكم النيابي في الكويت». انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ٧، ص ٣٢٤.

(٣) م، ن، ج ٧، ص ٣٢٥.

فهذه الإشكالية في مفهوم الهوية الدينية السياسية كانت ناضجة في فكر العرب منذ القدم؛ فلم يقل فريق المؤمنين لفريق الرافضين لستم من قومنا وأرضنا، وكذلك العكس. ولم يكن بإمكان فريق أن يسلم الهوية الوطنية عن الفريق الآخر، مع أن الاختلاف كان يصل إلى حد التضيق والمقاطعة وصولاً إلى الحرب المعلنة بينهما.

والواقع هو أن المؤسستين الدينية والسياسية لم تندمجا في الدولة الإسلامية في معظم مراحلها التاريخية، بل حافظت كل واحدة منهما على استقلاليتها ضمن حدود صلاحياتها الضمنية الدقيقة التي بقيت محصورة في الإفتاء والتأويل للفقهاء، وترك تسيير شؤون الدولة والحكم للخلفاء والسلاطين. وفي هذا الصدد يُعدُّ التصادم بين المؤسستين مرتبطاً بالأزمات السياسية، أي عندما تضعف إحداها فتطمع في الاحتواء على مهمات الأخرى، لكن الأمر ينتهي إلى وضعه الطبيعي في نهاية المطاف.

٥ - الهوية الإنسانية

تولدت في نفوس الشعراء مَرارة الفشل والشعور بالألم والحيرة، بصورة انعكست على نتاجاتهم الشعرية، لا سيما التي تعبّر عن خلجات النفس الإنسانية وقضايا العالم والوجود والبحث عن حلول لمشاكل الإنسان. ودارت الهوية الإنسانية في الشعر العربي في الكويت في النصف الأول من القرن العشرين، حول الدّعوة للإخاء الإنساني، والتسامح الديني، ونَبذ التعصّب، واستهجان العنف، وذمّ الحروب، وغيرها من الأبعاد التي وُجد الكثير منها في ديوان الشعر الكويتي، ومن أبرزها:

- الإخاء الإنساني والتسامح الديني: لعلَّ أوّل شيء يبادر إلى ذهن المتلقّي في مثل هذا الغرض، أن الخطاب لا يختصّ بالعرب أو الأجانب أو غيرهم، بل هو خطاب موجّه إلى البشرية جمعاء، وهذا ما أعطاه بُعداً إنسانياً عاماً، يدعو إلى

بناء مجتمع عالمي يخلو من البغض والحقد والأوهام، ويتجه نحو الأخوة والمساواة والتعايش والعيش الحرّ الكريم. فنجد الأيوبيّ يشدّد على ضرورة نشر السّلام في أرجاء العالم من دون النظر إلى الفوارق العرقية أو المذهبية بين دول العالم، فقال عام ١٩٥٦:

أَمَّا التَّعَايُشُ فَلْيَكُنْ بَيْنَ الْوَرَى

فِي الْأَرْضِ سَلْمِيًّا بِلا اسْتِخْفَافٍ^(١)

تبقى الهوية الإنسانية الأساس الذي تقوم عليه النفس البشرية بعيداً عن المعتقدات والوطن والاستيطان، وقد أبدى بعض الشعراء الكويتيين وعياً يشفّ عن أفقٍ أوسع من حصر الهوية في أرضٍ أو انتماءٍ أو مُعتقد، بل ارتقى الشاعر فوق ذلك ليرى أنّ شعوب العالم تشترك في صفةٍ فطريّةٍ أسمى ممّا سبق، ألا وهي الإنسانية بكلّ ما تحمله من الرّحمة والتّسامح والتّعاون ووحدّة الفكر والثّقافة العلميّة والأدبيّة، ومن ذلك ما نجده عند أحمد مشاري العدواني في قوله:

لَسْتُ مِنْ غُرْبٍ وَلَا عَجَمٍ

أَنَا مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أَدَبٍ

فِي إِنْسَانِيَّةٍ كَرُمَتْ

فَهِيَ عِنْدِي أَوْكَدُ النَّسَبِ^(٢)

وأبرز ما يدعم هذه الفكرة هو ما عبّر عنه الأديب المهجريّ أمين معلوف في روايته «التائهون»، حيث قال: «الرحيل عن الوطن هو سُنّة الحياة، وأحياناً تفرضه الأحداث، وإلاّ يجب أن نخترع له عُذراً: لقد وُلدتُ على كوكب لا في بلد. أجل، بالطبع وُلدتُ أيضاً في بلدٍ، في مدينةٍ، في طائفةٍ، في أسرةٍ، في حضانةٍ، في

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٩٩.

(٢) مجلّة البعثة، السنة الأولى، ١٩٤٧، العدد ٥، ص ٦٥.

فِرَاشٍ. وَلَكِنَّ الْمَهَمَّ عِنْدِي، وَعِنْدَ جَمِيعِ الْبَشَرِ عَلَى السَّوَاءِ، أَنَّني جِئْتُ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ.. إِلَى هَذَا الْعَالَمِ، فَالْوِلَادَةُ هِيَ الْمَجِيءُ إِلَى الْعَالَمِ، لَا إِلَى هَذَا الْبَلَدِ أَوْ ذَلِكَ، لَا إِلَى هَذَا الْبَيْتِ أَوْ ذَلِكَ»^(١).

وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَجِدُهُ عِنْدَ خَالِدِ الْفَرَجِ فِي تَنَاوُلِهِ لِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ فِي الْعَالَمِ، وَتَشْدِيدِهِ عَلَى الْوَحْدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَخُوَّةِ بَيْنَ جَمِيعِ أَبْنَاءِ الْعَالَمِ. لَكِنَّهُ يَعْتَمِدُ أُسْلُوبَ الْكُومِيدِيَا السُّودَاءِ فِي تَأْكِيدِهِ عَلَى الْقَضِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، مُتَسَائِلًا عَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَحْصَلَ عَلَى حَقُوقِهِ الَّتِي تَبْدُو مَجْهُولَةً أَيْضًا، فَيَقُولُ:

مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ قُلْ لِي؟
ثُمَّ مَا تِلْكَ الْحَقُوقُ؟
أُمُّ الدُّنْيَا تَوَافَتْ
لَمْ تَمَيِّزْهَا فُرُوقُ
وَلَهَا صَاحِبٌ عَظِيمٌ
فِي نِيُورْكَ أَنْيُوقُ^(٢)

وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّاعِرُ بِالِاتِّكَاءِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِخَاءِ الْإِنْسَانِيِّ، بَلْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ لِلتَّشْدِيدِ عَلَى قَضِيَّةِ التَّسَامُحِ وَالتَّوَافُقِ وَالتَّآخِي بَيْنَ الْأَدْيَانِ، وَنَبَذَ التَّعَصُّبَ، وَالْانْضِواءَ تَحْتَ رَايَةِ الْعَدْلِ الَّتِي تَجْتَمِعُ كُلُّ الْأَدْيَانِ فِي ظِلِّهَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَى اللَّحْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَيَقُولُ الْفَرَجُ فِي ذَلِكَ:

بُورَكَتْ يَا تَيْتُوفِعِشْ
وَدَعَ التَّشْيِيعَ لِلشُّيُوعِ
وَارْجِعْ إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ
حِ لَتَسْتَحِقَّ رِضَى الْجَمِيعِ

(١) أمين معلوف، التائهون، ترجمة: نهلة بيضون، ط١، بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣، ص ٦١-٦٢.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٦٤. انظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ط١، الكويت: مكتبة ابن قتيبة، ١٩٩٦، ص ١٢١.

فَعَسَاكَ تَأْخُذُ لِلصَّالِحِ
 بِبِ التَّائِرِ مِنْ جُزْمِ فَطِيعِ
 أَوْ تُنْقِذَ الْحَرَمَ الْمُقَدَّ
 دَسَ مِنْ دِمَاءٍ فِي دُمُوعِ
 فَاجَابَ إِنِّي لَأِلَهَ
 أَدِينُ بِالْعَدْلِ الطَّبِيعِيِّ^(١)

ويرى الشعراء أنَّ الوطن ليس محصوراً في أرضٍ أو معتقداً أو نسب، لكنه يتعلق
 بالإنسان وطبيعته الفطرية على التآخي والمحبة ونبذ العنف. فالهوية الإنسانية هي
 المحور الأساسي الذي تدور حوله سائر الهويات المتفرعة عنه، فيتجلى البعد الإنسانيُّ
 في الشعر العربي في الكويت عبر أفق الشاعر بما يتجاوز النظرة الإقليمية الضيقة،
 وتأكيد الهوية الإنسانية الأصلية؛ هذه الإنسانية التي تتجسّد عنده في مستوى
 الصياغة الشعرية الرفيعة التي تجعل من الشعر نموذجاً للجمال والصدق والهمّة
 معاً. وقد بلغ الشعر الكويتي منزلةً جديرةً بالتقدير حين تناول القضايا الإنسانية.

- ذمُّ الحروب والتحذير من أضرارها: إنَّ الرُّوح الإنسانية الخيرة التي تتشد
 السعادة للجميع، وتدعو إلى التسامح والتآخي، ترفض بطبيعة الحال كلَّ أشكال
 العدوان والتخريب التي تسببها الحروب وويلاتها. فقد كان اندلاع الحرب العالمية
 الثانية وما صاحبها من دمار وأضرار، أحدَ مظاهر الشقاء الإنساني في ذلك
 العصر الذي أخذ حيّزه البارز في نتاجات الشعراء، فأخذوا يحذرون الناس من
 الحروب وما يجنيه الإنسان من ويلاتها. ومن ذلك تركيز الشاعر الشبيب على
 الهوية الإنسانية التي تجمع الشعوب كلّها تحت راية الإخاء والمحبة والوداد، ونبذ
 الحروب والفتن، فيقول في قصيدة مطوّلة نظمها في الحرب العالمية الثانية:

(١) محمد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتي، ط١، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٤، ص ١١٦.

إِذَا ظَلَمَ الْإِنْسَانُ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ:
تَوَقَّعْ جَزَاءَ سَيِّئِهِ عَنْكَ لَا يَنْبُو
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الظُّلْمِ سَاءَ مَغَبَّةً
فَحَرَبُهُمْ هَذِي لِظُلْمِهِمْ غِبُّ
بَنُو آدَمَ إِخْوَانُهُمْ، وَبَنَاتُهُ
لَهُمْ أَخَوَاتُ، يَشْهَدُ الْمَاءُ وَالتُّرْبُ^(١)

إنما تقع المسؤولية في اندلاع الحروب على الإنسان وحده، نتيجة عدوانه
الظالم على أخيه، وما الدماء التي تغطي وجه الأرض إلا شواهد تنطق بهذا الظلم،
وما الأنفس البريئة وبكاء الثكالي واليتامى إلا نماذج لنتائج الحروب. ولهذا نجد
الشاعر خالد الفرَج يعجب من أولئك الذين يُطلقون على أنفسهم دُعاة السَّلام،
في حين أن أفعالهم الاستعمارية تقتل كل فكرة للسَّلام في نفوس المظلومين، بل إنَّ
السلم يعتبر وهمًا في حال استمرار الغرب في تعسُّفه وبغيه، فيقول:

مَهْلًا جَهَابِذَةُ السِّيَاسَةِ قَدْ مَضَى
زَمَنٌ بِهِ لَكُمْ الْعُقُولُ تُسَاقُ
إِنَّ النُّفُوسَ يَزِيدُهَا اسْتِعْمَارُكُمْ
غِلًّا فَلَا يَغُرُّكُمْ الْإِطْرَاقُ
فَالسَّلْمُ إِنْ لَمْ تَعْدِلُوا عَنْ بَغْيِكُمْ
عَدَدٌ أَصَمُّ مَا لَهُ إِنْطَاقُ^(٢)

إنَّ الإنسانية هي الأصل بين الهويَّات الوطنية والقومية، فقد كانت القضية
الفلسطينية وقضايا التحرُّر العربيَّة التي ظهرت في النصف الأوَّل من القرن
العشرين مثالاً حيًّا لمدى الوعي الذي تمتَّع به الشاعر الكويتي، وتأكيدها لا تُسَاعِ أَفَقُ

(١) أحمد البشر الرُّمي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٢.

(٢) خالد محمَّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٥١.

معرفته. فالهوية الإنسانية هويةٌ منفتحةٌ على الكون كله، وعلى الإنسان كله، يستتفر الشاعر بها الإنسان في كلِّ مكانٍ كي يعود إلى إنسانيته التي تقوم على التضامن المربوط بوحدة المصير الحيائي المشترك، والتآخي بين أبناء البشر جميعاً، بعيداً عن انتماءاتهم، لتعبير صادق عن معنى التاريخ الإنساني. وتمثّل دعوة الشاعر دعوةً صادقةً لإيجاد مجتمع/عالم وأخلاق معرفيّة من شأنها أن تسمح لنا بالتعامل مع انتماءاتنا وتناقضاتها على مبدأ إنسانيّ.

د- وطن الشعراء بمفهومه الرمزيّ

على الرّغم من أنّ الواقعية السياسيّة تقوم على اعتبار السياسة فنّاً الممكن لا المستحيل، فقد تجلّت الرمزيّة البعيدة عن الواقع في حلم الشعراء بوطنٍ بديلٍ من الواقع الذي يعيشون فيه. فبعد أن كان مفهوم الوطن مرتبطاً بالأهل والأحبة والذكريات حيناً، والأرض والمكان الصّريح حيناً آخر، مقترناً بالغربة الخارجيّة للشاعر التي أنتجت الشعر المهجريّ الزاخر بمفردات الغربة، المتشبع بروح الحنين إلى الوطن، فقد اتّخذ مفهوم الوطن في الغربة الداخليّة مساحةً رمزيّةً أوسع من الاكتفاء بالإشارات إليه، فتعدّد المفهوم الرمزيّ للوطن، وتعلّق بالحرية بشكل أساسيٍّ؛ إذ ترى الوطن فتاةً يغازلها الشاعر، ويشرح لها همومه، وتارة أخرى هو السماء باتّساعها عند آخرٍ، وتراه عند غيره فلّكاً فسيحاً لا يسكنه أحد، وتراه عند آخر الصّحراء بامتدادها، كما سنرى. ومن ذلك ما نظمته الشاعر فهد العسكر في وطنه، مخاطباً «مَيّ»، رمزاً لوطنه، فقال:

لَا تَحْسَبِي يَا مَيّ أَنَّ يَدِي
مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ يَدُ الْأَشْرَرِ
فَالْحُرُّ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ هُنَا
وَهُنَاكَ بَيْنَ النَّابِ الظَّفَرِ^(١)

(١) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٥٦.

يُعتبر الشاعر عبدالعزيز الرشيد من أبرز العلماء المصلحين في الكويت، ومن أولهم، ولعلَّ انفتاحه وثقافته العالية قد نَمَّيا فيه بذرة البحث عن الحرية في فضاءات أوسع ممَّا يحتويها وطنه الكويت، وخصوصاً بعد المضايقات التي كان يتعرَّض لها المصلحون من معاصريهم المتزمتين. فجاء حلم الشاعر الرشيد بوطن خالٍ من هؤلاء، بل وطنٍ هو السَّماء باتساعها، فلم يعد مكتفياً بالأرض وطناً ومكاناً له، فيقول في إشارة إلى رفضه للواقع:

أَنَا الشَّاعِرُ ابْنُ السَّمَاءِ «أَنَا»
رَسُولُ الْبَيَانِ وَرَبُّ الْحِكْمِ
هَبْطْتُ لِأَشْدُو بِوَحْيِ الْجَمَالِ
وَأُنَشِّرَ مِنْ سِرِّهِ مَا اكْتَتَمَ^(١)

لعلَّ الوطن الواسع غير المقيّد بحدودٍ جغرافيّةٍ يساوي الحرية في فكر الشاعر الكويتي، ومضموناً تقوم عليه روحه الشعريّة التّوّافّة إلى الانعتاق في فَلَكٍ أرحب من واقعه، فكان الظفر به حُلماً يراود الشعراء بعامة والمصلحين منهم بخاصّة. ويرى الشاعر الأيُّوبي أنَّ الأرض باتّساعها لا تكفيه منزلاً، بل إنّ منزله في تلك السماء الواسعة، فيقول على لسان روحه التي كان يخاطبها في ثايا قصيدته:

فَلَيْسَتْ الْأَرْضُ لِي دَارًا وَلَوْ حَفَلَتْ
بِمَا أُحِبُّ، وَلَا فِي أَهْلِهَا أَرْبِي
هُنَاكَ فِي الْفَلَكَ السَّامِي هَوَى وَسَنِي
أَظِلُّ بَيْنَهُمَا مَوْصُولَةَ النَّسَبِ^(٢)

من الملاحظ أنَّ مفهوم الوطن قد اتَّخذ منحى بعيداً عن الواقع لدى الشعراء الكويتيين، في حلمهم بوطنٍ أوسع فضاءً من الذي يعيشون فيه؛ إذ إنّ حالة الرِّفض

(١) «أنا» في عروض الشطر الأوّل ساقطة من الأصل، وأضيفت لإقامة الوزن.

(٢) نوريّة الرُّومي، محمود شوقي الأيُّوبي: حياته وتراثه الشعريُّ عرض ونقد، ص ٣٠٢.

التي قُوبِلَ بها الشَّاعر من أبناء وطنه، قد قابَلها هو برفضٍ لهذا الوطن، رفضاً دفعه إلى التَّشَوُّق إلى وطنٍ رسمَ ملامحه في مخيلته، وذلك ما سيَتَمُّ التَّطَرُّقُ إليه بشكلٍ أكثر تفصيلاً لاحقاً في هذه الدراسة.

ولم يخرج الشُّعراء على هذه الفكرة، أي الوطن/الحرِّيَّة، بل إنَّ فكرة الخلاص من الواقع هي التي دفعتهم إلى هذا التَّصوُّر الرَّمزِيِّ لمفهوم الوطن. فالأَيُّوبِيُّ مثلاً يرى في الصَّحراء موطنه الذي ينتمي إليه، فينظم شعره مُستدعيّاً تراث آبائه وأجداده في تلك البقاع الشاسعة، حيث الأرض فراشهم والسماء رداؤهم، فلا يتخلَّى عن انتمائه إلى الصحراء، ولا ينسلخُ عن هويَّته العربيَّة الأصيلَّة التي بدأت من هذه الصحاري، فيقول:

إِنِّي الْفَتَى مِنْ سَاكِنِي الصَّحْرَاءِ
الرَّمْلُ مَهْدِي وَالسَّمَاءُ رِدَائِي
وَمَسَاكِنِي سُودُ الْخِيَامِ وَإِنَّهَا
أَسْمَى لِنَفْسِي مِنْ جَمَى الْجَوَازِ
إِنِّي قَنِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ بِفِكْرَةِ الْـ
حُرِّيَّةِ الْغُرَاءِ فِي الْبَيْدَاءِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ حُرّاً فَذَلِكَ حَظُّهُ
سَجُنُ الْحَيَاةِ بِمَجْمَعِ الْأَخْيَاءِ^(١)

والشاعرُ فهد العسكر المتمرّد على الواقع يوافق معاصره الأَيُّوبِيَّ في منطقه ورؤيته للوطن/الحرِّيَّة، فيرى الوطن في الصحراء التي لا يُعكِّرُ صَفو تفكيره فيها أحد، ولا يقيّدُ لسانه أو قلمه فيها أيُّ تقليدٍ أو عُرف، فيقول:

(١) مجلَّة البعثة، السنة السادسة، ١٩٥٢، العدد ٣، ص ١١٥.

فَيَا وَطَنِي، وَالْحُرُّ فِيكَ مُعَذَّبٌ

غَرِيبٌ، فَفِي الْفَيْحَاءِ لِلْحُرِّ مَيْدَانٌ^(١)

ولعلَّ اختيار الشاعر لهذا الوطن الرمزيَّ يعود إلى زهده في المجتمع الكويتيَّ الذي قيَّدَ حُرِّيَّتَه الشخصيةً، فولَّد لديه طموحًا في وطنٍ يعيش فيه وحده من دون أيِّ حدودٍ أو قيود. فكان الوطن عنده رمزيًّا وفلسفيًّا بعيدًا عن حدود المدينة أو المجتمع. بحيث دعا بعض الشعراء، كالأيُّوبي، إلى الابتعاد بالخيال إلى مناطق تنتهي معها مسيرة حياته، فيرى في الخلاص راحةً أبديةً لم ينعم بها في وطنه الذي يعيش فيه، فيقول شاكياً:

سَيِّمْتُ الْعَيْشَ وَالْدُّنْيَا

وَعِيفْتُ الْأَهْلَ وَالْوَطَنَا

وَرَأَقَ لِي الرَّدَى كَأَسَا

وَجَوُفُ الْقَبْرِ لِي سَكَنًا^(٢)

وقد توافقت رؤية الأيُّوبي مع رؤية الشاعر صقر الشبيب، فكلاهما يملُّ المقام في الوطن حين يشعر فيه بالغرابة، فينشدان وطنًا لا ظلم فيه، وطنًا يُورق الحبُّ فيه، وكلاهما ضاق ذرعًا بالمجتمع الذي يقيّد حُرِّيَّتَهُمَا. فنظم الشبيب في هذا الشأن باحثًا عن طريق الخلاص بعد يأسه من الوطن وقاطنيه:

نَبَذْتُ النَّاسَ ظَهْرِيًّا وَرَائِي

وَنَادَيْتُ الْمَنُونِ أَلَا فَزُورِي^(٣)

(١) مجلة البعثة، السنة الثامنة، ١٩٥٤، العدد ٢، ص ١١٧.

(٢) مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أحمد مشاري العدوان: الأعمال الشعرية الكاملة، ط ١، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ١٩٩٦، ص ١٤٢. وانظر: مجلة البعثة، ١٩٤٩، العدد ٦، ص ١٨٢. [غلط الشاعر في تعديته الفعل «رَأَقَ» بالحرف -خلافًا للصواب: «راقني»- لكي يستقيم الوزن لديه على مجزوء البحر الوافر].

(٣) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٩٥.

ويبقى موضوع الوطن الرمزيّ الذي تناوله الشعراء الكويتيون موضوعاً واسعاً، تناوله الشعراء في عدّة أماكن، حيث اعتمدوا الوطن الرمزيّ في قصائدهم التي مجّدوا فيها الوطن وفخروا به؛ فشَبَّهوا الوطن تارةً بالأب وتارةً بالأُم وطوراً بالحبّية، كما استعانوا بالرمز للدلالة على الوطن في قصائدهم التي عبّرت عن رفضهم لبعض مفاهيم الوطن، فتارةً يصوِّره سجنًا، وتارةً يصوِّره قفراً. وكلُّ ذلك سيرد في المبحث التالي.

إنَّ تعدّد مفاهيم الوطن في الشعر العربي في الكويت مرتبط بتنوّع مشارب الشعراء الثقافيّة، بين أخذٍ من المفهوم القديم للوطن، وناهلٍ من المفاهيم الحديثة له. ولم تنحصر القصائد الوطنيّة في شاعر دون غيره، بل إنّه وردَ عند الشعراء جميعاً، بحيث لا يخلو ديوان شاعرٍ كويتيٍّ من وطنيّة واضحة، وتغنٍّ بالوطن بشكل مباشر أو غير مباشر. بيد أن تناول الشعراء للوطن كان متنوّعاً بينهم، بتنوّع مفاهيم الوطن؛ فتارةً هو مكانُ الأهل والأحبّة، وتارةً هو مسقطُ الرأس والمنشأ، وفي أحيانٍ كثيرةٍ هو الوطن بمفهومه السياديّ الجغرافيّ المعاصر، وحملَ تارةً أخرى بُعداً اجتماعياً رمزياً، تمثّل في حلم الشاعر بوطنٍ قائم على العدالة لا ظلّم فيه.

بيد أن عدداً من الشعراء رفضوا الوطن، ورغبوا عن الإقامة فيه، في مقابل آخرين تغنّوا بالوطن وأشادوا به. ومن هنا كان لا بدّ لنا من تناول مفاهيم الوطن بشيءٍ من التفصيل، حيث إنّ معرفة هذه المفاهيم ضرورة يقوم عليها المبحث التالي «الوطن بين الرفض والقبول»، فهل كان رفض الشعراء للوطن بعامّة، بكلِّ مفاهيمه، أو كان الرفض لبعض مفاهيم هذا الوطن، أو رفض الشعراء بعض مفاهيمه، وأيدوه وفخروا به في مفاهيم أخرى؟ هذا ما سنقف عليه في ما يأتي، للإحاطة بالإجابات عن إشكاليات الرفض والقبول على قدر الإمكان.

ثانياً: الوطن بين الرّفْض والقَبول

إنَّ تباين الأغراض الشعريّة الوطنيّة في ديوان الشعر الكويتيّ في النصف الأوّل من القرن العشرين؛ بين الرّغبة في الابتعاد عن الكويت والهجرة منها إلى أيّ دولة أخرى، وإلقاء الكثير من اللوم على الوطن الذي لم يستطع ضمّ جميع أبنائه تحت جناحه، والشكوى من الواقع والمجتمع والمتزمتين، وبين تمجيد الوطن والفخر والإشادة به، والتغزّل بالكثير من سماته، والاعتناء بتصويره وتشبيهه وإسباغ أبهى الألوان البديعيّة على التراكيب التي تضمّنته، قد أوجد في الشعر العربي في الكويت تيّارين مُتوازيين: الأوّل رفض الوطن والرغبة عنه، والثاني قبول الوطن والفخر به، وكلاهما يستوجب إلقاء الضوء على هذين التيّارين.

يشغلُ الوطن حيّزاً إيجابياً واسعاً في فكر عدد من الشعراء الكويتيّين، وتخزن أفئدتهم وطنيّة برزت في تشوّقهم وحنينهم وانتمائهم إلى وطنهم الكويت في أثناء غربتهم وانفصالهم المكانيّ عنه. وفي المقابل عبقت القصائد الوطنيّة التي نظمها الشعراء وهم في أحضان وطنهم بأساليب متعدّدة من الفخر والتّمجيد والتّغنيّ به. بيدَ أنّ هذا الفخر لم يكن منفصلاً عن معاناة الشّاعر في وطنه، بل جاء ممزوجاً بالألم والعنف والحقْد على الواقع حتّى في القصيدة الواحدة.

أ - رفض الوطن والرغبة عنه

بداية نقف على أسباب رفض الشاعر الكويتيّ للوطن، مستندين إلى النماذج الشعريّة التي تؤكّد أو تدحض هذا الرفض.

١ - أسباب رفض الوطن

من الملاحظ في الشعر الوطنيّ تغلُّل الشكوى والرّفْض بشكل كبير، ولعلّ سبب ذلك أنّ الشعور بالانتماء إلى الوطن لا ينمو ولا يتعمّق إلا في ظلّ استقرارٍ سياسيٍّ

أَوَّلًا، وهو الأرضيّة الثابتة للبناء الإيجابي على الدوام. فالوطن لم يكن يُرْفَضُ لذاته أو لماهيته، وإن رُفِضَ فهذا لا يعتبر دليلًا على ضعف وطنيّة الفرد الناقد أو الشاكي منه، لأنّ الوطن في مفهومه المعاصر يمثّل -في جزءٍ كبيرٍ منه- المجتمع وأفراده المقيمين على أرضه، ولعلّ الفرد الواعي في المجتمع هو الأكثر نقدًا لما يدور من حوله، ولذا سيكون هو المتمرّد الصّريح الذي لن يحظى بالقرب والودّ من ساسة المجتمع وعامّته، كما سنرى ذلك في أبرز أسباب رفض الوطن عند الشاعر الكويتي التي كانت كالتالي:

١ - المواجهات الفكرية بين فئة الأدباء المصلحين وفئة المتمرّتين: وقد تجلّت في نبذ بعض أطباف المجتمع الكويتي لكلّ حرّ صريح القول متمرّدٍ على الواقع، ومن ذلك قول الشبيب في قصيدته التي وجهها إلى الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي^(١)، مُتحدّثًا عن نفسه والكويت:

قَلْبُ الْكُوَيْتِ مِنَ الشَّرَاسَةِ مُفَعَّمٌ

لَكِنْ عَلَى مِثْلِي مِنَ الْأَدْبَاءِ^(٢)

وقوله في مكان آخر مبيّنًا أنّ صراحة قوله كانت السبب في نبذه من بعض الفئات المتعصّبة في مجتمعه:

إِنْ كَانَ ذَنْبِي عَنْدَهُمْ صَرَاحَتِي

فَلَنْ يَرَانِي الْقَوْمُ إِلَّا مُذْنِبًا^(٣)

(١) عبدالعزيز الثعالبي: زعيم تونسيّ سياسيّ ودينيّ، ولد في تونس عام ١٨٧٦، وتوفّي عام ١٩٤٤، يعتبر من القليلين الذين زاوجوا بين السياسة والدين، وبين المحلي والإقليميّ والعالميّ في عملهم: للتّخلص من الاستعمار وظلمه، والرفعة بالمجتمع والرقّيّ به في الوقت نفسه. فقد كان في تونس قُطْبًا ومناضلًا بارزًا للاحتلال الفرنسيّ أوّلًا، ومناهضًا لأعداء الدين الإسلاميّ ثانيًا، وهذا جعله عرضة للنفي والترحال في سبيل دعوته ومبادئه. انظر: عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٣، ص ٨٣٧.

(٢) أحمد البشر الرّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٨٦.

(٣) م، ن، ص ٢١٧.

هذا مع علم الشاعر أنَّ شَكْوَاهُ لَنْ تَعُودَ عَلَيْهِ إِلَّا بِالشَّئِيمَةِ مِنَ النَّاسِ، وَالنَّبْدِ
مِنَ الْمُجْتَمَعِ، لَكِنَّهُ يُصِرُّ عَلَى سُلُوكِ هَذَا الطَّرِيقِ، فَيَقُولُ:

أَنَا أَدْرِي أَنَّ الشُّكِّيَّةَ مِنْهَا
لَيْسَ إِلَّا شَمَاتُهُمْ أَسْتَفِيدُ^(١)

وإلى ذلك أشار عبدالمحسن الرشيد؛ أنَّ التَّمَرُّدَ عَلَى الْوَاقِعِ الَّذِي يُمَثِّلُ فِي
جَزءٍ كَبِيرٍ مِنْهُ رَفْضًا لِلْوَطَنِ، لَا يُوْرِثُ صَاحِبَهُ إِلَّا الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ:

مَا فِي التَّمَرُّدِ مِنْ جَدْوَى لِصَاحِبِهِ
سَوَى اخْتِوَاءٍ بَنِيرَانِ الْعِدَاوَاتِ^(٢)

كما كان انتشار الجهل وعدم العناية بالعلم، والتكبير الفكري الذي تعرَّضَ له
بعض الشعراء من بعض فئات المجتمع الكويتي، سبباً رئيساً لإرساخ فكرة الرفض
عند الشعراء، ومن ذلك ما نظمهُ الشاعر حَجِّي بن جَاسِم آل حَجِّي^(٣):

وَأَمَّا بِبِلَادِي فَإِنْ أَهْجُهَا
فَإِنْ بِبِلَادِي مَحَلُّ الْهَجَا
يَهَابُ بِهَا الْحُرُّ جُهَاْلَهَا
وَيَشْقَى بِهَا كُلُّ سَامِي جَبَا^(٤)

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّيْب، ص ٢٦٧.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤، ص ٤٣.

(٣) حَجِّي بن جَاسِم بن مُحَمَّد الحَجِّي الأملح (١٩٠٣-١٩٧٤)، ولد في الكويت، وعاش فيها، وتنقَّلَ بينها وبين
البحرين، والسعودية، ودبي، ثُمَّ لَبَنَانَ الَّتِي تُوَفِّي فِيهَا. تَلَقَّى عُلُومَهُ فِي مَدْرَسَةِ الْمُلا زَكْرِيَّا الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ فِي
الْمَدْرَسَةِ الْمُبَارَكِيَّةِ. وَعَمِلَ لَاحِقًا مَدْرَسًا فِي الْمَدْرَسَةِ الْمُبَارَكِيَّةِ، كَمَا دَرَّسَ فِي مَدْرَسَةِ الْعَامِرِيَّةِ، ثُمَّ فِي الْمَدْرَسَةِ
الْأَحْمَدِيَّةِ. كَانَ عَضْوًا فِي النَّادِي الْأَدَبِيِّ فِي الْكُوَيْتِ عَامَ ١٩٢٣، ثُمَّ عَضْوًا فِي لَجْنَةِ الْخَلَائِفَاتِ الْعَقَارِيَّةِ. لَهُ
قِصَائِدٌ مَنَشُورَةٌ فِي عِدَّةٍ مَصَادِرَ، وَلَهُ مَقَالَاتٌ نَشَرَتْهَا صَحَفُ عَصْرِهِ. انْظُرْ: مَعْجَمُ الْبَابُطِينَ لَشُعْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ
فِي الْقَرْنَيْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ وَالْعِشْرِينَ، ج ٦، ص ٢٠٢.

(٤) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، [طبعة منقَّحة، وضع حواشيها وأشرف على تنسيقها: يعقوب عبدالعزيز
الرشيد]، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨، ص ٤٠١.

وَيُلْقِي الشاعِر العَسْكَر باللوم على المتعصِّبين فكراً، إذ ضَيَّقُوا على أهل
الكويت الأحرار معيشتهم، وحاربوا كلَّ فكرة إصلاح جديدة، مبيِّناً الفرق بين
الشاعر الفصيح المنفتح، والآخر المتعصِّب لرأيه، فيقول مشبِّهاً ومقارناً:

وَطَنِي! وَكَيْفَ يَعِيشُ مِثْلِي بُلْبُلٌ

مَا بَيْنَ ثُعْبَانٍ يَفْحُ وَضِفْدَعٍ^(١)

فالشاعر يَصِفُ نفسه بالبلبل، الشجِّي الصَّوت الذي يُطْرِب المِسماع ويُعِش
الأرواح، وفي المقابل يَصِفُ غريمه بالثُعْبَان وفحيحه المستكْر الذي يُنْبِي عن خطرٍ
حقيقيٍّ يتعلَّق بهذا الصَّوت يكون لاحقاً له، ليكون بذلك قد حدَّد الصَّنْف الأول من
هؤلاء المتعصِّبين، وبالضَّفدع الذي لا يملك إلا الصوت النَّشاز إيذاءً، ليكون هذا
هو النَّوع الآخر منهم. كما أنَّ الشاعر يركِّز على صفة الإيذاء بالصَّوت/اللسان،
في نقده لهم حيث يستعينون بسجع قولهم في غسل أدمغة عامَّة الناس وتأنيبهم
على مُصلحيهم، حتَّى يصل الأمر بالناس إلى عدم قدرتهم على استيعاب أيِّ فكرةٍ
إصلاحية، وليكون الشعر حينها أقلَّ المحرِّضات الثقافية تأثيراً فيهم، كما عبَّر عن
ذلك الشاعر عبدالمحسن الرشيد في قوله:

لَمَّا تَجِدُ أَذُنًا فِي الْقَوْمِ صَاغِيَةً

كَأَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ آذَانٍ^(٢)

بينما يَصِفُ العسكر في مكانٍ آخر المتعصِّبين بالغربان الناعقة، ليجعل نعيقها
صفةً للصَّوت النَّشاز مُلازمةً لهم، فيقول:

وَالْبُلْبُلُ الْغَرِيْدُ يَهْوِي

وَالْغُرَابُ عَلَى الْغُصُونِ^(٣)

(١) عبدالله زكريَّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٣٧. انظر: خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في
قرنين، ج ٢، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ١٠٧.

(٣) عبدالله زكريَّا الأنصاري، م، س، ص ١٢٨.

ويوافقه الشاعر عبدالمحسن الرشيد في قوله:

شَدَوْتُ، لَوْ أَنَّ قَوْمِي كَانَ يُطْرِبُهُمْ

شَدَوُ الْبَلَابِلِ لَا تَنْعَابُ غَرْبَانَ^(١)

وتشبيههما الشاعر بطائر البلبل يتوافق معنوياً مع الشاعر الشبيب الذي قال:

فَكَأَنَّ الْكُوَيْتَ مَا دُمْتُ فِيهَا

قَفَصُ فِيهِ بُلْبُلٌ غَرِيْدُ^(٢)

وَيَرِدُ هذا المعنى أيضاً عند الشاعر عبدالمحسن الرشيد الذي يكتفي بالاستعارة المكنية، فيتخلّى عن البلبل، ويأتي ببعض صفاته (صوته)، لِيَسْمِيَ الشاعرَ بِالْغَرِيْدِ، وَيَبَيِّنُ كَيْفَ أَنَّ هذه الحال التي وصلت إليها الكويت؛ مِنْ تضييق على الشعراء والأدباء والأصوات الحرّة المناذية بالإصلاح، لَا تُبْقِي مجالاً لِلصَّبْرِ، حَتَّى يَضِيقَ عنها الصَّدْر، فيدعو نفسه إلى الرحيل عن هذا الوطن، في رفض صريح لمفهوم الوطن الجغرافي، فيقول:

وإِنِّي فِي الْكُوَيْتِ غَرِيبٌ دَارٍ

وَهَلْ فِي الْقَفْرِ لِلْغَرِيْدِ وَكْرٌ؟

أَلَمْ تَرْنِي بِهَا أَحْيَا مُضَاعَاً

بِحَالٍ لَا يَطِيبُ عَلَيْهِ صَبْرٌ

قَبَرْتُ مَوَاهِبِي فِيهَا بِمَكْثِي

وَرُبُّ مَوَاطِنٍ لِلْفَخْرِ قَبْرُ^(٣)

ووصل الأمر ببعض الشعراء إلى شتم الكويت وساكنيها، ورغبته عن الإقامة

فيها، وَمَمَّنْ صرَّحَ بذلك الشاعر عبداللطيف النصف في قوله:

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ١٠٧.

(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٢٧٢.

(٣) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٨٩.

وَيْحَ الْكُوَيْتِ وَوَيْحَ السَّاكِنِينَ بِهَا
إِنْ لَمْ يُثِيرُوا وَيَنْضُوا مِنْهُمْ الْهَمَّ
رَاحَ الْأَدِيبُ بِهَا حَيْرَانٌ مُضْطَهَدًا
وَيْلُ امَّهَا، وَغَدَا ذُو الْجَهْلِ مُحْتَرَمًا^(١)

فإذا كان الشعر هو وسيلة الفرد للترويح عن نفسه والتعبير عن معاناته، فإن حرمانه هذا الحق البسيط في التعبير هو حرمان آخر فرصة لتقبل الوطن برموزه.

٢ - الغلو الديني الدخيل على المجتمع الكويتي: إن الملاحظ من استقرار النماذج الشعرية، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في الكويت، تركيز الشعراء على فئة اتسمت بالغلو حاولت زعزعة المجتمع الكويتي، حتى غدا فكرهم تياراً يباري التيار الإصلاحي، ويرى أتباعه في الشاعر الناقد مُصلحاً يجب الحذر منه، وهؤلاء الأتباع هم من وصفهم الشعراء بالجهلة الذين لا يؤمنون بالعلم وسيلةً لنهضة المجتمع والدولة. وذكر المؤرخ عبدالعزيز الرشيد غلو الشيخ عبدالعزيز صالح العليجي^(٢) وتعصبه، فكتب: «تكون الكويت آمنة مطمئنة، وما هو إلا أن تطأ قدمه أرضها، حتى يُنكر الابن على أبيه، والأخ على أخيه، وينشر من زيفه وضلاله ما يضج الدين منه. وحكم بعضهم - من جرأ تعاليمهم - بكفر الأستاذ السيد الكبير رشيد رضا واستحلال دمه، حتى حاول أحدهم قتله في السنة التي زار فيها الكويت»^(٣).

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ١، ص ٢٦٠.

(٢) عبدالعزيز بن صالح بن أحمد بن عبدالله العليجي الخالدي (١٨٧٢-١٩٤٣)، ولد في محلة الرفعة بالهفوف شرقي الجزيرة العربية، عاش حياته في المملكة العربية السعودية متنقلاً للتجارة، حفظ القرآن الكريم، وتعلم الكتابة والقراءة ومبادئ العربية والفقه، واشتغل في التجارة بين الكويت والأحساء، ولكنه تركها واتجه إلى طلب العلم، فأخذ عن عدد كبير من علماء الأحساء. مدح الملك عبدالعزيز آل سعود، والأمير عبدالله بن جلوي، والشيخ عيسى بن علي آل خليفة. له قصائد في التهئة والمدح ومراسلة معاصريه. من مؤلفاته: «فقه العبادات على المذهب المالكي»، و«مباسم الغواني في تقريب عزية الزنجاني». انظر، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١١، ص ٢٣٨.

(٣) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٢٧٧.

وربط بعض الشعراء الجهل بالمتشددین المعممين^(١) إذ رأوا فيهم سبباً لانحدار المجتمع وعدم تقدم الدولة، وأن انتشار الجهل والتخلف مرتبط بوجودهم في المجتمع الكويتي، وعائقاً أمام دعوات العلم والنهضة، فيقول الشبيب:

أَنْنَعَمْ فِي الْكُوَيْتِ وَنَحْنُ فِيهِ
غِرَاقٌ تَحْتَ سِكَينِ الْجَهَالَةِ؟
تُفَرِّقُنَا الْجَهَالَةُ كَيْفَ شَاءَتْ
وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ بِنَا الْبَطَالَةَ
يُرْزِقُ بَعْضُنَا بَعْضًا سَفَاهًا
مُطِيعِينَ الْعَمَائِمَ فِي الضَّلَالَةِ^(٢)

يُلاحظ أن الجهل والتكبير الفكري ومعاداة الشعراء المصلحين، أسباب غير منفصلة عن التيار المغالي، بل يرى الشاعر الكويتي في أتباع هذا التيار سبباً رئيساً لانحدار الثقافة وانتشار الجهل العلمي والتشويش الديني على السواء، ومن هنا جاء نقد الشعراء للفئات المتعصبة، فنددوا بهم وانتقدوا تخفيهم بعباءة الإسلام. ومن أبرز الشعراء الذين عانوا من مثالب هذه الفئة، الشاعر صقر الشبيب الذي انتهز فرصة زيارة الثعالبي الكويت ليشكو إليه حال الكويت المتردية إثر تحكمهم فيها، وقد قلبوا مقاصد الدين النبيلة لسياساتهم الخاصة ومآربهم الشخصية التي كانت سبباً للفرقة التي سادت الكويت، فيقول في قصيدته «عَفْوًا وَصَفْحًا»^(٣):

(١) المعمم: اسم مفعول من الفعل عَمَّمَ: عَمَّمَهُ: ألبسه العِمَامَةَ، وهو كناية عن لباس رجال الدين المغالين المخصوصين بالنقد.

(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٦٣١.

(٣) لم يتمكن الشاعر صقر الشبيب من حضور الحفل الذي أقيم للزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي في زيارته الأولى إلى الكويت، وعندما زار الثعالبي الكويت مرة ثانية أقيم له حفل تكريمي في مدرسة السعادة، فنظم الشبيب هذه القصيدة، وألقاها نيابة عنه الشاعر عبد اللطيف النصف في هذا الحفل. انظر: م، ن، ص ٤٢٨.

هَلْ فِي صَحِيحِ الدِّينِ مَا يَدْعُو إِلَى
مُزْدِي التَّفَرُّقِ وَالتَّعَادِي الْمُتَعَسِّ؟
كَأَلَّا وَلَكِنْ نَاصَبُوهَا كَفَّةً
عَكَسُوهُ عَمْدًا وَيَلَهُمْ مِنْ عَكْسِ
مَا زَالَ مِنْهُمْ فِي الْكُوَيْتِ مُوسُوسُ
يَدْعُو إِلَى التَّفْرِيقِ إِنَّزِ مُوسُوسِ^(١)

ويرى الشَّيْبِ أَنْ «أصحاب العمائم» سبَّ رئيسَ لنُبذ الشاعر لوطنه، ولرغبته
في الرحيل عنه، فقال:

وَأَنْ تَجْفُو الرِّجَالُ مُوَاطِنِيهَا
وَتُشْهَرَمَنْ تُخَالِفُهَا نِصَالَهُ
وَيَلْعَنَ بَعْضُنَا بَعْضًا لِأَمْرِ
عَلَيْنَا مَكْرُكُمُ فَرَضَ امْتِثَالَهُ^(٢)

فحتَّى لو بدا رفض الشاعر متعلِّقاً ببعض فئات المجتمع الكويتي، وليس رفضاً
لكلِّ مفاهيم الوطن، فإنَّ هذا المجتمع الذي بات مرفوضاً عند شعرائه شكَّل في
حقيقة الأمر النواة الأساسيّة لرفض الوطن فيما بعد، حيث ألجأ المجتمعُ الشاعرَ
إلى التزام بيته والإقامة فيه، إلا أنَّ هذا الاعتكاف لم يكن ليخلص الشاعر من
مأساة نقده والاعتراض على أفكاره ومنهجه في الحياة، فجُوبِهَ بفتنةٍ لصيقة به لا
تقلُّ تعصُّباً عن المجتمع الذي خرج منه، ألا وهي أسرته وأهله وذوئهِ، وذلك أرسخ
لديه فكرة رفض أكثر من مفهوم للوطن، مجتمِعاً وأسرة وأرضاً.

٣ - محاربة أسرة الشاعر لأفكاره الإصلاحية: تولدت حالة رفض الوطن عند
بعض الشعراء من رفضهم لوطنهم الرمزيِّ الأوَّل المتمثِّل في الأسرة، فأفقدتهم

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّيْبِ، ص ٤٣١.

(٢) م، ص ٦٣٢.

الثقة بالوطن الجغرافي السيادي المتمثل في الكويت، ويتضح ذلك جلياً في قصيدة للشاعر فهد العسكر عنوانها «شَهِيقٌ وَزَفِيرٌ» نظمها عام ١٩٤٦ مخاطباً والدته وطالبا إليها أن تكف عن توجيه اللوم إليه؛ فهو لم يعد قادراً على تحمُّله، ولا على تقبُّل الانتقاد من أسرته التي قست عليه أشدَّ القسوة فطرده من رحمة العيش في كنفها، ولا من مجتمعه الذي اتهمه بالكفر والمجون، لمجرد أنه رفض الصَّمت ورفع صوته عالياً في الدِّفاع عن آرائه ومُعتقداته، وعن الأحرار من بني وطنه ممَّن عانوا الحرمان والبؤس، بل السجن أحياناً في وطن يتمتّع فيه الآخرون بكلِّ شيء، فيقول:

كُفِّي الْمَلَامَ وَعَلَّيْنِي
فَالشُّكُّ أَوْدَى بِالْيَقِينِ
وَتَنَاهَبْتُ كَبِدِي الشُّجُو
نُ فَمَنْ مُجِيرِي مِنْ شُجُونِي؟
وَأَمْضُنِي الدَّاءَ الْعَيَا
ءُ فَمَنْ مُغِيثِي؟ مَنْ مُعِينِي؟
أَيُّنَ الَّتِي خَلَقْتَ لِتَهْ
ـوَانِي وَبَاتَتْ تَجْتَوِينِي؟
اللَّهُ يَا أُمَّاهُ فَيَا
ـيَ تَرْفُقِي لَا تَغْزِلِينِي
أَزْهَقْتَ رُوحِي بِالْعَتَا
بِ فَأَمْسِكِيهِ أَوْ ذَرِينِي
أَنَا شَاعِرٌ، أَنَا بَائِسٌ،
أَنَا مُسْتَهَامٌ، فَأَغْذِرِينِي^(١)

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٣٩.

لم يقف الشاعر عند حدّ العتاب الموجّه إلى والدته، بل كان عتابه مقدّمةً
لعتاب الوطن والشكوى منه، وسبباً لرفضه هذا الوطن، فنراه في أبيات لاحقة
يشدّد على رفضه لوطنه، فيقول:

ضَاقَتْ بِي الدُّنْيَا دَعِي—
نِي أَنْدُبُ الْمَاضِي دَعِينِي
وَأَنَا السَّجِينُ بِعُقْرِ دَا
رِي فَاسْمَعِي شَكْوَى السَّجِينِ
بِهْ زَالِ جِسْمِي بِاضْفِرَا
رِي بِالتَّجْعُدِ بِالْغُضُونِ
وَطَنِي! وَمَا أَقْسَى الْحَيَا
ةَ بِهِ عَلَى الْحُرِّ الْأَمِينِ^(١)

ويمتزج النبذ الذي يُقَابَلُ به الشاعر المصلح بالحال المتردّية التي يعيشها، أو
بالمهموم المتكدّسة في صدره، فلم تكن الأسباب الفكرية والنزعات التحرّرية أسباباً
وحيدة أسهمت في رفض الشاعر للوطن، بل اقترن هذا الرفض عند بعض الشعراء
بحالتهم المعيشية المتردّية.

٤ - الْفَقْرُ وَضَنْكُ مَعِيشَةِ الشَّاعِر: ومن أمثلة ذلك ما نظمه الشاعر الشَّيْب
في أكثر من مكانٍ رافضاً للوطن بشكلٍ صريح، ومبيّناً أنَّ سبب رفضه يكمن في
عدم حصوله على مبتغاه:

كَأَنِّي فِي الْكُوَيْتِ عَلَى رَوَاهَا
سَكَنْتُ مَفَازَةً حُفَّتْ بِبَيْدِ

(١) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره.

شَكَوْتُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ بَنِيهَا
بِأَشْعَارِي مِنَ الْبُؤْسِ الشَّدِيدِ
وَلَوْ أَنِّي حَصَلْتُ عَلَى بَلَاغِي
لَمَا أَعْمَلْتُ بِالشُّكْوَى قَصِيدِي^(١)

وتكثر الشواهد الشعرية عند الشبيب في هذا الشأن، ويزخر ديوانه الشعري بالقصائد التي تصوّر حاجته المستمرة إلى المعونات المادية من أصحاب المال أو الجاه أو السلطان. ولعلّ هذه الحال كانت السبب الرئيس لرغبة الشبيب في الهجرة إلى بلد آخر غير الكويت، ليتّحد في هذه الرغبة مع بعض معاصريه من الشعراء، فإن تعددت أسباب رفضهم فطبيعة هذا الرفض كانت متقاربة، وطرائق خلاصهم من معاناتهم كانت متوازية ومتشابهة.

ومن النماذج التي تمّ عرضها، نجد أنّ الأسباب الرئيسة لرفض الوطن من شعرائه المقيمين على أرضه، تختصر في تقييد حرية الشعراء في التعبير؛ وهي «حقّ ديمقراطيّ يضمن حرية المواطن في التعبير عن رأيه في كلّ الأمور العامة، من دون التعرّض لأيّ عقاب، وهو مضمون شكلياً في أكثر الدول الديمقراطية البرجوازية، وإن كانت هذه الحرية محصورة فعلياً في الطبقات المسيطرة وأجهزتها المتعددة»^(٢). هذا فضلاً عن المواجهات الفكرية بين الدّاعين إلى الإصلاح من جهة، والرّافضين له انطلاقاً من فكر تكفيريّ من جهة مقابلة، وحجم المعاناة التي نتجت من تلك المواجهات، من انتشار للجهل والتخلف، ومحاربة كلّ ذي رأي إصلاحيّ نهضويّ، ممّا ألزم الشعراء منازلهم، وأكسبهم عداوة المتعصبين والمشايعين لهم.

(١) أحمد البشر الرّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٠٢.

(٢) عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ٢٤٧.

٢ - طبيعة الرفض وطرائق الخلاص منه

بعد اجتماع الأسباب التي أحوجت الشعراء إلى رفض واقعهم الذي يعمُّه الجهل ويتحكّم في بعض عامّته المتعصّبون، فضلاً عن الحالة المتردّية التي دفعت بعضهم إلى نبذ الوطن حتّى يتغيّر مضمونه، جاءت قصائد الشعراء مشبعة بالرفض والإحساس بالغربة الداخلية في أحضان وطنهم الكويت.

ولأنّ الشاعر فردٌ في مجتمعه، كان مخيّرًا بين أمرين: إمّا التعايش مع هذا المجتمع، أو رفضه والانسلاخ عنه؛ ليتولّد هذا الرفض لمبدأ الوطن - في بعض جوانبه، السياسيّة حيناً، والاجتماعيّة والدينيّة أحياناً كثيرة- من تلك الغربة الداخليّة التي تدعو الشاعر للتشوّق إلى وطن يحلم به، غير وطنه المكانيّ، معبراً عن مرارة غربته رغم اتّصاله بالمكان، مرارة صوّرها عبد الجليل الطبطبائيّ رغم إقامته في وطنه، بيد أنّهُ استوحش مقامه فيه، فسافر في مخيلته للبحث عن موطنٍ جديد، موطنٍ يختلف فيه الواقع عما يعيشه:

غَرِيبٌ وَلَكِنْ بَيْنَ أَهْلِي وَجِيزَتِي

وَمُسْتَوْحِشٌ مَا بَيْنَ خِلِّي وَأَصْحَابِي^(١)

ملامح رفضٍ للوطن، لكنّها لم تصل إلى حدّ التصريح به، مرتبطة بنقمة الشاعر على جزءٍ من هذا الوطن. والملاحظ أنّ صور الشكوى للوطن أو منه مقترنةً بالاتّصال المكانيّ والزمنيّ بين الشاعر ووطنه، اقتراحاً كان السبب في نشأة غربة داخلية ممزوجة بالهجوم على الواقع ورموزه.

ونتيجة القمع الاجتماعيّ الذي عاناه الشعراء الكويتيّون في وطنهم، فقد ازدادت مطالباتهم بالهجرة عن أرض الكويت؛ إذ أصبحوا يرون فيها مكاناً لا يصلح لإقامة ذوي الفكر الإصلاحيّ، أو أصحاب قضايا التنمية الثقافيّة. ومن أمثلة ذلك ما نظمه صقر الشبيب الذي وصل به الأمر حدّ أن يتمنّى مغادرة وطنه إلى

(١) عبد الجليل الطبطبائيّ، روض الخلّ والخليل، ط٣، دمشق: منشورات المكتب الإسلامي، لا تا، ص ١٧.

بلدٍ آخر، علَّه يجد فيه ما يزيل عنه بعض ما يجد من بلاء، فوجَّه قصيدته «لا تتسَّ صقراً»^(١) إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد الذي كان آنذاك في جزيرة البحرين المملكة، مناشداً:

فَلَيْتَكَ إِذْ رَحَلْتَ إِلَى «أَوَالٍ»
جَذَبْتَ إِلَيْكَ مِنْ صَقَرٍ زَمَامَهُ
فَمُنِّيَّتُهُ التَّرْحُلُ عَنْ بِلَادٍ
بِهَا مَشَقَّاهُ لَمْ يُغْمِدْ حُسَامَهُ^(٢)

ويقول الشبيب في قصيدةٍ أخرى شارحاً حاله، وعدم قدرته على العيش في الكويت، عائداً في الزمن إلى الوراء، لينفي عن نفسه طيب العيش فيها منذ ولادته، إلَّا أنَّ القضاء الذي كُتِبَ عليه في صغره الذي حرمه بصره، قد أجبره على المكوث، ليكون بعد ذلك مُرغماً على الإقامة لا راغباً فيها، فيقول:

لَمْ يَخُلْ فِي قَوْمِي مُقَامِي سَاعَةً
لَوْ أَنَّني أَسْطِيعُ مِنْهُمْ هَرَبًا
فَإِنْ أَقَمْتُ فِي الْكُوَيْتِ مُرْغَمًا
مُضْطَّهَدًا مِنْ أَهْلِهَا مُكْتَنِبًا
أَشْكُو وَلَا مَشْكِي مِنْهُمْ فَالْقَضَا
عَلَيَّ أَنْ أَهْرُبَ مِنْهُمْ قَدْ أَبَى^(٣)

ويعود ليصور أهميَّته في قومه، وهيئات من ذلك، والقوم لم يدركوا قيمته كشاعر فحل، لينظم أبياته واثقاً بأنَّ الكثير من البُلدان العربيَّة ستستقبله وتسبغ عليه ما يستحقُّه من التكريم والتبجيل والرعاية، بعد أن قَصُرَتْ يدُ الكويت عن ذلك، فيقول:

(١) أرسلها الشاعر صقر الشبيب إلى عبدالعزيز الرشيد مؤلف كتاب «تاريخ الكويت» يوم كان في البحرين، مرفقاً معها رسالة، وذلك في عام ١٩٢٩.
(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٦٤.
(٣) م، ن، ص ٢١٧.

فَإِنْ تَضِيقَ الْكُؤَيْتُ الْيَوْمَ عَنِّي
وَمَا ضَاقَتْ بِأَمْثَالِي الدِّيَارُ
فَكَمْ بَلَدٍ لِقَوْمِي الْعُرْبِ فِيهَا
سَيَخْلُو لِي مِنَ السَّعَةِ الْقَرَارُ!
وَلَيْسَ يَمُوتُ مِنْ ظَمًا وَجُوعٍ
بِمَرْبِطِ ظَالِمٍ إِلَّا الْحِمَارُ^(١)

ولعلَّ التهديد بالرحيل عن الوطن عند الشاعر الشبيب كان أسلوباً لاستمالة المشكِّو إليه، أكثر ممَّا هو تعبيرٌ عن مدى الاستياء الذي يعانيه في المجتمع الكويتي؛ إذ إنَّه كفيف البصر، ووحيد السكن، وفقير الحال، فلذلك لم يدَّخر أسلوباً إلا اعتمده في شكواه. ومن ذلك تبيانه أنَّ الشكوى التي وصمت قصائده بشكلٍ يثير التساؤل، ليس لها علاقة بوطنيَّته وحبِّه لبلاده، لكنَّها أصبحت كما اللازمة في شعره، يبتُّ فيها حزنه وضيقه، بينما عهد المحبَّة بينه وبين وطنه باقٍ ما بقيت الحياة، فقال:

أَحَافِظُ^(٢) قَدْ أَضَاعَتْ نِيَّ بِلَادِي
عَلَى حِفْظِي لَهَا حُسْنَ الْعُهُودِ
فَمَحْمُودُ الْعُهُودِ لَدَيَّ بَاقٍ
لِغَيْرِ بَلَى بِمَنْظَرِهِ الْجَدِيدِ^(٣)

كما أنَّ عدم قدرة المجتمع على امتصاص إبداع الشعراء فيه، وعدم قدرة الشاعر على التأقلم مع مجتمعه، دعا عبدالمحسن الرشيد إلى إعادة نظم المعنى

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٣٤.

(٢) حافظ وهبة، كاتب مصريُّ الأصل، درَّس في الكويت في المدرسة المباركيَّة، قضى معظم حياته العمليَّة في دول الخليج العربي، وبشكل خاصٍّ في المملكة العربيَّة السعوديَّة. أرسل الشبيب هذه القصيدة إليه في أثناء زيارته الكويت عام ١٩٦٣.

(٣) أحمد البشر الرُّومي، م، س، ص ٣٠٤.

الذي ذهب إليه الشبيب من قبل، فيرى أن لا تقدير في الكويت للشعر والشعراء، في حين ينحصر تركيز المجتمع الكويتي، بفئتيه الحاكمة والمحكومة، في الاهتمام بالغرباء الوافدين إلى الكويت، فيقول:

وَلَوْ أَنِّي خَرَجْتُ إِلَى سِوَاهَا
لَطَارَتْ شُهْرَةٌ وَلَذَاعَ ذِكْرُ
أَلَا فَلْيَنْعَمِ الْغُرَبَاءُ فِيهَا
فَإِذَا أَخْلَافُهَا لَهُمْ تُدْرُ^(١)

ونظمه الرشيد في أكثر من مكان ومناسبة، في تأكيد رفضه جزءاً من الوطن الكويت، فيقول في قصيدته «الهزارُ السَّجين» التي نظمها في أيام سجنه في ظلِّ حُكم الأمير أحمد الجابر الصباح^(٢):

تَاللهِ مَا مِثْلِي السُّجُونُ بِنَازِلِ
لَوْ أَنَّ فِي غَيْرِ الْكُوَيْتِ قَرَارِي
وَلَكَانَ لِي غَيْرِ الْكُوَيْتِ وَأَهْلِهَا
وَطَنًا وَقَوْمًا يُكْرِمُونَ جَوَارِي^(٣)

يرى الشاعر الرشيد أنه تعرض للظلم، ولهذا رفض وطنه الذي لم يحفظ له كرامته وحقّه وحُرِّيَّته، فلجأ إلى تكرار المعنى في قصيدة أخرى له، أشار فيها

(١) يوسف بن عيسى القناعي، المنتقطات، ط٢، الكويت: مطابع الرسالة، ١٩٩٨، ص ٤٣٠. [الخُلف: الضَّرْع].
(٢) أحمد الجابر الصباح (١٨٨٥-١٩٥٠)، الحاكم العاشر للكويت، تولّى الحكم عام ١٩٢١ بعد وفاة عمّه سالم مبارك الصباح، كان رحمه الله ذكياً وحليماً ومسالماً. من أبرز الأحداث في عهده: اتفاقية العقير ١٩٢٢. قيام المجلس التشريعيّ الأوّل. افتتاح المدرسة الأحمدية. إنشاء المكتبة الأهلية. إنشاء النادي الأدبيّ. اكتشاف النفط عام ١٩٣٨. امتياز المناطق المحايدة لاستخراج النفط. البعثة العلميّة إلى العراق. امتيازات السيّارات بين الكويت والبصرة. معركة الرقعيّ. انظر: الموقع الرسميّ للديوان الأميريّ في الكويت، حُكّام الكويت. .
(٣) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٩٨-٩٩. وانظر: مجلّة البعثة، السنة الثانية، ١٩٤٨، العدد ٦، ص ١٠٥.

إلى أسباب بقاءه في وطنه وعدم رحيله عنه، والتي لخصها في الأهل والأحبة والأصدقاء، حيث يحتلون مكانة عالية في نفسه، فلا يستطيع إلا الصبر على المظالم التي يتعرض لها، في سبيل البقاء حياً في أكنافهم، فيقول:

نَالِهِ مَا مِثْلِي يُقِيمُ عَلَى الْأَذَى
وَكَمَا عَلِمْتَ خَلَائِقِي وَعَوَائِدِي
وَلَكَانَ لِي غَيْرَ الْكُوَيْتِ وَاهْلِهَا
وَطَنًا وَقَوْمًا يَلْبَسُونَ قَلَائِدِي
لَوْلَا مَعَاشِرُ لَا أُطِيقُ فِرَاقَهُمْ
صَدَقُوا الْهَوَى عَنْ كُلِّ حُرٍّ مَاجِدٍ^(١)

ويتابع فهد العسكر ما سار عليه الشبيب من شكوى ورفض للوطن، إلا أن خطاب العسكر الشعري مع نقده للوطن ينبى في حقيقته عن تلك العلاقة الوثيقة بين الشاعر ووطنه؛ بشكل أكثر وضوحاً ممّا بين الشبيب ووطنه. كما أن العسكر من المتأثرين بالشبيب وتجربته الشعرية، بل يرى فيه معلماً له في شعر الشكوى، ويأخذ به سبباً في شكواه فيقول:

فَقَبَعْتُ فِي دَارِي كَصَفْرِ شَاكِئٍ
وَلَوْ أَنَّنَا فِي غَيْرِهِ لَمْ نَقْبَعْ^(٢)

لكن هذا الشاعر المتعلم قد أصبح معلماً لغيره، لا سيما في قصائد الشكوى والتذمر والرفض والنقد، فمن ذلك ما يقوله عبدالمحسن الرشيد، في إشارته إلى تبرير سبب شكواه ورفضه، بأنه ليس الوحيد الذي سار في هذا الدرب، وليس شاذاً عن جماعة العقلاء، وليس مفتقراً إلى الانتماء الوطني إذا ما رفض الوطن والعيش على أرضه، بل إنه اتبع نهج الشبيب والعسكر، فيقول:

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٩٨-٩٩. وانظر: مجلة البعثة، السنة الثانية، ١٩٤٨، العدد ٦، ص ١٤٠.
(٢) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٣٨.

وَأَنِّي إِن شَكَوْتُ الْعَيْشَ فِيهَا

فَقَبِّلِي قَدْ شَكَا «فَهْدٌ» وَ«صَقْرٌ»^(١)

وَيَبْرُزُ تَأَثُّرُ الْعَسْكَرِ بِالشَّيْبِ فِي عَتَابِ الْوَطَنِ، وَالْمَطَالِبَةُ بِالْحَقُوقِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ تَجَاهَ أَفْرَادِهِ الْمُقِيمِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى حُبِّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ فِي إِحْدَى قِصَائِهِ الَّتِي أَلْقَى فِيهَا لَوْمَةً عَلَى الْوَطَنِ الَّذِي ضَيَّعَ حَقُوقَ أَبْنَائِهِ الْمَطَالِبِينَ بِالْإِصْلَاحِ، وَحَفِظَ حَقُوقَ أَوْلَئِكَ الْمَتَسَكِّعِينَ كَمَا وَصَفَهُمْ، فَيَقُولُ:

وَطَنِي! وَلِي حَقٌّ عَلَيْكَ أَضَعَّتْهُ

وَحَفِظْتَ حَقَّ الدَّاعِرِ الْمُتَسَكِّعِ^(٢)

وهذا المعنى مأخوذٌ من قول صقر الشَّيْبِ:

جَهَلْتُ حَقِّي الْكُؤَيْثُ فَلَمْ يُؤْ

لِ التَّفَاتًا مِنْهَا إِلَيْهِ الْجَيْدُ^(٣)

وَإِذْ يُخَطِّئُ الشَّاعِرُ وَطَنَهُ، وَيَعِيبُ عَلَيْهِ عَدَمَ مُسَاوَاتِهِ بَيْنَ أَبْنَاءِ شَعْبِهِ، فَإِنَّهُ يُخَاطِبُهُ بَعْتَابِ الْمَحَبِّ لِحُبِّيهِ. فَتَشْخِصُ الْوَطَنَ فِي عُمُومِ فِكْرَةِ هَذَا الْبَيْتِ عِنْدَ كُلِّ مَنْ الشَّيْبِ وَالْعَسْكَرُ يَعُودُ إِلَى مَدَى الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَوَطَنِهِ، وَمَدَى حَاجَةِ هَذَا الشَّاعِرِ إِلَى هَذَا الْوَطَنِ، وَكَأَنَّ الْعَتَابَ يَغْلُفُ هَذَا الْخَطَابَ الشَّعْرِيَّ. وَتَجَلَّى عَتَابُهُ بِشَكْلِ أَوْضَحَ عِنْدَ فَهْدِ الْعَسْكَرِ فِي قِصِيدَتِهِ الَّتِي يَشْكُو فِيهَا الْوَطَنَ إِلَى الْوَطَنِ بِأَسْلُوبٍ فَنِّيٍّ نَادِرٍ:

وَطَنِي شَكَوْتُ لَكَ الصَّدَى فَمَلَأَتْ لِي

كَأْسِي وَغَيْرَ الصَّابِ لَمْ أَتَجَرَّعِ

وَطَنِي وَمَا يَوْمَ الرَّحِيلِ بِشَاحِطٍ

عَنْ شَاعِرٍ مُتَوَجِّعٍ مُتَقَطِّعٍ^(٤)

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٨٩. [فَهْدٌ وَصَقْرٌ: يقصد بهما الشَّاعِرِينَ: فَهْدُ الْعَسْكَرِ وَصَقْرُ الشَّيْبِ].

(٢) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٣٨. انظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ٢٢٤. انظر: خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في القرنين، ج ٢، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٣) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّيْبِ، ص ٢٧٢.

(٤) عبدالله زكريا الأنصاري، م، س، ص ١٣٨.

رغم النبرة الحزينة التي تتسم بها الأبيات، وخطاب الالتماس والعتاب فيها، يبدو الشاعر وكأنه يرسل إلى وطنه تهديداً وإنذاراً أخيراً بالرحيل المكاني عنه، معللاً ذلك الرحيل المرتقب بالحالة المزرية التي يعيشها في أحضان وطنه، فأتخذ الموقف الشعري عنده من الوطن منحى موازياً لما سار عليه الشبيب من قبل، بالهجرة عن الوطن، والبحث عن وطن آخر في البلدان العربية المجاورة.

وبعد أن انعدمت الوسيلة، وفترت الحيلة، لم يجد بعض الشعراء إلا الموت سبيلاً للابتعاد عن الوطن ورموزه على قدر الإمكان، وإن تعذر الموت، فيرجون الله أن يمدّهم بمزيد صبرٍ يعينهم على ما تبقى من آجالهم، فيقول الشبيب في بعض أبياته من قصيدته «أمع الحياة سعادة»:

يَا قُدْرَةً سَجَنْتُ بِجِسْمِي رُوحَهُ
ضَاقَ الْخَنَاقُ عَلَى السَّجِينِ الْمُضْطَهَّدِ
إِنْ لَمْ تَفْكِي الرُّوحَ مِنْ جُثْمَانِهِ
فَتَدَارَكِي مَنْزُورَ صَبْرِي بِالْمَدَدِ^(١)

ووجد بعض الشعراء في الموت طريقاً إلى الخلاص من الوطن وهمومه، كالشاعر العسكر الذي لم يقتصر على حضّ نفسه على الرحيل عن الكويت، لكنّه أراد وطناً أشبه بوطن الشبيب، وسبيله هو الرحيل الأبدي، ومن ذلك قوله في قصيدته «شهيق وزفير»^(٢):

وَطَنِي! وَمَا أَقْسَى الْحَيَا
ةَ بِهِ عَلَى الْحُرِّ الْأَمِينِ
وَأَلْذَّ بَيْنَ رُبُوعِهِ
مِنْ عِشْتِي كَأَسِّ الْمَنُونِ

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٢٤٨.

(٢) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٢٧. [نظمها الشاعر عام ١٩٤٦].

قَدْ كُنْتُ فِرْدَوْسَ الدُّخَانِ
لِ وَجَنَّةِ النَّارِ الْخُورِ
لَهْفِي عَلَى الْأَخْرِارِ فِي
كَ وَهُمْ بِأَعْمَاقِ السُّجُونِ^(١)

تلك السجون لا تمثل في الحقيقة السجون المادية المعروفة التي تتحكم فيها الدولة، والتي يُودع فيها الفرد مُكرهاً، بل السجون التي يقطنها الفرد بإرادته. ويشير الشاعر إلى مرارة أن يكون الإنسان مسجوناً في بلده وبين أهله، ويرمي إلى أن السجن المقصود هو السجن الرمزي في منزله، وعُزلته عن الناس الذين أساءوا إليه، فأجبره على الاعتكاف في منزله، ليُبعد عن نفسه معاناة الاختلاط بهم. يقول موضحاً هذا السجن وطبيعته:

وَأَنَا السَّجِينُ بِعُقْرِ دَا
رِي فَاسْمَعِي شَكْوَى السَّجِينِ
بِهُزَالِ جِسْمِي بِاضْفِرَا
رِي بِالنَّجْدِ بِالْغُضُونِ^(٢)

ويتابع العسكر حلمه بوطنٍ بعيدٍ عن الواقع، فيرى وطنه في شاطئ البحر الذي لا يتغير مهما عصفت به السنين، وفي تلك الصخور المنتشرة عليه محتضنة الكثير من الذكريات، فيقول:

اخْفِرُوا لِي قَبْرًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ
رَلْعَلْ الْأَمْوَاجُ تَبْكِي شَبَابِي
وَأَذْفِنُونِي بَيْنَ الصُّخُورِ عَسَى يَهْ
دَأْ رُوعِي وَتُورَتِي وَاضْطِرَابِي^(٣)

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره ص ١٢٨.

(٢) م، ن، ص، ن.

(٣) م، ن، ص ٢٧٠.

ولم تكن فكرة الخلاص الأبدي عند العسكر ناتجة من هشاشة عقيدته الدينية وضعف إيمانه، بل من فكره الفلسفي الذي أثرت فيه الكتب التي قرأها وأطلع عليها. يقول الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري فيه، وهو جامع ديوانه: «لقد أغرق فهد في الكتب التي تحمل طابع التحرر، وتعرض أفكار المفكرين من أدباء وفلاسفة في الشرق والغرب، فأخذت روح التدين تضمحل عنده، وطفق يتخلّى عن تعصّبه الشديد وتدينه، وبدأ يُضمّن شعره بعض آرائه في الدين والحياة، فيأتي بأفكار تحريرية لم يعهدها الناس عنده. هكذا استمرّ الحال إلى أن فقد التدين تماماً، وطلق حياة التدين طلاقاً لا رجعة فيه»^(١).

وانفرد الشاعر العسكر عن الشيب في تعدّد سبل الخلاص من واقعه، في بحثه عن وطن رمزي خاص به، فتعددت صور الخلاص عنده، وتوّعت سبل البحث عن واقع نفسي يحصر نفسه فيه، ولم تقتصر على الترحال عن الأرض أو الوطن، أو اللجوء إلى الموت والراحة الأبدية. فوجد العسكر في الحب سبيلاً لخلاصه، إذ يقول:

مَا قِيَمَةُ الْأَرْوَاحِ إِنْ لَمْ تَرْتَشِفْ
خَمَرَ الْغَرَامِ، وَتَحْتَرِقَ فِي الْمَعْبَدِ؟
فَهُنَا السُّمُوءُ هُنَا النُّعِيمُ هُنَا الْمُنَى
وَهُنَا السَّعَادَةُ وَالْخُلُودُ السَّرْمَدِي^(٢)

كما أنّه وجد في الخمر سبيلاً لتسلية النفس عن ظلم واقعها، فقال في قصيدته «أنا والليل»:

يَا لَيْلُ ضَاقَتْ بِشَكْوَايَ الصُّدُورِ وَمَا
ضَاقَتْ بِغِلٍّ وَأَخْقَابٍ وَأَضْغَانٍ

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره ص ١٤٠.

(٢) م، ن، ص ١٨٥.

يَا سَاقِي الْخَمْرِ لَا شَلْتُ يَدَاكَ أَدْرُ

بُنْتُ النَّخِيلَ فَإِنَّ الصَّخْوَ أَضْنَانِي^(١)

وإذا كان رفض الوطن شبه محصور في الشعراء المقيمين على أرض الوطن، فإننا نجده حاضرًا في قصائد الشعر المهجري عند بعض الشعراء المغتربين عن وطنهم، وتصريحهم بالرغبة في الموت والزهد عن الحياة الدنيا بكل ما تحويه من وطن وأهل وذكريات. وهذا ما نجده عند الشاعر محمود الأيوبي الذي تغنى بوطنه الكويت، وتشوق إليه، فقال في إحدى قصائده مصرحًا برفضه للكويت الوطن:

سَيِّمْتُ الْعَيْشَ وَالْدُّنْيَا

وَعَفْتُ الْأَهْلَ وَالْوَطَنَا^(٢)

نستنتج مما سبق أن رفض الشاعر لوطنه لم يكن مطلقًا لكل مفاهيم الوطن، بل لبعض جوانبه، بيد أن هذا الرفض لأحد مفاهيم الوطن ربما أثر في إيلائه المفاهيم الأخرى حقها من الولاء والوطنية، وقد أدّى إلى رفض أكثر من مفهوم لاحقًا؛ كأن يرفض الشاعر الواقع والمجتمع في بداية أمره، فيلقي باللوم على الوطن لاحتوائه رموز هذا الواقع، فيتولّد عنده حقدٌ على الأخير، يوازيه رفضٌ للوطن الذي يحوي مجتمعًا كهذا. ونلاحظ تصاعدًا في وتيرة الرفض ليصل إلى مرحلة متقدمة يرفض فيها الشاعر الوطن بمفهومه المعاصر الجغرافي السيادي، ليهدد نفسه بالرحيل إلى دولة أخرى، وربما الوصول إلى اليأس بالبحث عن الخلاص في وطن رمزي يتمثل في الهرب من الواقع والحياة، واللجوء إلى الموت.

مقابل النماذج الشعرية التي استندنا إليها للدلالة على رفض بعض الشعراء الكويتيين لوطنهم الكويت، تستوقفنا نماذج أكثر تؤكد حبهم للوطن وفخرهم واعتزازهم وتعلقهم به، وتعزز انتماءهم وولاءهم الوطنيّين، وذلك ما سنقف عليه هنا.

(١) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) مجلة البعثة، السنة الثالثة، ١٩٤٩، العدد ٦، ص ١٨٢.

ب - قبول الوطن والفخر به

إنَّ الحَوُولَ دون الطعن في ولاء بعض الشعراء الكويتيين لوطنهم، أو في وطنيَّةٍ ملكوا فطريًّا منها الكثير، يحتمُّ علينا الإتيان بما يؤكِّد وطنيَّتهم استنادًا إلى ما تركوه من إرث شعريٍّ، وخصوصًا الشعراء الذين تمَّ الاستشهاد بأشعارهم في سياق الرفض، لتكون الدراسة منصفة في حقِّهم. ومن ذلك تمجيدهم للكويت وطنهم الأمَّ، ومسقط الرِّأس ومحلَّ الإقامة، وفي ذلك يقول الشَّيب:

لَا تَسَلَّنِي أَنَا أَجِبُ بِلَادًا
أُسُ تَغْسِي، مُذْ كُنْتُ فِيهَا، وَطِيْدًا
فَجَوَابِي عَلَى سُؤَالِكَ لَا الْمُنْ
فُودُ عِنْدِي وَلَا هُوَ الْمَوْعُودُ
إِنَّ سِرَّ الْغَرَامِ بِالشَّيْءِ مَا كَا
نَ لِشَمْلِ الْأَسَى بِهِ تَبْدِيدُ^(١)

ويؤكِّد الشَّيب في هذه الأبيات التي كانت جوابًا على قصيدة تلقَّاها من الشاعر عبدالعزيز الرشيد، مدى حبِّه لوطنه الجغرافيِّ الكويت، وتعلُّقه بالكويت موطن الأحبة والذكريات، ويعود ليؤكِّد أنَّ الكويت/الوطن ليس المقصود بهذا النقد، بل الوطن في أحد مفاهيمه، الوطن المجتمع، كما أوضحنا سابقًا. ويقودنا هذا الجواب إلى تساؤلٍ متوقَّع في قصيدة الرشيد التي أرسلها إلى الشَّيب، ربَّما كان الرشيد يستفهم فيها عن سبب رفض الشاعر لوطنه، وهذا قد ينفي عنه الانتماء الوطنيَّ في حال استمرَّ في الشكوى على هذا النحو.

وقبلُ، كان الشَّيب قد أوضح سبب استمرار إقامته في وطنه الكويت، وهو أنَّه كفيف البصر، ولولا ذلك لما أقام فيها ساعةً واحدة، لكنَّه في ما بعد يوضِّح لمعاصره عبدالعزيز الرشيد أنَّ نفسه قد سوَّلت له الرحيل إلى ديارٍ أخرى غير الكويت، بيد

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّيب، ص ٢٧٤.

أَنَّ السبب الرئيس الذي منعه هو حُبُّه لوطنه، ذلك الحبُّ الفطريُّ له، والذي عقد عهداً على إبقائه في جوانحه، فقال:

رُبَّمَا سَوَّلَتْ لِي النَّفْسُ مَنَا
هَذَا إِلَى مَا تُقِيمُ فِيهِ الصَّيْدُ
فَتَنَانِي عَنْ أَنْ أُغَادِرَ أَرْضِي
عَهْدُ حُبِّ لَهَا لَدَيَّ عَهْدٌ^(١)

في البيتين دلالةٌ على أَنَّ التهديد المستمرَّ بالرحيل لم يكن في حقيقة الأمر إلاَّ هروباً من الواقع وتسليّةً للنفس ووعداً بالخلاص، وأسلوباً فنياً نفسياً يعتمد عليه غرض الشكوى عند شعرائه، حتَّى أَنَّ الشبيب يبدو مُستهجناً نفسه من بقاءه على حُبِّ وطنه على الرغم ممَّا يكيده له البعض من أبناء الكويت، ليكون تعليلُ هذا بحبِّه الفطريُّ لهذا الوطن، فيقول:

وَمِنْ الْبَدْعِ أَنَّنِي لَسْتُ أَهْوَى
صَرْمَهَا وَهِيَ لِأَدْيَبٍ تَكِيدُ^(٢)

فهنا لم يترك الشبيب مجالاً للشكِّ أو التأويل في انتمائه الوطنيِّ، على أَنَّا نلاحظ باستقراء ديوانه التفاوتَ الكمِّيَّ بين الأبيات الشعرية الوطنية، وقصائد الرِّفْض والشكوى الأكثر حضوراً، حين تناول رفضه جوانب محدَّدة، وجاء تمجيدُه في جوانب أكثر تحديداً. وجديرٌ بالإشارة أَنَّ الشبيب لم يُفرد للفخر بالوطن وتمجيده قصائد مستقلة، بل تمازج تعبيره عن حبه وولائه للوطن مع الأغراض الشعرية الأخرى، إلاَّ في تلك القصائد التي تعلقت بالمناسبات الوطنية، والتي استدعى مقامها مقالاً وطنياً يليق بها.

وبالتوازي مع الشاعر الشبيب، لا يُنكرُ الشاعر عبدالمحسن الرشيد حُبَّه لوطنه ولا ينفي تعلُّقه به. وعلى الرغم من النبذ الذي قُوِّلَ به من بعض أبناء قومه،

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٢٧٤.

(٢) م، ن، ص، ن.

فإنَّه لم يُحمَلِ الوطن وزر ما صنعوا، بل قطع عهداً بالحبِّ والولاء للكويت، مؤكِّداً
انتماءه إلى هذه الأرض. فهو وإن كان صاحب ثورةٍ في الشعر، وسابقةٍ في جرأته
على نقد بعض الأوضاع السياسيَّة والاجتماعيَّة آنذاك، فإنَّ ثورته تتبَّع من حبِّه
لوطنه وحرصه على تقدُّمه وازدهاره، ومن ذلك قوله:

أَنَا شَاعِرُ الْوَادِي، عَلَيَّ لِأَهْلِهِ
عَهْدُ الْوَفَاءِ عَلَى مَدَى الْأَبَادِ
أَهْوَى الْكُوَيْتَ وَإِنْ جَفَانِي أَهْلُهَا
فَالْقَوْمُ قَوْمِي وَالْبِلَادُ بِلَادِي^(١)

ويجددُ الشاعر الرشيد عهد الحبِّ والولاء للوطن الكويت رغم شقائه
فيه، وتبدو صبغة الاعتذار واضحة في قصيدته «أخشى أن تضيع بلادكم»
فيشرح فيها أسباب حدة نقده، وأنَّ السبب يعود إلى خوفه على وطنه، وتمنيهِ
له النهوض والتقدم:

وطني! خذ العهد الأكيد بأنني
رؤحي وما ملكت يداي فداءً
لا عشت إلا أن أراك مُحرراً
لبنيك عزُّ باذخ وعلاء
العدلُ يغمُر من ربوعك والحجى
وتعمُّ فيك سعادة ورخاء
لك في دمي دينٌ وإن سجيَّتي
ألا يؤخَّر للدُّيون وفاءً

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٢٢. وانظر: يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٩٦. وانظر: مجلة
البعثة، السنة الأولى، ١٩٤٧، العدد ١، ص ٢٦.

سَأَصُوغُ شِعْرِي مِنْ ضِرَامِ عَوَاطِفِي

أَوْ تَسْتَجِيبَ الْأُمَّةَ الصَّمَاءُ^(١)

كما تغنى فهد العسكر بوطنه في قصائد خُدت في تاريخ الشعر الكويتي، فجاءت جزلة جياشةً بالعاطفة الوطنية، غنيّةً بالصور الفنيّة الخلّاقة، ومن ذلك قوله في قصيدته «الحنين إلى الوطن»:

وَطَنِي! فديتكَ عِشٍّ وَدُمٍ وَاسْلَمَ وَطْبُ

فَحَمَائِمُ السَّلْمِ الْقَرِيبِ سَتَهْدِلُ

وَالْمَجْدُ بِاسْمِكَ يَا رُبُوعَ مُسَبِّحٍ

وَالْفَخْرُ يَهْتَفُ، وَالزَّمَانُ يَهْلِلُ^(٢)

ومن أبرز النماذج التي زينت ديوان العسكر، قصيدته «الجندي في ميدان القتال» التي وُصف فيها الجندي في ميدان المعركة، محملاً وصفه مشاعره الوطنيّة، وخوفه على وطنه الكويت، فيقول:

دُمُهُ فِي عُرُوقِهِ أَجَجَتْهُ

ثَوْرَةُ الرُّوحِ، فَهُوَ فِي غَلِيَانٍ

كَلَّمَا صَفَّقَ الْعُلاَ لِشَهِيدٍ

هَتَفَ الْمَجْدُ لِلشَّهِيدِ الثَّانِي

إِيَّاهُ يَابْنَ الْحَرِيَّةِ الْبِكْرِ أَبْلِي

تَتَفَانُ يَهْدِمُوا فَاَنْتَ الْبَانِي

فَعَلَيْكَ السَّلَامُ حَيًّا وَمَيِّتًا

وَتَقَبَّلْ مِنَّا أَحَرَ التَّهْنِائِي^(٣)

(١) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ج ٣، ص ٤٩٤. انظر: مجلة البعثة، السنة الرابعة، ١٩٥٠، العدد ٣، ص ١٠٧.

(٢) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ٢٢٣.

(٣) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٩٨.

وتحتاج هذه القصيدة إلى بعض التأمل في غرضها وأسباب نظمها؛ ففعل الشاعر العسكر لم يُحدّد فيها - عامداً - هويّة كلٍّ من الجنديّ والعدوّ؛ لأنّه نظّمها للمشاركة في المسابقة التي نظّمها «إذاعة لندن»، إذ أعلنت عن موضوعها المحدّد مُسبقاً، وهو «الجنديّ في ميدان القتال». ومن ثمّ نرى السبب في عدم إشارة الشاعر إلى ملامح هذا العدوّ، أنّ لندن تحمل من سماته الكثير.

وإن كانت مناسبة القصيدة تفسّح المجال للتأويل على اصطناع العسكر للوطنية في هذه القصيدة، ففهد العسكر لا يمكن أن يفوّت فرصة كهذه من دون أن يطلق مشاعره الوطنية والقومية، وبخاصّة على نطاق عالميّ عبر الإذاعة، فذلك استدعى منه استحضارها في هذا المقام. ولربّما كانت النماذج الشعرية الكثيرة التي رفض فيها الشاعر وطنه، هي ما سمحت بهذا التأويل، لكنّ فكر الشاعر المتحرّر الذي يُعتبر مُجدّداً في المضامين، وتمجيده للوطن وتغزّله به في أكثر من مكان، يُبعد هذا التأويل عن الصّواب.

فالعسكر لم يستطع إخفاء حسّه الوطنيّ الذي بدا جليّاً في تعبيره عن عشق الكويت وبّوحه به، في قصيدة مزج فيها الحسّ الوطنيّ بطهارة الحبّ وعذريّته، فكان الوطن هاجسه الذي لا ينفكّ عن التفكير فيه، فجاء بوحه غنائياً فرحاً، بعيداً عن الحزن ومرارته، فأتحف وطنه بقصيدة غرّاء ساوى فيها بين نفسه وابن الملوّح، وبين الكويت وليلى، فقال:

صَدَيَانُ يَغْلِي فِي حَشَاةِ الْمِرْجَلِ
تَرْثِي الْجَنُوبَ لَهُ وَتَحْنُو الشُّمَالُ
هَيْهَاتَ تُلْهِيه الطُّيُورُ بِشَدْوِهَا
وَيَبْلُ غَلَّتْهُ الرَّجِيْقُ السَّلْسَلُ
هَيْمَانُ كَمْ ذَكَرَ الْجَمَى وَأَقَامَهُ
شَوْقٌ وَأَقْعَدَهُ الْهَوَى الْمُتَغَلْغَلُ

كَابِنِ الْمُلُوحِ لَا يَقَرُّ قَرَارُهُ

أَبَدًا إِلَى لَيْلَى يَجِنُّ وَيَسْأَلُ^(١)

وإلى الوصف عينه أشار الشاعر أحمد مشاري العدوانى عندما أخذ يصبُّ أشواقه المكتومة في قوالب شعريّة منادياً بالتغيير والإصلاح، بعدما عاش في أجواء مصر وصراعاتها الفكرية والسياسية. وفي أثناء ذلك يشبه العدوانى وطنه الكويت بليلى، ويصف مدى حبه لها وخوفه عليها، فيقول في قصيدته «تحية إلى العهد الجديد»:

قَدْ شَفَقْنَا حُبُّ الْكُوَيْتِ، فَكُنَّا

كَلِفٌ بَلِيلَى قَدْ عَنَاهُ وَصْلُهَا

فَإِذَا تَوَارَدَتِ الْخَوَاطِرُ فَالْهَوَى

شَرَعُ وَقَدْ يَشْفِي الضَّمَامَ قَوْلُهَا

وَطَنٌ نَفْدِيهِ وَنَبْنِي مَجْدَهُ

بِعَزَائِمِ أَعْيَا اللَّيَالِي فَلُهَا

مَا هَمُّنَا إِلَّا حِمَايَةُ نَهْضَةٍ

حُقَّتْ وَجَلَجَلَ بِالْمَسَامِعِ صَوْلُهَا^(٢)

ويبدو الشاعر عبدالمحسن الرشيد أكثرهم تصريحاً بهذا الوصف؛ إذ نظم

قصيدة تحت عنوان «ليلاي وطني»، يقول فيها:

لَيْلَايَ مَوْطِنِي الَّذِي عَاهَدْتُهُ

أَلَّا يُضَامَ فِي الْعُرُوقِ دِمَاءُ

أَنَا لَا أَبَالِي بِالْأَذَى فِي حُبِّهِ

فِيهِ يَطِيبُ وَيَعُذُّبُ الْإِيذَاءُ^(٣)

(١) مجلة البعثة، السنة السابعة، ١٩٥٣، العدد ٨، ص ٥١٣. [كان الصحيح أن يقول «الْمُتَغَلَّلُ»].

(٢) مجلة البعثة، ١٩٥٢، العدد ٢، ص ٦٥. [لم تُنشر القصيدة في أعماله الشعرية الكاملة].

(٣) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ج ٣، ص ٤٩٤.

وكذلك الشاعر محمود الأيوبي الذي عبّر عن حبه وطنه الكويت بأبهى الصفات وأعذبها، فكأنّه يخاطب حبيبته الغائبة، حيث قال:

أَنَا فِي جُنُونِ الْحُبِّ فِيكَ بِسَكْرَةٍ
هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ يَقْظَةٌ وَنِزَالُ
حَكَمْتَ عَقْلَ الرُّوحِ فِيكَ فَرْتَلْتُ
لَيْلَايَ شِعْرًا لَمْ يَنْلُهُ مِثَالُ^(١)

كما نجد إشارات خفيّة إلى محبة الوطن ومكانته عند شعرائه، فالشاعر الأيوبي الذي ألجأه رفضه الوطن إلى اختيار الرحيل عنه، قاسى وعانى في غربته، واستعر في صدره حنينه إلى وطنه، فتولّدت من رحم حنينه فكرة تشخيص الوطن كحبيب يستطيع مخاطبته والبوح له بكلّ ما يمتلك من أحاسيس، فتراه حيناً غارقاً في بحار الذكريات، وحيناً آخر مُعتذراً ومُقَدِّماً حجج غيابه، قال:

عَشْرِينَ عَامًا فِي الْفِرَاقِ قَضَيْتُهَا
لِلْعِلْمِ وَالِدِّينِ الصَّحِيحِ أَفْصَلُ^(٢)

تتقلب المعادلة عند الأيوبي، فيشعر بأنّ الأرض مُشتاقّة إلى حبيبها المفقود الذي رحل عنها منذ سنوات طويلة، فيميل إلى استعمال الرمز بأسلوبٍ شفيفٍ في حوارٍ حميميٍّ مع الوطن؛ إذ لا يكتفي بتوصيف أمله ولوعته ومعاناته عشرين عاماً من الغربة، بل يبدأ بتبرير هذا الغياب، يوم وجد نفسه غريباً في غياب حضن هذا الحبيب، وشعوره بالقلق في أن يكون الوطن واجداً عليه، فالتمس الصفح منه وقدم إليه الأعذار التي دعت له للاغتراب عن ربوعه، علّ عمله الصالح يشفع له.

(١) محمود شوقي الأيوبي، المناير والأقلام، ط١ [أعدّ وقُدّم له: عبدالله زكريّا الأنصاري]، الكويت: مطابع الوطن التجارية، ١٩٨٢، ص ١٦٣.

(٢) نوريّة الرُّومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريّ عرض ونقد، ص ٣١.

ونلاحظ أنَّ الوطن اتَّخذ عند شعرائه هيكلاً رومانسياً؛ إذ جعلوا منه رمزاً للمرأة، رمزاً للحنان والأمان والاستقرار، فبات الوطن مزيجاً إبداعياً من الأرض بوصفها الذكرى القديمة، ومن المرأة بوصفها المنقذ القريب. هذا التطوُّر في مفهوم الوطن أكبر دليل على مدى تعلق الشاعر الكويتي بوطنه، وأصالته حبه وعشقه له. وقد عبَّر بعض الشعراء عن ولائهم عندما شبَّهوا الوطن بالأب الرحيم لأبنائه، فيرى الشاعر نفسه ابن الوطن، وعليه ما على الابن من حقوق تجاهه، وله عليه ما على الأب من واجبات تجاه ولده، وفي ذلك يقول أحمد مشاري العدواني:

وَطَنِي بِحَقِّكَ هَلْ حَفِظْتَ لِعَاقِبِ
حَقَّ البُنُوَّةِ مِنْ هَوَى الْآبَاءِ؟
أَنَا ابْنُكَ الْحَانِي عَلَيْكَ وَلَنْ تَرَى
كَحُنُوقِ قَلْبِي وَاحْتِمَالِ وَقَائِي^(١)

ويرى الأيوبي في الوطن الأب والأمَّ معاً، ويؤكد استعداداه مع أبناء الكويت الآخرين لتقديم الغالي والنفيس في سبيل حمايته والدَّود عنه، فيقول:

وَطَنِي أَنْتَ أُمْنَا وَأَبُونَا
وَسَتُفْدِي بِرُوحِنَا وَالذَّخَائِرِ^(٢)

وتندفع الوطنيَّة بما لا يدع مجالاً للتأويل أو التشكيك عند عدد كبير من الشعراء في قصائدهم التي أُخْلِصَتْ للوطن الكويت، الصادرة من حُرقتهم عليه، لتكون من أبرز أوجه الولاء وصوره، ومن ذلك أن يتوحد الشاعر مع وطنه وأرضه، ليكون مُصابهما مُصابه، وألمهما أَلَمه. ولأنَّ الشاعر ابن وطنه وبيئته، فإذا ما تجمَّعت الهموم على الوطن، انتاب الشاعر إحساسٌ بالبؤس والأسى عليه، وذلك ما

(١) مجلَّة البعثة، السنة الأولى، ١٩٤٧، العدد ٩، ص ١٧٩. [استعمل الشاعر همزة القطع بدلاً من همزة الوصل في «ابنك» للضرورة الشعرية].

(٢) مجلَّة البعثة، السنة الثامنة، ١٩٥٤، العدد ٢، ص ١١٧.

أظهره خالد الفرج، مصوِّراً الحبَّ لوطنه، ومُتأسِّفاً على حاله، فشعر بألمه وعانى معاناته، فقال:

أَنَا شَاعِرٌ لَكِنْ بِبُؤْسِ بِلَادِي
أَقُودُكُمْ يَا قَوْمٌ مِثْلُ قُودَائِي؟
يَا قَوْمٌ هَلْ مِنْ نَاطِرٍ فَأُريهِ مَا
فِيهَا؟ وَهَلْ مِنْ سَامِعٍ فَأُنَادِي؟^(١)

وتجدر الإشارة إلى أنَّ شعر الرِّفْض لم يكن محصوراً في شعراء محدَّدين، بل كان له حيزٌ كبيرٌ في الشعر الكويتي، نتيجة إحساس الشعراء بالتكبير الفكري ومعاناتهم تقييد حُرِّيَّاتهم.

بيد أنَّهم لم ينفصلوا عن حُبِّهم له، فيقول عبدالله زكريَّا الأنصاري في قصيدته التي رفعها إلى صاحب السموِّ الشيخ عبدالله السالم الصَّبَّاح^(٢):

هَذِي الْكُوَيْتُ، وَإِنْ جَفْتَنِي، مَوْطِنِي
فِي حُبِّهَا أَحْيَا وَفِيهَا أُودَعُ^(٣)

(١) عبدالله زكريَّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١١٣. انظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٢٢.

(٢) عبدالله السالم الصَّبَّاح (١٨٩٥ - ١٩٦٥م)، الحاكم الحادي عشر لدولة الكويت، تولَّى الحكم عام ١٩٥٠ بعد وفاة الشيخ أحمد الجابر الصَّبَّاح، دخلت الكويت في عهده مرحلة جديدة في نشأتها، فهو مؤسِّس الدولة الحديثة، ولقَّب بـ «أبو الدستور». في عهده عمَّ الرخاء الاقتصادي في الكويت، وتزايد إنتاج النفط، واتَّجهت البلاد إلى نهضة عمرانيَّة شاملة، كما انتشر التعليم وتطوَّر بشكل واضح. أبرز محطات مسيرته السياسيَّة: تولَّى في عهد الشيخ أحمد الجابر الصَّبَّاح رئاسة المجلس التشريعيِّ الأوَّل والمجلس التشريعيِّ الثاني عندما كان ولياً للعهد. قام بالتوقيع على وثيقة استقلال الكويت من بريطانيا في التاسع عشر من يونيو ١٩٦١. تولَّى رئاسة أوَّل مجلس للوزراء في الكويت، ثمَّ دعى لانتخابات المجلس التأسيسيِّ وذلك كي يضع الدستور الدائم للكويت، وأجريت الانتخابات عام ١٩٦١، ثمَّ صدر الدستور في نوفمبر ١٩٦٢. ومن أبرز الأحداث في عهده: انضمام الكويت إلى هيئة الأمم المتَّحدة في الرابع عشر من مايو ١٩٦٣. أُجريت انتخابات مجلس الأُمَّة الأوَّل مطلع عام ١٩٦٣، وهو المجلس التأسيسيُّ، وقد أدَّى سموُّه القسم أمام نواب المجلس رغم تولِّيه الحكم قبل انعقاد المجلس بثلاثة عشر عاماً، وتلك سابقة عالميَّة أن يقسم حاكم اليمين بعد تولِّيه الحكم بهذه الفترة الزمنيَّة الطويلة. انظر: الموقع الرسميُّ للديوان الأميريِّ في الكويت، حُكَّام الكويت.

(٣) مجلَّة البعثة، السنة الرابعة، ١٩٥٠، العدد ٤، ص ١٤٠.

نلاحظ أنَّ التداخلات الفكرية، والصراعات المذهبية، والتطورات السياسية، أثَّرت بشكل مباشر في مواقف بعض الشعراء الكويتيين إزاء وطنهم، أو من الوطن الخاص بهم، أو بعض مفاهيم هذا الوطن. ومن النماذج الشعرية التي عرضناها نستطيع الجزم في وطنية الشعراء الكويتيين، سواء أكانوا الراضين لبعض مفاهيم الوطن، أم النائين عن الشكوى والرفض، المفتخرين بوطنهم، المتغنين به. وقد كان الوطن حاضرًا بكثافة في قصائد كلٍّ منهم، هذا الحضور الذي تتنوع بين الرفض والقبول، وكثافته دليلٌ كافٍ على مكانة الوطن عند هؤلاء؛ فلطالما عُدَّ الوطن في الثقافة الإنسانية مدار الشعرية والإبداع الذاتي للفرد، حيث أغلب الملاحم العالمية دارت حول تمجيده والفخر به والحفاظ عليه، وكانت في بُعدها التربويّ تحاول تعزيز روح المواطنة والولاء عند الشعوب، وفي بُعدها الإصلاحيّ تحاول النهوض بالوطن من خلال نقده واستنكار رموز انحطاطه.

تعقيباً على مسألة الوطن بين الرفض والقبول، تجدر الإشارة إلى أنَّ المناسبات الوطنية والدينية والاحتفالية شكَّلت منبراً شعرياً يطلق الشاعر من خلاله نداءاته الوطنية والقومية، ويبثُّ في المقابل شكواه من الوطن أو إليه. ويستدعينا هذا الوقوف على أبرز المناسبات الوطنية في الكويت قبل الاستقلال، وكيفية تعاطي الشعراء معها.

ثالثاً: قصائد المناسبات الوطنية

إن إدراج قصائد المناسبات في فصل الشعر الوطني يعود إلى كون معظمها قد تضمّن الغرض السياسي، كما أنها نُظمت في مناسبات لها مكانتها السياسية والثقافية على المستوى العام في الكويت، فضلاً عن كونها منبراً يستغلّه الشاعر لإبداء رأيه بقضية سياسية وطنية أو قومية. وقد ارتبط الكثير من القصائد الوطنية بالمناسبات المحلية، سواء أكانت احتفاءً بتنصيب حاكم، أم احتفاءً بزيارة شخصية سياسية أو ثقافية. وإنّ عدم إهمال الشعراء الكويتيين لهذه المناسبات يعدّ مؤشراً على تفاعل الشعر مع الأحداث المعاصرة له، فيُنشد الشعراء فيها للحاكم والشعب، ويهزجون في أثنائها للأرض والوطن. وإننا بالتطرق إلى هذا اللون من الشعر في الكويت في تلك المرحلة، نحاول الوقوف على المعاني الوطنية التي دلت عليها المناسبات أو تضمّنتها.

شعر المناسبة السياسية هو كل شعر يقترن بمناسبة سياسية وطنية أو قومية، والشعر الذي ينظم في المناسبة يُطلق عليه شعر المناسبات؛ إذ يصدر عن الشاعر في مناسبة لها معناها ومفهومها ومدلولها ومغزاها في حياة الناس، فإذا انقضت المناسبة مرّ معها هذا الشعر، وبتكرار الأعياد والذكرى يتكرّر معها ذلك اللون من النظم. وتشجّد هذه المناسبات فريحة الشاعر، فيحاول أن يجسّد المناسبة شعراً بما ينتقيه من كلمات تتناسب مع نوعية الحدث الذي يعيشه، فتجيء قصائد المناسبات الوطنية متميّزة ببساطتها وشفافيتها ووضوحها وخطابيتها، فضلاً عن اعتبارها وثيقة تؤرّخ للمناسبة والحدث، لا تقل أهمية عن الوثائق التاريخية الأخرى.

وكثيراً ما تُهيّج المناسبات عواطف الشعراء، «وتثير فيهم الحميّة العربيّة، والغيرة على المجد التليد الضائع الذي بناه أجدادهم العرب، وأقاموه على أسس قديمة من العدل. كما أنّها كثيراً ما كانت تدفع شعراء الكويت وأدباءها إلى التسابق إلى منبر الخطابة، لإلقاء ما تجود به قرائحهم من شعر ونثر، حيث يستهضون بها الهمم ويُسجّون النفوس، ويذكّرون الكويتيين بمجدهم القديم، وبالثروة الفكرية

العظيمة التي خلفها لهم الأجداد»^(١). وسنقف على أبرز المناسبات الوطنية التي نظم فيها الشعراء الكويتيون آنذاك:

أ - افتتاح النادي الأدبي عام ١٩٢٣

افتتح النادي الأدبي في الكويت عام ١٩٢٣، وقد كان نتاج فكرة الأديب خالد سليمان العدساني، وتتمثل أهميته السياسية في أن رئيسه كان أحد أبناء الأسرة الحاكمة في الكويت، وهو الشيخ عبدالله جابر الصباح^(٢)، بينما كان مدير النادي الأديب عيسى الفناعي. وممن خلد ذكرى هذا الافتتاح الشاعر صقر الشبيب بقصيدة مطلعها:

لَكُمْ مِنِّي أُولِي الإِصْلَاحِ شُكْرٌ
فَإِنَّ الشُّكْرَ فَرَضُ فِي مِثَالِي
وَجَهْدُ الْمُتَمَلِّقِينَ مِنَ الْبَرَايَا
تَشْكُرُهُمْ لَطْلَابُ الْمَعَالِي
وَأَهْوَى أَنْ أَعَاوَنَكُمْ فَيَأْبَى
قِيَامِي بِالْمَعُونَةِ نَزْرُ مَالِي
أَقَمْتُمْ نَادِيًا فَخَبْتُ بِصَدْرِي
مَرَارَاتِي وَزَارَ الصَّفْوُ بَالِي^(٣)

نلاحظ أن اعتياد الشاعر الشبيب الشكوى في شعره جعله يأتي بها حتى

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٠٩.

(٢) عبدالله جابر الصباح (١٩٠٠ - ١٩٩٦م)، حفيد حاكم الكويت الخامس الشيخ عبدالله بن صباح الصباح. عاش وحيداً لوالديه. تقلد عدداً من المناصب المهمة في الكويت، نذكر منها: رئيس أول ناد أدبي في الكويت عام ١٩٢٤. رئيساً للمحاكم عام ١٩٢٨، ثم رئيساً لدائرة البلدية عام ١٩٣٢، ثم رئيساً لمجلس المعارف عام ١٩٣٦، ثم رئيساً لدائرة الأوقاف عام ١٩٤٨، ثم رئيساً لدائرة الأيتام عام ١٩٤٨. ثم وزيراً للتربية والتعليم عام ١٩٦٢، وهو أول وزير للتربية والتعليم في الكويت، ثم وزيراً للتجارة والصناعة عام ١٩٦٥، واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٦٧ حين استقال وترك العمل الوزاري، وعمل مستشاراً خاصاً للأمير صباح السالم الصباح، ومن بعده للأمير جابر الأحمد الصباح حتى وفاته عام ١٩٩٦. انظر: الموقع الرسمي للديوان الأميري في الكويت، حكام الكويت.

(٣) أحمد البشر الرؤمي، ديوان صقر الشبيب، ص ٦٨٣.

في سياق الاحتفاء بالصرح الثقافي الأدبي، وفي المناسبات الخاصة كهذه المناسبة، فيشير إلى فقره وحاجته للمدد والعون.

ولا يغفل الشاعر فيها عن الدعوة إلى السعي والنهوض والاستمرار في هذا درب المنير، حيث يرى في افتتاح النادي الأدبي بداية عهد جديد من التّوير، وباباً من أبواب المجد التي سترقى بالكويت وأهلها إلى مصاف الأمم المتحضرة، فيقول:

فَهَذَا الْإِحْتِفَالُ أَرَاهُ بَابًا
إِلَى مَجْدٍ يُؤَدِّي الْقَوْمَ عَالٍ^(١)

أمّا القصيدة التي نظمها الشاعر حَجِّي بن جاسم آل حَجِّي لتخليد هذه المناسبة، فعنوانها «شمس المعارف»، ومطلعها:

أَفِقْ يَا عِلْمٌ مِنْ نَوْمٍ غَمِيقٍ
فَإِنَّ الْقَوْمَ أَضْحَاوْا نَاهِضِينَ
وَيَا شَمْسَ الْمَعَارِفِ أَسْعِفِيهِمْ
فَنُحْوِكَ هُمْ غَدَا مُتَطَلِّعِينَ^(٢)

ويقول فيها مشيداً بالصرح الأدبي الجديد في الكويت، مثنيًا على جيل الشباب الواعي الذي أسهم في إنشائه، ومؤكداً ضرورة انتهاز العلم سبيلاً نحو الرفعة والتقدم:

فَتَحْتُمُ يَا شَبَابَ الْقَوْمِ نَادٍ
لأنواع العلوم غداً مَعِينَا
وَقَدْ كُنَّا بِلا رَيْبٍ إِلَيْهِ
جِياعاً في الوَرَى مُتَعَطِّشِينَ
فَجِدُّوا فِي الْمَسِيرِ لَنَيْلِ عِلْمٍ
فَبَيْتِ الْعَيْشِ عَيْشُ الْجَاهِلِينَ^(٣)

(١) م، ن، ص ٦٨٤. [استعمل الشاعر همزة القطع بدلاً من همزة الوصل في «الاحتفال» للضرورة الشعرية].

(٢) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٣٩٩. انظر: خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ١، ص ٢٤٠.

(٣) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٣٩٩. انظر: خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ١، ص ٢٤٠. [غلط الشاعر نحوياً فلم ينصب المفعول به «نادياً»].

ولأنَّ العلمَ حجر الأساس في بناء الحضارة وقيام الدول وتطوُّرها، كانت الإشادة به والدعوة إلى التمسُّك بنهجه في صميم الحرص على الوطن والسعي لتطويره، وكانت القصائد التي نُظمت في هذا الشأن عمادَ القصائد الوطنية وأساسها. ومن الملاحظ أنَّ الشاعرين الشَّبيبَ والحجِّيَّ قد قصرا نظميَّهما على واقع المناسبة، ولم يستطردا إلى أيِّ غرضٍ سياسيٍّ وطنيٍّ أو قوميٍّ، خلا شكوى الشَّبيب فقره، ونرى سببَ ذلك أنَّ كليهما يريان في المناسبة حدثاً في صميم التخلص من الواقع السياسيِّ المتردِّي، وبداية طريق المجد والرفعة والتقدم، فأغنى الحدثُ عن أيِّ حدثٍ آخر يمكن أن يتمَّ تضمينه.

اعتبر الشعراء الكويتيون أنفسهم أكثر المستفيدين من إنشاء النادي الأدبيِّ، إذ وجدوا فيه المنتفَس الشعريَّ الرسميَّ الأبرز آنذاك؛ حين أفسح القائمون عليه المجال لهم لإلقاء قصائدهم في الاحتفالات التي كان ينظمها النادي احتفاءً بزيارات كبار الشخصيات العربية للكويت، فضلاً عن الأهمية التي تضمَّنها في إعطاء الشعراء مكانتهم التي يستحقُّونها في مجتمعاتهم، إذ كان الترحيب نظماً فقرةً أساسيةً من برنامج غالبية الاحتفالات التي عقدها النادي.

ب - زيارة حافظ وهبة^(١) الكويت عام ١٩٢٣

يعتبر حافظ وهبة شخصيةً سياسيةً وأدبيةً بارزة في النصف الأوَّل من القرن العشرين، وكانت زيارته الأولى للكويت عام ١٩١٢ حين قدم إليها مدرِّساً في المدرسة المباركية، فربطته بشعراء وأدباء الكويت علاقةً متينة آنذاك، وعندما التحق بالملكة العربية السعودية موظفاً ثمَّ سفيراً، زار الكويت مرَّةً ثانية بصفة رسمية عام ١٩٢٣، وأقام فيها بضعة أيَّام، فأرسل إليه الشاعر صقر الشبيب قصيدةً يعتذر فيها عن عدم زيارته للسلام عليه، فضلاً عن كونها توثيقاً لهذه الزيارة، قال:

(١) حافظ وهبة (١٣٠٧ - ١٣٨٧هـ / ١٨٨٩ - ١٩٦٧م) سفير من مؤرخي الدولة السعودية. مصريُّ الأصل والمولد والمنشأ. تعلَّم مدَّة قصيرة بالأزهر وبمدرسة القضاء الشرعيِّ. عمل في صحافة الحزب الوطنيِّ بالقاهرة، ورحل إلى الهند، ومنها إلى الكويت عام ١٩١٥ مدرِّساً بالمدرسة المباركية. وكتب إلى الملك عبدالعزيز آل سعود، فأعجبه خطه ودعاه إلى الرياض، فانتقل إليها عام ١٩٢٣، وتقدَّم عنده إلى أن عينه وزيراً مفوضاً بلندن، ثمَّ سفيراً عام ١٩٢٨، وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٦٥، وتوفيَّ في روما. له من الكتب «جزيرة العرب في القرن العشرين» و«خمسون عاماً في جزيرة العرب». انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ١٦٠.

أَحَافِظُ وَهَبَةً قَدْ كَدْتُ أَتِي
إِلَيْكَ مُسَلِّمًا لَوْلَا قَيْوَدِي
مَجِيئِي لِّلسَّلَامِ إِلَيْكَ حَقٌّ
وَلَسْتُ أُجِيزُ عَنْ حَقِّ قَيْوَدِي
وَلَكِنْ بِي قَيْوَدِي مَائِلَاتٍ
إِلَى مَا أَشْتَهِي عَنْهُ مَجِيْدِي^(١)

ويبدو أنَّ الشاعر غفل عن إسباغ المدح على الممدوح، فشغل نفسه بالاعتذار عن عدم قدرته على الذهاب إليه للسلام عليه، وأفرد قسمًا كبيرًا من قصيدته للشكوى من حاله المتردِّية التي يعانيتها في الكويت، فقال:

أَحَافِظُ كُلَّ مَكْرَمَةٍ وَمَجْدٍ
طَرِيفٍ حِينَ يُذَكَّرُ أَوْ تَلِيدٍ
شَكْوَتْ إِلَيْكَ وَالْمَنْخُوسُ يَشْكُو
بَلَايَاهُ إِلَى الْحَرِّ السَّعِيدِ
فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مُعِينًا
عَلَى إِثْرَاءٍ مَّقْدَحِهِ الصُّلُودِ
وَإِمَّا أَنْ يُعَزِّيهِ وَحَسْبِي
عَزَاءُ مِنْكَ بِالْقَوْلِ السَّيِّدِ^(٢)

إنَّها قصيدة اعتذارية، إلَّا أنَّها توثق زيارة حافظ وهبة الكويت في ذلك العام، فضلاً عن كونها تبين أسلوب الشاعر في قصائد المناسبات، إذ يتخذ من المناسبة وسيلة للشكوى من حاله أو حال وطنه، فيخرج على غرض القصيدة الأساسي، ويجدها فرصة مناسبة لإيصال صوته ومعاناته إلى أكبر عدد ممكن من المتلقين الذي شدُّوا إلى عنوان المناسبة لا إلى شكوى الشاعر فيها.

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٠١.

(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٠٣. [الإيراء: الإيقاد. الصلود: الذي لا يقدر منه نار].

ج - زيارة طالب باشا النقيب^(١) الكويت عام ١٩٢٤

يُعتبر طالب باشا النقيب من أبرز الشخصيات السياسية في دول الخليج العربي في الربع الأول من القرن العشرين، وتربطه بحكام الكويت علاقات نسبٍ وطيدة^(٢)، فكان الاهتمام بزيارته يأتي من هذين الجانبين. ومن أبرز القصائد التي وثّقت زيارته الكويت عام ١٩٢٤ ما نظمته الشاعر صقر الشبيب في قصيدته «إلى السيد طالب باشا النقيب»^(٣) مرحباً:

أَمَّا الْكُوَيْتُ فَإِنَّهَا قَدْ أَصْبَحَتْ
بِخُلُوكِ السَّامِيِّ بِهَا تَتَبَخَّرُ
وَلَمَّا عَجِيبٌ أَنْ تَبَخَّرَ بِلَدَّةٍ
فَخَرًّا وَمِثْلُكَ رَاحَ فِيهَا يَخْطُرُ
إِنَّا عَرَفْنَا فِيكَ كُلَّ مَزِيَّةٍ
يُثْنِي عَلَيْهَا ذُو الْحِجَاءِ وَيَشْكُرُ
فَلِذَا بِمَقْدَمِكَ الْكُوَيْتُ قَدْ اغْتَدَى
حَظٌّ عَظِيمٌ لِلْكُوَيْتِ وَمَفْخَرٌ^(٤)

ثمَّ هنَّاهُ بعودته إلى العراق بعد نفي دام أربع سنوات، ووصفه بالأسد:

- (١) طالب بن رجب بن محمد سعيد بن طالب الرفاعي (١٨٦٢-١٩٢٩م)، ولد في البصرة، ودرس القرآن والعلوم واللغة العربية على يد معلمين خصوصيين، ثم تعلم اللغات التركية والفارسية والإنجليزية وشيئاً من اللغة الهندية، وأسرتَه تتولى نقابة أشرف البصرة آنذاك. أصبح أول وزير للداخلية في أول حكومة عراقية انتقالية برئاسة عبدالرحمن النقيب (١٩٢٠-١٩٢٧ / ٢-٨-١٩٢١) كان مرشحاً قوياً لتولي عرش العراق إلا أن بريطانيا أدركت حيال ذلك أن السيد طالب النقيب ليس رجلها الموعود؛ فهو رجل قوي الشخصية ويشكل خطراً عليها، فأدّى ذلك ببريطانيا إلى إنهاء دوره السياسي ونفيه إلى خارج العراق لإبعاده عن منافسة الملك فيصل. نُشرت له عدّة قصائد في كتاب: «أسنى مطالب الأديب». أقام في البصرة مُشرفاً على أملاكه حتّى مرضه، حين سافر إلى ألمانيا للعلاج فأجريت له عملية جراحية توفّي إثرها في ١٦-٦-١٩٢٩، ونقل جثمانه إلى مدينة البصرة حيث دُفن في مقبرة الحسن البصري. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢١٨.
- (٢) من الجدير بالذكر أن السيد طالب باشا النقيب هو جد ناصر المحمد الأحمد الجابر الصباح رئيس مجلس الوزراء الكويتي السابق. انظر: م، ن، ج٣، ص ٢١٨.
- (٣) نظمها الشاعر صقر الشبيب عندما زار السيد طالب باشا النقيب الكويت عام ١٩٢٤ بعد رجوعه من منفاه الأخير، وقد أعدّها الشبيب لتلقى في احتفال النادي الأدبي، لكن السيد طالب باشا غادر الكويت قبل الحفلة.
- (٤) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٢٧.

لَمَّا رَجَعْتَ إِلَى الْعِرَاقِ مُسَلِّمًا
مِمَّا عَلَيْكَ مِنَ السِّيَاسَةِ يُحَذِّرُ
أَعْلَنْتُ صَوْتِي بَيْنَ قَوْمِي قَائِلًا
الْيَوْمَ عَادَ إِلَى شَرَاهُ الْقَسُورُ^(١)

اكتفى الشاعر الشبيب بمدح السيّد طالب النقيب من دون أن يضمن قصيدته أيّ شكوى من الأوضاع السياسيّة في الكويت، أو شكوى من فقره وتقصير الآخرين حياله، وقد عُرف عن الشبيب شكواه الدائمة من الحاليتين.

د - زيارة محمّد الأمين الشنقيطي^(٢) الكويت عام ١٩٢٤

كان الشنقيطيّ من أبرز الشخصيّات السياسيّة والثقافيّة في العالم العربيّ في الربع الأوّل من القرن العشرين، تتقلّد بين عدّة بلدان عربيّة، منها الكويت. وقد أقام النادي الأدبيّ احتفالاً لمناسبة زيارته الكويت عام ١٩٢٤، وفي استقباله آنذاك نظم الشاعر عبداللطيف النصف^(٣) قصيدة غرّاء، فقال مرحّباً:

- (١) م، ن، ص، ن. [الشّرى: موضعٌ بالجزيرة العربيّة كانت تكثُر فيه الأسود].
- (٢) محمّد أمين بن عبدي الشنقيطي (١٨٧٦-١٩٣٢م)، ولد في العقل (بمنطقة الترابزة- جنوبيّ غرب موريتانيا)، وتوفّي في مدينة الزّبير (العراق). عاش في موريتانيا والسعوديّة والبحرين والهند والكويت والعراق. كان عالمًا ومعلّمًا ومصلحًا، شارك في المقاومة العراقيّة في مواجهة الاستعمار الإنجليزيّ عام ١٩١٥، وكان له دور ديني وقوميّ في مختلف بلدان الخليج العربيّ. تردّد على الشيخ أحمد الجابر الصّباح، والملك عبدالعزيز آل سعود، واتّصل بعدد من رجال عصره المثقّفين في الكويت، وكانت الكويت وقتئذٍ تموج بدعوات الإصلاح والتّجديد. انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٥، ص ٦٢٦.
- (٣) عبداللطيف بن إبراهيم آل نصّف (١٩٠٦ - ١٩٧١م)، ولد في مدينة الكويت، وفيها توفّي. تلقّى تعليمه المبكّر في الكتاب، ثمّ التحق بالمدرسة المباركيّة عام ١٩١٥. هاجر إلى الأحساء عام ١٩٣٥ وبقي فيها أربع سنوات، ثمّ عاد إلى الكويت ليعمل سكرتيرًا خاصًا للأمير الشيخ عبدالله السالم الصّباح. كان عضوًا في عدد من الإدارات والمجالس الحكوميّة، منها: المجلس البلديّ، اللجنة التنفيذيّة العليا، مجلس الأوقاف، مجلس المعارف، كما عمل مديرًا للإدارة الصحفيّة في وزارة الخارجيّة الكويتيّة. عاش في الكويت والمملكة العربيّة السعوديّة. له قصائد ومقالات نشرت في كتابي «تاريخ الكويت»، و«أدباء الكويت في قرن»، وفي مجلتي «الهدف»، و«كاظمه». هو الشاعر الحديث كما يسمّيه عبدالعزيز الرشيد في تاريخه، انظر: م، ن، ج ١١، ص ٦٧٨. وانظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٣٨٤.

الْيَوْمَ هَلَّتِ الْكُوَيْتُ وَكَبِّرَتْ
لَمَّا أَتَاهَا الْعَالِمُ النَّخْرِيرُ
وَاسْتَبْشَرَتْ فَرَحًا بِنَابِغَةِ الْهُدَى
حَتَّى حَسِبْنَا أَنَّهَا سَتَمُورُ
وَالْقَوْمُ بَيْنَ مُوَهَّلٍ وَمُرَحَّبٍ
طَرِبًا، وَقَدْ شَمِلَ الْقُلُوبَ سُرُورُ^(١)

ونظم في الترحيب به أيضاً الشاعر سليمان العدساني^(٢)، فقال:
يَا قَوْمُ إِنَّ نَزِيلَكُمْ
هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الْوَحِيدُ
النَّاطِقُ الْحَقُّ الصُّرَا
حَ وَإِنَّهُ فِي ذَا فَرِيدُ^(٣)

ولم يكتفِ الشاعر العدساني بالترحيب، بل ربط محامد الزيارة بمساوئ
الوضع في الكويت، وقارن بين علم الممدوح وجهل قوم المادح، فقال في أحد
أبيات قصيدته:

لَوْ كَانَ مِثْلَكَ عَشْرَةٌ
فَيْنَا لَمَّا بَعْدَ الْبَعِيدُ^(٤)

(١) عبدالعزيز الرشيد، م، ن، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٢) سليمان بن خالد العدساني (١٨٨٤ - ١٩٥٧م) ولد في الكويت، وفيها عاش ثم توفي وقد جاوز السبعين من العمر. تلقى تعليمه في الكتاتيب على علماء عصره، كما ثقّف نفسه بمعارف واسعة متنوّعة. اشتغل بالتجارة شأن أكثر مواطنيه في زمنه. كان أول مدير للبلدية (١٩٣٠ - ١٩٣٥). كان عضواً بالمجلس التشريعي ١٩٣٨ وأحد أعضاء الكتلة الوطنية في العام نفسه. كان عضواً بمجلس المعارف (١٩٣٦ - ١٩٥٤) ومدير إدارة المالية في المعارف (١٩٥١ - ١٩٥٤). أول من أرسى قواعد التنظيم والخدمة الاجتماعية في الكويت، وأحد المؤسسين للمكتبة الأهلية، وكان ضمن اللجنة التي ضمت كبار البلد للمحافظة على المكتبة وتمييزها عام ١٩٣٩. له عدد من القصائد وثّقها مصادر دراسته. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ٨، ص ٦٣٤.

(٣) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٤١٣.

(٤) م، ن، ص، ن.

نلاحظ كيف استغلَّ الشاعر المناسبة ليفضح الجهل والتخلف اللذين انتشرا في المجتمع الكويتي آنذاك، فأوضح مدى حاجة المجتمع الكويتي إلى المصلحين والتوعويين لتثقيف الشعب وإخراجه من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم.

هـ- زيارة عبدالعزيز الثعالبي الأولى الكويت عام ١٩٢٤

من أبرز الاحتفالات التي نظَّمها النادي الأدبي، الاحتفال بمناسبة زيارة الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي الكويت^(١)، ومما نظمه محمود الأيوبي في المناسبة:

يَا زَعِيمَ الْعُرْبِ أَنْعَشْتَ بِنَا
أَمَلًا كَادَ يُلَاشِيهِ الذُّمَرُ
يَا مُثِيرَ الْعَرَبِ الْأَخْرَارِ فِي
تُونِسِ الْخَضِرَاءِ لَبَّتْكَ الرُّمَرُ
يَا زَعِيمَ الْعُرْبِ وَثُبْتَ بِنَا
ثَوْرَةَ التَّحْرِيرِ مِنْ بَعْدِ الضُّجَرِ^(٢)

ورحب بزيارته الشاعر عبدالعزيز الرشيد، فقال:

إِنَّ الْكُوَيْتَ تَزَيَّنَتْ بِقُدُومِكُمْ
يَا زَيْنَةَ الْأَقْصَرَانِ وَالْأَبْطَالِ
انْظُرْ إِلَيْهَا قَدْ بَدَتْ فِي وَشْيِهَا
تَمْشِي ابْتِهَاجًا مِشْيَةَ الْمُحْتَالِ^(٣)

(١) وثق المؤرخ والشاعر عبدالعزيز الرشيد للزيارة الأولى في كتابه تاريخ الكويت ما نصه: «زار هذا الأستاذ الكويت في ذي القعدة عام ١٣٤٣هـ، وقد نزل ضيفاً كريماً على آل الخالد». أي أن تاريخ الزيارة يوافق شهر أغسطس من العام ١٩٢٤م، ولما كان الرشيد قد سجل التاريخ ووثقه، فقد نقل عنه أغلب المؤرخين والباحثين اللاحقين له. ويرى الدكتور خليفة الوقيان أن الزيارة الأولى للثعالبي كانت بعد التاريخ الذي وثقه الرشيد، فيقول: «فحين زار الكويت في العام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م)، أقامت له مدرسة السعادة حفلة تكريمية، فتبارى الشعراء في تكريمه، ثم في توصيل وجهات نظرهم إليه». انظر: خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ط ٢ [معدلة ومنقحة]، الكويت: شركة مطبعة الفيصل، ٢٠١٢، ص ١١٤.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، الحان الثورة، ص ١٨٨.

(٣) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٣٥٦. انظر: يعقوب يوسف الغنيم، الأزمنة والأمكنة، ج ٣، ص ١٠.

ووجد الرشيد في هذه المناسبة فرصة ملائمة لانتقاد الوضع السياسي العربيّ بعامّة، والكويتيّ بخاصّة، فلم يخرج على طبيعة المناسبة وغرضها، بل زاوج بين الغرضين؛ الترحيب والشكوى، وعقد مقارنة بين الزعامة الحقيقيّة والزعامة المصطنعة، فقال:

إِنَّ الزَّعَامَةَ بِأَسْمِكُمْ قَدْ شُرِّفَتْ
وَسِوَاكَ يَخْسِبُهَا جِلِّيَّ وَلَائِي
وَسِوَاكَ يَخْطُبُهَا لِيَرْفَعَ قَدْرَهُ
وَأَرَاكَ أَنْتَ خَطِيبُهَا الْمُتَعَالِي^(١)

واستغلّ الشاعر سليمان العدسانيّ مناسبة الزيارة خير استغلال، فحاول [على قدر الإمكان] الاستفادة من المنبر الخطابيّ الذي اعتلاه أمام جماهير غفيرة من المثقّفين، وألقى قصيدة في الحفل المقام احتفاءً بالزعيم التونسيّ، منها:

أَنْتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ أَعْلَى مَقَامًا
كُلَّمَا رُمْتُ وَصَفَكُم فِي كَلَامِي
فَاغْضُضِ الطَّرْفَ لَا تَلْمِني إِذَا مَا
جَاءَ وَصَفِي لَكُمْ بِدُونِ الْمَرَامِ
يَا حَكِيمًا إِذَا أَفَاضَ بَيَانًا
نَكَّسَ الْخَضَمَ طَرْفَهُ وَهُوَ دَامِ^(٢)

كما جعل الشاعر من قصيدته وسيلةً لاستنهاض الهمم، والحافز على التحرّر من قيد الجبن والخوف، والنهوض بشجاعة وحزم في سبيل رفعة الوطن وتقدّمه، فقال:

يَا لِقَوْمِي، وَمَا عَهِدْتُ كِرَامًا
أَلْفُوا الدُّلَّ، فَانْهَضُوا بِاعْتِرَازِ
مَنْ لِحِمْلِ اللِّوَا وَصَدَّ الْأَعَادِي؟
مَنْ لِحِصُونِ الْجَمَى وَرَغِي الدَّمَامِ؟

(١) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٣٥٦.

(٢) م، ن، ص ٤١٥.

لَيْسَ عَيْشُ الْجَبَانِ يَا قَوْمُ عَيْشًا
فَدَعُوا الْجَبْنَ وَانْهَضُوا لِلْأَمَامِ^(١)

ومن الشعراء مَنْ شارك من خارج الكويت للإشادة بهذه الزيارة، نحو خالد
الفرج الذي أرسل قصيدةً من مكان إقامته في البحرين، قال فيها:
يَا أَيُّهَا «الْأُسْتَاذُ» جِئْتَ مُنْقَبًا
عَمَّا لِيَعْرُبُ مِنْ طُلُولِ مَنَاقِبِ
لِتَرَى بَقَايَا الْفَاتِحِينَ وَنَسْلَهُمْ
وَهَلِ اسْتَطَاعُوا رَدَّ مَجْدٍ ذَاهِبٍ^(٢)

ولم يكتفِ الفرج بالترحيب والتهليل فرحًا بزيارة الثعالبي، بل استغلَّ المناسبة
ليشكو للممدوح الحال السياسيَّة المتردِّية في شبه الجزيرة العربيَّة، حيث سيطر
التفرُّق والنزاع بين زعماء القبائل، فكل واحدٍ منهم يرى نفسه ملكاً على قومه،
فجعل ذلك الحجاز ونَجْدَ تضجَّان بالأمراء والملوك، قال:
جُبْتُ الْجَزِيرَةَ غَرْبَهَا وَجَنُوبَهَا
فَرَأَيْتُهَا بِتَقَاطُعٍ وَتَنَاسُبِ
فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مَلِيكَ قَائِمٍ
شَغِلَتْ دَقَائِقُهُ بِأَخْرِ طَالِبِ
لِعَدُوِّهِ فِي ذَلَّةٍ، عَنْ قَوْمِهِ
فِي شَاغِلٍ، مِنْ جَهْلِهِ فِي قَالِبٍ^(٣)

قصدَ الشاعر بهذا النقد المباشر أولئك الذين يدَّعون المُلكَ في شبه الجزيرة
العربيَّة، ولم يكن خطابه موجَّهًا إلى الملوك والأمرء الرسميين المعترف بهم على
المستوى العربيِّ أقلَّ ما يمكن. فكان الفرج -كما بعض معاصريه- يُضمِّن شعره
الشكوى بغضِّ النظر عن طبيعة الغرض الأساسيِّ للقصيدة.

(١) م، ن، ص، ن.

(٢) مجلة البعثة، السنة الثامنة، ١٩٥٤، العدد ٥، ص ٤٥٦. وانظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٣٩٢.

(٣) مجلة البعثة، السنة الثامنة، ١٩٥٤، العدد ٥، ص ٤٥٦.

و - زيارة عبدالعزيز الثعالبي الثانية الكويت عام ١٩٢٨

اعتنى الشعراء الكويتيون بزيارة الثعالبي الثانية للكويت عام ١٩٢٨^(١)، ونظموا فيها غرَّ قصائدهم. فالشاعر صقر الشبيب الذي لم يتمكن من رؤية الثعالبي في زيارته الأولى، نظم قصيدتين تؤرِّخان الزيارة الثانية، فقال في الأولى:

بِالرَّغْمِ أَنِّي كُنْتُ أَمْسَ مُقَصِّرًا
فِي وَاجِبِي نَحْوَ الزَّعِيمِ التُّونِسِيِّ
وَالْعَفْوُ مِنْهُ أَرْتَجِيهِ فَإِنْ عَفَا
فَالْعَفْوُ مِنْ شَيْمِ اللَّيْبِ كَيْسٍ
وَالْعَقْلُ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ مُوقَّرٌ
فَلِذَاكَ مِنْ عَفْوٍ لَهُ لَمْ أَيْسَسِ^(٢)

(١) اختلف الباحثون في تحديد التاريخ الدقيق لزيارة الثعالبي الثانية الكويت، فرأى خالد الشطي أنها عام ١٩٢٦، وأشار إلى ذلك في قوله: «والثانية حيث دعاه شملان بن علي بن سيف لزيارة الكويت في شهر يوليو عام ١٩٢٦». بينما يذهب خالد سعود الزيد في تقديمه لإحدى قصائد الشاعر صقر الشبيب، إلى أن تاريخ الزيارة الثانية كان عام (١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م)، وذلك في قوله: «لم يتمكن الشاعر من حضور الحفلة التي أقيمت للزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي في زيارته الأولى للكويت، وفي سنة ١٣٤٧هـ زار الثعالبي الكويت مرة ثانية، فأقيمت له حفلة في مدرسة السعادة...». وقد نقل يعقوب الغنيم رأي خالد سعود الزيد حرفياً ليضعه حاشية للتعريف لمناسبة قصيدة صقر الشبيب (عفوًا وصفحًا) المنشورة في ديوانه الكامل. وجعل يعقوب الغنيم تاريخها مبهمًا تارة: في قوله: «وفي سنة لاحقة - للعام ١٩٢٤ - زار الثعالبي الكويت مرة أخرى، وأقيمت له حفلة في مدرسة السعادة». وصريحًا تارة أخرى مناقضًا ما نقله عن خالد سعود الزيد: «جاء الثعالبي إلى الكويت في زيارة ثانية دعاه فيها المرحوم شملان بن علي، فحل ضيفًا عليه، وقد اهتم به القوم كما حدث في المرة الأولى، وكانت هذه الزيارة في شهر يولييه لسنة ١٩٢٩». وفي هذا التاريخ يوافق خليفة الوقيان الغنيم في تحديد التاريخ الميلادي، فيقول: «وفي زيارة الثعالبي الأخرى للكويت سنة (١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م) لم يستطع صقر الشبيب حضور الحفل الذي أقيم لتكريمه، فأناب عبداللطيف النصف ليقرا قصيدته بين يديه»، ويبدو أن الدكتور الوقيان قد أراد التاريخ الهجري، وسقط التاريخ الصحيح لما يقابل الهجري ميلادياً: والذي يوافق ١٩٢٨. انظر: خالد يوسف الشطي، مدرسة السعادة للأيتام ومؤسسها شملان بن علي آل سيف، ط١، الكويت: مطابع الوطن التجارية، ٢٠٠٩، ص ١٢١. وانظر: خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج١، ص ١٤٧. وانظر: أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٤٣، ٤٢٨. وانظر: يعقوب يوسف الغنيم، الأزمنة والأمكنة، ج٣، ص ١٤. وانظر: خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ص ١١٤.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٤٢٨.

ثمَّ استطرد فيها عن غرض المناسبة الأساسيِّ لِيضمَّنَّها همومه وهموم وطنه،
وشكواه من الأوضاع الداخليَّة في الكويت، حيث الشَّقاق قسم أهل الكويت فئتين:
أولى ذات غلوٍّ ديني، وأخرى منفتحة على الإصلاح رافضة للتشدد، فقال:

وَأَزَلْ بِحِكْمَتِكَ الشَّقَاقَ فَلَمْ نَزَلْ
مِنْهُ لِشِقْوَتِنَا نَسِيرُ بِحَنْدَسِ
إِنَّا انْقَسَمْنَا فِي الْكُوَيْتِ كَمَا تَشَا
أَهْوَاءُ كُلِّ مُعَمِّمٍ مُتَطَلِّسٍ^(١)

وقال الشبيب في قصيدته الثانية ممتدحاً تواضع الثعالبيِّ إثر زيارة الأخير
للأول في بيته بعد أن علم أنَّ المرض قد أقعده عن واجب الزيارة:

أَكْذَا يَكُونُ تَوَاضُعُ الْكُبَرَاءِ
وَتَلَطُّفُ الْعُلَمَاءِ بِالشُّعْرَاءِ
كَأَنَّ وَلَكِنَّ التَّوَاضُعَ شَيْمَةً
لِرِزْعِيمٍ تُونِسُ نُذْرَةَ الرُّعَمَاءِ
وَأَفَيْتَ بِالتَّبْرِيكِ فِي الْعِيدِ امْرَأً
خَلَعَ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ ثَوْبَ شَقَاءٍ^(٢)

ثمَّ يبيِّنُ شكواه مشدداً على قضية خنق الحرِّيَّات، ومجاربة بعض فئات
المجتمع للمصلحين وأصحاب القول الصريح، ولعلَّه في هذا الشأن يراعي السَّمة
الإصلاحية التي اتَّسم بها طابع الثعالبيِّ الثوريِّ، قال:

قَلْبُ الْكُوَيْتِ مِنَ الشَّرَاسَةِ مُفْعَمٌ
لَكِنَّ عَلَى مِثْلِي مِنَ الْأَدْبَاءِ
النَّاصِحِينَ الْمُخْلِصِينَ بِنُصْحِهِمْ
النَّابِذِينَ خِدَاعَهَا الصُّرَحَاءِ^(٣)

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٢) م، ن، ص ٨٦.

(٣) م، ن، ص ٤٣٠-٤٣١.

ومنهم أيضًا الشاعر الأيُّوبيُّ الذي مدحه بقصيدة مطوَّلة، قال في مطلعها:

مَرْحَبًا بِاللَّيْلِ مَغْوَارِ الْحِمَى
مَرْحَبًا يَا أَيُّهَا النُّجْمُ الْأَعَزُّ
مَرْحَبًا يَا هَيْكَلَ النُّورِ الَّذِي
فِي «كُوَيْتِ الْعُرْبِ أَضْحَى مُزْدَهَر»^(١)

مَنْ الملاحظ على قصائد المناسبات التي عنيت بزيارات الشخصيات العربية السياسية أو الثقافية للكويت، مزاجية الشعراء بين الشكوى والمدح، وتضمينهم الغرض السياسي في سياق الغرض المدحي، مستفيدين من منبر المناسبة لإيصال رسالتهم الإنسانية السامية التي تدعو إلى نبذ الجهل والتشدد، والسعي إلى التقدم والتطور، واستذكار أمجاد العرب القدماء والتغني بها في محاولة لاستنهاض النفوس بغية إعادة ذلك المجد.

ز - زيارة الأمير سعود بن عبدالعزيز^(٢) الكويت عام ١٩٤٠

وقد نظم لمناسبة الزيارة الشاعر راشد السيف قصيدة عنوانها «أعلام السرور»، قال فيها:

وَمَا رَفَرَقْتُ إِلَّا عَلَى خَيْرِ قَائِمٍ
عَلَيْهِ لَحْلُ الْمُشْكِلَاتِ عُهُودُ
وَمَا رَفَرَقْتُ إِلَّا لِتُعْلِنَ أَنَّنَا
عَلَى الْعَهْدِ مَارِلْنَا وَأَنْتَ تُرِيدُ
وَمَا رَفَرَقْتُ إِلَّا لِإِظْهَارِ مَا طَعَى
مِنَ الْوُدِّ حَتَّى لَا يُسَرَّ حَسُودُ
قَدْ افْتَرَّتْ غُرُ الْكَوْنِ مُبْتَسِمًا لَكُمْ
فَكَانَتْ لَهُ أَرْضُ الْكُوَيْتِ تَمِيدُ^(٣)

(١) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ١٨٨.

(٢) سعود بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود (١٣١٩-١٣٨٨ هـ/ ١٩٠٢-١٩٦٩ م) كان ولياً للعهد في أثناء زيارته الكويت عام ١٩٤٠. حكم المملكة العربية السعودية أحد عشر عاماً (١٩٥٣-١٩٦٤).

(٣) راشد السيف، السيفيات، [مخطوط]، الكرّاسة الثانية، ص ٣٤.

يبدو تركيز الشاعر على الأهمية السياسية لهذه الزيارة واضحاً في ثانيا قصيدته، إذ إن هذه الزيارة تأكيد من حكام المملكة السعودية على ضرورة الحفاظ على حق السيادة والجوار لدولة الكويت الشقيقة، وخصوصاً بعد عدد من المناوشات السياسية والمواجهات الحربية بين أبناء الكويت والغزاة القاطنين على الأراضي السعودية آنذاك.

ح - عيد جلوس الأمير عبدالله السالم الصباح عام ١٩٥٠^(١)

يعدُّ عيد الجلوس من أبرز المناسبات الوطنية التي نظم فيها الشعراء الكويتيون وخلّدوا ذكراها، وأشادوا فيها بالحاكم وحكمته وسياسته الرشيدة، إذ تقلّد فيه سمو الأمير عبدالله السالم الصباح مقاليد الحكم في الكويت في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٩٥٠، وسمّي هذا اليوم بعيد الجلوس، وممن نظم في ذلك الشاعر فهد العسكر، فكانت قصيدته «أهلاً وسهلاً بالربيع»:

أَهْلًا بِعَبْدِ اللَّهِ أَهْـ
لَا بِالْمَفَاخِرِ وَالْمَحَامِدِ
بِفَتَى الْكُوَيْتِ وَذُخْرِهَا
وَأَمِيرِهَا الشُّهُمِ الْمُسَاعِدِ
وَلَنَا بِعِيدِ جُلُوسِكَ الـ
مَيْمُونِ أَعْيَادٌ وَعَائِدٌ^(٢)

إنَّ اهتمام الشاعر فهد العسكر بالنظم في هذه المناسبة الوطنية ينبع من حبه للكويت، وولائه للحاكم الشرعيّ فيها. وكذلك كان موقف معاصريه من الشعراء، إذ وثّق المناسبة نفسها أيضاً الشاعر أحمد السقّاف في قوله:

(١) تقلّد سمو الأمير عبدالله السالم الصباح مقاليد الحكم في الكويت في الخامس والعشرين من فبراير ١٩٥٠م، بينما كان استقلال الكويت في التاسع عشر من يونيو ١٩٦١، فاتفق على أن يُجمع العيدان في يوم واحد، ومنذ ذلك الحين ودولة الكويت تحتفل بعيدها الوطني في الخامس والعشرين من فبراير من كل عام.

(٢) عبدالله زكرياً الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ٢٠٥-٢٠٦. انظر: مجلة البعثة، السنة الرابعة، ١٩٥٠، العدد ٤، ص ١٤٠.

يَا صَاحِبَ الْكُرْسِيِّ وَالصُّوْلَجَانُ
هُنْتُتْ بِالْأَفْرَاحِ فِي الْمَهْرَجَانُ
هَـذِي جُمُوعُ الشَّعْبِ قَدْ أَقْبَلَتْ
تُشِيرُ بِالْأَنْفُسِ لَا بِالْبَنَانُ
يَسْعَى بِهَا الْوُدُّ إِلَى مَا جِدِ
لَمْ تُسْعِفِ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ زَمَانُ^(١)

اتَّسَمَتِ القِصَائِدُ الْوُطَنِيَّةُ الَّتِي تَتَغَنَّى بِتَوَلِيَةِ حَاكِمٍ بِأَنَّهَا خَالِصَةٌ لِلْمَدْحِ، كَمَا انْطَوَتْ عَلَى دَعَوَاتٍ تَفَاوُلُ بِمُسْتَقْبَلِ أَكْثَرِ نَضَارًا مِنْ ذِي قَبْلِ، فَيَعْقِدُ الشُّعْرَاءُ آمَالَهُمْ عَلَى الْحَاكِمِ الْجَدِيدِ، مُشِيدِينَ بِحَسَنِ سِيَاسَتِهِ وَصَوَابِ رَأْيِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَضَمَّنَ قِصَائِدَهُمْ أَيَّ قِضَايَا قَوْمِيَّةٍ أَوْ شِكَاوَى شَخْصِيَّةٍ أَوْ دَعَوَاتٍ صَرِيحَةٍ لِلِإِصْلَاحِ.

ط - انتخاب المجالس المحليَّة عام ١٩٥٢

تعتبر قصائد المناسبات السياسيَّة وثيقة تؤرِّخ لأحداث وطنيَّة محليَّة في فترة زمنيَّة مهمَّة في تاريخ الكويت السياسيِّ. ومن هذه المناسبات انتخابات المجالس المحليَّة في الكويت عام ١٩٥٢ التي شكَّلت حكومة الكويت آنذاك، وهي مجالس متعدِّدة يختصُّ كلُّ منها بإدارة مرفقٍ أو شأنٍ من شؤون البلد، على أن تكون سلطاته محدودة لولاية مدَّتها سنتان. وعلى هذا الأساس تمَّت انتخابات مجالس المعارف والبلديَّة والصِّحَّة والأوقاف بدعوة عددٍ محدود من المواطنين لانتخاب اثني عشر عضوًا لكلِّ مجلس. ونظَّم في ذلك الشاعر عبدالله سنان محمَّد، فقال:

هُوَ عِبَاءٌ قَدْ انْتَخَبْنَا لَهُ النَّدَّ
زِيَّةَ مِنَّا وَكُلُّهُمْ لَيْثٌ غَابَهُ
سَدَّدَ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ خُطَاهُمْ
وَاطْمَأَنَّتْ نُفُوسُنَا الْمُزْتَابَهُ
فَلْنُهْنِيهِمْ شَبَابًا وَشَيْبًا
وَعَلَيْهِمْ أَمِيرُنَا فِي الدُّوَابَهُ^(٢)

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٢) مجلَّة البعثة، السنة السادسة، ١٩٥٢، العدد ٣، ص ١١٨.

وفي المناسبة نفسها نظم الشاعر أحمد مشاري العدوان قصيدة أشاد فيها بإقامة العدل ومشاركة الشعب للأسرة الحاكمة في تسيير بعض شؤون البلاد، فقال:

فَالْعَدْلُ قَاضٍ وَالْحُقُوقُ عَزِيزَةٌ
وَمَجَالِسُ الشُّورى أَتَاهَا أَهْلُهَا
وَالشَّعْبُ حُرٌّ كَلَّلَتْهُ حُكُومَةٌ
شَعْبِيَّةٌ يَسْعُ الْمُواطِنُ عَدْلُهَا
إِنَّ الصَّبَاحَ صَبَاحُ كُلِّ عَشِيَّةٍ
غَابَتْ كَوَاجِبُهَا وَأَغْطَشَ لَيْلُهَا^(١)

ومِمَّا تجدر الإشارة إليه، أنَّ الشعر في الكويت لم يعنَ بقيام المجلسين: الاستشاري عام ١٩٢١، والتشريعي عام ١٩٢٨، ولا بموتهما؛ ولعلَّ قسطاً من الشعر الكويتي لم يُنشر بعد، وبخاصة ما يتصل ببعض الأحداث المحليَّة التي تتسم بالحساسية، على الرغم من أنَّ الشعر النَّبطيَّ قد تناولها^(٢). ولعلَّ السبب أنَّ الشعر النَّبطيَّ يُنظم باللهجة المحليَّة، ويعتمد على النُّقل روايةً ومشافهة، حتَّى بعد ظهور الطباعة. أمَّا الشعر الفصيح فإنَّ المرويَّ منه قليل، وما وصلنا منه لا يعبر عن النَّتاج الشعريَّ الكامل لعصر أدبيٍّ، فيَصْلُح للحكم على ازدهاره أو انحداره، إذ يمكن أن يكون الشعر الفصيح قد تناول هذه الأحداث السياسيَّة جميعها، إلَّا أنَّنا لم نحظْ بشيءٍ من قصائد هذه المناسبات، ويضطررنا التحليل إلى الاستناد إلى ما أمكننا الوصول إليه من أشعار.

وجد الشعراء من الأمسيات الشعريَّة التي تقام لمناسبة الاحتفاء بالشخصيَّات المكرَّمة وسيلةً لإيصال رسالتهم إلى متلقِّيهم، المثقَّفين وأصحاب الجاه بخاصَّة، فاتَّخذ شعر المناسبة عندهم ثلاثة محاور رئيسة، لا يكادون يخرجون عليها: الأوَّل الترحيب بالشخصيَّة المدعوَّة ومدحها بما فيها من خصال حميدة. والثاني تركيز الشعراء على نقد التخاذل العربيِّ إزاء الوجود الاستعماريِّ في المنطقة العربيَّة، وتضمنين التذكير بالأمجاد العربيَّة، والثالث شرح الحال العلميَّة المتردِّية في الكويت، والأمل بنهضة ثقافيَّة يقودها المصلحون أمثال الشخصيَّة المدعوَّة.

(١) مجلَّة البعثة، السنة السادسة، ١٩٥٢، العدد ٢، ص ٦٥.

(٢) خليفة الوقيان، القضية العربيَّة في الشعر الكويتي، ص ٥٤.

قابل بعض النُّقاد شعرَ المناسبات بالرَّفْض، بحجَّة أنَّه لا يصدر عن عاطفةٍ صادقة، متذرعين بأنَّ المناسبة هي التي تُملِي على الشاعر هذا اللون من الشعر، لتتولَّد القصيدة بإحساسٍ عابرٍ وانفعالٍ فاطرٍ تجاه مناسبةٍ لها مكانها وزمانها. غير أنَّ جودة النصِّ الشعريِّ مرتبطَةٌ بالشاعر نفسه، من حيث تمكُّنه وثقافته وفطريَّته الشعريَّة، وهي تجعل نصوصه في المناسبات لا تقلُّ إبداعيةً عن النصوص التي ينظمها في سواها، وعلى العكس ممَّا يرى النُّقاد فإنَّها تزيد تجربته وتصلقها، وتوسِّع مساحة قُرْائه. ولو أردنا إلقاء المزيد من الضوء على قصائد المناسبات لوجدنا أنَّ نسبةً كبيرةً من الشعر الكويتيِّ -والعربيِّ بعامةٍ- نُظِّمَتْ في مناسبة محدَّدة ومحصورة، وخصوصاً القصائد ذات الغرض السياسيِّ، تلك التي لا تصدر إلَّا مقابل حدثٍ سياسيٍّ بارز، كقصائد النقد السياسيِّ وقصائد توثيق المواجهات الحربيَّة وغير ذلك.

شغل الوطن حيِّزاً واسعاً في ديوان الشعر العربيِّ الفصيح في الكويت، واعتنى الشعراء الكويتيُّون بأدقِّ تفاصيل أوطانهم؛ سواء أكانت الحقيقيَّة السيادةً بالمفهوم المعاصر للوطن، أم الرمزِيَّة التي يبتدعها الشاعر في مخيلته هرباً من واقعه الاجتماعيِّ المتشدِّد. وكان للشعراء مذاهب في إثبات ولائهم لوطنهم الكويت، والتعبير عن محبَّتهم له، والرغبة في الإقامة على أرضه وفي ربوعه. فمنهم من عبَّروا عن هذا الولاء في إظهار خوفهم على وطنهم من الانجراف مع التيار المتشدِّد الذي ساد الكويت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومنهم من اكتفى بالفخر والشوق والحنين إلى ربوع الوطن الغائبة، فحمَّلوا قصائدهم محبَّتهم وولاءهم للأرض التي ولدوا فيها وعاشوا في كنفها. واتَّخذ الوطن عند آخرين صورة سلبيةً بعد أن برز رفضهم الصريح لهذا الوطن في أكثر من مكان وأكثر من مناسبة.

وعلى الرغم من وفرة النماذج الشعريَّة التي صوَّرت رفض الوطن عند بعض شعرائه، فقد وقفنا على نماذج للشعراء عينهم كانت زاخرة بالمعاني الوطنيَّة، وصور الولاء والفخر الوطنيَّين، أكَّدوا فيها وطنيَّتهم وتعلَّقهم بالوطن وبعض ساكنيه. وقد أوضح الشعراء أنَّ رفضهم كان لأسباب محدَّدة تقوم في جوهرها على نبذ فئة من

المجتمع للشعراء والمصلحين، لذلك كان رفضهم لبعض مفاهيم الوطن، ولم يكن رفضاً للوطن بعامّة.

ولأنّ الشعراء الكويتيين اعتنوا بالمناسبات الوطنية ووثّقوها في كثير من قصائدهم، واتّخذوا من مقامها سبيلاً للبوح بمضامين سياسية وطنية أو قومية خارج غرض المناسبة الأساسي، فقد كان من الملائم إلقاء الضوء على بعض قصائد المناسبات في النصف الأول من القرن العشرين، مع توضيح أسلوب الشعراء في نظمهم فيها، والذي تضمّن الشكوى السياسية والاجتماعية مقترنتين بالفخر والمدح اقتراناً أعطى هذه القصائد بعدها السياسي المنشود.

واستكمالاً للقضايا السياسية الداخلية في الكويت، تستوقفنا النماذج الشعرية التي اعتنى ناظموها بتصوير المواجهات الحربية في إطار الكويت، والتي كان الكويتيون أحد طرفي النزاع فيها. وقد اتّجه فيها الشعراء إلى تمجيد الوطن وأبنائه، واضعين بين أيدينا أبرز المعارك والصراعات، والأسباب التي أدّت إلى نشوبها، وملقين الضوء أيضاً على دعوات التهدئة وضبط الأنفس، والجنوح إلى السلم والوفاق. وسنتبيّن تفاصيل ذلك في ما يأتي.

الفصل الثاني

المواجهات الحربية الداخلية

الحربُ مظهرٌ من مظاهر استعمال العنف والإكراه، ووسيلةٌ لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ، أو لحسم خلافٍ حول مطالب متعارضة بين جماعتين أو أكثر من البشر. ويُعرّف المنظر العسكري الألماني «كلاوزفيتز» الحرب بأنها: «امتداد للسياسة بوسائل أخرى، وعملٌ عنفٍ يُقصد به إجبار خصمنا على الخضوع لإرادتنا»^(١). وكما تعددت الأسباب التي تؤدي إلى هذه الظاهرة، تعددت أوجه تحليلها؛ فمنها ما هو سياسيٌ أو قانونيٌ أو نفسيٌ أو اجتماعيٌ أو تقنيٌ أو أدبيٌّ، إلا أنَّ التفسيرات والنظريات تجمع عادةً بين أكثر من زاوية أو عامل من هذه العوامل، نظراً لأنَّ الحرب تشكّل ظاهرة من أكثر الظواهر الاجتماعية تعقيداً وتشعباً، يصعب تفسيرها في ضوء عاملٍ واحدٍ فحسب.

وللوقوف على طبيعة المواجهات الحربية بين الكويت وبعض الدول المجاورة لها، نتناول الموضوع من عدّة جوانب، تتمثل في الأسباب التي أشعلت فتيل الحرب بين الطرفين المتنازعين، إلى دور الشاعر الكويتي في توثيق هذه المعارك وتصويرها، سواءً أكان وقوفاً على تفاصيلها وجزئياتها، أم اكتفاءً بتناول الحدث بسطحية دون الخوض في تفاصيله، وصولاً إلى تعدّد مواقف الشعراء إزاء هذه المواجهات بين الداعين إلى السلم والصلح وتهدئة النفوس، ثمّ الحاضين على الجهاد، المحرّضين على الشار والانتقام من المعتدين.

(١) عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج٢، ص ١٧٠.

أولاً: أسباب المواجهات الحربية

أ - الأسباب السياسية

١ - الموقع الاستراتيجي لدولة الكويت: للكويت موقعٌ جغرافيٌّ استراتيجيٌّ متميزٌ؛ إذ تشكّل مفتاحاً لما بين النهرين ووسط بلاد العرب، وتمثّل أنشطَ موانئ الخليج العربي التجارية في الثغر التجاري للمناطق الداخلية الذي تمرُّ عبره صادراتها و وارداتها، وسوق الصحراء الذي يَفدُ إليه عرب البادية لبيع مواشيهم وشراء الأغذية والأسلحة؛ ولذلك رأى الشاعر أحمد مشاري العدوان أن الكويت محسودة على موقعها الاستراتيجي المهم، فقال:

وَطَنِي الْكُوَيْتُ وَأَنْتَ فِي فَلَكِ الْعُلَا

وَطَنٌ عَلَى خَيْرَاتِهِ مَحْسُودٌ

تَرْنُو الْمَطَامِعُ حَوْلَهُ مَسْعُورَةً

حُمْرُ الْأَطَاغِيرِ وَالنَّوَايا سُودٌ^(١)

ولم يُكتَفَ بهذا الحسد، فتنازعتها قوى محلية ودولية كبرى في سياقٍ محموم للسيطرة عليها؛ إمّا للهيمنة وبسط النفوذ، أو لكسب ودّها والتحالف معها، في الوقت الذي آل فيه الحكم إلى رجلٍ قويٍّ هو الشيخ مبارك الصباح^(٢) في فترة حكمه الممتدة بين العامين (١٨٩٦ - ١٩١٥م).

(١) مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أحمد مشاري العدوان: الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٤٩.

(٢) مبارك بن صباح الصباح (١٨٤٠ - ١٩١٦م)، الحاكم السابع لدولة الكويت، تقلد الحكم عام ١٨٩٦ بعد مقتل أخويه محمد وجراح. يلقب بـ «مبارك الكبير»، عُرف عنه الشجاعة وقوة البأس وحسن الإدارة، وذاع صيته في البلدان المجاورة، ولقب «أسد الجزيرة». ازدهرت الكويت في عهده، وحل الرخاء والأمن في أرجائها، وله الفضل الكبير في تأسيس الدولة. من أبرز الأحداث في عهده: اتفاقية الحماية البريطانية ١٨٩٩. هجوم حمود آل صباح على شمر. وقعة الصريف. زيارة اللورد كرزون حاكم الهند للكويت. حلول المعتمد البريطاني في الكويت. معركة هديّة. هجرة تجار اللؤلؤ من الكويت. زيارة اللورد هارنج إلى الكويت. افتتاح المدرسة المباركية. انظر: الموقع الرسمي للديوان الأميري في الكويت، حكام الكويت.

٢ - المشكلات على الحدود بين الكويت وجيرانها: يستحضرنا بيتان للشاعر خالد الفرج من قصيدة نظمها عام ١٩٢٦ جواباً على قصيدة أرسلها إليه صديقه الشاعر عبداللطيف النصف، يشكو له فيهما الحال المتردية لوطنه الكويت، ويحمل الطبقة السياسية لومَ العداوات والمواجهات الحربية بين الكويت وجيرانها، فيقول:

هَلْ يَزْتَقِي وَالنَّابِهُونَ بِأَرْضِهِ
أَذْنَابُهُ، وَالْخَامِلُونَ أَبَاتَهُ؟
وَالْأَجْنَبِيُّ صَدِيقُهُ وَحَمِيمُهُ
جَهْلًا، وَمِنْ أَعْدَائِهِ جَارَاتُهُ؟^(١)

ولمن يكون الأجنبى صديقاً؟ ومن يملك الصلاحية لمصادقة دولٍ وعداءٍ أخرى؟ بالتأكيد ليس للشعب في هذه النزاعات السياسية أيُّ يد، لكنّها سياسة دول يتحكّم فيها الساسة، وما يخرجون به من نتائج تنعكس على الشعب لاحقاً، فلا يكون له إلا المباركة أو التعزية.

والشاهد هو ما نصَّ عليه الفرجُ في الشطر الأخير من بيتيه؛ عندما جعل «الكويت» على عدااء مع بعض الدول العربية الأخرى المجاورة لها، وخصوصاً بعض القبائل المتزعمة في نجد، ويؤكد ذلك حالة التوتر التي كانت بين الطرفين، والتي جاءت فيما بعد بوبال الحرب.

ب - الأسباب الفكرية

١ - رغبة بعض الإخوان في فرض الغلو الديني على المجتمع الكويتي: إذ يعتبر الدين أقصر الطرق لإعلان الحرب على أيّ فئة من دون تبرير سوى تكفيرها، ومن هذا المنطق اتَّهموا أهل الكويت بالكفر، فبدأوا يدعون أهلها -المسلمين أصلاً-

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٢.

إلى الدين الحنيف، أو ردّهم إليه بعد أن خرجوا عليه كما يدّعون^(١). وللشعراء
الموالين لزعيم هذه الدعوة فيصل الدويش^(٢)، قصائد كثيرة تؤكد هذا الطرح^(٣).

ولعلّ رفض الكويتيين للتمذهب الحادّ الذي أخذ به الإخوان أنفسهم، هو
المبدأ الذي قاتلوا من أجله، «كما رفضوا الإقرار على أنفسهم بالكفر لمجرّد أنّهم
يتسامحون في تدخين التبغ، مع أنّ الإقرار بالكفر والتوبة كان سيصرف الإخوان
عن الحرب بسقوط حجّتهم الشكليّة. ولعلّ الكويتيين قدّروا للحرية الشخصية
قيمتها في وقت مبكر، ولعلّهم أيضاً فطنوا إلى أنّ المساومة إذا بدأت فلن تنتهي إلا
بإخضاع أرضهم للقوّة الجديدة. وتعطينا حرب الجهراء ملمحاً أساسياً من ملامح
النفس العربيّة في الكويت، فهي ترفض التمدذهب الحادّ بعكس جيرانها العرب في
الشمال والغرب، كما تميل إلى المساومة والتعايش في ظلّ الحفاظ على الحقوق
المشتركة، وانفراد كلّ شخص بتصرفه شأنه دون إكراه»^(٤).

(١) ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد - الذي شهد معركة الجهراء - أنّ مندبل بن غنيّمان، النائب الأوّل عن
قائد الإخوان فيصل الدويش، قال للشيخ سالم حاكم الكويت: «إنّ الدويش يريد مسالمتكم، وهو يدعوكم
إلى الإسلام، وترك المنكرات والدخان (التبغ)، وإلى تكفير الأتراك». انظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ
الكويت، ص ٢١٩.

(٢) فيصل بن سلطان بن فيصل الدويش (١٨٨٢-١٩٣١م)، تولّى الإمارة بعد وفاة والده سلطان الدويش،
واستقرّ في هجرة الأوطاء عام ١٩١٥، وترأس بعض قوّة الإخوان في معارك توحيد المملكة السعديّة.
انظر: ويكيبيديا.

(٣) نظم الشاعر محمّد ابن عثيمين (١٨٥٤-١٩٤٤م)، الموالى لحركة الإخوان، قصيدة مبيّناً نيّتهم مهاجمة الكويت،

متدّرّعاً بحرصهم على ردّ الكويتيين إلى الدين مجدّداً، وليس بقصد السلب والنهب، قال:
وَأَذْكُرُ مَا تَرَى قَوْمٌ جُلَّ قَصْدُهُمْ جِهَادُ أَهْلِ الرَّدَى لِلَّهِ لَا السَّلْبُ
صَبَّ إِلَهُ عَلَى أَهْلِ الْكُوَيْتِ بِهِمْ سَوَّطُ الْعَذَابِ الَّذِي فِي طَيْهِ الْغَضَبُ
هَذَا نَكَالُ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ بِكُمْ فَإِنْ رَجَعْتُمْ وَإِلَّا اسْتَوْصِلَ الْعَقَبُ

انظر: عبدالعزيز الرشيد، م، س، ص ٢٦٣.

(٤) محمّد حسن عبدالله، الحركة الأدبيّة والفكريّة في الكويت، ط ١، الكويت: رابطة الأدباء في الكويت، ١٩٧٣،
ج ١، ص ٢٩-٣٠.

ويشير الشاعر ناصر بن قاسم آل غانم الكويتي^(١) إلى أنَّ السبب الرئيس لمعركة الرَّقْعِيَّ^(٢) التي وقعت عام ١٩٢٨ هو همجيَّة بعض الإخوان وضلالهم باعتدائهم على الكويت، وسعيهم إلى تفريق العرب بعضهم عن بعض، بدلاً من لَمِّ الشمل والسعي إلى الوحدة. فيقول في قصيدته التي أرسلها إلى الشاعر عبدالعزيز الرشيد، في العام نفسه الذي نشبت فيه المعركة، شاكياً إليه ما أصاب الكويت من التأخر والانحطاط، وما مُنيت به من مصائب وأرزاء:

يَا شَيْخَنَا إِنَّ الْكُوَيْتَ لَنَشْتَكِي
مِنْ جَوْرِ أَفْرَادٍ مِنَ الْإِخْوَانِ
جَعَلُوا التَّفَرُّقَ دَابَّهُمْ فِيهَا فَمَا
رَأَوْا سِوَى التَّخْرِيبِ لِلْوَطَانِ
هُمْ أَزْهَقُوا رُوحَ الْهُدَى بِضَلَالِهِمْ
هُمْ صَيَّرُونَا فِي الْحَضِيضِ الدَّانِي^(٣)

ولعلَّ العداء الذي يظنُّه الإخوان في حاكم الكويت لهم كان سبب مهاجمتهم إيَّاهَا، «فهنالك مَنْ قال بنفور حاكم الكويت الشيخ سالم الصَّبَاح^(٤) من الوهابيِّين، وعَقَدَه لبعض معتقديه مجالسَ الوعظ التي يرميهم فيها بفساد العقيدة والجهل والتعصُّب، وقيل إنَّه كان يكره الوهابيِّين والإخوان ولا يَتَّقِي»^(٥).

(١) شاعر كويتي، عاش في النصف الأول من القرن العشرين، له قصائد منشورة في مجلة الكويت عام ١٩٢٨، لم أعتز له على ترجمة في ما وصلت إليه من مصادر ومراجع.

(٢) الرقعي: منطقة كويتية حدودية بين الكويت والمملكة العربية السعودية، وقعت فيها معركة في ٢٨ يناير ١٩٢٨ بين الشيخ علي السالم الصباح قائد الجيش الكويتي، وفئات من الإخوان بقيادة علي بن عشوان، أسفرت عن مقتل علي السالم الصباح، وانتصار قوات الإخوان.

(٣) مجلة الكويت، ١٩٢٨، م ١، ج ١٠، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٤) سالم المبارك الصباح (١٨٦٤-١٩٢١م)، حاكم الكويت التاسع، وهو الابن الثاني من الذكور من أبناء الشيخ مبارك الصباح من زوجته الشبيخة شبيخة دعيج الصباح. تولى الحكم عام ١٩١٧ بعد وفاة أخيه الشيخ جابر المبارك الصباح. من أبرز الأحداث في عهده: بناء سور الكويت الثالث. معركة حمض. معركة الجهراء. انظر: الموقع الرسمي للديوان الأميري في الكويت، حُكَام الكويت.

(٥) خليفة الوقيان، الثقافة في الكويت: بواكير- اتجاهات- ريادات، ط ٥ [منقَّحة ومعدَّلة]، الكويت: مطبعة الفيصل، ٢٠١١، ص ٢٣٠.

ينفي الباحث الدكتور خليفة الوقيان هذا الاتهام عن الشيخ سالم الصباح، فيقول: «إذ كان معروفًا بالتزامه وشدة تدينه، وإن صحَّ كرهه لهم فيكون السبب سياسياً وليس فكرياً»^(١).

وحصر الشاعر الكويتي عبدالمحسن الرشيد - في مرحلة لاحقة - سبب المواجهات الحربية في الخلاف الفكري بين الفئتين، والتعصب والغلو اللذين حاول الإخوان إلزام أهل الكويت بهما، فبين تصور الكويتيين تجاه معركة الجهراء، وأنّ الدماء التي بذلوها أهرقت من أجل محاربة هذا التعصب، قال:

هَيْهَاتَ نَرُضَى بِالتَّعَصُّبِ مَسْلُكًا
عُمِيًّا نَسِيرُ كَمِثْلِ سَيْرِ الآلَةِ
أَبَاؤُنَا بِدِمَائِهِمْ قَدْ حَارَبُوا
جُورَ التَّعَصُّبِ قَبْلَنَا فِي الْجَهْرَةِ^(٢)

فهذا «التصور الإخواني المוגل في الغلو، لم يكن مقبولا لدى الكويتيين المعروفين بتدينهم، لذلك نجدهم يرفضون منطق الإخوان، ويتصدون لمقولاتهم بالتسفيه... فكانت المواجهات الحربية نتيجة الاختلاف الكبير في التصورات المتصلة بالقضايا الدينية بين الكويتيين الذين ينبذون التشدد والتعصب، والإخوان الوهابيين ذوي الرؤية الضيقة التي تتسم بالغلو، فقد كان من الطبيعي أن تقع المواجهة بين الطرفين»^(٣).

٢ - انتشار الجهل وغياب الحكمة في ظل الطيش والعصبية: حيث يرى الأيوبي أنّ هذا كان من أبرز أسباب وقوع معركة الرقعي التي كانت حصيلتها مئات الشهداء والجرحى، وأنّ الدين قد أضحى وسيلة للحكم أكثر ممّا هو التزام له عن

(١) خليفة الوقيان، الثقافة في الكويت: بواكير - اتجاهات - ريادات، ص ٢٣٠.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٨٤.

(٣) خليفة الوقيان، م، س، ص ٢٣١.

عقيدة وإيمان، وأنَّ السبب يلحق أيضًا ببعض الحكماء الذين غَيَّبُوا أنفسهم عن هذه الواقعة، فقال:

إِنَّ الْجَزِيرَةَ فِي أَكْنَافِهَا نَظَرْتُ
عَيْنَ الْمَصَائِبِ فِي السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ
فَكَانَ مِنْ دِمَها الصَّخْرَاءُ عَابِسَةً
كَأَنَّهَا سُحْبٌ حَمْرَاءُ كَاللَّهَبِ
الْجَهْلُ مُنْتَشِرٌ وَالْأَمْنُ مُنْتَهَكٌ
وَالْحَرْبُ طَاجِنَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبِ
الدِّينِ أَضْحَى بِأَيْدِي الْجَاهِلِينَ يُرَى
أَلْعُوبَةُ لِذَوِي الْأَغْرَاضِ وَالرُّتَبِ
أَيْنَ الْمُرُوءَةِ؟ بَلْ أَيْنَ الْإِخَاءِ؟ وَهَلْ
مِنْ نَاهِضٍ جَامِعٍ لِلشَّمْلِ مُرْتَقِبٍ؟^(١)

وتعقيباً على الأسباب المبكرة للمواجهات الحربيّة في الكويت، يعود بنا التاريخ إلى العلاقة المتوتّرة المبكرة بين بعض أبناء الكويت وبعض الإخوان الوهابيّين، ومن ذلك ما نجده في قصائد الشاعر والمؤرّخ الكويتيّ عثمان بن سَند الوائليّ^(٢) المعاصر للغزوات الأولى لهم على الكويت، حيث أشار إلى مدى الحقد الذي يكنّه شخصياً -لأنصار الدعوة الوهابيّة؛ ولعله كان متأثراً بأستاذه الشيخ محمّد بن عبدالله ابن

(١) نوريّة الرّومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريّ عرض ونقد، ص ٥٣٥.

(٢) عثمان بن سَند بن راشد البصريّ الوائليّ (١١٨٠-١٢٤٣هـ/ ١٧٦٦-١٨٢٧م)، ولد في جزيرة فَيْلَكا التابعة لدولة الكويت، وعاش في الكويت والعراق ونجد والشام. اشتغل في بداية أمره معلّماً في مدارس البصرة، ثمّ مستشاراً لوالي بغداد داود باشا. له قصائد متفرقة ضمّنها مؤلفاته المختلفة. له مؤلفات في علوم متنوعة، منها: «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود»، و«أصفي الموارد من سلسال الإمام خالد»، و«سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد»، و«الجوهر الفريد على الجيد»، و«فكاهة السامر وقرّة الناظر». توفّي في مدينة بغداد وهو على رأس عمله مستشاراً للوالي داود. انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ٧١٥.

فَيَرُوزُ^(١) الذي يَعُدُّ من «ألد أعداء الدعوة الوهابية»^(٢). وممَّا قاله ابن سند في إظهار عدائه للدعوة الوهابية:

وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ وَاحِدًا تَسْتَطِيبُهُ
إِذَا خَبَثَ الْأَبَاءُ لَمْ يَطِبِ الْوُلْدُ^(٣)

الشاعر خالد الفرج أيضًا، كان من المعاصرين لغزوات بعض الإخوان على الكويت، وكان قد مدحهم في غُرِّ قصائده التي خاطب بها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود^(٤)، إلا أنَّ مديحه لبعضهم كان على حساب القدح في بعضهم الآخر المنشقَّ عن الولاء للملك، وهو القسم الذي سبَّب الاعتداءات السافرة على الكويت. وهذا ما سيتمُّ تناوله بالتفصيل في الفصل الثاني من هذه الدراسة، في الحديث عن الشعر الكويتي وتصويره للنزاعات العربية العربية في شبه الجزيرة العربية، بين التوثيق والولاء السياسي.

(١) محمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز التميمي (١١٤٢ - ١٢١٦ هـ / ١٧٢٩ - ١٨٠١ م) فقيه حنبلي، من أهل الأحساء. ولد فيها، وكَفَّ بصره في الثالثة من عمره. وكثُر تلاميذه ومريده. انتقد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فلما عظم أمرها رحل إلى البصرة، فتوفي فيها. له أراجيز وتصانيف ليست على قدر علمه. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٤٢.

(٢) عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، ط٤، الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٩٨٢، م، ١، ص ٢٩١.

(٣) خليفة الوقيان، الثقافة في الكويت: بواكير - اتجاهات - ريادات، ص ٢٢٦.

(٤) عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود (١٢٩٣ - ١٣٧٣ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٥٣ م)، ملك المملكة العربية السعودية الأولى، ومنشئها. ولد في الرياض، ولمَّا بلغ العاشرة من عمره انتقل مع عائلته إلى الكويت بعد انتصار آل رشيد أمراء حائل على آل سعود، وقضى طفولته فيها إلى أن استردَّ الرياض سنة ١٩٠١. خاض عدَّة حروب لتوحيد المملكة السعودية على الشكل الذي استقرَّت عليه حتَّى يومنا هذا. توفي في الطائف عام ١٩٥٣. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٩.

ثانيًا: الفرق بين حركة الإخوان الوهابيين وجماعة الإخوان المسلمين

وهنا نرى توضيح الفارق بين حركة الإخوان الوهابيين وجماعة الإخوان المسلمين؛ فالإخوان الوهابيون هم «ما يُطلق عليهم اسم (إخوانٌ مَنْ أطلعَ الله)، وهو الاسم الذي يطلق على البدو الذين هجروا حياة البادية واستقروا في الهَجَر. وتأسست أوّل هجرة لهم عام ١٩١١ في الأُرطاويّة شمال مدينة الرياض، ثمّ تزايدت أعداد الهجرة بعد ذلك حتّى بلغت أكثر من مائتي هجرة موزّعة على أغلب مناطق شبه الجزيرة العربيّة، وسُمّيت بالهجرة نسبة لهجرة الإخوان حياة البادية»^(١).

كما يطلق اسم الإخوان الوهابيين على أتباع الحركة الوهابيّة التي أسّسها محمّد بن عبد الوهاب^(٢)، حيث «كوّن الإخوان الجيش الأساسي لقوّات الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سُعود خلال حروب توحيد الدولة السُّعوديّة. وبعد ظهور حركة الإخوان في نجد في أوائل القرن العشرين سكنت قبائل مُطير هَجَرَ الأُرطاويّة وقرية العليّا وفُرَيْثان والفُرُوثي، وبلغ مجموع الذين لبّوا الجهاد من هَجَر مُطير نحو أحد عشر ألفاً ومئة مُقاتل»^(٣).

وأتباع الحركة الوهابيّة انقسموا إلى قسمين آنذاك: الأول هم المحافظون الملتزمون بالنهج القويم دون أن يكون لهم أطماع سياسية أو توسعية، وهؤلاء نأوا بأنفسهم عن الغزوات التي من شأنها أن تضر بالمصالح بين نجد والحجاز والكويت.

والثاني هم الإخوان الذين حاربوا الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن إبان سعيه لتوحيد شبه الجزيرة العربيّة، كما أنهم يعتبرون المسؤولين عن الغزوات التي تعرضت لها أطراف دولة الكويت، وتميز هذا القسم بالتشدد.

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط١، بيروت: المطبعة العلميّة ليوسف صادر، ١٩٢٨، ص ٤٥٦، ٢٦٢.
(٢) الشيخ محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمّد بن أحمد التميمي، رجل الإصلاح الدينيّ المشهور، ولد سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م، وقام بالدعوة سنة ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م. وتوفي سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م. من أبرز مؤلفاته: كتاب «التوحيد». انظر: خالد محمّد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق ودراسة: عبدالرحمن بن عبدالله الشقيير، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠، ص ٧٦، ١٤٦.
(٣) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ص ٢٦٢، ٤٥٦.

أمّا جماعة الإخوان المسلمين، فهي «منظمة سياسية دينية تهدف لإقامة الدولة الإسلامية، أسّسها الشيخ حسن البنا^(١) عام ١٩٢٩ في مدينة الإسماعيلية المصرية. والدولة الإسلامية -كما افترضها الشيخ البنا- ستستمدّ قوانينها من الشريعة الإسلامية التي تُعتبر متفوّقة على جميع المؤسسات الغربية، ومن ثمّ فهي لن تكون شيوعية ولا ديمقراطية غربية. وانتشرت الحركة بسرعة في مختلف أرجاء مصر والوطن العربيّ، بيد أنّ الطابع السياسيّ بدأ يغلب على الطابع الدينيّ فيها شيئاً فشيئاً. وفي العام ١٩٤٨ اغتيل النّقراشيّ باشا^(٢)؛ رئيس وزراء مصر، بعد أن أصدر أمراً بحلّ الجماعة ومصادرة أموالها، وبعد بضعة أسابيع اغتيل الشيخ البنا مؤسس الحركة ومُرشدّها العام. وفي عام ١٩٥٠ أُعيدَ تنظيمُها مجدّداً، ولكنّ الرئيس جمال عبدالناصر^(٣) عاد فعلّها وصفّاها مجدّداً إلى جانب جميع الأحزاب المصرية الأخرى عام ١٩٥٤، وكان الإخوان المسلمون قد أُدينوا بمحاولة اغتيال الرئيس عبدالناصر في ذلك العام. ولحركة الإخوان فروع وامتدادات في الكثير

(١) حَسَنُ الْبَنَّا (١٩٠٦-١٩٤٩) حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البنا، مؤسس جمعية «الإخوان المسلمين» بمصر، وصاحب دعوتهم. ولد في المحمودية قرب الإسكندرية، وتخرّج في مدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، فتنقّل في بعض البلدان متعلّماً إلى أهلها، مختبراً طباعهم وعاداتهم. له مذكرات نُشرت بعد وفاته بعنوان «مذكرات الدعوة والداعية»، وكتب في سيرته «روح وريحان» و«من حياة داعٍ ودعوة» لأحمد أنس الحجاجي. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) محمود فهمي باشا ابن علي النقراسي (١٣٠٥-١٣٦٨ هـ/ ١٨٨٨-١٩٤٨ م)، ولد في محافظة الإسكندرية، وتعلّم بها، ثمّ أكمل تعليمه في جامعة نوتنغهام (Nottingham) بإنجلترا. عاد إلى مصر سنة ١٩٠٩ يحمل شهادة مدرّس. واشتغل بالتدريس، وترقى إلى أن كان مديراً للتعليم في أسيوط، ثمّ استقال وانضمّ إلى الوفد المصريّ. لاحقاً، عُيّن رئيساً لمجلس الوزراء سنة ١٩٤٥. عمل على تقوية جمعية الإخوان المسلمين، لمقاومة الوفديّين، فأتسع نطاق الجمعية، وخيف انقلابها على السلطات المصريّة، فأمر بحلّها، فتحوّلت إلى جمعية سرّيّة. تصدّى له طالب في كليّة الطبّ البيطريّ، اسمه عبدالمجيد أحمد حسن- فقتله بثلاث رصاصات، أمام مصعد وزارة الداخلية. انظر: م. ن، ج ٧، ص ١٨٠-١٨١.

(٣) جمال عبدالناصر بن حسين بن خليل ابن سلطان عبدالناصر (١٣٣٦-١٣٩٠ هـ / ١٩١٨-١٩٧٠ م)، ولد في قرية بني مر بمحافظة أسيوط، وانتقل إلى القاهرة في الثامنة من عمره. لاحقاً، انتخب رئيساً لجمهورية مصر عام ١٩٥٦. ومن أهمّ الأحداث في فترة حكمه: خروج آخر جنديّ بريطانيّ من مصر، وتأميم شركة قناة السويس، وتحويل مصر إلى النظام الاشتراكيّ عام ١٩٦١، وإعلان الوحدة المصريّة السوريّة عام ١٩٥٨. انظر: م. ن، ج ٢، ص ١٣٤-١٣٥.

من الأقطار العربيّة، وتقوى حركة الإخوان وتشتدُّ بتأييدٍ من قوى اليمين العربيّ المحافظ، عندما تتعاظم الموجة العربيّة التقدّميّة، ولا سيّما في الأردن وسوريّة، ويعتبر سيّد قُطُب^(١) أبرز كُتّاب الحركة^(٢).

ومن الملاحظ أنّ اشتراك الجماعتين بالاسم ناتج من اشتراكهما في الجوهر المتمثل في التعصب لبعض الآراء الدينيّة. فكما سيمرُّ معنا عن حركة الإخوان، رفض قسم من أهالي شبه الجزيرة العربيّة، وبخاصّة في الكويت، بعض مبادئ هذه الحركة المتذرعة بالدين لتحقيق مطامعها السياسيّة، ولعلّ أبرز ما يمثّل لذلك تلك الغزوات التي قام بها بعض أتباع الحركة على دولة الكويت وأطرافها وسواحلها منذ نهاية القرن الثامن عشر، فذلك سبّب العداء بين بعض أفراد هذه الحركة وبعض فئات المجتمع الكويتيّ.

(١) سيّد قُطُب بن إبراهيم (١٣٢٤-١٣٨٧هـ / ١٩٠٦-١٩٦٧م) مفكّر إسلاميّ مصريّ، من مواليد قرية (موشا) في محافظة أسيوط. تخرّج في كليّة دار العلوم (القاهرة)، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلّتي: الرسالة، والثّقافة، وعيّن مدرّساً للعربيّة، ثمّ موظّفاً في ديوان وزارة المعارف. أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا، ولما عاد انتقد البرامج المصريّة، وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتماشى والفكرة الإسلاميّة. استقال من عمله عام ١٩٥٣، وانضمّ إلى حركة الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة، وتولّى تحرير جريدتهم، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، ومنها: «النقد الأدبيّ: أصوله ومناهجه» و«العدالة الاجتماعيّة في الإسلام»، وغير ذلك. حُكِمَ على سيّد قُطُب بالإعدام، ونُفِذَ فيه وهو في السجن في عهد الرئيس جمال عبدالناصر عام ١٩٦٦. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٤٨.

(٢) عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ١١٢-١١٣.

ثالثاً: دور الشعراء الكويتيين في توثيق المواجهات الحربية

من أبرز المواجهات الحربية المبكرة في الكويت، تلك التي دارت رحاها بين بعض أبناء نجد المنضوين تحت لواء «الإخوان» من جهة، والكويتيين من جهة ثانية؛ بدءاً من العام ١٧٩٣^(١)، والغزوة الثانية لهم على الكويت في العامين ١٧٩٣-١٧٩٤^(٢)، والغزوة الثالثة لهم في العام ١٧٩٧^(٣)، والغزوة الرابعة لهم عام ١٨٠٨^(٤)، فضلاً عن عدّة محاولات منهم للسيطرة على الكويت، وتحريض بعض الدول القريبة منها لغزوها، ومن ذلك في عام ١٨٠٩، إذ «تبين أنّ أمير الوهابيين -بعد أن رفض شيخ الكويت دفع الجزية له إثر صدّ الحملة الوهابية على الكويت في سنة ١٨٠٨- كان يحرض شيخ القواسم وسيدّ عُمان للقيام بحملة بحرية على الكويت، لكنّ أيّاً منهما لم يجد أنّ هذا الغرض يستحقّ القبول من جانبه»^(٥).

ولاحقاً في معركة «الصريف»^(٦)، التي وقعت في العام ١٩٠١، والتي تعتبر من أقوى الملاحم العسكرية بين القوى المحلية في نجد والخليج العربي، بين حكّام

(١) يقول عثمان بن بشر في حوادث عام ١٧٩٣: «ففي هذا العام غزا إبراهيم بن عفيصان إلى جهة الشمال، فأغار على بلد الكويت فأخذ غنمهم، وكان قد عبأ لهم كميناً، فظهر عليه أهل البلد وناشبهوه القتال، ثمّ خرج الكمين فقتل من أهل الكويت نحو ثلاثين رجلاً». انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص ٢٣٩.
(٢) ثمة من يشير إلى غزوة ثانية، «وأنّ الكويت لم تخضع للنفوذ السعوديّ على الرغم من تتابع الحملات عليها في أعوام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م». انظر: حصّة أحمد عبدالرحمن السعدي، الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه، ط ١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٦، ص ١٥٦.

(٣) يقول عثمان بن بشر في حوادث عام ١٧٩٧: «وفيها غزا منّا أبا رجلين الزعبي بجيش من أهل الأحساء، بأمر من عبدالعزيز، وقصد بلد الكويت، فعبأ لهم كميناً وأغار على سوارحهم فأخذها، فخرج عليه أهلها، فناشبههم القتال، ثمّ خرج الكمين فانهزم أهل البلد وقتل منهم نحو عشرين رجلاً». انظر: عثمان بن بشر، م، س، ص، ن.
(٤) أحمد مصطفى أبو حاكم، تاريخ الكويت الحديث، ط ١، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٧، ج ١، ق ١، ص ٣٢٢.

(٥) جون جوردون لوريمر J.G.Lorimer، دليل الخليج: القسم التاريخي، [طبعة جديدة معدلة ومنقّحة أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السموّ أمير دولة قطر]، قطر: مطابع علي بن علي، لا ت، ج ٣، ص ١٥١٢.
(٦) الصريف: منطقة في المملكة العربية السعودية، تقع على بُعد سبعة عشر ميلاً شرق مدينة بريدة. انظر: فيصل السّمحان، معركة الصريف بين المصادر التاريخية والروايات الشفهيّة، ط ١، الكويت: مكتبة الكويت الوطنية، ٢٠٠٧. [الغلاف الخارجي للكتاب، تحديد مكان موقعة الصريف].

الكويت بقيادة أميرهم مُبارك بن صباح الصَّباح، وقوَّات إمارة الرشيد، بقيادة أميرهم عبدالعزيز بن رشيد. ومُنِي فيها جيش الكويتيين ومَن معهم بخسارة أليمة، «وبعد أن انتهت المعركة، هطلت الأمطار بشكل غزير، وكان جيش ابن رشيد يلاحق فلول جيش مُبارك الصَّباح»^(١). واستمرَّت المواجهات العسكرية بين كُرّ وفرّ، وعلى الرغم من أنَّ مبرّر الغزو هذه المرّة كان ذا مَطْمَعٍ سياسيٍّ، فقد كان تحت ستار دينيٍّ. وحتى تاريخ وقوع معركة حِمَض^(٢)، - عام ١٩٢٠ بين قوَّات الشيخ سالم المبارك الصَّباح بقيادة دعيج الصَّباح، والإخوان بقيادة فيصل الدويش، والتي انتهت بانتصار الإخوان- لم يسجَّل ما وصلنا من الشعر الكويتيِّ الفصيح أيًّا من الغزوات التي شَنَّها الإخوان على الكويت، ولعلَّ السبب يعود إلى طبيعة المجتمع الثقافيِّ المعتني بحفظ الشعر النَّبطيِّ أكثر من عنايته بالشعر الفصيح آنذاك؛ إذ إنَّ الشعر النَّبطيِّ موافق للهجة العاميّة في شبه الجزيرة العربيّة، وأقرب للحروب، إذ إنَّ هناك أهازيج حربيّة حماسيّة كانت تعنى بتصوير هذه المعارك، لأنَّها أسهل للحفظ والنقل من الشعر الفصيح الذي يحتاج إلى التدوين - في العصر الحاليِّ وذلك العصر- أكثر من حاجته إلى الحفظ والنقل بالرواية. وإذا كان الشعر العربيُّ الفصيح قديمًا قد وصلنا من طريق الرواية المتَّصلة أو المشافهة، فإنَّ السبب هو أنَّ لغة الشعر آنذاك كانت لغة الحياة اليوميّة، ومِن السهولة حفظه، لما فيه من تخليد وتمجيد وقصص وعبر.

ولاحقًا، سبَّبت مشكلات الحدود وتجاوزات القبائل تأزُّم العلاقات الكويتيّة النَّجديّة في عهد حاكم الكويت الشيخ سالم المبارك الصَّباح الذي امتدَّت فترة حكمه بين عامي ١٩١٧-١٩٢١. فشهد عهدُه نشوب معركتين بين أهل الكويت والإخوان، إذ عانت الكويت كثيرًا من تعدّياتهم، ولا سيَّما بعد أن أصبحوا ذوي قوَّة مؤثِّرة في المنطقة، وهاتان المعركتان هما: معركة «الجهراء» في العام ١٩٢٠،

(١) فيصل السَّمْحَان، معركة الصريف بين المصادر التاريخيّة والروايات الشَّفهيّة، ص ٩٩.

(٢) حِمَض: منطقة حدوديّة بين الكويت والمملكة العربيّة السعوديّة، تقع بالقرب من قرية وهرب.

والتي دارت رحاها في منطقة الجهراء^(١)، بين الشيخ سالم مبارك الصباح حاكم الكويت، وقوّات الإخوان التابعة لنجد، والثانية هي معركة «الرقعي» عام ١٩٢٨.

التاريخ الحربيّ الكويتيّ قبل الاستقلال اعتنى بهاتين المعركتين أكثر من عنايته بغيرهما، هذا مع التسليم بأنّهما من أشدّ المواجهات الحربيّة التي دارت بين أهل الكويت وغُزاتهم، لذا يجدر بنا الوقوف على أحداثهما كما سجّلها الشعر العربيّ الفصيح في الكويت، ومدى توثيق الشاعر الكويتيّ لهما.

أ - معركة الجَهْرَاء

وقعت في العاشر من أكتوبر ١٩٢٠، ويعود أحد أسباب نشوبها إلى الخلاف على الحدود بين الكويت ونجد. «وقد كانت معركة الجهراء إحدى نتائج الصراع الحدوديّ بين الكويت ونجد الذي تحوّل إلى صراع دمويّ شهد معارك بين الطرفين»^(٢).

وحوى الشعر الكويتيّ بعض الإشارات التي وثّقت معركة الجَهْرَاء، وتتميّز بمعاصرتها لأحداث المعركة، ومن ذلك قصيدة صقر الشبيب الذي تناول المعركة بسطحيّة من غير أن يتطرّق إلى أسبابها أو أحداثها أو طرفيّ النزاع فيها، بل اكتفى بإبداء أسفه وحزنه على مَنْ فقدهم فيها من صحبه وأبناء قومه، فقال:

وَيُؤْلِمُ قَلْبِي ذِكْرُكَ الْجَهْرَةَ^(٣) التي

بِهَا مَاتَ مِنْ صَحْبِي الْكَرَامُ كَثِيرُ

بِهَا مَاتَ مَنْ لَمْ يَقْضِ حَقُّ إِنَائِهِمْ

إِذَا مَا سَلَ عَنْهُمْ وَعَاشَ ضَرِيرُ

(١) الجهراء: وثّق لها المؤرّخ عبدالعزيز الرشيد عام ١٩٢٠ بقوله: «واقعة غرب الكويت وتبعد عنها تسعة عشر ميلاً، فيها من البيوت نحو مائة وسبعين بيتاً، وتقدر نفوسها بنحو ألف نسمة». انظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٤٧. [والجهراء اليوم من كبرى محافظات دولة الكويت].

(٢) عبدالعزيز الرشيد، م، ن، ص ٢٢١.

(٣) إشارة إلى معركة الجهراء.

وَكَاثُوا لَهُ عُكَازَ صِدْقٍ يُعِينُهُ

إِذَا كَثُرَتْ مِمَّا يَخَافُ وَغُورُ^(١)

لم نحصل على هذه الأبيات الثلاثة إلا من تدوين عبدالعزيز الرشيد إيّاها في كتابه «تاريخ الكويت»، ولربّما كان الشاعر الشّبيب قد تناول تفاصيل هذه المعركة وأسبابها ونتائجها، أو أنّه اكتفى بالثناء ولم يتعرّض لتفاصيلها، إلا أنّه لم يصل إلينا شيء منها. والذي لا يخفى أنّ قصيدة الشّبيب كانت في رثاء بعض أصدقائه من شهداء معركة الجهراء.

بيد أنّ قصيدة أخرى نظمها الشّبيب في رثاء صديقه علي بن شملان، أحد شهداء معركة الجهراء، تحت عنوان «رثاء عزيز»، قد تفتح أمامنا باب التأويل في عدم تناوله لأحداث المعركة في قصيدته المبتورة؛ إذ إنّ القصيدة التالية كانت بلا ريب معاصرة للأولى، لكنّ الشاعر اكتفى بتناول طرفٍ من نتائجها، وحصرًا في الجزئية المتمثلة في توثيق استشهاد علي بن شملان، فلم يتطرّق إلى الأسباب ولا إلى الطرفين المتنازعين. بيد أنّ هذا يفتح باب التأويل أمامنا في أنّ الشاعر لم يشأ تكرار أحداث ذكرها في قصيدة رثائه الأولى، ويبقى هذا الأمر معلقًا بأبيات القصيدة السابقة المبتورة. يقول في مطلع قصيدة رثائه لعلّي بن شملان:

هُوَ الدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ لَا بُدَّ يَغْدُرُ

وَمَهْمَا صَفَتْ مِنْهُ الْمَوَارِدُ تَكْذُرُ

فَلَيْسَ امْرُؤٌ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ سَائِمًا

وَلَوْ كَانَ ذَاكَ الْمَرْءُ كِسْرَى وَقَيْصَرُ

أَمَّا كَسَرَتْ كِسْرَى يَدُ الدَّهْرِ بَعْدَمَا

تَصَدَّرَ صَدْرُ الدَّسْتِ يَنْهَى وَيَأْمُرُ؟

(١) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٤٧-٤٨. [لم ترد هذه القصيدة في الديوان المطبوع للشّبيب].

وَقَيْصَرُ قَدْ نَالَتْهُ إِبَانُ مُلْكِهِ

وَلَمْ يُجِدْ شَيْءٌ مِنَ النِّفَعِ عَسْكَرُ^(١)

ويتابع الشَّبيب رثاء صاحبه وحزنه عليه فيقول في بعض أبيات قصيدته مصبراً نفسه، وشارحاً الألم الذي اعتصر قلبه، مشبهاً الدَّمع باليواقيت الحمر دلالة على البكاء دماً من شدة الحزن، ولعلَّ هذا من التشبيهات الرائعة التي رفعت مقام الشَّبيب ليلقب بمعريِّ الكويت وبشارها^(٢)؛ إذ إنَّه كفيف البصر لا يرى اليواقيت ولا لونها الأحمر، فقال:

إِذَا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْمَوْتِ لِلْفَتَى

فَأَحْسَنُ شَيْءٍ أَنَّنَا نَتَصَبَّرُ

وَهَيْهَاتَ أَنِّي بِالتَّصَبُّرِ بَعْدَمَا

تَوَلَّى عَلَيَّ طَاهِرُ الرُّدْنِ أَظْفَرُ

وَقُلْ لِيْذَاكَ الشَّهْمِ دَمْعِي أُذِيلُهُ

وَلَوْ أَنَّهُ مِثْلُ الْيَوَاقِيْتِ أَحْمَرُ^(٣)

بينما نجد الشاعر عبدالمحسن الرشيد يأتي على ذكر معركة الجهراء بلفظها الصريح في قصيدته التي أشاد فيها بالفرسان الكويتيين الذين دافعوا عن وطنهم في وجه المعتدين عليه، والتي جسدت مثلاً حياً لحبِّ الأرض والتعلُّق بها، وبذل النفس في سبيل الدِّفاع عنها، كما صوِّر ذلك في قوله:

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٦٦٦.

(٢) اشتهر الشَّبيب بهذا اللقب، ومن ذلك ما نظمه الشاعر خالد الفرج مضمناً أبا العلاء المعري، وبشار بن برد العباسيين:

هَزَزْتَ مِنَ النَّفْسِ أَوْتَارَهَا مَعَرِّيَ الْكُوَيْتِ وَبَشَارَهَا

انظر: أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٣.

(٣) م، ن، ص ٦٦٧. [وقد ورد الشطر الأوَّل هكذا مكسوراً في الأصل، ولعلَّ إقامته تكون بإضافة تاء الفاعل إلى الفعل (قُلْ) ليصبح (قُلْتُ)].

كُونُوا كَمَا كَانَتْ كِرَامُ جُدُودِكُمْ
تَحْمِي الحِمَى بِالْمُرْهَفِ الْبَتَّارِ
سَفَكُوا عَلَى هَذَا الصُّعِيدِ دِمَاءَهُمْ
فَإِذَا طُهُورُ الْهَضْبِ وَالْأَغْوَارِ
مَا طَامِعٌ أَهْوَى إِلَيْهِ بِكَفِّهِ
إِلَّا وَعَادَ مُقْلَمَ الْأَظْفَارِ
وَمَشَارِفَ الْجَهْرَاءِ تَشْهَدُ أَنَّهُمْ
رَوُّوا ثَرَاهَا بِالْدَمِّ الْمِذْرَارِ
بِدِمَائِهِمْ صَانُوهُ كَيَ يَبْقَى لَكُمْ
تِلْكَ الدِّمَاءُ أَحَقُّ بِالْإِكْبَارِ^(١)

الشاعر يُكبر تلك الشجاعة في التصدي للقوات التي أرادت ترويع أهل الكويت الآمنين، وذلك السَّخَاء في بذل الدِّمَاء في سبيل حماية الوطن والذود عنه، ويدعو جيل المعاصرين له أن يكونوا بمثل جسارة أجدادهم في ردِّ كيد المعتدين ودحرهم، والتحلِّي بغيرتهم المنقطعة النظر على وطنهم الكويت.

هذه النماذج الشعرية القليلة التي تناولت معركة الجهراء بشيءٍ من السطحيَّة، تعود إلى طبيعة وَقَع الشعر النَّبْطِيُّ العامِّي في نفس أهل البادية في ذلك الوقت، أكثر ممَّا تعود إلى طبيعة وَقَع الشعر الفصيح، كما أسلفنا. ولعلَّ أكثر الشعر النَّبْطِيُّ العامِّي الذي وثَّق معركة الجهراء ودَوَّن تفاصيل ما جرى فيها، «وُجِد عند شعراء العامية من أهل الجهراء بخاصَّة؛ لأنَّهم أكثرُ أهل الكويت تضرُّراً بما حدث في معركة الجهراء، فحين وصف ابن عُثَيْمِين شاعرُ الإخوان قومه بأنَّهم ينهضون بمهمَّة إعادة الكويتيين إلى الإسلام، ذهب هؤلاء الشعراء إلى وصف المهاجمين بأنَّهم «خَوَارِج» يُسرفون في تكفير المسلمين، ويرتكبون المحرِّمات بقتلهم الأطفال،

(١) محمَّد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتي، ص ٨٧.

وَأَنَّ اللَّهَ عَاقِبُهُمْ بِكَثْرَةِ قَتْلَاهُمْ، الَّذِينَ مَلَأُوا الْأَرْضَ، وَمِنْ ذَلِكَ قِصَائِدٌ لِلشَّاعِرِ مُحَمَّدِ الْهَظَنْفَلِ^(١).

ب - معركة الرُّقْعِي

ما إن حلَّ العام ١٩٢٨م، حتَّى نشبت معركة أخرى بين طرفيَّ النزاع: القوَّات الكويتيَّة بقيادة كلٍّ من الشيخ علي الخليفة الصَّبَّاح^(٢) والشيخ علي السَّالم الصَّبَّاح^(٣)، والإخوان بقيادة علي بن عشان^(٤) عند آبار الرُّقْعِي. وتعتبر هذه المعركة آخر مواجهة حربيَّة بين الطرفين، ويوثِّق عبدالعزيز الرشيد ملابساتها في ما نشره في مجلَّة الكويت^(٥) عام ١٩٢٨م إذ يقول: «في الخامس من شعبان هجم علي بن عشان؛

(١) يقول الشاعر مُحَمَّد الْهَظَنْفَل في قصيدته الأولى:

يَا دَارَ يَلِيَّ بِالْفَضَا مَا لَكَ ذَرَى
قُلْتُ الذَّرَى وَالشَّيْخَ مَا غَيْرُهُ ذَرَى
مَا لَكَ ذَرَى جُوكَ (الخَوَارِجُ) صَائِلِينَ
وَلَدٍ مُبَارَكٍ سَالِمٍ ذَرْبَ الْيَمِينِ

وفي قصيدته الثانية يشير إلى «الإخوان» بالاسم الذي يطلقونه على أنفسهم (أهل التَّوْحِيد)، فيقول:
سَبِيلُهُ الدَّرَجُ وَالْقَصْدِيرُ زَنْجَبِيلُهُ
لَيْنُ رَاخُوا (هَلِ التَّوْحِيدُ) نَيْشَانِي
نَحْمَدُ اللَّهَ لَعَبْنًا فِي رَجَائِلِهِ
كَسَبْنَا بِاللِّقَا ذَرْبِينَ الْإِيمَانِ

انظر: خليفة الوقيان، الثقافة في الكويت: بواكير-اتجاهات-ريادات، ص ٢٣٩-٢٤١.

(٢) علي بن خليفة بن عبدالله بن صباح، ولد عام ١٨٧٩م، وهو حفيد حاكم الكويت الخامس الشيخ عبدالله الثاني بن صباح الذي حكم الكويت في الفترة (١٨٦٦-١٨٩١م). كان من المشاركين في معركة الجهراء عام ١٩٢٠، ثمَّ معركة الرُّقْعِي، ويعدُّ من أشجع الرجال في الكويت آنذاك. لعب دورًا في قمع الفتنة «فتنة المجلس» عام ١٩٣٨. توفِّي عام ١٩٤٢. انظر: موقع وزارة التربية الكويتيَّة، منطقة الجهراء التعليمية، نبذة عن الشيخ علي خليفة الصَّبَّاح.

(٣) علي بن سالم بن مبارك بن صباح «الثاني» (١٨٩٨-١٩٢٨)، ابن حاكم الكويت التاسع الشيخ سالم المبارك الصَّبَّاح. تلقَّى تعليمه في المدارس الأهليَّة «الكتاتيب»، حيث درس القرآن الكريم ومبادئ الفقه والحديث النبوي. قتل بمعركة الرُّقْعِي عام ١٩٢٨. انظر: موقع تاريخ الكويت، الشيخ علي السَّالم بن الصَّبَّاح.

(٤) علي بن عشان: أحد قادة الإخوان، وقائدهم في معركة الرُّقْعِي، وقُتِل في ٣١ ديسمبر ١٩٢٩ في وقعة بينه وبين قوَّات الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود. انظر: بدر خالد البدر، معركة الجهراء ما قبلها وما بعدها، ط١، الكويت، ١٩٨٠. [كتاب إلكتروني غير مرقيم].

(٥) مجلَّة الكويت: مجلَّة أدبيَّة شهريَّة كويتيَّة، وأوَّل مجلة صدرت في دول الخليج العربي، أصدرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد عام ١٩٢٨م، وكانت تطبع في مصر. توقفت عن الإصدار في مارس ١٩٣٠ بعد صدور العدد العاشر من المجلد الثاني. وقام يعقوب ابن عبدالعزيز الرشيد بإعادة إصدارها في يونيو ١٩٥٠، واستمرت حتَّى ديسمبر من نفس العام.

أحد زعماء الإخوان من قبيلة مطير في نحو خمسمئة مقاتل على الإفداوية في أمّ الرؤيسات التي تبعد عن الجهري نحو ستّ ساعات^(١)، وقد أصيب الفريقان هناك بخسائر طفيفة من قتل وتجريح، وأخيراً استاق الإخوان ما وصلت إليه أيديهم من إبل القوم وأغنامهم، بعد أن قتلوا رئيس الإفداوية مبارك بن هيّف^(٢).

ولعلّ خير شاهد على أحداثها قصيدة الشاعر محمود الأيوبي التي نظمها في ذكرى شهدائها، مقدّماً المواساة من خلالها بالشهيد علي السالم الصّباح، قال:

طَافَتْ عَلَى الرَّبْعِ أَلْوَانُ مِنَ النُّوبِ
رَهْنُ الْحَوَادِثِ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
رَاحَتْ شَخَايَاهُ بِالْوَيَالِاتِ تَرْشُقُنَا
وَمَا لِمُسْتَنْقِذٍ مِنْهَا إِلَى حَرْبِ
بَثْنَا عَلَى شَجَنٍ مِنْ وَقْعِ كَارِثَةٍ
فِي حَيْرَةٍ تَرَكْتُنَا فِي لَظَى نَصَبِ^(٣)

ويصف الأيوبي بعض ما دار في المعركة في يوم كان شاقاً على الطرفين، ويرى أنّ المستفيد الوحيد منها هو العدو الخارجي الذي يتربّص بالعرب؛ ولعلّه يشير هنا إلى الاحتلال البريطاني الذي كان قد بدأ ييسط يده على بعض الدول العربيّة آنذاك، وهو المستفيد الأوّل من هذا التّطاحن العربيّ العربيّ. وعلى الرغم من أنّ الشاعر كان في معرض رثاء الشيخ علي الصّباح، جعله حزنه الشديد على الفقيّد يكيل لقاتله سيلاً من الدعوات التي تنبئ عن الغضب الذي تفجّر في نفسه، فيقول:

(١) يقصد بذلك الفترة الزمنيّة التي يتطلّبها المسافر آنذاك من الجهراء إلى أمّ الرؤيسات، والمسافة بينهما تقدّر بستين كيلاً، يقطعها المسافر في وقتنا في أقلّ من ساعة.
(٢) مجلة الكويت، ١٩٢٨، ١، ج ٣، ص ٧٥.
(٣) نوريّة الرّومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريّ عرض ونقد، ص ٥٣٤.

يَا وَيْحَ حَادِثَةِ الرَّقْعِيِّ إِنَّ بِهَا
يَوْمًا عَصِيبًا عَلَى أَبْطَالِنَا النُّجَبِ
تَطَاخَنَ الْعُرْبُ وَالْأَنْكَادُ رَافِعَةً
رَأْسًا يُحَيِّرُ أَهْلَ الْفَخْرِ وَالْأَدَبِ
أَمْسَى عَلَيَّ الَّذِي طَابَتْ أُرُومَتُهُ
مُوسِدًا فِي الثَّرَى فِي مَهْمِهِ خَرِبِ
تُغْسًا لِقَاتِلِكَ الْمَشْؤُومِ كَيْفَ أَتَتْ
مِنْهُ الْقَذِيفَةُ لِلْمَيِّمُونَ ذِي الْحَسَبِ
حَلَّتْ عَلَى الْغَادِرِ الْمَنْحُوسِ قَارِعَةً
مِنْ الْمُهَيِّمِينَ فِي دَيْمُومَةِ الْغَضَبِ^(١)

نلاحظ أنَّ الشاعر لم يهمل بعض تفاصيل المعركة، وخصوصاً في وصف الطريقة الوحشية التي قُتل بها الشيخ علي الصَّباح، وكانت نتيجة قذيفة أُطلقت على سيَّارته بعد أن تمَّ حصاره ومَن معه، بعد نفاذ ذخيرتهم وتوقَّف سيَّاراتهم التي أصبحت هدفاً سهلاً للمعتدين. ويتقدَّم الأيوبيُّ بالعزاء من أهله في مصابهم، ثمَّ يهنئهم بالشهيد الذي بذل روحه في سبيل الحقِّ، وطلباً للشهادة حتَّى نالها، فيقول:

يَا أَيُّهَا الْبَطْلُ الْمَغُوَارُ سِرْتَ إِلَى
حَيْثُ الْحَيَاةِ مَعَ الْأَخْدَانِ وَالصُّحْبِ
مَعَ الْكَمِيِّ الَّذِي وَالَاكَ مُرْتَشِفًا
كَأْسَ الْحِمَامِ عَزِيزِ النَّفْسِ لَمْ يَخِبِ

(١) نورية الرومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريُّ عرض ونقد، ص ٥٣٦.

ابن الرشيد وأمجادُ غَدُوا مثلاً

أَعْلَى وَقَدْ تَرَكُوا الأعداءَ في شَجَبٍ^(١)

نجد الأيوبيّ قد أدخل في رثائه بعض الأحداث البارزة في المعركة، متجاوزاً بذلك السطحيّة التي سار عليها معاصره الشبيب في رثائه لشهداء معركة الجَهْرَاء. فالأيوبيّ يتناول أصدقاء علي سالم الصباح الذين قاتلوا ثم قُتلوا معه، كابن الرشيد مثلاً، وليس معلوماً لنا من هو ابن الرشيد الذي قصده الأيوبيّ في قصيدته، فقد ذكر الباحث راشد الفرحان في كتابه «مختصر تاريخ الكويت» أن سَنَةً من آل الرشيد استشهدوا في هذه المعركة^(٢). كما يشير الأيوبيّ في الأبيات عينها إلى مَنْ عاد إلى الكويت جريحاً من جرّائها، كالشيخ علي الخليفة الصباح الذي أُصيب في رجله، مواسياً له بأنّ الإصابة في الحرب عِزَّةٌ ودليلٌ على الجرأة والجسارة في التصديّ للعدو، وعدم الإذعان والاستسلام أمامه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشاعر صقر الشبيب نظم أيضاً قصيدة في رثاء علي السالم الصباح عنوانها «يقولون»^(٣)، بيد أنّه لم يتطرق فيها إلى أحداث المعركة أو إلى جزء يسير من تفاصيلها، بل قصر نظمه على الرثاء وتعداد مناقب الفقيّد ومآثره.

يعتبر ما نظمه الشاعر الأيوبيّ توثيقاً لبعض تفاصيل معركة الرقعيّ، حتّى إن كانت هذه التفاصيل جزئية، أو كان التوثيق عرضياً في رثائه لأحد شهداء المعركة، فليس بالإمكان تجاهله، لندرة القصائد التي وثّقت هذه المواجهات؛ إذ إنّ الشعر العربيّ الفصيح في الكويت في هذه المرحلة لم يعنْ بتوثيق المواجهات الحربيّة

(١) نوريّة الرُّومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وراثته الشعريّ عرض ونقد، ص ٥٣٧.

(٢) فكتب تحت عنوان «معركة الرُّقعيّ» ما نصّه: «وكان فيها الشيخ علي السالم الصباح أخو الحاكم الحاليّ الأكبر، فقتلوه، كما جرح في هذه المعركة آخرون من بينهم الشيخ علي الخليفة، واستشهد سَنَةً من الرُّشايذة كذلك». انظر: راشد عبدالله الفرحان، مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانيّة والدول العربيّة،

راجعته: عبدالله زكريّا الأنصاري، ط١، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦٠، ص ٩٨.

(٣) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣١٢.

الداخلية في الكويت، بينما سنراه يسرف في توثيق المواجهات الحربية العربية العربية بكل تفاصيلها، كما سنجد ذلك في الفصل الثاني عند حديثنا عن الحروب السعودية الإخوانية وتوثيقها عند الشعراء الكويتيين.

من الملاحظ أنّ بعض الشعراء الكويتيين نظموا في أحداث معركتي الجهراء والرقعي، بيد أنّ نظمهم كان باقتضابٍ وحذر، وقصائدهم ابتعدت عن التوثيق التاريخي من تدوين أحداث المعارك التفصيلية بأسبابها ونتائجها، وتضمنت بدلاً من ذلك مواقفهم المتباينة إزاء هذه المعارك، بين الحزّ على الجهاد والدعوة إلى السلم، وهذا ما سنتناوله في ما يأتي.

رابعاً: مواقف الشعراء الكويتيين بين الحُصْ على الجهاد والدعوة إلى السَّلم

تباينت مواقف الشعراء الكويتيين من الغزوات التي تعرَّض لها وطنهم الكويت، فدفعت الحميَّة والغضبُ بعضهم إلى النظم تحريضاً على الثَّار وردَّ كيد المعتدين إلى نحورهم، وألزمت الأخوة العربيَّة والحرص على حقن الدماء بعضهم تهدئة النفوس والدعوة إلى السَّلم والتصالح بين الأطراف المتنازعة. فمن قصائد التحريض على الثَّار ما نظمهُ الأيُّوبيُّ في رثائِيَّته لعلِّي السَّالم الصَّباح الذي استشهد في معركة الرَّقعيِّ، وقد ضمَّنْها تهديداً لفصيل الدُّويش قائد الحملة التَّعسُفِيَّة على الكويت، وحفزاً لأبناء الأسرة الحاكمة على النهوض والأخذ بدم شهيدهم، فقال:

يَا ابْنَ الدُّويشِ مَهِنْ^(١)، آلَ الصَّباحِ ثُبُوا

وَارْجِعُوا صَوْلَةَ الْبَاغِي عَلَى الْعَقِبِ

مَهْلاً أَخَا شِرَّةٍ مَهْلاً أَخَا جَشَعٍ

مَهْلاً فَإِنَّكَ بِالْوَيْلَاتِ فِي تَبَبٍ^(٢)

وفي السياق عينه حتَّ الأيُّوبيُّ أبناء الأسرة الحاكمة على تجهيز مطايا الحرب وإعداد العدة لمواجهة أيِّ خطر متوقَّع، مشدداً على ضرورة توحيد الرأي فيما بينهم، ومؤكداً ضرورة الحيطة والحذر من حروب قادمة محتملة، ولعلَّ هذا يشير إلى أنَّه كان من المتوقَّع أن يقوم الطرف الثاني بالإغارة مجدداً على دولة الكويت، فيقول:

آلَ الصَّباحِ خُذُوا لِلْحَرْبِ حِذْرَكُمْ

وَوَحِّدُوا الرَّأْيَ لِلْغَايَاتِ وَالطَّلَبِ

خُذُوا الْحَذَارَ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ

إِنَّ الْعُرُوبَةَ لَمْ تَهْرَمْ وَلَمْ تَشِبْ

(١) هكذا وردت في الأصل، والصحيح أن تُكتب «مَه» في البيت: «مَه»: اسم فعل أمر بمعنى «أَكْفَفُ».

(٢) نوريَّة الرُّومي، محمود شوقي الأيُّوبي: حياته وتراثه الشعريُّ عرض ونقد، ص ٥٤٠.

نَارُ الْعُرُوبَةِ لَمْ يَخْمَدُ تَأْجُجُهَا
فَذِي الرُّؤُوسِ بِهَا سَيْلٌ مِنَ اللَّهَبِ
شُدُّوا الْمَطَايَا حُمَاةَ الْغِيلِ وَاسْتَبِقُوا
وَاحْمُوا الذَّمَارَ بِحَدِّ الصَّارِمِ الذَّرِبِ^(١)

وبرز الشاعر عبدالعزيز الرشيد داعياً الشباب الكويتيين إلى الجهاد والتمسك بالصبر حتى الانتصار، من أجل رفع راية الحق لنصرة الدين الإسلامي، فقال:

إِنَّ الْجِهَادَ بِغَيْرِ صَبْرٍ ذِلَّةٌ
وَالصَّابِرُونَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ يُحْمَدُوا
خَوْضُوا الْمَعَامِعَ وَالْمَخَاوِفَ جَهْرَةً
وَدَعُوا التَّبَرُّعَ فَهُوَ خُلُقٌ أَسْوَدُ
وَارْزُمُوا التَّخَاذُلَ بَيْنَكُمْ فَأَمَّاكُمْ
قَوْمٌ يَسْرُهُمْ بَأَنَّ تَتَبَدَّدُوا^(٢)

وليس بمستغرب نداء الشاعر الرشيد إلى الجهاد وحضه أبناء قومه عليه، إذ ألجأه الغضب مما أصاب أهل الكويت، والخوف والترقب مما هو آتٍ عليهم، إلى هذا الغرض، بعيداً عن أن تكون دعوته إلى الجهاد تحريضاً على استمرار المعارك آنذاك، بل أقرب إلى كونها تذكيراً بالجهاد كفريضة أساسية من فرائض الإسلام. ولعل ما يرجح هذا الرأي ما نظمه الرشيد في قصيدة أخرى داعياً إلى السلم وضبط النفس، والنأي بها عن أي معترك حتى أي مشاحنات قد تجلب البغض والعداوة، ذلك أن الرشيد من المثقفين الملتزمين دينياً، ومن أبرز الدعاة في عصره. وحتى لو وجد احتمال ضئيل أن يقصد الشاعر بذلك دحر القوات التي حاولت غزو الكويت في معركتي الجهراء والرقعي، يبقى احتمال أن يقصد بذلك

(١) نورية الزرومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعري عرض ونقد، ص ٥٣٨.

(٢) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٠٠.

القوّات الأجنبية الدخيلة على الوطن العربيّ أكثر وروداً، حيث يدعو الرشيد أبناء قومه وأندادهم الغزاة إلى نبذ الخلاف والتفرّق فيما بينهم، وأن يتوحّدوا في وجه العدو الحقيقيّ الذي يقف غير بعيد عنهم، ليكون الجهاد المنادى به لمواجهة المعتدي الأجنبيّ وسيلةً لجمع شمل الطرفين العربيّين المتنازعين تحت راية واحدة.

في قصيدته ترجيح لهذا الرأي، حيث لم يذكر وطناً بعينه أو قومًا معادين بعينهم، والذي يؤكّد ما نرّمى إليه، دعوة الرشيد أبناء قومه إلى الذود بأنفسهم عن المعارك والحروب، ودفن الأحقاد التي تسبّب هذا الشرّ، فكان لهم رفيقًا بالقول والفعل، كي يحفظوا أنفسهم من التهلكة، فيقول في قصيدته «إيه قومي»:

إِيْهِ قَوْمِي وَمِنْ شَقَاهُمْ شَقَائِي
وَبِهِمْ أَغْتَلِي إِذَا يَغْتَلُونَا
خَفَّفُوا الوَطءَ فَالْقَسَاوَةَ شَرُّ
تَجْلُبُ الْحَيْنُ وَالْفَنَاءُ وَالْفُتُونَا
إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ الْقَسَاوَةَ تُجْدِي
فَلَاذَنْتُمْ فِي ظَنِّكُمْ مُخْطِئُونَا^(١)

ولعلّ الرشيد في مزجه بين النقيضين: الحُضُّ على الجهاد، والدعوة إلى السّلم، يتوافق مع القاعدة السياسيّة اللاتينيّة القديمة «إذا كنت تريد السّلم فتهيّأ للحرب»^(٢) فالقوّة والاستعداد قد يردعان العدوان قبل وقوعه، والضعف وعدم التهيّؤ يشجّعان الآخر على العدوان وجني الثمار المترتّبة عليه من دون خشية العواقب. وقد اتّبعَت بعض الدول المسالمة هذا المبدأ، واشتهرت به سويسرا التي لم تدخل حربًا منذ قرون بتجنيدها وتدريبها لمعظم أفراد شعبها، وبمقدرتها العسكريّة

(١) معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١١، ص ٢٢١. [الحين: الهلاك].

(٢) عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ١١٩.

العالية واستعدادها للدفاع عن أرضها وشعبها إذا ما هددها خطر الغزو، الأمر الذي ردع أدولف هتلر^(١) عن محاولة الاستيلاء عليها إبَّان الحرب العالميَّة الثانية.

وتتالت دعوات الشعراء إلى نبذ التفرقة والشَّقاق بين المتخاصمين، محذِّرين من مغبَّة هذا الشَّقاق الذي لن يزرع إلَّا الفتنة بين العرب، ويضعفهم أمام أيِّ عدوٍّ طامع في البلاد العربيَّة. وفي هذا الاتجاه قصيدةٌ بعث بها الشاعر عبدالله بن علي بن صانع، من مكان إقامته في دُبَيِّ إلى الكويت، فضمَّنها دعوة إلى ضبط النفس وانتهاج الحكمة الرشيدة لوأد الحرب بين الطرفين، قال:

دَعُوا مُرَّ الشَّقَاقِ فَقَدْ رَمَثْنِي
يَدُ التَّفْرِيقِ فِي حِضْنِ الْعُدَاةِ
أَلَا وَأَنْضُوا ثِيَابَ الْخُلْفِ وَاسْعُوا
لَلْمِ الشُّمْلِ مِنْ بَعْدِ الشَّتَاتِ^(٢)
لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ الْخُلْفُ مُجْدٍ^(٣)
بَنِي الْأَوْطَانِ إِلَّا الْمُهْلِكَاتِ
إِذَا اتَّخَذَ الشَّقَاقُ الشَّعْبَ خِذْنًا
سَيُورِدُهُ حِيَاضَ الْهَاوِيَاتِ^(٤)

(١) أدولف هتلر Adolf Hitler (١٨٨٩-١٩٤٥م) ويُعرف كذلك بلقبه «الفوهرر». زعيمٌ عسكريٌّ ألمانيٌّ، ورئيس ألمانيا النازيَّة في الربع الثاني من القرن العشرين. انضمَّ إلى الجيش الألماني عند نشوب الحرب العالميَّة الأولى، واشترك في الجبهة الغربيَّة، حتَّى قبل نهاية الحرب حين أصيب إصابةً بالغة، ذهبت بنظره عدَّة أسابيع. مُنح وسام الصليب الحديدي. ارتبط اسمه بالحرب العالميَّة الثانية: بداية من مطالبته لبولندا بإعادة الأراضي الألمانيَّة، وانتهاءً بإعلان الحرب على الاتحاد السوفييتي، وانكسار الجيش الألماني بعد ذلك على يد الحلفاء. انظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٧، ص ٦٣-٦٥.

(٢) ورد البيت في مجلة الكويت مختلف الصياغة «لَلْمِ الشَّعْتُ مِنْ بَعْضِ الشَّتَاتِ». انظر: مجلة الكويت، ١٩٢٨، ١م، ج ٥، ص ١٥٠.

(٣) الصحيح: «لَيْسَ الْخُلْفُ مُجْدِيًا» بنصب خبر «ليس». وربما عدَّ الشاعرُ «ليس» حرفَ نفي غير عامل مثل: «ما-لا» أو بطل عمله. وردت في مجلة الكويت «ليس الْخُلْفُ يُجْدِي» فيكون الخبر جملة الفعل «يجدي». انظر: م، ن، ص، ن.

(٤) معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ٧١.

وفي مقابل دعوات الشعراء أبناء قومهم الكويتيين حكومة وشعباً إلى نبذ الخلافات بينهم وبين أشقائهم العرب المجاورين لهم، لتفادي استمرار المعارك بين الطرفين، فقد توجه آخرون إلى الملك عبدالعزيز آل سعود يدعونه إلى محاسبة من كان السبب في هذه الحرب من طرفه، وألا يتهاون في وأد الفتنة التي أزهرت أرواح مئات الشهداء، ومن هؤلاء الشاعر الأيوبي حيث قال:

يا ابن السُّعُودِ كَمْى البَيْدَاءِ مَا صَنَعْتُ
يَدُ الطَّغَامِ بِمَهْدِ الدِّينِ وَالْعَرَبِ
جَرَّدَ بِجَيْشِكَ وَأَقْمَعَ أَنْفَ عَاتِيَةٍ
وَاحْقَنَ دِمَاءَ بَنِي عَدْنَانَ يَا عَرَبِي
إِنَّ الدِّمَاءَ الَّتِي أَمْسَتْ يُعَاثُ بِهَا
وَجْهَ الْجَزِيرَةِ مِنْهَا غَيْرُ مُنْقَلَبٍ^(١)

يتوجه إلى الملك عبدالعزيز بصفته الملك المسيطر في نجد، وببيده حل هذا الخلاف الذي أصبح دموياً قبل أن يتكرر بين الطرفين، آملاً أن يسلك منهج أجداده العرب بُناة المجد الذي مَلَكَ على قواعده اللاحقون:

فاسْلُكْ مَنَاهِجَ أَجْدَادٍ هُمْ حَطَمُوا
عَرْشَ الطُّغَاةِ بِعَزْمِ الْأَلَيْسِ الصُّلْبِ
هُمُ الْأَلَى قَدْ بَنَوْا لِلْعَرَبِ مَجْدَهُمْ
هُمُ الَّذِينَ أَذْلُوا كُلَّ مُغْتَصِبٍ^(٢)

وجدير بالذكر أن الملك عبدالعزيز لم يكن راضياً عن تصرف بعض الإخوان، وقدّم كل ما يستطيع في سبيل وأد الفتنة ومحاسبة المخطئين، وأشار إلى هذا

(١) نوريّة الرُّومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريّ عرض ونقد، ص ٥٣٨.

(٢) م، ن، ص ٥٣٩.

الموقف المشرف عبد العزيز الرشيد في مقالة له نشرها في مجلة الكويت^(١). ويشير الأيوبي إلى ضرورة أن تصلح حال العرب بعضهم مع بعض كي تتوقف المعارك الدامية على أرض شبه الجزيرة العربية، ومن ذلك مشورته على الملك عبدالعزيز آل سعود بالتصالح مع ملك اليمن الإمام يحيى محمد حميد الدين^(٢) الذي شنّ الكثير من الغارات على مناطق حكم الملك عبدالعزيز، فزاد عدد المناوئين للحكم، وفتح في شبه الجزيرة العربية جبهات جديدة أدّت إلى عدم ضبط بعض الإخوان، فيقول:

يَا ابْنَ السُّعُودِ اتَّحِدْ بِالْعُرَبِ كُلِّهِمْ

بِالشَّيْخِ يَحْيَى إِمَامِ الْمَرْبَعِ الْخَصْبِ^(٣)

ولعلّ التّوجه السائد عند الشعراء الكويتيين المعاصرين للمواجهات الحربية كان الدعوة إلى السلم أكثر من التحريض على الحرب، فمنهم من طالب بحقن الدماء مراعاة للأخوة الإسلامية، ومنهم من طالب مراعاة للدم العربي المشترك، ومنهم من رأى في اللغة المشتركة والتاريخ الواحد سبباً للصّح بين الأشقاء ونبذ التفرقة رغم الأسى على شهداء المعارك، فيقول عبدالله النوري:

مَا لِي أَرَى الْعُرَبَ الْكَرَامَ كُلَّهُمْ

أَفَنَتُّهُمْ الْفُرْقَةَ فِي جَلَادِهَا

الْحَرْبُ فِيهِمْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا

عَابِئَةً وَزَيْدٌ فِي اسْتِغْدَادِهَا

(١) كتب عبدالعزيز الرشيد ما نصّه: «تجدد بنا الإشارة إلى الآثار السيئة التي أحدثتها إغارة الإخوان على أطراف الكويت وعربانها في نفس جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود، فقد شرح جلالته تلك الآثار على صفحات الرسائل التي تبودلت بين جلالته وسمو أميرنا المعظم وإخوانه في الكويت، وبالأخصّ قتل الشيخ علي بن سالم الصباح، وجرح قائد الحملة الشيخ علي الخليفة الصباح، وأظهر جلالته أيضاً استعداد التأم لإعادة ما أخذه الإخوان من أموال الكويتيين، ولو من خزينته الخاصة، إذا لم يوفق لاسترداد ما أخذه من أيديهم». انظر: مجلة الكويت، ١٩٢٨، ١م، ٣، ص ٧٥.

(٢) يحيى محمد حميد الدين محمد المتوكل ١٨٦٩-١٩٤٨، ملك اليمن، وهو المعاصر للملك عبدالعزيز بن سعود آنذاك.

(٣) نورية الرّومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريّ عرض ونقد، ص ٥٤٠.

كَمْ فَارِسٍ يُقْتَلُ فِي التَّحَامِهَا
وَسَيِّدٍ يُضْرَعُ فِي عَتَايِهَا
فَيَا رُؤُوسَ الْعُرُبِ بِاللَّهِ احْقِنُوا
دِمَاءَ قَوْمٍ نَطَقُوا بِضَادِهَا^(١)

ويشدّد عبدالعزيز الرشيد في العام ١٩٢٩ على ضرورة نبذ الخلافات بين الطرفين المتخاصمين، ويدعوهما إلى السّلم والتّصالح اللّذين هما خيرٌ من الحرب والتّنازع، وإلى طرح كلّ ذلك الشّقاق والخصام وراءهما، والحرص على الوفاق والسلام، فيقول:

يَا بُنَاةَ الْحَقِّ هُبُّوا
فَارْطُطُوا حَبْلَ الْوَفَاقِ
وَاطْرَحُوا الْخُلْفَ وَرَاءَ
وَاهِدُوا حِصْنَ الشَّقَاقِ^(٢)

وكان عبدالعزيز الرشيد متتبعاً خطّ تطوّر الأوضاع السياسيّة بين الكويت والسّعوديّة؛ فعندما التقى الشيخ أحمد الجابر الصّباح الملك عبدالعزيز آل سعود، وفضّاً بعض المشاكل المتعلّقة بينهما، أشاد الرشيد بهذا الصّلح قائلاً:

إِنَّ الْكُوَيْتَ مَعَ الرِّيَاضِ تَصَافَتَا
وَبَنُوهُمَا هَجَرُوا الْجَفَاءَ وَطَلَّقُوا
وَتَعَانَقَا مِنْ بَعْدِ طُولِ قَطِيعَةٍ
شَعَرَ الْجَمِيعُ بِوَيْلِهَا وَتَحَقَّقُوا
خَبَرَ أَزَالَ مِنَ الْفُؤَادِ هُمُومَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ الْفُؤَادُ يَمَزُقُ^(٣)

(١) عبدالله النوري، من الكويت، ص ٩ - ١٠.

(٢) مجلّة الكويت، ١٩٢٩، م ٢، ج ٧، ص ٢٥١.

(٣) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ٩٩.

ولاحقاً، بدأ خطر حربٍ جديد يهدّد أمن دولة الكويت واستقرارها وسيادتها، وخصوصاً بعد حالة الرّخاء الماديّ التي بدأت بالظهور في المجتمع الكويتيّ، فجعل ذلك الكويت مطمئناً للدول ذات النزعات الاستعماريّة، عربيّة أو أجنبيّة. وكانت بداية هذه المواجهات مبكّرة؛ إذ بعد يومٍ واحد من الاستقلال،^(١) بعث عبدالكريم قاسم^(٢) برسالة تهنئة إلى سموّ الأمير عبدالله السالم الصّباح، يبلغه فيها إلغاء اتفاقية عام ١٨٩٩، وعلى أثر ذلك طالب بضمّ الكويت إلى العراق.

في هذه الحادثة نظم الشاعر يوسف بن عيسى القناعي^(٣) قصيدة هجا بها عبدالكريم قاسم، بعد أن سمع ما سمع من الشّاء عليه وإطراء عمله في إذاعة بغداد:

خَدَعُوكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِمْ
أَنْتَ الرَّعِيمُ الْأَوْحَدُ وَالْعَالِمُ
وَالْحَقُّ أَنَّكَ أَخْمَقُ بَلْ جَاهِلُ
مُسْتَكْبِرٌ مُسْتَهْتَرٌ بَلْ ظَالِمٌ^(٤)

(١) في العشرين من يونيو عام ١٩٦١.

(٢) عبدالكريم قاسم (١٣٣٢-١٣٨٢هـ/ ١٩٢٤-١٩٦٣م) سياسيٌّ عراقيٌّ، ولد في بغداد، تقلّد الحكم في العراق أربع سنوات (١٤ يوليو ١٩٥٨- ٩ فبراير ١٩٦٣م). ثار مع بعض قوّاد الجيش العراقيّ عام ١٩٥٨، فقتل آخر ملوك الهاشميّين ببغداد «فيصل بن غازي»، وبعض أقاربه ووزرائه، وأقام النظام الجمهوريّ، وجعل نفسه رئيساً لمجلس الوزراء، وقائداً عاماً للقوّات المسلّحة. انقلب عليه بعض أفراد الجيش العراقيّ، فألقوا القبض عليه، ثمّ أعدم رمياً بالرصاص يوم ٨ شباط ١٩٦٣ بتهمة العمالة والجاسوسيّة. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٥٤-٥٥.

(٣) يوسف بن عيسى القناعي (١٨٧٨-١٩٧٣) ولد في الكويت، وفيها عاش ثمّ توفي. تلقّى مبادئ العلوم في كتّاب عبدالوهاب ابن يوسف الرفاعي، ثمّ رحل إلى مدينة الأحساء حيث تلقّى النحو والفقه والحديث، تلقياً أهله لأن يصبح من البارعين في مثل هذه العلوم. عمل في مجال التربية والتعليم، حيث افتتح مدرسة خاصّة (١٩٠٧-١٩٤٠)، وكان أوّل مدير لمعارف الكويت، كما عمل في مجال القضاء، علاوة على أعماله الخاصّة. كان نائباً لرئيس مجلس الشورى الكويتيّ عام ١٩٢١، ثمّ أحد أعضاء المجلس عام ١٩٣٨، فضلاً عن عضويّته في المجلس البلديّ. أورد له كتاب «تاريخ الكويت» الكثير من القصائد والنماذج الشعريّة. له عدد من المؤلّفات منها: «صفحات من تاريخ الكويت»، و«الملتقطات»، و«المذكرة الفقهيّة». انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ٢٢، ص ١٨٤.

(٤) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٣٥.

كان الشاعر عبدالله العثمان^(١) أكثر حرصاً من الشاعر القناعي على انتقاء الألفاظ، وانتهاج الأساليب السياسية في الحوار، مبتدئاً بالدعوة إلى السلم، وإلا فالحرب في حال لم يوافق عليه الطرف المعتدي، قال:

كُوِيْتُ أَنَا وَالْيَوْمُ عِيْدِي وَعِيْدُكُمْ
وَحُقُّ لَنَا أَنْ نَحْفَلَ فِيهِ بِالذِّكْرِ
وَأَنَا لِقَوْمٍ لَا نُرِيدُ لِجَارِنَا
سِوَى الْخَيْرِ لَا نَنْوِي بِهِ شَرًّا
طَبِعْنَا عَلَى سِلْمٍ مَعَ الْجَارِ دَائِمًا
وَكُنَّا لَهُ أَهْلًا إِذَا ضَيَّمَ أَوْ ضَرًّا
وَلِلْجَارِ حَقٌّ بِالشَّرَائِعِ كُلِّهَا
وَفَرَضٌ عَلَيْنَا نُرَاعِي حَقَّهُ دَهْرًا
فَإِنْ جَارٌ يَوْمًا أَوْ نَوَى الْغَدْرَ عَامِدًا
قَلْبُنَا لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنُّ وَلَا غَدْرًا
وَإِنْ جَدَّ جَدُّ الْحَرْبِ خُضْنَا غِمَارَهَا
وَلِلْعَلَمِ الْخَفَاقِ نَفْدي الْمَالَ وَالْعُمْرَا^(٢)

يشددُّ على وجوب حفظ حقِّ الجوار، وعلى السياسة السلمية التي تنتهجها الكويت مع دول الجوار، ويهددُ في المقابل أيَّ دولة تحاول الاعتداء على الكويت

(١) عبدالله بن عبداللطيف العثمان (١٨٩٧-١٩٦٥م)، ولد في حيِّ القبله في مدينة الكويت، وفيها قضى حياته، وفيها توفي. تلقى علوم القرآن واللغة العربية في المدرسة المباركية، ثم عمل معلمًا ثم مديرًا لمدرسة «العثمان الأهلية» التي أسسها هو وإخوته، ثم عمل موظفًا حكوميًّا متدرِّجًا في السُّلك الوظيفي. كاتبًا في بلدية الكويت ١٩٢٩، ورئيس كتبة فيها، ثم مديرًا لها ١٩٤٨، ثم ترك العمل متفرِّغًا لتجارته. أنشأ مكتبة خاصة آلت ملكيتها إلى المكتبة الوطنية في دولة الكويت بعد وفاته. له ديوان شعر عنوانه «ديوان العثمان». انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ٨٥.

(٢) يوسف بن عيسى القناعي، المتقطعات، ص ١٣١. [قلْبَ لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنُّ: انقلبَ عليه وعَادَاهُ بعدَ مَوَدَّةٍ].

طمعاً بحلمها وأناتها، وأنَّ الحرب حينها ستكون ضرورة للدفاع عن النفس والوطن، ودحر المعتدي خائباً منهزماً.

نلاحظ أنَّ الخطاب السياسيَّ الحربيَّ الذي تناول المواجهات الحربيَّة داخل إطار دولة الكويت، تنوَّع بين الوصف والحضُّ على الحرب والثَّار والانتقام، والدَّعوة إلى السلم ونبذ الخلافات والأحقاد بين أبناء العرب، وحثُّهم على التوجُّه إلى التوحُّد في وجه الاستعمار الأجنبيِّ الذي بدأ يغزو دول إقليم شبه الجزيرة العربيَّة. ولعلَّ هذه الندرة في التناول، والاقتصار على الإشارة في الطرح، تتعلَّق بطبيعة البدايات الشعريَّة في الكويت، وقلة عدد الشعراء، الأمر الذي أدَّى إلى محدودية المواضيع التي تمَّ النظم فيها. ويشكِّل الوضع الاجتماعيُّ المتردِّي آنذاك سبباً رئيساً لصرف الشعراء نظرهم عن أيِّ موضوعات أخرى، إذ كان شغلهم الشاغل لكونهم جزءاً من المجتمع الكويتيِّ.

ولمَّا كان الشعر يضطلع بدورٍ مهمٍّ في شحن النفوس أو تهدئتها، كما وسائل الإعلام الحديثة، فإنَّ تخليد القصائد التي تتناول المعارك وهجاء قادتها ربَّما ستثير حفيظة أبنائهم أو أحفادهم لاحقاً، ولا تسمح بصفاء النفوس بين الطرفين بعد الصلح، ولربَّما أثر بعض من كتب في هذا المجال أن يحتفظ بشعره أو لا يدوِّنه أو يهمله أو يحرقه، من باب الحيطة والحذر. ويبقى الأمر معلقاً حتَّى تتكشف قصائد جديدة ربَّما ما زالت مخطوطة ومحفوظة. ولا ريب أنَّ قلة التدوين وضياع الكثير من الشعر الكويتيِّ، لا يعطينا فكرة واضحة عن مدى غزارة القصائد التي تناولت المواجهات الحربيَّة آنذاك، أو اضمحلالها.

وممَّا سبق، نستطيع أن نستنتج سبب افتقار ديوان الشعر العربيِّ في الكويت إلى النماذج الشعريَّة الوثوقيَّة المتعلِّقة بالمواجهات الحربيَّة بين الكويت والإخوان الوهابيِّين، ونردُّه إلى عاملين:

١ - قلة عدد الشعراء في الكويت الحديثة النشوء.

٢ - قلة الاهتمام بتدوين الشعر العربي الفصيح في تلك المرحلة.

وعلى الرغم من محدودية تناول هذا الجانب من القضايا السياسية الداخلية في الكويت، فقد كان ثمة اهتمام أوسع وأشمل بقضايا داخلية أخرى، ومن ذلك عناية الشعراء بتصوير الوضع السياسي بين الحاكم وأبناء شعبه، ثم بين الحكومة والشعب. وقد تعرّض الشعراء بالنقد لكل من الحاكم والحكومة، بيد أن لكل منهم وجهة نظره الخاصة به، وأسبابه التي دفعته إلى هذا النقد. وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن إغفال الجوانب التي تتجلى فيها أبرز مظاهر الولاء للحاكم والحكومة، وذلك في قصائد المدح السياسي، والذي يمكن اعتباره، من وجهة نظر أولى، دليلاً على مساحة الحرية التي أعطيت للشعراء آنذاك. وسنقف على ذلك تفصيلاً في الفصل الآتي.



الفصل الثالث

السُّلْطَةُ الْكُوَيْتِيَّةُ بَيْنَ النُّقْدِ وَالتَّايِيدِ

تعاقب على حكم الكويت منذ النصف الأوّل من القرن الثامن عشر وحتى وقتنا هذا خمسة عشر حاكمًا من آل الصّباح، منذ تقلّد الشيخ صباح بن جابر الصّباح الحكم في الكويت، إذ تمّ اختياره حاكمًا بالتوافق بين أطراف القوّة المسيطرة في المنطقة آنذاك. وبارك المجتمع الكويتيّ تنصيب آل الصّباح حكمًا على الكويت بالشورى، من طريق ديمقراطيّ أشبه بالانتخابات لاحقًا؛ فقد اختار الكويتيون حاكمهم بمحض إرادتهم وحدّدوا له مهمّاته.

«ولعلّ تنوّع واختلاف التجمّع السكاني ونشاطاته الإنتاجيّة كان وراء اختياره صباح الأوّل عام ١٧٥٢ ليكون أوّل حاكم للكويت، بمبايعة جماعيّة على الرغم من الأهميّة الكبيرة والخطيرة التي كانت تمثّلها طبقة التّجّار، ولهذا لم تكن توليته إطلاقًا ليده في شؤون الكويت، مع أنّ هذه كانت طبيعة الحكم في مختلف أنحاء العالم العربيّ وقتئذٍ، بقدر ما كانت رمزًا للوحدة الوطنيّة والرغبة في استمرار التجمّع، واعترافًا بقيمة صباح الأوّل الشخصيّة»^(١).

ومن الملاحظ -بحسب التاريخ السياسيّ لمسيرة نظام الحكم في الكويت- أنّ تطوّر هذا النظام ليس تراكميًّا، ولا امتدادًا لحكم القبيلة وعصبيّتها، خلافًا لحال بعض الأنظمة الحاكمة الأخرى في المحيط الإقليميّ. وممّا يؤكّد ذلك ما ورد في

(١) محمّد حسن عبدالله، الحركة الأدبيّة والفكرية في الكويت، ج ١، ص ٢٩.



مذكرات مدحت باشا^(١) عن الكويت والكويتيين: «ولم تكن تابعة لحكومة، وأراد نامق باشا^(٢) إلحاقها بالبصرة، فأبى أهلها؛ ذلك لأنهم تعودوا عدم الإذعان للتكاليف، والخضوع للحكومات، فهم شبه جمهورية»^(٣).

وعلى الرغم من أن اختيار الحاكم تم بالتوافق والشورى، فإن ذلك لا ينفي أن يكون الحاكم ذا صلاحيات مطلقة في البلاد، والمشرع الأول المتولي إدارة شؤونها، كما في ظل حكم الأمير مبارك الصباح ١٨٩٦-١٩١٥^(٤)، أو في ظل حكم أمراء لاحقين له في النصف الأول من القرن العشرين، كحكم الشيخ أحمد الجابر الصباح ١٩٢١-١٩٥٠، إذ يقول صقر الشبيب في مقدمة أبيات له رفعها إلى سموه، مشيراً إلى أنه الوحيد الذي يملك زمام الأمر والنهي في البلاد:

إلى ذي المعالي نجل جابر الذي

بئمناه من هذي البلاد زمامها

أوجه من شعري الرصين محامداً

كساها جمالاً - إذ كستته - نظامها^(٥)

(١) مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٣م) أحمد مدحت ابن حاجي حافظ أشرف أفندي، لقبه أبو الأحرار، ولد في إسطنبول، وتعلم العربية والفارسية، وتقلب في الوظائف حتى كان والياً على الدانوب، ثم رئيساً لمجلس شورى الدولة في الآستانة، ثم والياً على بغداد، ثم تولى منصب الصدارة العظمى في الدولة العثمانية فأصدر الدستور العثماني في أواخر عام ١٨٧٦، ثم والياً على الشام. له وصية منشورة، ومن أدباء العراق من نسب إليه أبياتاً من الشعر العربي، منها بيتان شطرها أحدهم وخمسهما. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ١٩٥.

(٢) نامق باشا: محمد أمين نامق باشا (١٨٠٤-١٨٩٢م) سياسي عثماني، يعد من أهم رجال الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر. أنشأ الأكاديمية الحربية العثمانية، وشغل منصب والي بغداد مرتين، كما شغل منصب سرعسكر (وزير الحربية)، ومنصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) في الدولة العثمانية. انظر: ويكيبيديا.

(٣) سيف مرزوق الشمال، من تاريخ الكويت، ط١، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١١٢.

(٤) «كان الشيخ مبارك الشخص الوحيد الذي ترفع إليه الشكاوى، وإليه ترجع الأحكام، وهو الحاكم المطلق في جميع الشؤون، وإذا أشكل عليه أمر أحاله إلى بعض علماء الدين». انظر: م، ن، ص ٢٣٥.

(٥) أحمد البشر الرؤمي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٣٧.



فالنماذج الشعرية المعاصرة للمرحلة السياسية التي أشرنا إليها تشدد على أنَّ أمير البلاد هو الحاكم المطلق فيها، والمستأثر بالقرار السياسي، حتَّى إن كانت السُّلطة موزَّعة رسمياً في بقاع الدولة على شكل دوائر حكومية ومؤسسات رسمية مثَّلت واجهة السُّلطة أمام عامة الشعب، لتكون الحبل السري الذي يربط الراعي برعيته، ويقضي الشعب عن طريقها مصالحه، باعتبارها الجهة التي تجسّد الحاكم، ومن هنا كانت حكومة.

يُعتبر الشاعر عموماً من أبرز الشخصيات الثائرة في مجتمعه، لذا لم يكن الشاعر الكويتي بعيداً عن هذه الروح الثورية الناقدة، بل متصلاً بها ومكثراً منها. فجاءت قصائد بعض الشعراء نقدية تمسُّ جانباً مهماً في الدولة كالجانب السياسي؛ فنقد بعضهم الحاكم وأسلوب حكمه، ونقد آخرون مؤسسات الدولة ودوائرها وممثلي الحاكم من وزراء ومُديرين، بينما أجاد آخرون في إظهار الولاء للحكّام وتأييدهم ومدحهم والثناء على سياستهم، على أنَّ هذا المدح كان خالصاً حيناً، وتكسبياً حيناً آخر. وسنقف على تفاصيل ذلك معتمدين على ما تركه الشعراء من إرث شعري يؤكّد ما ذهبنا إليه أو يُفنّده، بدءاً بنقد السلطة حاكماً وحكومة، وفقاً لما تضمّنته النماذج الشعرية.

أولاً: نقد السُّلطة الكويتية

على الرغم ممّا بدت عليه الدولة من تنظيم داخليّ، وقتئذٍ، إلا أنّ مساحة الديمقراطية التي أزالَت الحواجز بين السلطة الحاكمة والشعب، دفعت بعض الشعراء إلى نقد جوانب من الإدارة السياسيّة التي لم تعجبهم، فجاءت آراؤهم متعدّدة ومتقلّبة إزاء السُّلطة بشقيّها: الحاكم والحكومة، فلجأ بعضهم إلى النقد للتعبير عن مواقفهم إزاء المخالفات الحكومية التي ترتكب في وطنهم، ووصل الأمر ببعضهم إلى التهديد بالثورة في حال لم يُستجب للمطالب الشعبيّة المنادية بالمساواة والحرّيّة، والدعوة إلى إعادة التوازن الطبقيّ بين أطياف المجتمع الكويتيّ حكّامه ومحكوميه. وإنّنا من استقراء الشعر العربي في الكويت نستطيع أن نحدّد ملامح هذا النقد في جانبين: نقد الحاكم والتهديد بالثورة، نقد المؤسّسات الحكوميّة.

أ - نقد الحاكم والتهديد بالثورة

لما كان الحاكم وليّ الأمر الذي بيده زمام أمر البلاد، والمتصرف في شؤونها، وأكبر سلطة في الدولة، فقد وجد الشعراء ضرورة التّقدم بالشكوى إليه دون حرج منهم في ذلك. بل وصل الأمر ببعضهم إلى التهديد بنفاذ الصبر، والتحذير من غضبة الشعب وثورته. وكان الحاكم يقابل هذا النقد بوجه بشوش دون أن يتعرض للناقدين بالأذى أو المحاسبة.

في مرحلة مبكّرة تعود إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر يستوقفنا الشاعر الكويتيّ عُثمان بن سَنَد الوائليّ في قصيدته «لا تُخرُج على الأمراء»، التي يتطرّق فيها إلى العلاقة بين الحاكم والمحكوم، مضمّناً إيّاها نهياً صريحاً عن الخروج على الحاكم، لا حبّاً وطاعةً، بل حذراً وخوفاً من مغبّة الخروج عليه. ومن ذلك قوله:

(هِيَ الْعَنْقَاءُ، تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا؛
فَعَانِدَ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا)
وَلَا تَخْرُجْ عَلَى الْأَمْرَاءِ إِنِّي
وَجَدْتُ شِفَارَ بَيْضِهِمْ حِدَادَا
وَمَنْ أَبْدَى عَلَى الْأَمْرَاءِ بَأْؤَا
أَعَادُوا طَوْدَ عِرْتِهِ رَمَادَا
فَجَهْلٌ أَنْ يُعَادِيَهُمْ مُعَادٍ
وَمَا أَلْفَتْ سُيُوفُهُمْ غِمَادَا
فَحَازِرٌ أَنْ تَحَارِبَهُمْ فَتَرْدَى
وَتَحْكِي بِالرَّدَى إِرْمَا وَعَادَا^(١)

يستطيع المتلقي أن يضع في حسابه أن المقصود بالتحذير إما عدو خارجي للحاكم، أو أبناء الشعب والرعية التي تخضع للحاكم. ويبقى الاحتمال الثاني مفتقراً إلى القرينة التي تؤكد، حتى يأتي بها الشاعر في أبياته اللاحقة، ليؤكد ما نرمي إليه، مع التركيز على طبيعة العلاقة بين الشعب وحكامه في تلك الفترة الزمنية التي عاصرها، موضحاً اتساع هوة الفارق الطبقي بين الفئتين، حيث يجب على الفرد أن يلتزم الحذر في صحبة الأمراء -كما يرى ابن سند- حتى إن بدا منهم الود والقربة، فلم تألف سيوفهم الغمد في وجه المعتدين عليهم، أو المتطاولين على سيادتهم وخصوصيات حكمهم. فيقول:

وَإِنْ صَاحَبْتَهُمْ فَاحْذَرْ وَأَخْلِصْ
إِذَا رُمِتِ النَّجَاةُ لَهُمْ وَدَادَا
وَلَا تَمْزُجْ نَصِيحَتَهُمْ بِغِشٍّ
فَكَمْ غِشٍّ إِلَى مَنْ غَشَّ عَادَا

(١) اقتبس الشاعر البيت الأول من قصيدة للشاعر أبي العلاء المعري، إلا أن البيت كما ورد عند أبي العلاء يقول: «أرى العنقاء». انظر: أبو العلاء المعري، سقط الزند، ط١، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٧، ص ١٩٧. وانظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، م١٢، ص ٧١٥.

وَلَا تَشْرُسْ فَكَمْ شَرِسٍ طِبَاعًا
 أَلَأَنْتُمْ مَنِ شَرَّاسَتِهِ اشْتَدَّادًا
 وَإِنْ هُمْ شَاوَرُوكَ عَلَى مُهِمٍّ
 سَمَوْتَ وَكُنْتَ طَلَعًا نَجَادًا
 فَلَا تَنْظُرْ عَدُوَّهُمْ بِطَرَقٍ
 وَإِنْ أَوْلَاكَ لِلْقَلْبِ السَّوَادَا
 وَلَا تَرْكَبْ عَلَى مَثْنٍ اغْوِجَاجٍ
 وَلَا تُسْرِجْ لِمَفْسَدَةٍ جَوَادَا
 فَمَنْ رَكِبَ الْمَفَاسِدَ أَرْكَبَتْهُ
 مَهَالِكُ مَا تَعَوَّدَتْ الْبِدَادَا^(١)

التحذير في هذا المقطع يمكن أن يفسر في أمرين: الأول أن يكون التحذير هجاءً ضمنيًا للحكام أو الأمراء، ووصفهم بالقسوة والانفراد بالحكم وابتعادهم عن الشورى مع عامة الشعب أو خاصته. والثاني أن يكون التحذير مدحًا ضمنيًا للأمراء المقصودين في تشديده على قوتهم وبأسهم. بيد أن الراجح أن التحذير هو لكل من تسوّل له نفسه الخروج على الأمراء. وحتى أولئك المخلصون للأمراء طالهم التحذير، فنصحهم الشاعر بأن يُبقوا على مسافة أمانٍ بينهم وإياهم، لكي لا تُزهق أرواحهم، فلا يظنّوا بأنّهم بمأمن بهذا القرب. ومن هذا التحذير يتّضح أنّ الطرف المحذّر هو الشعب بشكل عامّ.

تتميّز القصيدة بمباشرتها نقد سياسة الأمراء الذين قصدهم ابن سند، إلا أنّ خطابه كان نقدياً في عباءة النصيح والتحذير، محذراً من الثورة على الأمراء، ومن عواقب الخروج عليهم، ومن الطبعي ألاّ يسمّي الشاعر الأمير المُحذّر منه في قصيدته، لتوقّعه العقاب بشكل مسبق، فاعتمد التعميم فيها. ويستطيع القارئ أن يرى التجربة الذاتية للشاعر في ثنّيا القصيدة، فيفتح أمامه باب التأويل في

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، م ١٢، ص ٧١٥.

أن يكون الشاعر قد حاول الخروج على أحد الأمراء، أو أنه أدلى برأي في مقام لم يناسبه مقاله، أو أنه صرَّح بالخروج على هذا الحاكم شخصياً. وبالمقابل، لا يستبعد أن يكون الشاعر عثمان بن سند قد كتب هذه النصيحة السياسية بعد معاصرته لحادثة مشابهة مع أحد من معاصريه، فتعلَّم منها وحذَّر غيره من الوقوع في الشرك نفسه.

وإذا كان ابن سند قد اتخذ من العموم وسيلة في نقده، كي لا يضع نفسه في دائرة الاتِّهام من حاكم بعينه، فإنَّ شعراء لاحقين لابن سند قد بدؤوا أجراً منه في نقد شخص الحاكم، منهم الشاعر عبداللطيف النُّصف في قصيدته التي يشيد فيها بصنيع شَمْلان بن علي،^(١) ويشكر فضله. تقول الأبيات الأولى منها:

الْيَوْمَ نَالِ الْعُلَا وَالْمَجْدُ مَا طَلَبَا
مُذْ أَصْبَحَا لِأَبِي الْأَمْجَارِ قَدْ نَسَبَا
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا شَمْلَانُ كَمْ لَكَ مِنْ
مَكَارِمٍ فُقِّتَ فِيهَا الْعُجْمُ وَالْعَرَبَا
رَفَقًا بِنَفْسِكَ قَدْ كَلَّفَتْهَا شَطَطًا
رَفَقًا بِمَالِكَ قَدْ حَمَلَتْهُ تَعَبَا
وَسِرَّتْ فِي فَلَوَاتِ الْفَخْرِ مُعْتَزَمًا
وَلَوْ سِوَاكَ مَشَى فِيهَا إِذْنُ لَكَبَا^(٢)

(١) ألقى الشاعر عبداللطيف النُّصف قصيدته في حفل افتتاح مدرسة السعادة عام ١٩٢٤ التي أنشأها النُّوخَذَةُ -القيطان البحري- شَمْلان بن علي آل سيف، على نفقته الخاصة؛ كانت الثالثة بعد مدرستي المباركية والأحمدية، وكانت الكبرى والأبهى، فأتلج صدور دعاة التجديد من مثقفي الكويت الذين أقاموا احتفالاً في المدرسة عينها، رُصَّع الشعراء بقصائدهم. وكان الشاعر النصف قد اعتذر عن إلقائها بنفسه بسبب المرض، كما يروي المعاصر له عبدالعزيز الرشيد «وكان بوَّده أن يلقيها بنفسه، ولكنَّه تأخَّر عن ذلك لمرض أصابه». وربما تراجع الشاعر عن إلقائها بعد أن علم بعض أصدقائه والمقرَّبين منه بمضمون القصيدة، وما يمكن أن تنثيره من متاعب له بعد انتشارها. انظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٣٨٨.

(٢) م، ن، ص، ن.

فالحاكم بكبريائه ومكانته لا يضيره أن يوصف بعض رعاياه بالليث، لأنَّ العرين يتَّسع للكثير، غير أنَّ الإشارات التي تومض في اتجاه تفرُّد شَمْلان بن علي على غيره، تبدأ من المطلع؛ فهذا المحتَفَى به «أبو الأمجاد» انتسب إليه العُلا والمجد فاطمَانًا إلى تحقيق غايتهما، وكأنَّهما قبله لم يطمئنا. وما يرجَّح ما ذهبنا إليه من أنَّ تسمية الشاعر لشَمْلان بأبي الأمجاد يمكن أن يعتبرها البعض تقليلًا من شأن الحاكم، هو أنَّ هذه الصفة كانت محصورة في مدح الأمراء، ومن ذلك ما نظمه الشاعر صقر الشبيب من قبل في مدح الأمير سالم المبارك الصباح (١٩١٧ - ١٩٢١)، وفي فخره بالكويت واستهجانته تصغير اسمها، بل إنَّ مقامها أجدر بالتعظيم لا التصغير، قال:

صَغَرَ اسْمَ الْكُوَيْتِ مَنْ كَانَ سَمَى

قَبْلَ مَا تُتَاكَ يَا أَبَا الْأَمْجَادِ^(١)

ثمَّ إنَّ الشاعر النصف في قوله «فَاقَ الْعُجَمَ وَالْعَرَبَا»، يؤكِّد فضل شَمْلان على كلِّ الناس على أرض الكويت. والخلاصة أنَّه جعل ابن شَمْلان رجلًا فاق بمكارمه الجميع، ثمَّ غمز في البيت الأخير على عجز غيره عن مجاراته في صنيعه، «ولو سِوَاكَ مَشَى فِيهَا إِذْنَ لَكَبَا». ولا يترك الشاعر مساحة للتأويل في بيته الذي يتعرَّض فيه لكبير القوم، فيقول:

هَـذِي الْكُوَيْتُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ سَيِّدُهَا

رَضِي بِذَلِكَ كَبِيرُ الْقَوْمِ أَمْ غَضِبَا^(٢)

مستحضرًا أوَّلَ مرَّةٍ هذه الإشارة المباشرة «كبيرُ القوم»، وموجَّهًا بذاك خطابًا مباشرًا إلى الحاكم، غير مكترث برضاه عنه أو غضبه عليه. ويتابع في نقدٍ صريح بل أكثر حدة إلى درجة التجريح:

لَا تَحْسَبَنَّ بِخَيْلِ الْقَوْمِ سَيِّدَهُمْ

لَكِنَّ سَيِّدَهُمْ مَنْ يَبْذُلُ النَّشَبَا^(٣)

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٢٩٢.

(٢) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٣٨٩.

(٣) م، ن، ص، ن.

مشيراً إلى اتهام الحاكم بالتقاعس عن رعاية مصالح أبناء شعبه، فباتت قصيدته هجائية أكثر ممّا هي إصلاحية. ومن هنا يمكننا أن نلتمس العذر للشاعر على تجنبه إلقاء القصيدة أمام جمع غفير من المصلحين والمنقّفين وأصحاب السُّلطة، على ما فيها من صراحة في النقد.

إنّ في رفض الشاعر النّصف الإلقاء تأكيداً لما ذهب إليه الشاعر عثمان بن سند من قبل في قصيدته «لا تخرُجْ على الأمراء» من أنّ العواقب ستكون وخيمة. هذا ولم يعتذر الشاعر النصف عن هذا النقد للأمير أحمد الجابر الصباح، بيد أنّه اعتذر لاحقاً للشيخ عبدالله السالم الصّباح^(١).

على الرغم من النقد المباشر للحاكم وأسلوب حكمه عند ابن سند وعبدالمحسن الرشيد، كلاهما لم يحرض على الثورة. فابن سَنَدٍ حذّر الشعب من القيام بثورة على الحاكم، فقتل بذلك البذرة الثورية في نفوس أبناء الشعب قبل أن تنمو وترى النور، بل لا يرى أيّ فائدة من مواجهة ولاة الأمر إلا الرجوع بالهزيمة والخسران. واكتفى عبدالمحسن الرشيد بالنقد من دون أن يحرض الشعب على الثورة. بيد أنّ شعراء آخرين -ومنهم عبدالمحسن الرشيد في قصائد أخرى له- بدوا أجراً في الطرح، فدعوا إلى ثورة غاضبة، يدفعهم إليها، تدمرهم من تدهور الأوضاع السياسية في الكويت وفي عموم شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي ألجأ بعضهم إلى إلقاء اللوم على الحاكم في المقام الأول بصفته قمة هرم السلطة في الدولة، ورفضهم التفاوت المعيشي بين الطبقتين: الثرية والفقيرة في المجتمع الكويتي، وسنرى ذلك فيما يلي.

(١) وممّا قاله الشاعر عبداللطيف النّصف في اعتذاره:

أَعْبَدَ اللَّهَ عَفْوَاً عَنِ فَتَى لَمْ
أَتَيْتُ يُقَوِّدُنِي أَمَلٌ صَرِيحٌ
وَهَبْنِي قَدْ أَسَاءْتُ بِغَيْرِ قَصْدٍ
رَجَائِي فِيكَ أَكْبَرُ شَافِعٍ لِي
أَعُوذُ بِمَجْدِكَ الْعَالِي ذَرَاهُ
وَحَزْمٌ لَا تُغَيِّرُهُ اللَّيَالِي

يَوَدُّ مِنَ الْأُمُورِ سَوَى رِضَاكَ
وَحُلْمٌ قَدْ تَجَسَّمَ فِي عُلَاكَ
أَلَيْسَ الْعَفْوُ يَشْمَلُ مَنْ أَتَاكَ؟
وَهَلْ خَابَ امْرُؤٌ يَوْمًا رَجَاكَ؟
وَيَا لِلَّهِ مِنْ مَجْدٍ هُنَاكَ
وَعَزْمٌ قَدْ بَلَغَتْ بِهِ السَّمَاكَ

انظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

١ - التذمر من الاضطراب السياسي

ولعل هذا الدافع يعتبر من أهم الأدلة على اتساع مساحة لحرية التعبير والرأي في الكويت وقتئذ، إذ تحرّر بعض الشعراء من قيد الرمز والتلميح وبدوا أكثر حدّةً وجرأةً في التعرض بالنقد للحاكم.

يبدو ذلك من أشعار عبد اللطيف النّصف الذي رسم آفاق حلمه بنهضة تؤسّس للمستقبل، ورؤيته أنّ هذا التأسيس لن يستقيم إلا بإزاحة معوّقات الواقع. فصور في أشعاره الحالة المتردّية التي آل إليها الشعب في الكويت، ودعا بشكل صريح إلى إزالة الفساد واجتثاثه، متمنّياً للشعب ثورة لا يصلح الحال إلا بها، فيقول في قصيدته «جَلَّ الأَسَى» التي بعث بها إلى صديقه الكويتي الشاعر خالد الفرّج المقيم آنذاك في مملكة البحرين:

يَا لِّلْكُوَيْتِ وَمَا أَلَمَ بِشَعْبِهَا
فَلَقَدْ رَمَتْهُ فَأَقْصَدَتْهُ رُمَاتُهُ
شَعْبٌ يُقَادُ إِلَى الْبَوَارِ وَمَا دَرَى
لَهْفِي أَيْدِي مَنْ غَشَاهُ سُبَاتُهُ؟
وَيْلُ امَّةٍ! مَاذَا دَهَاهُ فَأَضْبَحَتْ
وَقَدْ اسْتَوَتْ بِرِجَالِهِ غَادَاتُهُ^(١)

من الضروريّ الإشارة إلى أنّ الشاعر ربما أدرج الوضع السياسيّ المضطرب في شبه الجزيرة العربيّة بعامّة، بيد أنّ تصريحه في مقدّمة أبياته باسم الكويت، جعلنا نرجّح القول بأنّها المقصودة في النقد في هذه الأبيات. وقد تعرّض النصف للمشكلة ووصفها، ونبّه إلى أنّ المسؤوليّة الأولى تقع على عاتق الحكومة التي أعمأها سباتها عن أحوال الشعب. ولعلّ البيت الثاني يكشف عن بواكير المعارضة في تلك المرحلة، والانتقاد الصريح لحكم الفرد الواحد، ففي قوله «شَعْبٌ يُقَادُ» إشارة إلى قائد البلد. ويرى الباحث د. خليفة

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٠٩. [تاريخ القصيدة هو الثالث عشر من يونيو- حزيران ١٩٢٦، في ظلّ حاكم الكويت الأمير أحمد الجابر الصباح ١٩٢١- ١٩٥٠].

الوقيان أن هذا القول هو «دعوة مبكرة إلى العمل الجماعي الذي لم ينتبه إليه كثير من المثقفين حتى يومنا هذا»^(١).

ويبدو واضحاً حنق الشاعر على الوضع السياسي المضطرب في الكويت، وحالة السكوت المطبق التي تسيطر على المجتمع الكويتي آنذاك، إذ يرى المواطنين راضخين ومستسلمين، حتى أن نفوسهم لا تحدّثهم بالاستياء من واقعهم البائس. ويعود الشاعر إلى التأسف واللوم والحسرة؛ فلا يرى منها أي فائدة ما لم تقترن بالثورة الفعلية التي تأتي بالنتائج الفعّالة، فيقول:

أَسْفِي وَمَا يُجْدِي عَلَيَّ تَأْسُفِي
شَيْئاً وَلَوْ قَرِئَتْ بِهِ حَسْرَاتُهُ
أَنْ لَا أَرَى الشَّعْبَ الْمُضَامَ بِجَنْبِهِ
تَفْتَرُّ عَنْ ثَغْرِ الرَّدَى ثَوْرَاتُهُ
مَنْ لِي بِ«رُؤَيْسِي»^(٢) يُذَكِّي نَارَهَا
حَمَرَاءَ تَخْفِقُ فَوْقَهَا رَايَاتُهُ^(٣)
فَتَحِرُّ لِلْيَوْمِ الرَّهِيْبِ طُغَاتُهُ
وَتُذِيقُهُمْ ذِيقَاتَهَا حَيَاتُهُ^(٤)

لا يجد الشاعر سبيلاً للخلاص من هذا الواقع السياسي إلا أن تجود الكويت برجلٍ مثل الثائر الفرنسي «ماكسميليان روبسبير» الذي كان من أبرز قادة الثورة

(١) خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ص ٩١.

(٢) ماكسميليان روبسبير Maximilien Robespierre (١٧٥٨ - ١٧٩٤م)، ثائر فرنسي، محام وزعيم سياسي، وأحد الشخصيات الكبرى في الثورة الفرنسية، اختلفت فيه الآراء، فوصفه البعض بأنه كان مخبولاً، وآخرون بأنه كان دكتاتوراً، وفريق ثالث قال إنه نصير مثالي للثورة الاجتماعية. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ٨٣٦.

(٣) يرمز الشاعر في هذا البيت إلى الحرية الحمراء التي عنها أحمد شوقي في قوله:
بِكُلِّ يَدٍ مُضْرَجَةٍ يُدَقُّ وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحُمْرَاءِ بَابٌ
انظر: أحمد شوقي، الشوقيات: ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، ط١، بيروت: دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ج ٢، ص ١٨١.

(٤) خالد محمد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١١٠.

الفرنسيَّة عام ١٧٨٩م، والذي عُرف كعدوٍّ للملكية وحكم الفرد الواحد، ونصيرًا للديمقراطيَّات الإصلاحية، إلا أنَّه انتهج سبيل الديمويَّة والإصلاح بالقوَّة، وطالب حينها بإعدام الملك لويس السادس عشر، وهو الأمر الذي تحقَّق له عام ١٧٩٣م.

وتتَّخذ دعوة النصف إلى الثورة نوعًا من المباشرة في التنفيذ وإن كانت إشاريَّة في الطلب، فهو يدعو إلى ثورة ذات «تغييرات فجائيَّة وجذريَّة تتمُّ في ظروف اجتماعيَّة وسياسيَّة، أي عندما يتمُّ تغيير حكم قائم -والنظام الاجتماعي والقانوني المصاحب له- بصورة فجائيَّة، وأحيانًا عنيفة»^(١).

وإذا انتقلنا إلى قصيدة خالد الفرج «الرَّجاءُ بعدَ اليأس»^(٢) التي نظمها جوابًا على قصيدة النِّصف السابقة، مترجمًا عن هذا المعنى نفسه، نلاحظه أجراً في النِّقد وأكثر تصريحًا بالمشكلة وتشديدًا على الحلِّ الذي ألمح إليه النِّصف، ومن ذلك قوله:

هَـذِي نَتِـيْجَةُ كُلِّ شَعْبٍ قَائِمٍ
بِالْفَرْدِ مِنْهُ حَيَاتُهُ وَمَمَاتُهُ
فَهُنَاكَ ثَرٌّ إِنَّ النَّجَاحَ مُحَقَّقُ
وَالسَّيْرُ مِنْكَ سَدِيدَةٌ خُطَوَاتُهُ^(٣)

بدا الفرج أكثر عقلانيَّة في طرح حلِّ هذه المشكلة، إذ لا يعارض القيام بالثورة، بل يشدّد عليها ويرأها مطلبًا ضروريًا للنهضة والإصلاح وإعادة التوازن والاستقرار إلى الوضع السياسي، لكنَّ هذه الثورة تحتاج إلى قوانين ضابطة لها وأسس تقوم عليها، وحملة توعية بين أفراد المجتمع، كي تكون ثورتهم نتيجة مبدأ وعقيدة، وتسعى لتحقيق هدف محدّد، وتتَّضح هذه الرؤية العقلانيَّة عنده في قوله:

(١) عبد الوهَّاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٨٧٠.
(٢) بعث بها الشاعر خالد الفرج إلى الشاعر عبد اللطيف النِّصف في الثَّاني عشر من يوليو ١٩٢٦.
(٣) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١١.

مَا قَامَ «رُؤَيْسُ بَيْرٍ» حَتَّى هَزَّهُ

«فُولْتِيرُ»^(١) تُذَكِّي نَارَهُ جَذَوَاتُهُ^(٢)

يشدّد الفرج على أنّ التوعية هي الخطوة الأولى للقيام بالثورة؛ فهو الشاعر الذي تمسّك بالإصلاح العلميّ والتقدّم الثقافيّ والتنوير العامّ، وكأنّه يُدين النصفَ من فمه، ليأتي له بالشاهد نفسه، إلا أنّه يضع المسبّبات التي أوصلت إلى هذه الغاية. فهو لا ينكر فضل الفرنسيّ الثائر روبسبير، بيد أنّ الأخير لم يكن باستطاعته القيام بهذه الثورة منفرداً، وكان لا غنى له عن حاضنة شعبية يتحرّك تحت حمايتها، وتتحرّك معه في تحقيق هدفه وهدفها، لتكون مهمّة تحضير هذه الحاضنة الشعبية مهمّة يقوم بها المثقّفون في المجتمع، وبشكل خاصّ أولئك الذين يجدون لهم أذنًا مصغيةً في المنابر والمناسبات، كالأديب الفرنسيّ فولتير.

حرّض الشاعران النصفُ والفرجُ بعضهما بعضاً على الثورة، لكنّ مفهومهما اختلف عندهما؛ فإذا كان الأوّل يطالب بثورة فجائية وجذرية، فإنّ الثاني ينتظر ثورة راديكالية بطيئة بعيدة عن العنف، تمهّد البيئة الشعبيّة لتكون جاهزة للثورة الفجائية التي يريدها النصف. فحال الثورة الراديكالية التي ينادي بها الفرج حلاً للواقع السياسيّ «كما هو الحال عندما نقول ثورة علميّة، ثورة فنيّة، ثورة ثقافيّة، فإنّ هذه التغييرات المعاصرة تستخدم لوصف تغييرات شاملة في مجالات متعدّدة من الحياة»^(٣).

(١) فرانسوا ماري أرويه François-Marie Arouet (١٦٩٤ - ١٧٧٨م)، يُعرف باسم فولتير «Voltaire». كاتب وأديب وفيلسوف فرنسيّ، عاش في عصر التنوير. كان مدافعاً صريحاً عن الإصلاح الاجتماعيّ، على الرغم من وجود قوانين الرقابة الصارمة والعقوبات القاسية. كان واحداً من العديد من الشخصيات البارزة في عصر التنوير، حيث تركت أعماله وأفكاره بصمتها الواضحة على مفكرين مهمّين تنتمي أفكارهم إلى الثورة الأمريكيّة والثورة الفرنسيّة. انظر: ويكيبيديا.

(٢) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٢. [جذوة: جمرة متوقّدة، جمعها: جذأ، جذاء. بينما جمعها الشاعر «جذوّات» خلافاً للسان].

(٣) عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٨٧٠.

يسترسل الفرّج في حديثه عن تهيئة هذه الحاضنة، طبيعتها وتكوينها، سائلاً عن كيفية تهيئتها لتستقبل الثورة وتكون درعاً لها، بينما الجهل مخيمٌ على معظم المجتمع، لكنّه يلقي بالمسؤوليّة على الساسة، مقارناً بينهم وبين أجدادهم من الحكّام العرب، أولئك الذين شيّدوا صروح المجد والحضارة بالسيف والدّم، يقول الفرّج:

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الرُّقْيَى، وَأَهْلُهُ
مُنْخَاذِلُونَ، أَبَاتُهُ وَخُمَاتُهُ
هَدَمُوا صُرُوحًا بِالْجَمَاجِمِ شُيِّدَتْ
وَالسَّيْفُ لَمْ تَبْرُخْ بِهِ قَطْرَاتُهُ
فَهَوَى بِهِمْ نَحْوَ الْحَضِيضِ وَلَمْ تَجْزُ
عَدَدَ الْأَصَابِعِ عِدَّةَ سَنَوَاتِهِ^(١)

يشكّل هذا السّجال الشعريّ بين النصف والفرّج فكرةً عن طبيعة الوعيّ السياسيّ عند الفرد الكويتيّ الواعي. ولعلّ اهتمام كلّ منهما بالقضايا التحرّريّة العربيّة خارج الكويت، أكسب شعرهما السياسيّ الداخليّ طابع الثورة والنقد، فلا يرى أيّ منهما فرقاً بين استعمار خارجيّ وفساد داخليّ.

نظم الشاعران، النصف والفرّج، قصيدتيهما في ظلّ حكم أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر الصّباح، ويظهر من خلال ما تطرّقا إليه من نقد، رفضهما الواضح لجوانب من السياسة الداخلية آنذاك. ولعلّ قصيدة أخرى لمعاصريهما عبدالمحسن الرشيد، نظمها في ظلّ حكم الأمير المذكور، ترجح هذا الرفض وتؤيد ما ذهب إليه معاصراه. فوجّه الرشيد قصيدته «الهازر السّجين»^(٢) إلى وليّ العهد الشيخ عبدالله السالم الصّباح، ولم يرفعها إلى الأمير أحمد الجابر الصّباح، مفسّحاً مجال التأويل لمعارضته سياسة الحاكم، أي لأحد الأفراد، وليس لجميع رموز الحكم، فقال منها:

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) نظمها الشاعر عبدالمحسن الرشيد عام ١٩٤٥.

لِي فِي وَلِيِّ الْعَهْدِ مَا أَنَا أَمْلُ

مِنْ دَفْعِ مَظْلَمَتِي وَكَشْفِ سِرَّارِي^(١)

ولعلَّ تخريج الشاعر الرشيد من هذا التصرف الذي أبداه، بتجاهل الحاكم وتوجيه شكواه إلى وليِّ عهده، هو أنَّ الشعراء بعامةٍ يميلون إلى مخاطبة شعراء مثلهم أكثر من ميلهم إلى مخاطبة الساسة والأمراء ذوي الحدة وصلابة الموقف، ومعروفٌ عن الأمير عبدالله السالم الصباح مودته للشعراء وتقريبهم من مجلسه، بل إنَّه كان شاعرًا، وله مع بعض الشعراء وقائع ومساجلات، منها القصيدة التي أرسلها إليه الشاعر يوسف بن عيسى القناعي مهنًا مناسبة استقلال الكويت، قال فيها:

أُهْنِيكَ فِي عِيدِ التَّحَرُّرِ كُلَّمَا

بَدَا طَالِعُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مَشْرِقٍ

وَأَرْجُو لَكَ التَّوْفِيقَ مَا دُمْتَ سَالِمًا

تَقُومُ بِعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وَتَتَّقِي

وَأِنِّي أُهْنِي الشُّعْبَ فِيهِ لِأَنَّهُ

يَرَى أَنَّكَ الْمَاءَ الَّذِي مِنْهُ يَسْتَقِي

فَدُمُ يَا بَنَ سَالِمٍ حَافِظًا لِكُوَيْتِنَا

وَحَامِي حِمَاهَا مِنْ حُدُودٍ وَمَرْفِقٍ^(٢)

فأجابه الأمير عبدالله السالم الصباح بالأبيات الآتية:

لَكَ الشُّكْرُ يَا رَمَزَ الْوَفَاءِ عَلَى الْمَدَى

وَيَا طَوْدَةَ الْعَالِي عَلَى الْمُتَسَلِّقِ

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ١٠٥.

(٢) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٤٣ - ٥٤٤. [خلل عروضي في الشطر الأول من البيت الأخير/ بحر الطويل].

لَقَدْ مَادَّ الْإِخْلَاصُ نَفْسًا أَبْيَّةً
 بِجَنَبَيْكَ لَمْ تَعْرِفْ سَبِيلَ التَّمَلُّقِ
 وَكُنْتَ أَبَا عَيْسَى عَلَى الْخَيْرِ هَادِيًا
 تَذُودُ عَنِ الْأَخْلَاقِ فِي كُلِّ مَرْفِقِ
 فَمَا زِلْتَ مُخْتَالًا بِأَكْمَلِ صِحَّةٍ
 تُحَلِّقُ فِي جَوِّ الْهَنَاءِ وَتَزْنَقِي^(١)

هذا يوضِّحُ لنا مكانة الشعر في نفس الأمير عبدالله السالم، ولعلَّه يفسِّرُ لاحقاً أسباب كثرة قصائد المدح في عهده أكثر من العهود السابقة له. كما أنَّ هذا قد يفسِّرُ لنا سبب توجيه بعض القصائد إلى وليِّ العهد بدلاً من توجيهها إلى الحاكم في هذا الفترة تحديداً، ولعلَّ ذلك لم يكن انتقاصاً من شأن الأمير أحمد الجابر الصباح، لكن وجب التنبيه على ذلك في هذا المقام.

وبالعودة إلى قضيتنا، نجد أن الأمير أحمد الجابر الصباح أفسح المجال لأبناء الكويت التعبير عن آرائهم بكل حرية، وهذا الأمر هو ما دفع الشاعر عبدالمحسن الرشيد ليكون أجراً نقداً في قصيدته التي نظمها في نصيح ابنه، منتقداً النعيم الذي يحظى به الحاكم دون آلاف الجياع من الشعب، فحضَّ الشاعر ابنه على الكفاح والمثابرة، وعدم الاستسلام للواقع السياسيِّ الأليم، وأن يكون ثائراً في طلب حقِّه، فقال:

بُنَيَّ! أَتَيْتَ إِلَى عَالَمٍ
 بَنُو الْحَقِّ فِيهِ هُمْ الْأَضْعَفُونَ
 فَلِلْظَالِمِينَ ثَقَامُ الْقُصُورِ
 وَلِلْمُضْلِحِينَ تُشَادُ السُّجُونِ
 وَفَرْدٌ يُنَعَّمُ فِي عَيْشِهِ
 وَتَشْقَى الْأُفُوفُ لَهُ وَالْمِئُونُ

(١) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٤٤.

فَكَافِحٌ فَدُنِّيَاكَ دُنِّيَا الذُّنَابِ

يَعِيْتُ كَمَا يَشْتَهِي الْمُفْسِدُونَ^(١)

يمكن استشفاف اتِّهام موجَّه من الشاعر إلى أصحاب السُّلطة، كأنَّ يصفهم بمعاونة الظالمين والتسُّرُّ عليهم، ولم يأتِ هذا التأويل إلا بالقرائن التي أوردها الشاعر في أبياته السابقة، فإذا كانت القصور في طرف والسجون في الطرف الآخر، فهذا يدلُّ على أنَّ أصحاب القصور هم الآمرون الناهون في إيداع أيِّ شخص السجن، أو إعتاقه منه. وأبرز ما يمكن أن نقف عليه هنا هو حُضُّ الشاعر ابنه على الكفاح والنضال في وجه المفسدين، ناصحاً له بأن يكون ذنباً في استخلاص حقِّه. وإذا كان السبب الأوَّل لدعوة بعض الشعراء إلى الثورة مرتبطاً بالحكم، فإنَّ سبباً آخر ارتبط بالشعب وحاجته إلى حياة كريمة توازي ما يتمتَّع به أثرياء الدولة، لا يقلُّ تأثيراً في تحريض الشعب أوَّلاً، ثمَّ أمِّله من الحكومة الإصلاح ليستقيم أمر البلاد والعباد.

٢ - الفارق الطبقيُّ في المجتمع الكويتي

وهو الفارق بين الطبقتين؛ الثرية والفقيرة، ومن ذلك ما نظمه الشاعر عبدالله الجوعان^(٢) في قصيدة توجَّه فيها إلى ساسة الكويت، ودعاهم إلى إقامة العدل بين الناس، والنظر في حاجياتهم المعيشية، والحدُّ من الهوَّة بين الطبقتين في المجتمع الكويتي، مبيِّناً أنَّ الثراء والفقير ما اجتماعا في دولة إلا كانا سبباً رئيساً لاندلاع ثورة الشعب:

(١) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، م ٣، ص ٤٩٤. انظر: مجلَّة البعثة، السنة السابعة، ١٩٥٣، العدد ١، ص ٢٧. وانظر: محمد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتي، ص ٢٦١.

(٢) عبدالله محمد صالح الجوعان (١٩٢٣-١٩٩٣م)، ولد في الكويت، وفيها عاش معظم حياته، وتنقَّل بين عدَّة بلدان، فزار الهند ولبنان. تلقَّى علومه الأولى في الكتاتيب على عدد من علماء عصره، ثمَّ اتَّجه إلى تثقيف نفسه بنفسه، كما حفظ القرآن الكريم. عمل تاجرًا، إلى جانب ترافعه في القضايا أمام المحاكم، وتقديمه الخدمات والاستشارات القانونية. كان عضوًا منتدبًا في شركة البتروكيماويات في الكويت، كما كان عضوًا في أوَّل مجلس منتخب من المجالس البلدية عن منطقة القبلة في الكويت. توفيَّ في الكويت. أورد له كتاب «أدباء الكويت في قرنين» عددًا من القصائد والمقطوعات الشعرية، وله قصائد ومقطوعات ضمن كتاب «القضية العربية في الشعر الكويتي». له عدد من المقالات التي نشرتها له صحف كويتية وأخرى عربية، منها: «مجلة الصياد اللبنانية». انظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، م ١٢، ص ٤٠.

فَاسْتَقِمْ بِالْعَدْلِ يَا أَرْضَ أَبَا
 نِي تَكُونِي أَرْضَ النِّعَمِ الْبَهِيَّةِ
 وَاصْلِحِي الْحَالَ بِالمُسَاوَاةِ بَيْنَ الذِّ
 نَاسِ لَا مِئَّةَ وَلَا عُنْجَهِيَّةِ
 لَا وَلَا تُخَمِّمِي هُنَاكَ وَفَقْرُ
 هَا هُنَا فِي الْمَنَاطِقِ السَّكَنِيَّةِ
 حَيْثُ كَانَ الْإِثْرَاءُ وَالْفَقْرُ فِي شَعْ
 بٍ تَكُونُ الدَّوَاغِجُ الثَّوْرِيَّةُ^(١)

يَتَّضِحُ مِنَ الْأَبْيَاتِ أَنَّ فِكْرَةَ الثَّوْرَةِ رَاسِخَةٌ فِي الْوَعْيِ الْعَرَبِيِّ مِنْذُ الْقَدَمِ،
 وَأَنَّ الْحَرِّيَّةَ الْمَنْشُودَةَ تَتَعَدَّى فِكْرَةَ الْحَرِّيَّةِ مِنَ الْمُسْتَعْمَرِ الْخَارِجِيِّ، لِتَتَضَمَّنَ التَّحَرُّرَ
 الدَّاخِلِيَّ فِي الْمَقَابِلِ، وَفِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ إِشَارَةٌ إِلَى هَذِهِ الْحَرِّيَّةِ، وَمَطَالِبَةٌ حَثِيثَةٌ
 لِلسَّعْيِ إِلَى نَيْلِهَا.

وَيَسْتَوْفِنَا الشَّاعِرُ عَبْدُ الْمَحْسَنِ الرَّشِيدُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ مَحْذَرًا مِنْ ثَوْرَةِ الشَّعْبِ
 إِذَا لَمْ تَتَحَقَّقِ الْمَسَاوَاةُ وَإِقَامَةُ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَقُولُ:

وَقُلْ لِمَنْ جَرُّرُوا الْأَوْضَاعَ غَاشِمَةً
 وَحَمَلُوا الشَّعْبَ مِنْ جَوْرِ وَإِعْنَاتٍ
 إِنِّي أُحْذِرُكُمْ هَوَجَاءَ عَاتِيَةٍ
 مِنْ غَضَبَةِ الشَّعْبِ لَا تُبْقِي عَلَى عَاتِيِ
 أَكَادُ أَبْصِرُهَا فِي الْأَفْقِ ثَائِرَةً
 حَمْرَاءَ بِالْحَقْدِ تَغْلِي وَالضُّغَيْنَاتِ

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، م ١٢، ص ٤٠. انظر: خالد سعود الزيد،
 أدباء الكويت في قرنين، ج ٢، ص ٣٨٨. [وقد وردت الأبيات في كتاب أدباء الكويت في قرنين متضمنة مخالفات
 عروضية].

فَالشَّعْبُ كَالْبَحْرِ قَدْ يُغْرِي بِهَذَا تِهِ

وَالْمَوْتُ يَكْمُنُ مِنْهُ فِي الْقَرَارَاتِ^(١)

وسلك بعض الشعراء نقدهم ضمن النصيحة السياسيّة، فلم يجعلوا قصائدهم خالصة للنقد، ولم يجعلوها خالصة للمدح أو النصيحة، بل بدأوا بالمدح وختموها بالتوجيه والإرشاد، وضمّنوها قضيتهم التي أرادوا نقدها أو الشكوى منها. ومن هؤلاء الشاعر أحمد مشاري العدوان في قصيدته «تحيّة العهد الجديد» التي نظمها أيّام عودته إلى الكويت من مصر، وحملها فكرته التنويريّة، وكشف النقاب عن مشاعره المسؤولّة تجاه قضيّة شعبه ووطنه، فبدأ بتهنئة الأمير الجديد الشيخ عبدالله السالم الصباح لمناسبة تولّيه الإمارة عام ١٩٥٠، فأثنى عليه ونصحه بحزم، وحذّره من مغبّة ما سيلاقيه من شعبه إذا هو لم يصلح حال البلاد وحالهم، فقال:

وَأَتُوا الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ وَرَوِيَّةٍ

إِنَّ التَّبَصُّرَ بِالصَّعَابِ يُذِلُّهَا

فَتَجَنَّبُوا سُبُلَ الشَّقَاقِ فَإِنَّهَا

مِثْلُ الْمَشَانِقِ مَا تَعَطَّفَ حَبْلُهَا

مَنْ لَمْ يُرَاعِ بِلَادَهُ فِي حَلْبَةٍ

أَلْقَتْ بِهِ تَحْتَ السَّنَابِكِ خَيْلُهَا^(٢)

من الملاحظ في هذه الأبيات حدة الخطاب، وعدم مراعاة المقال للمقام؛ إذ إنّ المخاطب فيها أمير البلاد، ومفترض ألا يخرج غرض القصيدة على سياق التهنئة والنصح والإرشاد ضمن حدود معيّنة، فوجب ألا يستدعي الشدّة في أسلوب الطلب. ولعلّ لذلك دلالة على مدى تقبّل الأمير عبدالله السالم الصباح للنقد البناء، قبولاً يعكس لنا حقيقة العلاقة المتينة الوثيقة بين الحاكم وأبناء شعبه.

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٤١. وانظر: محمّد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتيّ، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ٢، ص ٣٩٨-٤٠٠.

ولم تكن هذه الحدة في النصيحة السياسية شيئاً غريباً على الشاعر العدواني؛ إذ إن قصيدته «نداء»^(١) التي وجهها إلى الحكام العرب جميعاً بعيد نكبة فلسطين، تشير إلى مدى حدة خطابه الشعري السياسي، فاعتمد أسلوب الخطاب العام فيها، مستغلاً الرمز في تحميل همومه الوطنية والقومية على السواء، فيصف الحكام برعاة الشاء، أي رعاة الشياه، وما في ذلك نظرياً من نقد، إذ إن الحاكم راع والشعب رعيته المسؤولة منه، لكن وصف الشعب بالشياه إشارة إلى مدى الضعف والهوان الذي وصل إليه الشعب في ظل حكم ولادة أمره، فجاء وصفه لهم استهزاءً واضحاً، وبخاصة بعد نعتهم بالنوم في حين أن الخطر يحيط بالبلاد من كل جانب، فيقول:

رُعَاةُ الشَّاءِ^(٢)! فِي نُهْمِ الرُّوَابِي
أَفِيْقُوا فَالْجَمَى وَشَكَّ انْتِهَابِ
تَوَسَّدَتِ الثُّعَالِبُ جَانِبَيْهِ
وَلَا بَتَّ حَوْلَهُ طُلُسُ الذِّئَابِ^(٣)

ثم يدعو الشاعر ولادة الأمر إلى الاهتمام بشعوبهم، محذراً إياهم من مغبة الاستمرار في سياساتهم القائمة على النأي بالنفس عن قضايا الشعب، بل عليهم الإيمان بأن الشعب هو القاعدة التي يقوم عليها حكمهم، وإذا ما تهقرت هذه القاعدة فليس للقامة بقاءً عليها. ويتوعد بأن الشعب سيسلك سبيل التغيير بيديه،

(١) مجلة البعثة، السنة الثالثة، ١٩٤٩، العدد ٢، ص ٥٨. [نظمها الشاعر بعيد حرب فلسطين عام ١٩٤٨]. انظر: علي عبد الفتاح، العدوان في عيون معاصريه، ط ١، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ١٩٩٦، ص ٦٤.

(٢) علق محمد حسن عبد الله على هذا التركيب وانتقده بقوله: «وجه خطابه إلى الحكام أو «رعاة الشاء»، وكأن الأمل منوط بهم وبصحتهم للخطر، أو رعايتهم لرعاياهم، وكأنه لم يجد في الشعب إلا أدوات إنتاج تستحق معاملة أفضل من رعاتها، لأنها سبب ما يستمتعون به من نعم». انظر: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أحمد مشاري العدوان: الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٦٥.

(٣) مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أحمد مشاري العدوان: الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٥١.

في حال تمسّكوا بمبادئهم الخاطئة؛ إذ إنّه يمثل الفوّة العظمى التي لا يقف في طريقها شيء:

حَذَارِ! فَإِنْ تَحْتَكُمُ بَلَايَا
تُخَاتِلُكُمْ بِأَطْرَافِ الْجِرَابِ
وَفِي أَمْثَالِهَا نُسِفَتْ صُرُوحُ
وَكَانَتْ ذَاتَ أَرْكَانٍ صِلَابِ^(١)

بيد أنّ الشاعر عبدالمحسن الرشيد رفض أن يشبّه الشعب الكويتي بالشاء، وأوضح أنّ الغرض كان من تشبيه الشعب بالشاء هو رضوخهم من دون أيّ اعتراض، بل إنّه نعت السياسيين بتجار العروبة، فقال:

أَتَجَّارَ الْعُرُوبَةِ قَدْ سَئِمْنَا
مُخَادَعَةً بِأَلْوَانِ الشُّعَارِ
فَمَا شَعْبُ الْكُوَيْتِ قَطِيعُ شَاءٍ
لِيَتَّبَعُكُمْ عَلَى جَهْلِ الْمَسَارِ^(٢)

الرشيد في هذين البيتين لم يكن يقصد بتجار العروبة الحكّام شخصياً، بل وجه قصيدته إلى السياسيين الذين يتخذون من الشعارات السياسية البرّاقة سبيلاً إلى جمع فئات الشعب حولهم، ليكونوا أتباعاً لهم وموالين لمنهجهم.

نلاحظُ صراحة النقد وحدّته عند بعض الشعراء الكويتيين؛ فمنهم من اكتفى بنقد الحكّام بشكل عامّ كابن سند والعدواني لاحقاً. ومنهم من انتقد اضطراب الأوضاع السياسية وألقى اللوم فيها على الحاكم، فوقف على الداء ولم يصرّح بالدواء كالشاعر عبدالمحسن الرشيد في بعض ما نظمّه. ومنهم من انتقد

(١) مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أحمد مشاري العدواني: الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٥٤.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٥٣.

الاضطراب السياسي ودعا إلى الثورة كخالد الفرّج، بينما دعا قسم آخر إلى الثورة على الأوضاع المعيشية في الكويت، داعياً إلى إقامة العدل، وتحقيق المساواة بين الطبقتين الثرية والفقيرة كعبدالله الجوعان. ولم يكن نقد الشعراء محصوراً في نقد الحاكم وسياسته التي لم تعجب بعض شعراء عصره، فانتقد آخرون الفساد في المؤسسات الحكومية، والوزراء والمديرين الذين يُعتبرون السُّلطة الثانية في الدولة، وسنقف على ذلك في ما يلي.

ب - نقد الفساد في المؤسسات الحكومية

يرى بعض الشعراء الكويتيين أنّ السُّلطة هي أوّل مسؤول عن كلّ خلل في سياسة الدولة الداخلية التي من مهمّاتها الحفاظ على التوازن الاجتماعي ومراعاة الحرّيات ومحاسبة المتطاولين باسم الدين، وإلا فكيف إذا كانت العلاقة بين الحكومة والشعب علاقة أمراء بعييد؟ ويشدّد الشاعر فهد العسكر على أنّ الفساد هو السبب الرئيس لهدم الحضارة، فيقول:

وَالْيَوْمَ أَيْنَ حَضَارَةُ الْعَرَبِ الَّتِي
أَنْوَارُهَا سَطَعَتْ عَلَى الْأَكْوَانِ؟
وَبِنَايَةِ الْمَجْدِ الَّتِي قَدْ نَاطَحَتْ
هَامَ السَّمَاءِ وَمِشَعَلَ الْعِرْفَانِ؟
عَصَفَتْ بِهَا رِيحُ الْفَسَادِ فَهَدَّتِ الـ
أَزْكَانَ رَغَمَ مَنَاعَةِ الْأَزْكَانِ
وَطَنِي! وَصَيَّرْنَا الزَّمَانَ أَذِلَّةً
لِنَعِيشَ فِي الْأَوْطَانِ كَالْعُبْدَانِ^(١)

إنّه يقرن الفساد بانهايار بناية المجد رغم مناعة أسسها التي شادها الأجداد، ولم يقصد الشاعر الفساد في عموم شبه الجزيرة العربية، بل حصره في وطنه

(١) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٢٥.

الكويت كما أشار إلى ذلك في بيته الأخير عندما وجّه خطابه وعتابه إلى وطنه الكويت «وطني!». فالشاعر يتناول الفساد بعامةٍ، من غير أن يسمي جهةً معينة يحملها مسؤولية انتشاره.

ويشدّد الشاعر العسكر على مسألة الانقسام الطبقيّ، وخصوصاً في تشبيه الطرفين بالأحرار والعُبدان، ومن ذلك دعوته إلى الإصلاح الإداريّ والإصلاح الاقتصاديّ، وهي جزء من حركة التنوير أيضاً، فيقول:

يَا فِتَاتِي.. بِاللَّهِ عَفَوْا إِذَا مَا
رُحْتُ أَشْكُو إِلَيْكَ فَوْضَى الْإِذَارَةِ
سَائِلِي الْحَيِّ - لَا عَدِمْتُكَ - عَنْ
عُبدَانِهِ حِينَ ضَايَقُوا أَخْرَارَهُ^(١)

وفي سياق العموم عينه مع تحديد أدقّ لطبيعة الفساد وأماكن انتشاره، يستوقفنا ما نظمه الشاعر عبدالله الجوعان مبيّناً الفساد المهيمن على دوائر الدولة، في نقد صريح ومباشر لها، وكيف لا يرضى بهذه الحال إلا من كان بلا عقل أو تفكير، فيقول:

بَيْنَا الدَّوَائِرُ قَدْ تَضَعُ
ضَعَّ وَضَعُهَا وَقَدْ انْهَدَمَ
وَعَدَتْ بِشُكْلٍ لَا تُقَرَّرُ
رُ بَوْضَعِهِ حَتَّى الْبُهِمِ^(٢)

بدا الشاعر فهد العسكر أكثر تحديداً من سابقه في تحديد سبب الفساد والمكان الذي يضمّه، فحصر وجوده في الدوائر الحكوميّة، ونسب سبب انتشاره إلى مديري هذه الدوائر، فرأى أنّ الدوائر مريضة تعاني داءً عضالاً، وأنّ هذا الداء يكمن في مديريها، فقال:

(١) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٥٠.

(٢) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ٢، ص ٣٨١.

وَدَوَائِرُ مُفْتَلَّةٌ مُغْتَلَّةٌ

تَشْكُو الْعُضَالَ وَدَاوُهَا مُدْرَأُهَا^(١)

بينما يرفض الشاعر الشبيب التعسف الذي يفرضه المدير في قطاعات الدولة على عامليه، بل يعاف الرزق الذي يقترن بقبول الإهانة من مدير العمل، فيقول:

أَتَحِبُّ أَنْ تَلْقَى الْإِهَانَةَ مَرَّةً

أُخْرَى كَمَا جَفَدَ الْمُدِيرُ يَشَاءُ

لَا خَيْرَ فِي رِزْقٍ تُصَادِفُ دُونَهُ

مَا لَا تُطِيقُ مِنَ الْأَذَى وَتُسَاءُ^(٢)

ويستوقفنا الشاعر عبدالمحسن الرشيد في قصيدة خصصها لنقد بعض مديري الدوائر الحكومية، عنوانها «المدير الغبي». ويبدو من عنوان القصيدة حدة النقد في التطاول على مديرٍ محدّدٍ، وهو بذلك ينقد أحد رموز الدولة آنذاك، بل يصل في نقده إلى درجة القدح المشين، مستعملاً أسلوب النعت في شكل التهكم، فيقول منها:

مُدِيرٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا الْإِدَارَةُ

وَحَيْرٌ مِنْهُ لَوْ وَضَعُوا حِجَارَةً

عَلَى الْكُرْسِيِّ مُضْطَرِبًّا تَرَاهُ

كَأَنَّ بِإِسْتِهِ شَيْئًا أَثَارَهُ

وَأِنْ أَغْصَى عَلَيْهِ حَلُّ أَمْرٍ

وَكَمْ أَمْرٍ صَغِيرٍ قَدْ أَخَارَهُ

(١) نورية صالح الرومي، شعر فهد العسكر: دراسة نقدية وتحليلية، ط١، الكويت: [محفوظ لدى مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي في الكويت]، ١٩٧٨، ص ١٣٩. [لقد غلط الشاعر في جمعه «مدير» للعاقل على «مدراء»، والصحيح «المديرين»].

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٨٥.

تَفَجَّرَ غَاظِيًّا حَنَقًا وَشَنَّتْ
يَدَاہُ عَلَى شَوَارِبِهِ الْإِغَارَةَ
وَنَادَى بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنْكِسَارٍ
عَلَى الْفَرَّاشِ يَسْأَلُهُ الْإِشَارَةَ^(١)

من هو المدير الذي يقصده الشاعر في قصيدته؟ وهل هي قصيدة في سياق العموم، رغم أنَّ الشاعر يشير إلى هذا العموم في عنوان قصيدته، حيث ميزه بالإنفراد؟ وإنَّ بيتاً ختم الشاعر الرشيد به قصيدته يقربنا من سبب النقد، وربما أهمية المنعوت، إذ يقول:

أَبَدْتُ مَا هَجَوْتُكَ غَيْرَ أَنِّي
لِمَنْ جَهْلُوكَ مَزَقْتُ السَّتَارَةَ^(٢)

تعمد الشاعر حذف اسم المدير المهجو أو المنعوت، وهو ما يؤكد عدم سلك القصيدة في سياق العموم، بل كانت موجّهة إلى مديرٍ محدّد، وربما حذفه الشاعر كي لا يصيبه أذى هذا المدير. ونجد الرشيد أيضاً في قصيدته «يَا وَزَرَائِنَا»، أدقَّ تحديداً، وإن في سياق العموم، إذ خصَّ في نقده الوزراء الذين يُعتبرون أحد أهم أيدي السلطة في المجتمع، وخصَّ منهم أولئك الذين اتَّخذوا من مناصبهم سبيلاً لتحقيق مكاسبهم الشخصية، في تعيينهم المقرّبين منهم في المناصب التي يتحكّمون في أمرها، فيقول:

جَعَلْتُمْ مِنْ مَنَاصِبِكُمْ ضِيَاعًا
وَضَيَّعْتُمْ مَصَالِحَنَا ضِيَاعًا
وَأَقْطَعْتُمْ لِمَنْ تَهْوُونَ مِنْهَا
وَحَرَّمْتُمْ عَلَى الْغَيْرِ انْتِفَاعًا

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ١٤٢.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ١٤٢.

فَيَا وُزَرَائِنَا بِإِلَهِ مَهْلًا

فَمَالُ الشُّعْبِ لَيْسَ لَكُمْ مَتَاعًا^(١)

كما يرى الرشيد أنَّ الوزراء هم العنصر الأساسي في الحكومة، يقع على عاتقهم إحلال الأمن والاستقرار، أو نشر الفساد والمحسوبيات، فإذا استقام الوزراء استقام كلُّ التابعين لوزاراتهم، وإذا فسدوا فسدت بالضرورة جميع المديريات التي تتبع لوزاراتهم، وفي تأكيد ذلك قال الشاعر عبدالمحسن الرشيد:

أَرَى النُّوَابَ حَوْلَكُمْ أَحَاطُوا

وَأَتَّبَعَاءَ لَهُمْ تَتَرَى تَبَاعَا

مَكَاتِبُكُمْ لَهُمْ شَهِدَتْ نَشَاطًا

وَسَاحُ الْبَرْلَمَانِ شَكَا انْقِطَاعَا

فَحُكْمُ الشُّعْبِ أَنْتُمْ قَدْ حَرَفْتُمْ

مَقَاصِدَهُ وَقَدْ ضَاعَتْ فَضَاعَا^(٢)

وإن كان الشعراء في نظمهم هذا قد تناولوا دوائر الدولة الرسمية، ومؤسساتها الحكومية، فإنَّهم لم يبرحوا العموم والإطلاق، بيد أنَّ بعضًا منهم تناولوا بنقدهم دوائر رسمية بعينها، وذلك بناءً على موقفٍ عاشوه وعاصروه شخصيًا، كما عند الشاعر راشد السيف: «الذي تعرَّض للكثير من الأذى على يد دائرة الأوقاف العامة التي رغبت في استملاك سكنه الخاص، لضمِّه إلى مسجد البدر الواقع في منطقة القبلة، وقد قال قصيدة في هذا الموضوع، منها:

أَمَغْضُوبٌ إِذْنُ بَيْتِي؟

وَهَلْ لِلْغَضَبِ مِنْ عُنْزٍ؟

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٣٩.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٤٠. [الفعل «شكا» لأنَّه ماضٍ ناقصٌ باعتلال لامة الواو المنقلبة ألفًا ممدودة].



أَتَى فِي الدَّيْنِ تَحْذِيرُ
وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَذْري؟^(١)

لكنَّ القائمين على دائرة الأوقاف العامة لم يستجيبوا لنداءات الشاعر السيف المتكرِّرة، وباءت محاولاته الحثيثة في تنبيههم عن قرارهم بالفشل، بل زادتهم إصراراً على استملاك منزله وضمِّه إلى المسجد المذكور. ويبدو ممَّا نظمه الشاعر أنَّ أخذاً وردّاً جرى بين الشاعر ودائرة الأوقاف، وتفاوضه مع القائمين عليها، إلا أنَّهم لم يقبلوا منه أيَّ عذر أو تبرير، فقال في ذلك:

مَجْلِسُ الْأَوْقَافِ مِنِّي لَمْ يَكُنْ
يَقْبَلُ الْعُذْرَ لِصِدْقٍ أَوْ كَذِبٍ
لَيْتَهُ فَكَّرَ فِي آرَائِهِ
قَبْلَ إِشْعَارِي بِحُكْمٍ لَمْ يَجِبْ^(٢)

ومن هذا التخصيص في تسمية مديريَّات حكوميَّة بعينها دون غيرها، ما نظمه الشاعر فهد العسكر في نقده لمديريَّة الأمن الكويتيَّة، وسخطه على عجزها عن إحلال الأمن واستتبابه، وأنَّ الأخير لا يكون واقعاً إلا إذا كان الشعب راضياً عن الوضع الذي يعيش فيه، ولا يرى في كلاب الحراسة التي نشرتها مديريَّة الأمن في تلك الفترة وسيلة مثلى للحفاظ على الأمن والاستقرار في المجتمع الكويتي، حيث قال:

مَتَى يَسْتَتَبُ الْأَمْنُ وَالشَّعْبُ سَاخِطٌ
عَلَى الْوَضْعِ هَذَا يَا مُدِيرِيَّةَ الْأَمْنِ؟
كِلَابُكَ لَا يُجْدِي فَتِيلاً نُبَاحُهَا
وَبَطْشُكَ يَا أُمَّ الْكَبَائِرِ لَا يُغْنِي^(٣)

(١) يعقوب الغنيم، الأزمنة والأمكنة، ج ٧، ص ٣٠٤. (ومن الأدلة القرآنيَّة على حرمة الغصب الذي أشار إليه الشاعر، قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ]، انظر: النساء، ٢٩/٣).

(٢) يعقوب الغنيم، الأزمنة والأمكنة، ج ٧، ص ٣٠٦.

(٣) نوريَّة صالح الرُّومي، شعر فهد العسكر: دراسة نقدية وتحليلية، ص ١٣٨.



كما لم يكتفِ الشاعر العسكر بتوجيه نقده إلى مديرية الأمن الكويتي، فكان أكثر تخصيصاً حين وجَّهه إلى رئيس الشرطة الكويتية، فخاطبه بتهكم في قوله:

أَمْدِيرَ شُرْطَتِنَا لَحَا
كَ اللّهُ يَا هَذَا الْمُدِيرَ
لَوْ يَذْرِي زَعِيمُ الرِّئْ
خَ لَاضْطَفَاكَ لَهُ وَزِيرٌ^(١)

ولم يقصر الشاعر العسكر نقده على المؤسسات الحكومية ذات السلطة الأمنية، فنقد المحاكم الكويتية التي تعتبر أساس العدل وميزانه للفصل بين الناس، فقال:

وَمَحَاكِمٍ كَتَبَتْ عَلَى أَبْوَابِهَا
الْوَيْلُ لِلْفُقَرَا مِنَ التُّجَارِ^(٢)

ويبدو أنَّ الفساد الحكومي المتعلق بأصحاب المناصب والنفوذ قد فتك ببعض أطراف المجتمع الكويتي منذ بدايات نشأة الدولة، فقد أشار إليه الشاعر عبدالله الفرج^(٣) بأسلوب لا يخلو من التهكم والسخرية في قوله:

(١) نورية صالح الرُّومي، شعر فهد العسكر: دراسة نقدية وتحليلية، ص ١٣٨. [«زعيم الريخ»: أي زعيم الرايخ: Reich) كلمة ألمانية تعني في الأصل الدولة، بصرف النظر عن نوع الحكم فيها. ثم أصبحت بمعنى أوسع وهو الإمبراطورية، وكان الرايخ الأول هو ما يعرف تاريخياً باسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وهي رتبة عسكرية تقابل «مارشال - مشير» في الرتب العسكرية المعتمدة، كانت مستعملة بين عامي ١٩٢٥ - ١٩٤٥، ولم يكن لشخصين أن يملكا هذه الرتبة في آن واحد، وأول من تقلد هذا اللقب القائد الألماني «هاينريش هملر» عام ١٩٢٩]. انظر عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ٨٠٣. [في البيت الثاني خلل عروضي، هكذا ورد في الأصل].

(٢) نورية صالح الرُّومي، شعر فهد العسكر: دراسة نقدية وتحليلية، ص ١٣٨.

(٣) عبدالله بن محمد بن فرج المسعري الدوسري (١٨٣٦-١٩٠١م) ولد في مدينة الكويت وتوفي فيها. قضى حياته بين الكويت والهند والبحرين والبصرة والزيبر وإيران. جمع ديوان له من الشعر النبطي، وطبع عدة طباعات احتوت على ما نظمه من شعره الفصيح، وهو في اثنتي عشرة قطعة، جملة منها مئة وثلاثة وسبعون بيتاً. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، م ١٢، ص ١٠٥.

رَعَى اللَّهُ أَرْبَابَ الْحِجَابِ وَالْمَنَاصِبِ
وَجَادَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بِالْمَوَاهِبِ
لَأَنَّهُمْ فِي الْعَصْرِ عِنْدَ ذَوِي النُّهَى
هُمُ النَّاسُ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ الْأَطَايِبِ
تَوَدُّهُمْ أَهْلُ الْمَنَاقِبِ فِي الْوَرَى
وَإِنْ لَمْ نَكُنْ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَنَاقِبِ^(١)

ومن ذلك ما ألمح إليه صقر الشبيب في فضحه لفساد الأجهزة الحكومية، وما شاع عن ذلك من ضياع الحقوق وانتشار الأساليب المغلوطة، فالمناصب العليا حكر على أصحاب المظاهر الخادعة، وإن كانوا من الجهلة، وذلك نتيجة الوساطة وفساد الإدارة المحلية، فيقول:

يَرْقَى بِبِرَّتِهِ الْفَتَى، لَا عِلْمِهِ
أَسْمَى الْوُظَائِفِ فِي الْكُوَيْتِ وَيَكْسِبُ^(٢)

يقول الزيد: «ولمّا عاد الشاعر صقر الشبيب من الأحساء، وكان عمره عشرين سنة، أخذ يطوف في المساجد ويعظ الناس، ولكنه بعد مدة بدأ يقرأ الآثار الأدبية الحديثة لشوقي والمنفلوطي والعقاد وحافظ، فتغيّرت أفكاره بعدئذٍ تغيّراً ملحوظاً، وتبلورت مفاهيمه، وكانت له رغبة ملحة، بعد رجوعه من الأحساء، أن يُدرّس في المباركية، فرفض طلبه لأنّ مُقدّمه أعمى، فتأثّر تأثراً بالغاً^(٣)»، ونظم في ذلك:

يَقُولُونَ لِي: يَا صَقْرُ مَا لَكَ عَاطِلًا
وَقَدْ وَظَّفُوا مَنْ لَمْ يُقَارِبَكَ فِي الْأَدَبِ؟
فَقُلْتُ لَهُمْ: فِي رُتَّةِ الثُّوبِ مَا نِعِي
رُقْيِي إِلَى تِلْكَ الْمَنَاصِبِ وَالرُّتَبِ

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، م ١٢، ص ١٠٦.

(٢) خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ص ٥٧.

(٣) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ١، ص ١٢٢.

يُؤَلَّى هُنَا الْمَرْءُ الْوُظَيْفَةَ جَاهِلًا

عَلَى شَرْطِ أَنْ تُلْفَى مَلَابِسُهُ قُشْبًا^(١)

الشاعر الشبيب يتعرّض في الأبيات السابقة للفساد بحسب ما يراه هو كذلك، وربّما كان الواقع فعلاً يمنع الأعمى من التدريس في مدرسة حكوميّة تعتبر الأولى في الكويت، ولو أنّه تقدّم ليكون مُعلّمًا في الكتاتيب لما تمّ رفضه، أو تنحيته عن هذه الوظيفة إذا كان فيها. إنّ رفض تعيين الشبيب في الوظيفة التي يطمح إليها جعله يطلق حكمه بفساد الإدارة في المدرسة المباركية أو دائرة المعارف الكويتيّة، لكنّ هذا الرفض كان أمرًا واجب التنفيذ من وجهة نظر القائمين على التعيينات في دائرة المعارف. ومن هنا ارتبط نقد فساد الأجهزة الحكوميّة بالشكوى من بعض التصرفات التي تراها الحكومة ضروريّة، بينما يراها أبناء الشعب المتضرّرون منها اعتداءً سافرًا على الأملاك الخاصّة والحقوق الشخصيّة.

وغير بعيد عمّا تناوله الشاعر الشبيب، تعرّض الشاعر عبدالمحسن الرشيد للفساد في دوائر الدولة، وخصوصًا في ما يتعلّق بالتعيينات في وظائفها الرسميّة، وأنّ هذه التعيينات مرتبطة بالوساطة ومدى القرب والبعد عن صاحب القرار في ذلك، فوجّه قصيدته إلى السُلطة الكويتيّة في قصيدته «نَقْدُ الْوَسَاطَةِ»^(٢)، مشيرًا إلى حجم الفساد الذي استشرى في دوائر الدولة وقطاعاتها، حيث لا حظّ للفرد في أيّ وظيفة في هذه الدوائر إلا بقيمة وساطته، ومن ذلك يقول:

دَعْ عَنْكَ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْكَفَاءَاتِ

مَا الْفَوْزُ إِلَّا لِأَصْحَابِ الْوَسَاطَاتِ

هِيَ الْمَطَايَا الَّتِي يُرْجَى الْوُصُولُ بِهَا

إِلَى مَنَالِ مَطَالِيْبٍ وَغَايَاتِ

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١١٣.

(٢) محمّد حسن عبدالله، الشعر العربي في الكويت، ص ٢٦٥.

اخْتَرِ لِنَفْسِكَ ذَا جَاءٍ وَمَنْزِلَةٍ
وَكُلُّهُمْ جَاهِلٌ جَمُّ الْحَمَاقَاتِ
وَأَنْسِجْ حَوَالِيهِ أَثْوَابًا مُنَمَّقَةً
مِنْ الْمَدِيحِ - كَمَا يَهْوَى - جَمِيلَاتِ
تَنْلُ عَلَى كَتِفَيْهِ مَا طَمَحَتْ لَهُ
مِنْ دَوْخَةِ الْمَجْدِ أَغْصَانًا رَفِيعَاتِ
يَا صَاحِ ذُرْنِي فَهَذَا الْمَجْدُ تُنْكِرُهُ
رُوحِي وَفِكْرِي وَأَخْلَاقِي وَعَادَاتِي^(١)

فالشاعر الرشيد يرفض هذه المناصب إذا كانت المجاملة هي سبيل الوصول إليها، ويشير إلى أولئك المتكسبين الذين يتقربون من أصحاب الواجهات والسلطة في الكويت، والذين يبذلون مدحهم في سبيل الحصول على الوظائف والمناصب، وبالمقابل لا يحظى البسطاء من العامة والمتعطفين عن المدح والتقرب بأي من هذه المناصب.

لكننا نجد أن بعض الشعراء قد نقدوا بعض المؤسسات الحكومية في سياق المدح، فجاء نقدهم مدفوعاً من خوفهم على الكويت ومسيرتها، ومسلوكاً ضمن التمني على الحكومة بالإصلاح قدر الإمكان، دون أن يشير إلى التقصير إذا وجد حينها. ومن ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر راشد السيف التي نظمها في مدح رئيس بلدية الكويت عبدالله جابر الصباح عام ١٩٢٩، فيقول فيها:

هُمْ أَنْصَفُوا بَلْ خَفَّفُوا لِكِنَّهُمْ
أَجْرُوا: وَقَدْ ضَاجَ الضَّعِيفُ الْمُجْهِدُ
يَا حَبِذَا لَوْ يَسْمَحُوا عَنْ رَسْمٍ مَنْ
عَاشُوا بِضَنْكَ ضَرُّهُ لَا يُجَدُّ

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٤١. وانظر: محمد حسن عبدالله، الشعر العربي في الكويت، ص ٢٦٥.

لَوَكَلَّفُوا الْأَمْوَالَ مِنْهَا طَاقَةً

نَأَلُوا الْعُمُومَ وَكُلَّ شَخْصٍ يَنْقُذُ^(١)

فالشاعر هنا يظهر اعتراضه على بعض قرارات البلدية، والتي منها فرض رسوم على جميع العائلات الكويتية، مع أنَّ الأجدر بها إعفاء الفقراء من أبناء الكويت منها. كما يأمل الشاعر من رئيس البلدية الاكتفاء بجباية الرسوم من المقتدرين على إيفائها، وإعفاء المقتربين، وبذلك فإنه سيضمن أن تكون الشريحة الأخيرة في صفه، بل من المنافحين والمدافعين عنه، وهو بهذا الفعل سيقطع الطريق أمام كل من تسوّل له نفسه نقد البلدية أو الاعتراض على أحد قراراتها.

إنَّ نقد الشاعر لكلِّ ما وقعت عليه عيناه من فسادٍ في دولة الكويت، جعل عاقبته النبذ من أبناء مجتمعه. ويشير الشاعر صقر الشبيب إلى أنه قُوبِلَ بالعداء لكون أفكاره إصلاحية فقط، ولأنَّه لم يصمت عن كلِّ ما يراه خطأً، فقال:

وَكَمْ لِي فِي الْكُوَيْتِ أُولِي عِدَاءٍ

بِلا ذَنْبٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ

سِوَى أَنِّي صَرِيحُ الْقَوْلِ خُرٌّ

يُتَرْجَمُ مَقُولِي مَا فِي ضَمِيرِي^(٢)

وله في موضع آخر:

يَضُرُّ النَّصْحُ فِي هَذَا الزَّمَانِ

فَيَا لَيْتِي خُلِقْتُ بِلا لِسَانٍ

إِذَا مَا قُمْتُ أَنْصَحُ بَيْنَ قَوْمِي

لَقُونِي بِالْأَذْيَةِ وَالْهَوَانِ^(٣)

(١) راشد السيف، السيفيات، [مخطوط]، الكرّاسة الأولى، ص ٦٢.

(٢) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ٢، ص ٣٦.

(٣) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٦٧.

وقد ربط أغلب الشعراء الفساد وتباطؤ الإصلاح في شؤون الدولة في الكويت
بجماعة المتزمتين دينياً؛ إذ تُظهر أشعارهم انتقادهم الصريح لهذه الجماعة، وحنقهم
على تشددهم الذي عانى منه أبناء الشعب الكويتي بعامّة، والأدباء بخاصّة. ويُعدُّ
صقر الشبيب من أكثر الشعراء تدمُّراً من أفعال هؤلاء المتزمتين، وأشدّهم عداءً
لتشددهم غير المبرّر، ويتضمّن ديوان شعره نماذج جمّة من ذلك، فمنها نقده لجوء
المتزمتين إلى تكفير الذين يَشُدُّون الإصلاح:

كُلَّمَا قَامَ مُخْلِصٌ يَنْصَحُ النَّاسَ
سَ وَيَهْدِيهِمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ
كَفَّرْتَهُ عَمَائِمُ قَرَبِ الْجَهْ
لُ إِلَيْهَا مِنَّا بَعِيدَ الْمُرَادِ^(١)

ويُضدّع الشاعر سيّد مساعد الرفاعي^(٢) في هجائه هؤلاء، وعلى رأسهم الشيخ
عبدالعزیز العلجي^(٣)، في معرض الردّ على قصيدته التي يكفر فيها المصلحين أو
المنادين بالإصلاح:

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٢١٠-٢١٤.
(٢) سيّد مساعد بن سيّد عبد الله الرفاعي (١٨٨٣-١٩٣٦)، ولد في الكويت وتوفّي فيها، عاش في الكويت وتردّد
على الهند بغرض التجارة. درس في الكتاتيب واستوفى تعليمه بحسب مستوياتها، وتعلّم شيئاً من الفقه
واللغة. له قصائد نشرت في مصادر دراسته، في مقدّماتها كتاب «تاريخ الكويت»، وضاعت قصائده أو أقدم
هو نفسه على إحراق كثير منها زمن اعتزاله. انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر
والعشرين، م ٩، ص ٤٣.

(٣) عبدالعزیز العلجي: أحد علماء الأحساء. يعتبر زعيم حركة المتشدّدين في وجه حركة الإصلاح التي دعا
إليها بعض المصلحين من رجال الكويت، عندما طالبوا بتطوير مناهج التعليم، وشجّعوا على قراءة الصحف
والمجالات العربيّة، في سعيهم إلى تطوير الوعي الفرديّ والجماعيّ في الكويت آنذاك، فنارت ثائرة المتشدّدين
وعلى رأسهم العلجيّ الذي نظم قصيدة هاجم فيها الصحوة ورجالها هجوماً دفع بعض الشعراء إلى الردّ
عليه. وممّا قاله العلجيّ:

عُذُّ بِالْمُهَيِّمِينَ مِنْ هَوَى فِتْنَانِ
نَعَقَتْ شَيَاطِينٌ فَلَبَّتْ صَوْتَهَا
نَبَدُوا كِتَابَ اللَّهِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ
مَا تَلَكَ إِلَّا فِتْنَةُ الشَّيْطَانِ
لِسَخَافَةِ الْأَحْلَامِ وَالْأَذْهَانِ
وَلِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ مِنْ عَدْنَانِ

انظر: خليفة الوقيان: الثقافة في الكويت: بواكير- اتجاهات- ريادات، ص ٢٧٤.

فَغَدَا يَسُبُّ الْمُضْلِحِينَ بِهَذِيهِمْ
وَأَخَوِ السَّبَابِ يَبُوءُ بِالْخُذْلَانِ
يَا وَيْلَهُ مِنْ ظَالِمٍ مُتَعَصِّبٍ
هَجَرَ الْهُدَاةَ وَمَالَ لِلْعِصْيَانِ^(١)

ومن ذلك إشارة عبداللطيف النصف إلى دور المتزمتين في اعتراض أي إصلاح يسعى إلى تقدم الدولة وازدهارها:

يَا لِلْكُؤَيْتِ وَمَا أَلَمَّ بِشَعْبِهَا!
فَلَقَدْ رَمَتْهُ فَأَقْصَدَتْهُ رُمَاتُهُ
شَعْبٌ يُقَادُ إِلَى الْبَوَارِ وَمَا دَرَى
لَهْفِي أَيَذْرِي مَنْ غَشَاهُ سُبَاتُهُ؟
بُحَّتْ حُلُوقُ الْمُضْلِحِينَ وَمَا وَعَى
نُصْحًا تُرَدِّدُهُ عَلَيْهِ ثِقَاتُهُ
رَقَّتِ الْعَوَالِمُ بِالْعُلُومِ فَأَسْفَرَتْ
أَوْطَانُهَا وَأَخْلَوْلَكَ ظُلُمَاتُهُ
لَعِبَتْ بِهِ الْعِمَّاتُ أَشْنَعَ لَعِبَةٍ
فَشَقِي بِهَا وَشَقَّتْ بِهِ عِمَّاتُهُ^(٢)

وبينما ألقى بعض الشعراء بالمسؤولية على الحكومة في كونها لم تضع حداً لتطاول المتزمتين في المجتمع الكويتي، أشار صقر الشبيب إلى أن الأمير سالم المبارك الصباح كان من الداعين إلى الإصلاح والمشجعين على طلب العلم الذي طالما حاربوه، ومن ذلك قوله في قصيدة «بكاء على المرحوم سالم المبارك» الرثائية:

(١) خليفة الوقيان: الثقافة في الكويت: بواكير- اتجاهات- ريادات، ص ٢٧٥.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٠٩-١١٠.

وَكَانَ الْكُلُّ مِنَّا مُسْتَضِيًّا
بِنُورِ هُدَاهُ مَغْمِيَةِ الظُّلُومِ
فَكَمْ مِنْهُ ظَفَرْتُ بِنُضْحِ هَادٍ
مُتَابِعِ نُضْحِهِ الْهَادِي مُدِيمِ^(١)

ويوازي هذا النقد لسياسة الحكم الداخلية، تلك القصائد التي نظمها الشعراء في نقدهم للأوضاع المتردية في الكويت آنذاك كما يقولون، فنظموا العديد من القصائد التي تتبنّى فكرة أو دعوة إلى إصلاح سياسي. وممن برز في هذا اللون الشاعران: صقر الشبيب، ومحمود الأيوبي الذي يقول في قصيدة أرسلها إلى سمو الأمير عبدالله السالم الصباح:

إِنَّ الْحَقِيقَةَ مُرَّةٌ فِي رُبْعِنَا
لَا سِيَّماً عِنْدَ الطَّغَامِ الْعُبُسِ
نَفَسُوا عَلَى الْحَرِّ الصَّرِيحِ حُقُوقَهُ
فَثَوَى يُعَانِي اللَّيْلَ كَالْمُتَهَجِّسِ
وَاحْرَقَتْهُ بِمُهْجَتِي لَذَعَاتُهُ
دَبَّتْ بِنَفْسِ الْبَائِسِ الْمُتَحَمِّسِ^(٢)

ويطول الحديث عن دور المتزمتين في المجتمع الكويتي، وقد تناولهم الشعراء الكويتيون بشكل واسع ومفصل، منتقدين إياهم في كلِّ محفل، وملقين عليهم كلَّ تبعات التأخر. ولكثرة النماذج في هذا الجانب، ضاقت الدراسة عنها هنا، وتمَّ الاكتفاء بالنماذج التي قرن الشعراء فيها دور المتزمتين في عرقلة عجلة الإصلاح العامّة في الدولة، بالحق الذي يقع على عاتق السُّلطة الحاكمة في محاسبتهم.

تجدر الإشارة إلى أنَّ نقد الشعراء الكويتيين الأوضاع السياسية، تُبَيِّن في الحقيقة عن خوف الشعراء على الوطن والشعب ومستقبلهما، وحرصهم على

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٥٤.

(٢) نوريّة الرُّومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريُّ عرض ونقد، ص ١٤١. [نَفَسُهُ أَي حَسَدُهُ وَأَصَابَهُ بِالْعَيْنِ].

تحقيق المساواة والعدل والنهوض بالبلاد إلى مصافّ البلاد المتطوّرة، الأمر الذي لا يمكن أن يتمّ بين ليلة وضحاها، فجعل بعض الشعراء ينقدون الحاكم وحكومته في هذه المرحلة المفصليّة من تاريخ الكويت.

وإنّنا لا نستغرب أبداً أنّ أكثر قصائد النقد السياسيّ كانت في فترة حكم الأمير أحمد الجابر الصباح (١٩٢١ - ١٩٥٠م)، لا لسوء إدارته للبلاد، وليس إهمالاً من حكومته في ضبط المجتمع الكويتيّ - وإن كان ذلك في حالات مبررة، نقدها الشعراء في مكانها - بل لأنّ فترة حكمه كانت حرجةً ودقيقةً ومفصليّةً، ومرحلة انتقالٍ من طور إلى طور جديد، وبداية بناء مجتمع حديث، بخاصّة بعد اكتشاف النفط عام ١٩٣٦، ثمّ تصدير أوّل شحنة منه عام ١٩٤٦، الأمر الذي حقّق ثورة في المجتمع الكويتيّ؛ كان بعضهم معها، وآخرون ناصبوها العدا.

وممّا يرجّح لنا أن قصائد النقد - وخصوصاً التعرّض للحاكم - لا تتعدى أن تكون قصائد نقد فردية من شعراء أفسحت لهم الحرية الكاملة المجال للتجرؤ على النقد بأشكاله كافة، أنّ عصر الأمير أحمد الجابر الصباح قد شهد نقلةً نوعيّةً في الأدب والثقافة؛ فيه تمّ إنشاء المدرسة الأحمدية التي سمّيت باسمه عام ١٩٢١، ثمّ إنشاء النادي الأدبيّ عام ١٩٢٣، والذي كان له دورٌ فعّالٌ في استقطاب أعلام الأدب والثقافة والسياسة في العالم العربيّ لزيارة الكويت. كما أنّ الأمير أحمد الجابر كان من المهتمّين بالشعر وحفظه، وله قصائد نبطيّة وثقّتها بعض مصادر دراسته. وعن الوضع السياسيّ في أثناء حكمه، فإنّ عصره شهد أوّل عملٍ سياسيّ ديمقراطيّ تنظيميّ في تاريخ الكويت، بفضل تأسيس مجلس الشورى عام ١٩٢١ إبّان مبايعة الكويتيّين سموّ الأمير، «حيث أفسح لهم المجال بتأسيس مجلسٍ ينظر في شؤون البلد ومصالحها، ليكون عوناً له في إدارة الأمور والأحكام، وعاهداهم أن لا يبتّ بأمرٍ مهمٍّ إلا بتصديق المجلس عليه، وقد تأسّس فعلاً برئاسة الفاضل حمد

آل صقر، وعضوية عدد من مثقفي الكويت ووجهائها»^(١)، وفي عصر الأمير نفسه تم إنشاء المجلسين التشريعيين الأول والثاني عام ١٩٣٨.

ويستوقفنا المؤرخ عبدالعزيز الرشيد في توصيف أحداث عهد الأمير أحمد الجابر الصباح، شارحاً مميزات هذا العهد، والمسؤولية التي وقعت على عاتقه آنذاك، ومبيناً أبرز الإنجازات والسّمات التي اتّصف بها، وكأنّه يفنّد أقاويل الشعراء الذين تعرّضوا لفترة حكمه بالنقد، فقال: «إذا ما أردنا أن نقيس أيّام أميرنا الجليل بأيّام من سبقه من آبائه الكرام، لنسبر غور تلك الحركات فيها، فإنّ بلا مواربة سنرفع لأيّامه السعيدة تاجاً منيراً على رأس العلم والأدب، وننثر بين طلابه لآلئ تثير لهم المناهج المظلمة التي كانوا فيها يتخبّطون. صدّقني أيّها القارئ في ما قلت، ولا تظنّه تزلفاً إلى سموّه، وإنّما هي الحقيقة التي يجب أن تقال، الحقيقة التي لا يباح كتمها، وإلا فأنبئني برّبك متى نبغ في الكويت كتّاب مجيدون، وشعراء مفلقون، تحلّت الجرائد والمجالات بنفثات أقلامهم الساحرة؟ وفي أيّ يوم كان للشباب الناهض صوتٌ مسموعٌ وحركة مستمرّة؟ وفي أيّ وقت تكاثرت فيه المشاريع النافعة علميّة وأدبيّة، شرب الكويتيون منها زلالاً أطفأ الظمأ وأنقذ الغلّة؟ وفي أيّ عصرٍ تمنّع الكويتيون بالحرّيّة التامّة في نشر العلوم والمعارف؟ أنبئني برّبك متى كان هذا؟ وفي أيّ حكمٍ وجد؟ أنا ما أظنّك مهما قلبت صحيفة تاريخ الكويت، وتتبعّت حوادث حكّامها السابقين، أن تجد فيها ما يحسن ذكره بأيّام أميرنا المحبوب مهما قلنا فيه، ومهما وصفه به الواصفون»^(٢).

كانَ دفاع الشاعر الرشيد عن الأمير أحمد الجابر الصباح دفاعاً مُسبّباً، وهو أنّ الشاعر توقّع أن يأتي الدراسون لاحقاً فيقعوا على أشعار بعض من انتقد سموّ الأمير المذكور، فأراد أن يوضّح الصورة لهؤلاء، كما يشير إلى ذلك نصّه السابق. وفي الحقيقة أنّ عهد الأمير والواقع السياسيّ الغنيّ بالمزايا الديمقراطيّة

(١) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٢٧٧.

(٢) م، ن، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

والحضاريّة والتطوُّر الأدبيّ، يفرض علينا البحث عن تخريج للشعراء الناقدين،
لنسلك هذا التخريج في جانبين:

١ - تأثير الواقع الاجتماعيّ الذي عانى منه بعض الشعراء على ما نظموا
آنذاك، فلم يكن أمامهم إلا توجيه النقد إلى القائم على ضبط المجتمع،
والمسؤول الأوّل عن أيّ خللٍ يطرأ فيه.

٢ - الديمقراطية التي تميّز بها عهد الأمير أحمد الجابر الصباح، وطبيعة
الأمير المتسامحة والمتقبّلة للنقد، والتي سمحت للشعراء بالنقد المباشر
أو غير المباشر لحكمه وحكومته.

وبهذا لا يمكن أن نحكم على معارضة الشعراء الكويتيّين ممّا تناولناه من نقد
فقط، بل لا بدّ من تناول الجوانب التي نظموا فيها فخراً بالحاكم والحكومة. ويؤكّد
ذلك ما وجدناه في دواوين الشعراء من نماذج كثيرة تبين حقيقة ولأنهم الوطنيّ،
وحرصهم على حبّ الوطن والتغنّي به؛ فإنّ نقد بعض الشعراء الحاكم والدوائر
الحكوميّة حيناً، فإنّهم أنفسهم مدحوا الحاكم وحكومته، وشكوا إليهما حيناً آخر،
فكان الشاعر موثّقاً للأحداث، متوقّفاً عند المشكلات، باحثاً عن الحلول، حالماً
بمستقبل أفضل للكويت وشعبها.

ثانياً: تأييد الحاكم ومدح الحكومة

ثمّة نماذج شعريّة كثيرة تؤكّد العلاقة الوطيدة بين الحاكم وأبناء شعبه، مقابل تلك التي نُظمت في نقد الحاكم والحكومة، ويتّضح ذلك جليّاً في قصائد المدح السياسيّ التي تغنّى فيها الشعراء بممدوحهم، إذ تشكّل قصيدة المدح الخالصة لأحد أركان السُلطة شاهداً على جانب من طبيعة الموالاة السياسيّة؛ فقد كان الشعر في مرحلة من المراحل جزءاً من الإعلام الرسميّ في تلميع صورة السُلطة أمام عامّة الشعب، وفي صدد ذلك نتطرّق إلى بعض النصوص الشعريّة التي نظمها بعض الشعراء بغية التكبُّب في شعرهم. ونحن بذلك لا نتعرّض لقضيّة تصديق الشاعر أو تكذيبه في مشاعره، فهي مسألة شخصيّة تتعلّق به وحده، إلا أنّنا سنعرض نماذج شعريّة تشير إلى مدى الولاء والطاعة للحاكم في مقابل تلك التي أوردناها في نقد سياسته. وإنّا لذلك سنتناول هذا الموضوع في ثلاثة محاور: الأوّل مدح الحاكم وإظهار الولاء له، والثاني مدح الحكومة ومؤسساتها، والثالث المدح التكبُّبيّ.

أ - مدح الحاكم وإظهار الولاء له

إنّ الاعترافَ بشريّة الحاكم وقدرته على إدارة البلاد وبسط سيطرته على كلّ المؤسسات الحكوميّة فيها، والتسليمَ بامتلاكه القرارين السياسيّين الداخليّ والخارجيّ، يعتبرُ قوام الموالاة والتأييد، وبخاصّة حين يتوجّه الشاعر في قصيدته إلى أمير البلاد يشكو له حالها ويرجو منه إصلاح أمرها، الأمر الذي يعزّز فكرة المشاركة في الرأي بين الشعب والحاكم من دون حاجب بينهما. ومن ذلك ما رفعه الشاعر أحمد خالد المشاري^(١) إلى الأمير أحمد الجابر الصّباح يشكو إليه حال

(١) أحمد خالد عبدالله المشاري (١٨٨٦-١٩٤٢م)، ولد في الكويت، وقضى صدر حياته فيها. تلقّى علومه في الكتاتيب على عدد من علماء عصره. كان من أنصار الشيخ عبدالعزيز الرشيد واتّجاهه الفكريّ التجديديّ من منظور إسلاميّ. ثمّ سافر إلى البحرين والعراق، ثمّ هاجر إلى الهند وأقام فيها فترة طويلة. كان عضواً بمجلس المعارف ١٩٣٦، وبلديّة الكويت ١٩٣٨، وعضواً بالصّحّة العامّة ١٩٤٢. له قصائد ومقطوعات ونقّتها مصادر دراسته، وفي مقدّماتها كتاب: «مختارات من الشعر العربيّ الحديث في الخليج والجزيرة العربيّة». انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، م ٢، ص ٥٥٤.

البلاد الغارقة في الجهل والتخلف، ويبين له أنَّ تخلف أي جانب من جوانب المجتمع يكمن في سيطرة الجهل وعدم الاهتمام بالتعليم، فجاءت القصيدة تحمل الداء مع الدواء، قال:

فَيَا أَمِيرًا لَهُ فِي الْفَضْلِ سَابِقَةٌ
إِلَيْكَ أُرْسِلُ أَمَالًا وَأَرْجِيهَا
هَذِي رَعَايَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِهَا مَرَضٌ
أَنْتَ الطَّبِيبُ لَهَا وَالْعِلْمُ يَشْفِيهَا
هَذِي رَعَايَاكَ فَوْضَى فِي مَقَاصِدِهَا
وَلَا سُرَاةَ لَهَا لِلرُّشْدِ تَهْدِيهَا
هَذِي رَعَايَاكَ فَوْضَى لَا اجْتِمَاعَ لَهَا
وَلِلتَّخَاذُلِ دَاءٌ قَدْ فَشَا فِيهَا^(١)

يمدح الشاعر في البداية الأمير، ويأتي على ذكر يده البيضاء التي لها سابقة في الفضل والخير، ولهذه الميزة الحميدة في الأمير؛ فإنَّ الشاعر تجرأ على تقديم شكواه التي تحمل آلامه وآماله بالحل والفرج. بيد أنَّ الشاعر لم يشك للأمير حاله، ولم تكن قصيدته جرأاً مظلمة تعرّض لها شخصياً، بل إنَّها كانت شكوى عامة تمثل الشعب الكويتي؛ فهو يشكو الجهل والتفرق والفوضى والتخاذل التي تفشت في المجتمع الكويتي كالداء العضال، وهذا الداء لا طبيب له إلا الأمير كي يستأصله من جذوره.

وبعد أن عرض الشاعر المشكلة أو الداء، اقترح الحل والعلاج، مؤكداً أنَّ في يد الحاكم المخصوص بالمدح انتشارالبلاد من مستتقع الجهل، والنهوض بالمجتمع وإقامته على قواعد متينة، أركانها العلم والجيل المتعلم الواعي، ولا أحد من البشر

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في القرنين، ج١، ص ١٠٧-١٠٨.

في يده حلُّ هذه المشكلة إلا أمير الكويت؛ لأنَّه حاكم البلاد وأمينها والمسؤول عن رعايتها والحفاظ عليها وعلى رعاياه فيها، فقال:

فَاجْمَعْ لَهَا شَعْعًا وَأَنْهَضْ بِهَا أُمَّمًا
فَلَفْتَةً بِأَنْعَافٍ مِنْكَ تُحْيِيهَا
هَٰذَا الشَّيْبَةُ شَبَّحَ الْجَهْلُ يُفْزِعُهَا
وَأَنْتَ مَا مَنُهَا إِذْ أَنْتَ رَاعِيهَا^(١)

في هذه القصيدة تأكيد أمرين: الأوَّل طبيعة العلاقة القائمة على الشورى بين أمير البلاد والشعب، ورحابة صدر الأمير واستقباله لكل من ينقد المجتمع الكويتيَّ حرصًا على استقرار البلاد وتطوُّرها ونمائها. والثاني اعتراف الشاعر بولائه للحاكم وقدرته على الحلِّ السياسيِّ والاقتصاديِّ والثقافيِّ دون غيره من أهل الكويت، حتَّى أنَّه لم يتوجَّه بقصيدته إلى الوزارات المعنية بالأمر على سبيل المثال، أو المؤسسات الحكوميَّة المفوضَّة بالتصرُّف في مثل هذه الحالات، أو اكتفى بطرح المشكلة بينه وبين نفسه واقتراح الحلِّ الذي يراه مناسبًا من دون رفعها إلى للحاكم.

وقد تطرَّق صقر الشبيب في قصيدته «العلم أصل الخير» إلى المشكلة نفسها التي طرحها المشاري، والحلُّ عينه الذي رآه الشبيب في يد الأمير، بيد أنَّه اكتفى بإبقائها حبيسة المتلقِّين من حوله، ولم يصرِّح فيها بالأمير كما فعل المشاري، فقال:

الْجَهْلُ دَاءُ الشَّعْرِ عِنْدِي وَخَدَهُ
وَالْعِلْمُ فِي رَأْيِي أَجَلُ دَوَائِهِ
الشَّعْبُ عَلَتْهُ إِفْتِرَاقُ مُهْلِكُ
وَالِاتِّحَادُ لَدَيَّ خَيْرُ دَوَائِهِ^(٢)

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في القرنين، ج ١، ص ١٠٧-١٠٨. انظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٤١٠-٤١١.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٨٩.

الشاعران المشاري والشبيب يشددان على أنَّ الجهل والتفرُّق داءان، والدواء لكليهما يكمن في العلم والاتِّحاد، بيد أنَّ الأوَّل رأى الحَلَّ في يد الأمير وحده فشَبَّه بالطبيب المداوي، بينما رأى الثاني الحَلَّ في مادة الدواء لا في مُعطيه، وكان استحضار نموذج الشبيب لتأكيد ولاء المشاري والتشديد على غايته من قصيدته التي تتمثَّل في جزء منها في مدح الأمير وسياسته الحكيمة. ونشير إلى قصيدة أخرى نظمها الشاعر الشبيب في مدح الأمير أحمد الجابر الصَّبَّاح، يؤكِّد فيها ولاءه للأمير، قال:

إلى ذِي الْمَعَالِي نَجَلِ جَابِرِ الَّذِي
بِئْمْنَاهُ مِنْ هَذِي الْبِلَادِ زَمَامُهَا
أَوْجَهُ مِنْ شِعْرِي الرَّصِينِ مَحَامِدًا
كَسَاهَا جَمَالًا - إِذْ كَسَتْهُ - نِظَامُهَا^(١)

فجاء هذا المدح خالصًا لشخص الأمير، نظمته مشيدًا به وبسياسة حكمه الرشيدة، من غير أن يكون له غاية شخصيَّة أخرى، فجاءت قصيدته بعيدة عن التكبُّب والمنفعة الشخصيّة. ومن ذلك ما مدح به الشاعر الأيُّوبي آل الصَّبَّاح حَكَّام الكويت، ومنهم الأمير أحمد الجابر الصَّبَّاح:

يَا ابْنَ الصَّبَّاحِ الَّذِي أَمَسَتْ مَآثِرُهُ
غَرَاءَ بِاسِمَةٍ صَفْرَاءَ كَالذَّهَبِ
دُمُ لِّلْعُرُوبَةِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمَيْنِ وَكُنْ
عَوْنًا لِرَهْطِكَ يَا ضِرْعَامَ فِي الرَّهْبِ^(٢)

ولنا أسوة في ما مدح به الشاعر عبدالعزيز الرشيد الأمير المذكور، حين جشَّم الأخير نفسه عناء السفر ومخاطر الطريق قاصدًا حجَّ بيت الله الحرام،

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٣٧.

(٢) نوريَّة الرُّومي، محمود شوقي الأيُّوبي: حياته وتراثه الشعريُّ عرض ونقد، ص ٢٤٣.

وجدير بالذكر أنَّ الشاعر الرشيد كان من أشدَّ المعجبين بشخصية الأمير وأعماله، فقال في بعض أبياته مادحاً إيَّاه:

إِذَا رَامَ الْمَفَاخِرَ لَا يُبَالِي
بِمَا يَلْقَاهُ مِنْ خَطَرٍ كَبِيرٍ
فَأَصْعَبُ مَا يَكُونُ لَدَيْهِ سَهْلٌ
إِذَا فِيهِ اخْتِسَابٌ لِلْأُجُورِ^(١)

وهنا نستشفُّ موقفاً سياسياً مبيناً بين الشعراء في عهد الأمير أحمد الجابر الصباح، فنجد هنا صقر الشبيب ومحمود الأيوبي وعبدالعزیز الرشيد، يتوجَّهون بالمدح إلى الأمير المذكور، في حين وجدنا من قبلُ كلاً من خالد الفرج وعبد اللطيف النصف وعبدالمحسن الرشيد قد نقدوا بعض مساوئ الحكم، وأعلنوا رفضهم لبعض جوانب سياسته، بل وصل الأمر بالشاعر عبدالمحسن الرشيد إلى تجاوز سلطة الأمير أحمد الجابر الصباح، ورفع مظلمته إلى وليِّ عهده عبدالله السالم الصباح. وهذا يُرَّجَحُ أنَّ بناء الموقف السياسي لدى بعض الشعراء الكويتيين ليكونوا في صفِّ المعارضة أو الموالات هو بحسب رضاهم عن حالهم كأفراد في المجتمع الكويتي، أكثر من ارتباطهم بقضية سياسية.

إنَّ أبرز الأمثلة الشعرية التي تستوففنا في أثناء الحديث عن حقيقة الولاء للحاكم آنذاك، تلك التي نظمها الشعراء ذوو القصائد المعارضة، ومن أبرزهم الشاعر عبدالمحسن الرشيد الذي نقد من قبلُ الحاكم في قصيدته التي نظمها لنصح ابنه؛ فنجدته عام ١٩٥٢ في قصيدته «نهضة الشرق» التي ألقاها في الاحتفال الديني الذي أقامه نادي المعلمين لمناسبة العيد النبوي الشريف، يتوجَّه بالمدح إلى الأمير عبدالله السالم الصباح، فيقول:

(١) عبدالعزیز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٢٧٣.

قَدْ هَيَّأَ اللَّهُ لَنَا قَائِدًا
يَنْخُوبِنَا نَحْوَ سَوَاءِ السَّبِيلِ
قَدْ عَدِمَ التَّارِيخُ أَمْثَالَهُ
وَمَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ فَضْلاً مَثِيلُ؟
الْمُسْلِمُ الْحَقُّ الَّذِي حُكْمُهُ
شُورَى كَمَا جَاءَ الْكِتَابُ الْجَلِيلُ^(١)

أهمية هذا المدح في الأمير عبدالله السالم تأت من تشديد الشاعر الرشيد على الناحية السياسية في حكم الأمير، وحرصه على الشورى بين أطراف المجتمع الكويتي حكماً ومحكومين، بل إنه يخصه بالفضيلة دون سواء من الملوك والرؤساء والأمراء على مر التاريخ. وللشاعر يوسف بن عيسى القناعي أيضاً قصائد في مدح الأمير عبدالله السالم الصباح، ومن ذلك مبايعته له على الرضى والقبول، والدعاء له بالعمر المديد في قوله:

اللَّهُ يَغْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ أَمْرَنَا فِي حُكْمٍ ذَاتِكَ
فَلِذَا تَرَانَا سَائِلِينَ اللَّهَ يَفْسَحُ فِي حَيَاتِكَ^(٢)

ومن المدح ما جاء شكراً وثناءً لمناسبة معينة^(٣) أكثر ممّا جاء طاعةً وولاءً مطلقاً، فاستوى بذلك الساسة مع غيرهم من الممدوحين، بيد أن الشكر لم يخل من التعبير عن الولاء للأمراء الحاكمين، والقبول والرضى بسياستهم الرشيدة، ومن ذلك ما نظمه الشاعر القناعي أيضاً في مدح شيوخ آل الصباح:

يَا رِجَالِ الصَّبَاحِ بُورِكَ فِيكُمْ
أَنْتُمْ خَيْرُ مَنْ تَوَلَّى وَسَادَا

(١) مجلة البعثة، السنة السادسة، ١٩٥٢، العدد ٢، ص ٥٤.

(٢) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٧٣.

(٣) ومناسبة نظم هذه القصيدة كما يقول الشاعر يوسف بن عيسى القناعي: «جاءني من أهل السنة والجماعة في طهران (إيران) كتابٌ خلاصته أنهم يبلغون ثلاثين ألفاً عدداً، وليس لهم مسجد يُقيمون فيه الجمعة والجماعة، فاجتهدت في مساعدتهم باكتتاب لم يقصر أهل الفضل من الكويتيين من المساهمة فيه، ونجحت بفضل الله، وكان أكبر من ساعد في هذا المشروع شيوخنا آل الصباح، فلهذا أحببت أن أخلد لهم الذكر على هذه الصحيفة». انظر: يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٣٢.

لَكُمْ فِي الْعَطَاءِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ
شَاعَ بَيْنَ الْوَرَى وَعَمَّ الْعِبَادَا
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُتِمَّ عَلَيْكُمْ
فَضْلَهُ بِالْهُدَى عَلَى مَا أَرَادَا^(١)

ونظم الشاعر أحمد مشاري العدواني في مدح الأمير عبدالله السالم الصباح
-مثنياً على الشيخ سالم الصباح والشيخ مبارك الصباح- فقال في قصيدته «تحية
العهد الجديد»، بعد أن استتبَّ الحكم للأمير عبدالله:

وَالشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ وَارِثُ سَالِمٍ
وَمُبَارَكُ شَيْخِ الْأُمُورِ كُلِّهَا
جَاءَ الْإِمَارَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
فَجُدُودُهُ فِرْعُ النَّجُومِ وَأَصْلُهَا
عَرْشُ الْمُلُوكِ عَلَى الدُّسُوتِ وَعَرْشُهُ
فَوْقَ الْقُلُوبِ تَجِلُّهُ وَيُجِلُّهَا^(٢)

كذلك الشاعر عبدالله الخلف الدحيان^(٣)، لم يغفل الدعاء لحكام الكويت في
قصيدته «رحلة إلى الحج» في أثناء مدحه شعب الكويت وحكامها، ثم في دعائه
بالتوفيق لولاة الأمر فيها، قال:

(١) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٣٢.
(٢) مجلة البعثة، السنة السادسة، ١٩٥٢، العدد ٢، ص ٦٥. [ارتكب الشاعر خطأً عروضياً حين أشبع «الأمور»
لإقامة الوزن تميماً للتفعيلة «متفاعِلن» في آخر البيت الأول من بحر الكامل الذي لا جواز فيه: مفاعِلن].
(٣) عبدالله الخلف الدحيان الحربي (١٨٧٥-١٩٣١)، ولد في مدينة الكويت، عاش فيها حتى توفي. تلقى تعليمه
على يد والده، فتعلم القرآن الكريم ومبادئ الكتابة والحساب، وقرأ الفقه على محمد بن عبدالله الفارسي،
ثم رحل إلى الزبير ١٨٩٢ مدة سنتين لتلقي العلم من علمائها المشهورين. وفي رحلته إلى الحج عام ١٩٠٦
عمل على مدارس العلماء الذين لقيهم في طريقه، فضلاً عن مشروعه الذاتي التثقيفي واتصالاته الموسعة
بعلماء عصره. تولى قضاء الكويت ١٩٢٩، ثم افتتح مدرسة لتعليم الناشئة وطلبة العلم الذين كانوا يقدون
عليه من كل صوب. له قصائد في كتاب «تاريخ الكويت»، وفي كتاب «علامة الكويت عبدالله الخلف الدحيان»،
علاوة على مرثية في كتاب «مسائل من تاريخ الجزيرة العربية». وله عدد من الرسائل مع علماء عصره داخل
الكويت وخارجها. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، م ١٢، ص ٥١.

كَرَامٌ مَسَاعٍ مِنْ بِلَادِ شَهِيرَةٍ
كَحُكَامِهَا دَامُوا صَبَاحَ الْقَبَائِلِ
كُوَيْتٌ وَقَدْ كَانَ الْكُوَيْتُ مُبَارَكًا
مُرَانًا بِأَهْلِيهِ الْكَرَامِ الْأَمْثِلِ
فَوْقَ وُلاَةِ الْأَمْرِ رَبِّي لِبَطَاعَةٍ
لَدَى الْأَمْرِ وَالنُّهْيِ الَّذِي لَمْ يُجَادِلِ^(١)

إنَّ مدح حاكم في مقابل نقد آخر سابق له أو لاحق، يؤكِّد أنَّ الرفض لم يكن رفضاً مطلقاً لأسلوب الحكم في كلِّ زمان ومكان، بل مرتبطٌ بحاكم معيَّن وفترة حكم محدَّدة، ومقترباً بحريَّة الشاعر في وطنه الكويت وتعبيره عن فرحته لحصوله على حقوقه في عهد حاكم، ثمَّ غضبه لحوُل السلطة دون حصوله على هذه الحقوق في عهد حاكم آخر.

وإنَّنا إذ نلاحظ، بحسب تواريخ نظم القصائد السياسيَّة النقديَّة، أنَّ معظمها كان في عهد الأمير أحمد الجابر الصباح (١٩٢١ - ١٩٥٠)، بيد أنَّنا وجدنا في المقابل قصائد كثيرة تتغنَّى بالأمير المذكور، وتبيِّن فضله على الكويت والكويتيَّين، إذ إنَّ فترة حكمه كانت زاخرة بالإنجازات والأحداث التي أثَّرت المجتمع الكويتيَّ ثقافةً وعلمًا واقتصاداً. في حين نجد أنَّ قصائد المدح السياسيِّ كانت في أوجها في عهد الأمير عبدالله السالم الصباح (١٩٥٠ - ١٩٦٥). ولا نستغرب ذلك لعاملين: الأوَّل أنَّ الكويت تخلَّصت من اضطرابات الحضارت التي بدت جديدة عليها في النصف الأوَّل من القرن العشرين، وبدأ الكويتيُّون يعتادون نمط الحياة الجديدة. والثاني أنَّ الأمير المذكور كان شاعراً أديباً، وقد اشتهر بولعه بالشعر، فحفظ الكثير من الشعر العربيِّ، وخصوصاً شعر المتنبيِّ؛ لما فيه من الحماسة والحكمة. ومن ذلك المساجلة الشعرية التي أشرنا إليها سابقاً بين الأمير والشاعر يوسف بن عيسى القناعيِّ.

(١) معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، م ١٢، ص ٥١.

وجدير بالذكر أنَّ الشاعر عبدالمحسن الرشيد أهدى الأمير عبدالله السالم الصباح ديوانه «أغاني ربيع»، في تأكيد ولائه له، كما جاء الإهداء دحضاً من الشاعر لكلِّ تهمةٍ قد يدَّعيها كلُّ مَنْ تسوَّل له نفسه أن يستعمل قصائد الرشيد المعارضة للحكم في أذن الحاكم الجديد، فأكد الرشيد أنَّ معارضته كانت محكومةً بالوضع السياسي آنذاك، وليست نقداً لكلِّ حكومة وكلِّ أمير، بل حرصاً على الوطن والمواطنين، ورغبة منه في تقدُّم بلاده ورفعته في ظلِّ حاكمها الجديد.

ب - مدح الحكومة ومؤسساتها

قصيدة يوسف القناعي نموذج للإشادة بالحكومة الكويتية، والتشديد على فضلها في إرساء دعائم العدل في الكويت نتيجة السياسة الرشيدة لحكامها، وسعيهم الدؤوب للنهوض بوطنهم ليتبوأ مكانة مرموقة بين الدول العربية والغربية، فقال فيها:

الْعَدْلُ يَبْنِي وَالْكُوَيْتُ مَنَارَةٌ
لِتُضِيَّ لِلْإِنْسَانِ طُرُقًا هَادِيَةً
وَلِيُخَيَّا بَانِيَهَا بِحُسْنِ دِرَآيَةٍ
وَسِيَاسَةٍ وَإِنَارَةٍ مُتَوَالِيَةٍ
قُلْ لِي، بِرَبِّكَ: هَلْ رَأَيْتَ حَكُومَةً
تَبْنِي بِنَاهَا فِي الْعُصُورِ الْحَالِيَةِ؟^(١)

ويشدُّ الشاعر على عناية الحكومة الكويتية بتعزيز سياستها الخارجية إزاء قضايا الصراع في دول العالم، إذ انتهجت النأي بالنفس والحثُّ على السلم والأمن والتنديد بالخلافات العربية أو الغربية، واعتمادها على الحوار أساساً تقوم عليها سياستها، فقال:

(١) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٨٧.

وَتَرَى الْحِيَادَ مَعَ السَّلَامِ أَسَاسَهَا
تَبْنِي عَلَيهِ قَوَاعِدًا مُتَرَامِيَةً
عَنْهَا خُذُوا وَبِهَا اقْتَدُوا فِي شَأْنِكُمْ
وَدَعُوا الْخِلَافَ بِطَيْبِ نَفْسٍ رَاضِيَةٍ
يَا مَالِكَ الْأَمْلاكِ إِخْفَظْ عُزْبَنَا
بِرِعَايَةِ يَا ذَا الْمَعَالِي السَّامِيَةِ^(١)

وفي سياق المدح الذي نظمه شعراء الكويت في الحكومة ومؤسساتها، توجه الشاعر الشبيب بالمدح إلى عددٍ من مديري القطاعات الحكومية في دولة الكويت، أبرزها بلدية الكويت؛ لأنها من أكثر الجهات الرسمية احتكاكاً بالمواطنين وتواصلاً معهم، فمدح سلطان بن إبراهيم الكليب رئيس بلدية الكويت (١٩٣٩-١٩٤٢)، فقال:

أَلَا لَيْتَ سُلْطَانًا سَلَاطِينُ بَيْنَنَا
لَكَيْمًا يَغْمُ الْعَطْفُ مِنَّا ذَوِي الْفُقَرِ
وَلَكِنَّهُ يَا لِلْمُصِيبَةِ وَاحِدُ
وَعَدُ ذَوِي الْإِقْلَالِ فَاتَ يَدَ الْحَضِرِ^(٢)

وتستوقفنا قصيدة صقر الشبيب التي نظمها في مدح عبدالله جابر الصباح رئيس بلدية الكويت عام ١٩٥٠، آملاً منه أن يرفع عنه فرض الجباية، فيقول:

يَا رَئِيسَ الْبَلَدِيَّةِ
لَا أَصَابَثُكَ بَلِيَّةُ
انْظُرِ الْيَوْمَ فَدَتَكَ النَّفْ
سُ لِي فِي ذِي الْقَضِيَّةِ

(١) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٨٧. [استعمل الشاعر همزة القطع بدلاً من همزة الوصل في «احفظ» للضرورة الشعرية لاستقامة الوزن].

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٦٨.



طَلَبُوا مِنِّي مَا تَسْـ

لِيَمُّهُ شَقٌّ عَلَيْهِ^(١)

ثمَّ أسبغ عليه المدح بأسلوب إنشائيٍ بليغٍ ومتميزٍ فقال:

أَدَبٌ عِلْمٌ دَهَاءٌ

كَرَمٌ صِدْقٌ طَوِيَّةٌ

رِقَّةٌ ظُرْفٌ إِبَاءٌ

جُرْأَةٌ حَزْمٌ حَمِيَّةٌ^(٢)

كما أنَّ قصيدة للشاعر راشد السيف نظمها مؤرخاً إنشاءً بلديَّة الكويت في عهد الشيخ أحمد الجابر الصباح، ومثلياً فيها على الأمير المذكور، ورئيس البلدية حينئذٍ عبدالله جابر الصباح، فوجَّه القصيدة إليه وخصَّه فيها بالمدح، قال منها:

يَا حُسْنَهَا إِذْ أَخَذْتُهَا بَلَدِيَّةٌ

يَجْرِي بِهَا خَيْرُ النَّظَامِ الْمُفْرَدِ

شَرْعاً، فَلَا الْقَانُونَ فِيهَا دَاخِلٌ

إِلَّا يَشَاءُ اللَّهُ مَا لَا يُوجَدُ

أَبْنَاؤُهَا أَعْضَاؤُهَا، عُمَالُهَا

مِنْهُمْ مُدَبِّرٌ وَالرَّئِيسُ الْأَمَجْدُ^(٣)

إنَّ مدح الشعراء للمؤسَّسات الحكوميَّة أو القائمين عليها مرتبطٌ بمدى النفع الذي قدَّمته هذه المؤسَّسات للشاعر الفرد، وهذا يجعل قصائد المديح فيها قصائد تعتمد على المناسبة أكثر من اعتمادها على المدح الخالص، ويحيلنا إلى قصائد المديح السياسيِّ التكسبيِّ، حيث يمدح الشاعر ممدوحه بغية الحصول على غرض معيَّن منه، يكون مادياً في أكثر الأحيان.

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٩٤.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٩٨.

(٣) راشد السيف، السيفيَّات، [مخطوط]، الكرَّاسة الأولى، ص ٦١-٦٢.



ج - المدح السياسيُّ التَّكْسُّبِيُّ

لم يكن المدح في بعض الأحيان خالصًا للممدوح، بل اتَّخذ مدح الحاكم أو أحد أبناء الأسرة الحاكمة صفة المدح التَّكْسُّبِيِّ، يسعى الشاعر به لنيل الحظوة والقرب من بلاط الأمراء، والطمع بالأعطيات التي يجزونه بها على مدحه. ولعلَّ ما يمكن ملاحظته في هذا الجانب تصريح الشعراء بتكسُّبهم علانية، كما نجده عند الشاعر زين العابدين بن حسين^(١) الذي عبَّر عن سبب التزامه شعر المديح، بأنَّه اتَّخذَه وسيلةً لكسب الرزق، فيقول في إحدى قصائده مادحًا الشيخ مبارك الصَّبَّاح:

كَرُمْتَ أَكْفُكَ مِنْ قَدِيمِ زَمَانِنَا

فَهُنَاكَ إِعْتَرَفْتَ بِهَا الْكُرْمَاءُ^(٢)

ومن ذلك ما للشاعر صقر الشَّيب الذي وجد نفسه وحيداً في الحياة بعد عودته من الأحساء، وبيته محتاج إلى الإصلاح، فكتب إلى أمير البلاد آنذاك الشيخ سالم بن مبار ك الصَّبَّاح الذي أمر له بإصلاح بيته، فكتب إليه الشَّيب يشكره:

كَرِيمٌ نَفَى عَنِّي هُمُومًا أَقْلُهَا

تُذِيبُ أَصَمَّ الصَّخْرِ لَوْ حَلَّ بِالصَّخْرِ

(١) زين العابدين بن حسن بن باقر (١٨٦٦-١٩٥٠م)، شاعر مدَّاح، فارسيُّ الأصل، ولد في الكويت، وتوفِّي فيها. عُرف باسم: الملا عابدين. طُوِّفَ بأقطار الخليج العربيِّ وإيران وبلاد الحجاز. اعتمد على نفسه في تحصيل علومه، وأتقن الخطَّ العربيَّ واللغتين العربيَّة والفارسيَّة. عمل مدرِّساً، ثُمَّ افْتَتَحَ كُتَّاباً في منزله، كما تَكَسَّبَ بالشعر، وقد اختصَّه الملك عبدالعزيز آل سعود براتب وكسوة سنويَّة من ١٩١٢ حتَّى وفاته. له ديوان: «كوكبة السعودية من شعر زين العابدين الكويتي»، وله ديوان مخطوط بعنوان: «العَرَصات البديعة والطرائف اللميعة»، وله ديوان باللغة الفارسيَّة ذكرته بعض مصادر دراسته، كما ذُكِرَ أنَّ له ما يربو على الأربعين مؤلِّفاً في الشعر، وقد أثبت (المترجم له) كثيراً منها في مقدِّمة ديوانه المخطوط. له عدَّة مؤلِّفات، منها: «روضة العارفين» و«تغذية الأرواح ومنشئة الأفراح»، و«الرحلة الرياضية». انظر: معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، م ٨، ص ١٧٥.

(٢) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ٨٣.

فَشُكْرِي لَهُ شُكْرُ الْمَنَابِتِ لِلْحَيَا
 إِذَا مَا اكْتَسَتْ مِنْهُ نِيَابًا مِنَ الزُّهْرِ
 وَمَا لِي لَا أُولِيهِ شُكْرِي وَالتَّنَا
 وَلَوْلَاهُ أَدْنَتْني الهُمُومُ مِنَ الْقَبْرِ
 وَأَعْلَمُ أَنِّي لَا أَقُومُ بِشُكْرِهِ
 وَلَوْ أَنَّنِي أَفْنَيْتُ فِي شُكْرِهِ عُمرِي
 وَلَوْ أَنَّ مَنْ تَحْوِي الْكُوَيْتُ مِنَ الْوَرَى
 يُعِيرُونَنِي الْأَفْوَاهَ لِلْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
 وَكَيْفَ أَقُومُ الْيَوْمَ فِي شُكْرِ سَيِّدِ
 أَزَالْتُ عَطَايَاهُ هُمُومِي مِنْ صَدْرِي؟^(١)

وبقيت هذه الحادثة عالقة في ذهن الشاعر الشبيب، فبعد أن كان الشيخ
 سالم الصباح قد ساعده في إعادة ترميم بيته، فشكره بقصيدة، ضاقت الحال عليه
 فلم يجد له معيناً كهذا الشيخ. فنظم قصيدة ضمَّنَها حاله المتردِّية وبؤسه بعد وفاة
 الشيخ سالم، مستذكراً معروف المرحوم معه، فقال منها:

نَمَازِجُ هَذِي مِنْ قَرِيضِي أَرْفُهَا
 هَدِيَّةٌ مَنْ لَمْ يَقْنِ شَيْئاً سِوَى الشُّعْرِ
 وَمَنْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ الْقَوَافِي هَدِيَّةً
 فَأَهْدَى الْقَوَافِي، كَانَ مِنْ بَالِغِي الْعُذْرِ
 إِلَى رُوحِ مَنْ لَوْ عَاشَ مَا بَتُّ شَاكِئاً
 مِنَ الْعُسْرِ مَا قَدْ كَادَ يَأْتِي عَلَى عُمرِي
 إِلَى سَالِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْعُذْرِ كَاسِمِهِ
 وَمُسْلِمِ مَا تَحْوِي يَدَاهُ مِنَ الْوَفْرِ

(١) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٠٧.

فَمَا زَالَ حَتَّى مَاتَ يُخَيِّ عَفَاتَهُ

بِإِزْدَاءٍ صِنْفِي مَالِهِ الْبَيْضِ وَالصُّفْرِ^(١)

ولم ينسَ الشاعر صقر الشبيب معروف الأمير سالم الذي ربطته به علاقة وطيدة^(٢)، وتلك العطايا التي أجزلها له، فجعل لسانه رطباً بمدحه وشكره في كلِّ محفل، وفي كلِّ مناسبة. ومن ذلك قصيدة مدحه بها، إلا أنَّه ضمَّن مع مدحه حاجة أبهما^(٣)، ولو صرَّح أنها مادية:

فَيَا فَرَحَتِي إِنْ نِلْتُ عِنْدَكَ حَاجَتِي

وَيَا حَسْرَتِي إِنْ لَمْ أَنْلَهَا وَيَا حُسْرِي

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ مَانِجِي

مِنْ الْمَالِ مَا أَرْقَى بِهِ ذُرْوَةَ النَّسْرِ

وَحَاشَاكَ مِنْ تَخْيِيبِ مَنْ جَاءَ عَافِيَا

تُقَلِّبُهُ الْأَيَّامُ بَطْنًا إِلَى ظَهْرِ

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٦٧.

(٢) كان أوَّل اتصال للشاعر الشبيب بالأمير سالم بن مبارك الصُّباح قد شهد تقديم قصيدة شكاً إليه في آخرها ما يُراق في الطرقات من المياه التي تؤذي المارِّين سيِّماً العُميان. وهي قصيدة غراء يدور محورها حول أُمِّ أَيْتَامٍ صغار تحطم ما في يدها من البيض الذي كانت تجمعها من دجاجة هي كل ما ورثته عن زوجها لها ولأولادها، وكان سبب تحطم البيض ماءً في الطريق، فظلت تبكي وتنوح وتندب سوء حظها، حتَّى شعر بها شاعرنا المتألَّم لحالها فمدَّها بخمسة دراهم كانت في يده، وفي أوَّل القصيدة يقول:

وَمَحْزُونَةٍ فِي الدَّرْبِ تَبْكِي وَتَلْطِمُ وَتُعُولُ مِنْ عِظَمِ الْمَصَابِ وَتَرْزُمُ
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

فَأَخْرَجْتُ مِنْ جَيْبِي دَرَاهِمَ خَمْسَةً وَلَمْ يَكْ عِنْدِي غَيْرَ هَاتِكَ دِرْهَمٍ
فَنَاقَلْتُهَا مَا يَسِرُّ اللَّهُ قَائِلًا خُذِي وَاعْذِرِي إِنِّي لِمِثْلِكَ مُعَدَّمُ

انظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٢٣٤.

(٣) عَقَّبَ عبدالعزيز الرشيد على هذه القصيدة بقوله: «أُمَّا الأمير فعلم أنَّ شاعرنا يريد بالحاجة إصلاح بيته المشرف على السقوط، والذي أكل البلاء عليه وشرب، فبادرَ إلى إجابته وأسرعَ إلى تلبية، وأصدر أمره إلى مَنْ أوكلَ إليه أمر البناء، وحثَّه على إنجان مهمَّته، فقام بما أمر به». انظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٢٣٦.

وَتَضَفَعُهُ صَفْعًا يُفِيضُ دُمُوعَهُ
فَوْتِرًا إِلَى شَفْعٍ وَشَفْعًا إِلَى وَتِرٍ
وَلَا غُرُوَ إِنَّ أَبْدَيْتُ عِنْدَكَ حَاجَتِي
فَفُزْتُ بِهَا يَا ابْنَ الْغَطَارِفَةِ الْغُرِّ^(١)

ومن ذلك ما كتبه الشبيب إلى كلٍّ من عبدالله بن سالم الصباح والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، مذكراً الأول بما كان قد رتبّه أبوه المرحوم الشيخ سالم بن مبارك الصباح حاكم الكويت للشاعر في حياته، ومؤملاً منه أن يصل تلك الصّلة التي قُطعت بعد وفاته، ومستشفعاً لديه بصديقه الشيخ يوسف القناعي، فقال مصرّحاً بحاجته إلى هذه الصّلة:

قَدْ كَسَانِي أَبُوكَ أَمْسٍ كِسَاءً
مِنْ نَدَاهُ، فَأَبْتَزْنِيهِ الزَّمَانُ
فَاكْسُنِي يَا ابْنَ سَالِمٍ الْيَوْمَ إِنِّي
مِنْ نَدَاهُ كَمَا تَرَى غُزِيَانُ
وَاتَّخِذْنِي مَكَانَ غُرْفِكَ تَعْلَمُ
أَنْ صَفَرًا لِلْعُرْفِ نِعَمَ الْمَكَانُ
كَانَ لِي مِنْ أَبِيكَ فِي الشَّهْرِ عَشْرُو
نَ فَمَاتَتْ إِذْ مَاتَ ذَاكَ الْهَجَانُ
وَرَجَائِي عَلَى يَمِينِكَ أَنْ تَحْ
يَا فَأَخِيَا بِهَا وَوَجْهِي يُصَانُ^(٢)

وتكرّرت صيغة الطلب واستجداء الأعطيات من الحاكم عند صقر الشبيب، فنراه في قصيدة أخرى مُذكراً الأمير فهد بن سالم الصباح بتلك العطايا التي أنعم

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج ١، ص ٣٩٨.
(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٦٣٧. [الْهَجَانُ: رَجُلٌ هَجَانٌ: كَرِيمٌ الْحَسَبِ نَقِيٌّ].

بها عليه الأمير سالم الصَّباح، آملاً منه أن يتابع تلك الصلة التي انقطعت بعد وفاة الأمير سالم الصَّباح، فيقول:

إِنِّي لَأُمِلُّ مِنْكَ مَأْمُولاً إِذَا
صَعِبَ الْمَرَامُ وَعَزَّتِ الْأَوْطَارُ
فَأَبُوكَ يَا فَهْدُ الْكَرِيمُ تَحَقَّقْتُ
فِيهِ لِي الْأَمَالُ وَهِيَ كِبَارُ
أَخَصَبْتُ فِي أَيَّامِهِ حَتَّى لَقَدْ
أَوْهَمْتُ أَنَّ جَمِيعَهَا «أَذَارُ»^(١)

يُذَكِّرُ الأميرَ فهد بوالده سالم الصَّباح وكرمه مع الشاعر، ويصف أيامه بالخير والبركة والوصال المستمر، حَتَّى أَنَّ الشاعر خَالَ كُلَّ الْأَيَّامِ آذَارَ فِي بركته وخيره، ويأمل أن يسير الأميرُ على خُطَى والده الكريم. ووصل الأمر بالشاعر الشبيب أن يقرن ولاءه للحاكم ودرجة وداده له بالعطايا التي يُجْزَى بها منه، فيقول في قصيدته «كلاهما في ازدياد»:

كُلَّمَا زُرْتُمْ أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ
مِثْلُهُ يَفْتَضِي مَزِيدَ الْوَدَادِ
وَلَكُمْ مِنِّي الْمَوَدَّةُ كَانَتْ
مِثْلَ سُكْرِي كِلَاهُمَا فِي ازْدِيَادِ^(٢)

ومن نواذر الشبيب قصيدته «فهد الكريم فرع خير» التي وجَّهها إلى الأمير فهد السالم الصَّباح مادحاً ومستجدياً، إذ استهلها ببيت مدح واحد، يقول فيه:

يَا نَجَلَ سَالِمِ الَّذِي أَخْلَقَهُ
أَتُنَى عَلَيْهَا النَّثْرُ وَالْأَشْعَارُ^(٣)

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٣٠.

(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٢٩١.

(٣) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٢٩.

ثمَّ ولج غرض القصيدة وهو اشتياقه إلى تناول طعام الأرز بدلاً من الحنطة التي عافتها نفسه، فجاء مدحه تكسبياً صرفاً لا يخلو من الفكاهة، قال:

فَاعِثٌ مِنَ الْجُوعِ الَّذِي أَلَامَهُ
مِنْهَا عَلَى نَفْسِي التَّقَتِ أَظْفَارُ
بِأَطَايِبِ الْأُرْزِ الَّذِي قَدْ شَاقَنِي
مِنْهُ وَصَالَ مُنْعِشٌ وَمَزَارُ
إِنِّي لِأَذْكُرُ طَيِّبَهُ وَمَسَاغَهُ
فَيُمِيتُ عَنْهُ السُّلُوءَ التَّذْكَارُ^(١)

ويعترف الشاعر الشبيب بتكسبه في مديحه، حتَّى أنَّ الحاجة قد دعتَه إلى مدح من لا يستحقُّ المدح، بيد أنَّ هذا الممدوح يعطيه ويجزل له العطاء نظير مدحه، لا حباً له، ولا إكراماً لمداحه، بل تنازعه الرهبة من هجائه، فجاد بماله ليحفظ نفسه من الهجاء، وفي ذلك يقول:

دَعْنِي حَاجَاتِي إِلَى مَدْحِ مَعْشَرٍ
فَجِئْتُ إِلَيْهِمْ طَوْعَ حَاجَتِي أَمَدَحُ
فَكُنْتُ كَأَنِّي مِنْ عَبُوسٍ وَجُوهِهِمْ
تَجَاةَ مَدِيحِي جِئْتُ أَهْجُو وَأَقْدَحُ
وَإِنْ خَيَّبُونِي أَشْفَقُوا مِنْ قَصَائِدِ
تُثِيرُ كَمِينَاتِ الْغُيُوبِ وَتَفْضَحُ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ مَا كَانَ مُحَوِّجِي
إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَشْخُ وَيَسْمَحُ^(٢)

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٢٩. [الأُرْزُ: نبات حَوْلِيٍّ من الفصيلة النجيلية، يحمل سنابلَ ذواتِ غُلْفٍ صُفْرٍ تُقَشَّرُ عن حَبِّ أبيض صغير يطبخ ويؤكل. ويستعمل لفظه هذا -بضمِّ الهمزة- في بعض دول المغرب العربي. بينما لفظه المتعارف عليه هو «الأُرْزُ» بفتح الهمزة. ووردت في لسان العرب: الأُرْزُ والأُرْزُ والأُرْزُ كله ضربٌ من البُرِّ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٨٦].

(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٢٤٧.

وتحرّص بعض الشعراء من أن تنسب إليهم تهمة التكبُّب بالشعر، فأعلنوا أنَّ قصائدهم خالصة للمدح، وما هي إلا اعتراف بالولاء المطلق للحاكم، وليس طمعاً في العطايا والمكرّمات، وهذا إن دلّ فإنّه يدلُّ على أنَّ الشعراء كانوا يفتنّون بعضهم بين مدّاح متكسّب ومدّاح غير متكسّب. ومن ذلك ما نظمّه الأيوبيُّ:

فَلَسْتُ بِطَلَابٍ لِذُخْرِ أُعِدُّهُ
وَلَسْتُ لِأَمْوَالِ الْمُلُوكِ بِحَالِبٍ
فَلَا مَالٌ إِلَّا مَا تَمَوَّلَهُ الْفَتَى
وَلَا عِزٌّ إِلَّا فَوْقَ هَامِ الْمَوَاقِبِ^(١)

بيد أننا لا نضع اللوم كلّهُ على الشعراء الكويتيّين الذي صرّحوا بتكسّبهم علانيةً في مجالس الأمراء والوجهاء، فإنّ طلبَ الحاجة من الأمير مباشرةً شعراً أو نثراً، كان موجوداً في أغلب عهود حكّامها، بل لم يكن يُعاب على الشاعر طلب حاجته، ولربّما حُسِدَ على مقدّراته اللغويّة الساحرة التي تأتي له بالدرّ والنفيس، وتقضي له حاجاته عند أصحابها. ومن ذلك ما روي عن الأمير مبارك الصّباح: «كان سموّ الشيخ المرحوم مبارك الصّباح يجلس في ديوانه بقصر السيّف، يستقبل أفراد الشعب والمحتاجين، ويقف إلى يمينه كاتبه ودواته في حزامه، يتلقّى الأوامر ويسطرّها. ودخل عليه يوماً رجلٌ من أهالي نجد، وقال: قصدتك من بعيدٍ ببيتين من الشعر. قال: قلّ. فأنشد:

أَتَيْتُكَ يَا مُبَارَكَ فِي رَجَاءٍ
تُحَقِّقُهُ وَتُخَسِّبُ نَشْرَ حَمْدِي
فَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَيَّ حَتَّى
أَجَاعَ مُطْهَمِي وَأَجَاعَ وُلْدِي

(١) نوريّة الرُّومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريّ عرض ونقد، ص ٣٤٢.

فتبسّم الشيخ مبارك، وقال: إنّ الله يشبعنا جميعاً، ثمّ مال إلى كاتبه وقال: انظر ما يحتاج إليه. فكتب له بحاجته»^(١).

وفي هذه القصّة عبرةٌ ودلالةٌ تفسّر لنا جرأة الشعراء على إظهار تكسّبهم في قصائدهم على الرغم من معرفتهم بقباحة هذه الصفة في الشعر. بيد أنّها كانت وسيلةً تجذب انتباه الحاكم، والتصريح بالحاجة في هذا المقام خير من ترميزها؛ إذ إنّ الشاعر لن يرهق ممدوحه بحلّ لغز حاجته، بل يريد أن يصل إلى غايته بأبسط العبارات وأيسرها، وأقلّها كلفة على السامع، وخصوصاً إذا كان الممدوح ملكاً أو أميراً.

وتتنوّعت قصائد المديح السياسيّ بين تلك السابقة الذكر الخالصة للمدح، أو تلك التي تتضمّن حاجةً أو شكوى، والتي مثّلنا لها بأبيات الشبيب، حيث ظاهرها المديح السياسيّ، ومضمونها الشكوى أو طرح مشكلة اجتماعيّة بحاجة إلى حلّ. وقد كان للمديح السياسيّ حظوة في دواوين شعراء هذه المرحلة في الكويت، سواء أكان في قصائد المناسبات الوطنيّة، أم تلك التي نظمت من غير مناسبة؛ فجاءت خالصة للممدوح.

ونستطيع ممّا تناولناه من قصائد تأكيد الولاء الوطنيّ للشاعر الكويتيّ، وإن كان قد رفض الوطن في بعض جوانبه، لكنّه بيّن أسباب هذا الرفض، ولاحظنا اتّصال هذه الأسباب بشكل مباشر بالواقع الكويتيّ الثقافيّ والدينيّ والاجتماعيّ والسياسيّ. وأتّضح لنا كلّ ذلك من مظاهر النقد السياسيّ الذي وظّفه الشاعر توظيفاً فنيّاً واعياً، ومن ثمّ قصائده التي أشاد فيها بالحاكم وحكمته، والفخر والتغنّي بوطنه الكويت، وإن كان بعضهم قد انتهج التكسّب بالشعر، إلا أنّ ذلك كان مرافقاً للأحوال السيئة التي يعانيها الشاعر؛ فلم يكن ذا غنى، ومدح طمعاً في زيادة غناه، أو ذا شهرة فتكسّب ليزيد من قربه، بل جعل شعره وسيلة لإيصال شكواه إلى صاحب الشكوى في بلده.

(١) مجلّة البعثة، السنة الأولى، ١٩٤٧، ص ٢٧٧. [المطهّم، الناعم الحسن، والرّجيل الشديد المشي، ويقال: تطلّهت الطعّام إذا كرهته. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١٥٤].

وإثر نظرة عامّة إلى طبيعة الشعر السياسيّ النقديّ في الكويت، نلاحظ أنّ الشاعر الكويتيّ تمتّع بالجرأة لينقد الأوضاع السياسيّة التي استحقّت النقد من وجهة نظره، على أنّه لا يخفى اعتماده على التلميح بدلاً من التصريح في نقده الحاكم أو أسلوب حكمه، بينما جاء نقده للمؤسّسات الحكوميّة أكثر صراحة ومباشرة. وعلى الرغم من محدوديّة النماذج الشعريّة النقديّة المباشرة، ظلّت تشير إلى الديمقراطية التي سادت الكويت في تلك الفترة، وقدرة الشعراء على الجدل والمناقشة ومعارضة ما يرونه خاطئاً، بل يمكن اعتبارها مظهرًا من مظاهر المعارضة السياسيّة المبكّرة.

إنّ ما تضمّنه الشعر الكويتيّ من نقدٍ يحمل في طيّاته حقائق جليّة عن الوضع السياسيّ في الكويت آنذاك: الأوّل عن طبيعة النقد، إذ إنّ الشعراء كانوا على صلة مباشرة بالأمر، والأجدر بذلك أن يثيهم عن النقد المباشر، كأن ينظموا من خلف حجاب مثلاً أو بأسماء مستعارة، أو في حال كونهم خارج البلد بعيدين عن المواجهة. بيد أنّهم تسلّحوا بالديمقراطيّة التي أرسخها الحاكم أحمد الجابر الصباح في بداية حكمه عندما أسّس مجلس الشورى. ولو أنّ سبب نقدهم كان نتيجة حقدٍ أو كراهيةٍ مثلاً، لما وجدناهم ينقدون علانية، في المناسبات والمحافل العامّة. والثاني هو أنّ النقد كان ذا غايةٍ إيجابيّةٍ تطمح إلى رفعة البلاد وتقدّمها، بل إنّهم آمنوا بأنّ هذا النقد هو نقدٌ بَنَاءٍ، وخصوصاً في ما يتعلّق ببناءاتهم لتطبيق الإصلاح، لذلك دوّنوا قصائد نقدهم ونشرونها ولم يجعلوها طيّ الكتمان، كحال بعض المؤلّفات السياسيّة المعارضة بشكلٍ صريحٍ وعلنيّ.

الباب الثاني

القضايا السياسيَّة الخارجيّة

فِي الشَّعْر الْعَرَبِيّ فِي الْكُوَيْت قَبْل الْاِسْتِقْلَال

تمهيد

إنَّنا إذ نَعتمد مصطلح القضايا السياسيَّة الخارجِيَّة، فللَّتَّذليل على أبرز الأحداث السياسيَّة التي وقعت خارج إطار دولة الكويت، فضلاً عن أنَّ من شأنِ الشعر الذي يتناولها تحديد الخطِّ البيانيِّ لنمُو الوعي السياسيِّ ومدى أصالة الشعور القوميِّ في المجتمع الكويتيِّ آنذاك، والذي جسَّده الشعراء في قصائدهم التي فاضت عروبة ونخوة وحميَّة على أشقائهم العرب، ونقداً وتفنيداً وتصويراً لجرائم المستعمر الأجنبيِّ. ويكاد ديوان الشعر الكويتيِّ -في هذه المرحلة- يخلو من شاعرٍ نأى بنفسه عن السياسة والنظم فيها، وأفرد شعره لأغراض الغزل والوصف، بل إنَّ القضايا السياسيَّة القوميَّة كانت حاضرة حضوراً يستدعي دراستها والوقوف عليها.

وينبغي الإشارة إلى أنَّ استعمال مصطلح «القضايا السياسيَّة الخارجِيَّة» أشمل من استعمال مصطلح القضايا القوميَّة؛ إذ على الرغم من دلالتها على القصائد السياسيَّة التي تعنى بقضايا أيِّ دولة غير وطن الشاعر، سواء أكانت الدولة عربيَّة أم أجنبيَّة، فمفهوم القوميَّة ارتبط عند العرب بالاستعمار الأجنبيِّ، وبالوحدة العربيَّة الشعوريَّة للبحث عن طرائق الخلاص منه. يرى الدكتور محمَّد حسن عبدالله أنَّ مصطلح «القوميَّة» مصطلح حديث، فقال: «قد دخلت لفظة القوميَّة كمصطلح في قاموس البلاد الغربيَّة في القرن التاسع عشر، وبعد انهيار الإمبراطوريَّات وتهاويها في الغرب. وما عرفها العرب كمصطلح إلاَّ في الربع الأوَّل

من القرن العشرين^(١). والقومية كمصطلح وردت في الشعر العربي في الكويت، في الفترة التي أشار إليها الدكتور محمد حسن عبدالله، حيث وظّفها الشاعر فهد العسكر بمفهومها الذي ذهبنا إليه، في قوله:

فَمِنْ الْغَبْنِ أَنْ نَعِيشَ عَبِيدًا
أَيْنَ ذَاكَ الْإِبَاءِ؟ أَيْنَ الْحَمِيَّةِ؟
قُمْ مَعِيَ نَبْكَ مَجْدَنَا، وَنَسِخْ الدُّ
دَمْعَ حُزْنًا، وَنَنْدُبِ الْقَوْمِيَّةِ^(٢)

فقصد بالقومية هنا معناها الشائع الذي يشير إلى الإخاء والتضامن العربيين، وقرن القومية بالحمية والأنفة وتعضّب الشعب العربي لأيّ قضية عربية بعيدة كانت أو قريبة.

ويؤكد الكاتب الفلسطيني صبري الأفغاني في مقالة له نشرت عام ١٩٥٠ ازدهار الوعي السياسيّ بعامة والقوميّ بخاصّة في الكويت في تلك الفترة وما قبلها، فيقول: «في الكويت اليوم وعي قوميّ وسياسيّ بالغٍ وعظيم»^(٣). فنلاحظ كيف قدّم القوميّ على السياسيّ، في إشارة منه إلى اهتمام الفرد الكويتيّ بالقضايا العربيّة خارج وطنه. ويتابع الكاتب في شرح سبب الوعي القوميّ: «وشعبُ الكويت يرى أنّه من قلب العرب وجزء لا يتجزّأ من الجزيرة العربيّة، ولهذا تجده يتتبّع أخبار البلاد العربيّة الأخرى باهتمام زائد، ويعرف من أخبارها الداخليّة والخارجيّة، التجاريّة منها والسياسيّة الشيء الكثير، فإذا ما خُصّت مع أحدهم، شابًا كان أو كهلاً، في أيّ حديث، وعن أيّ من هذه البلاد، تحدّث إليك حديث الخبير العارف بأمورها،

(١) محمد حسن عبدالله، عبداللطيف النّصف: تجربته الشعريّة ورؤيته الإصلاحية، ص ٩٠.

(٢) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١١٦.

(٣) صبري الأفغاني، «الوعي القوميّ والسياسيّ في الكويت»، الكويت: مجلّة البعثة، السنة الرابعة، ١٩٥٠، العدد ٣، ص ٥٠.

الملّم بمشاكلها، وهذا لعمري هو أبلغ دليل على ما عند الشعب الكويتي اليوم من وعي قومي وسياسي^(١).

وإذا كان الشعر الوطني يصف الأوضاع السياسية المحليّة، ويمجّد البطولات، ويخلّد ذكر رجال التضحية، فإنّما يريد بذلك أن يوقد مصابيح يستضيء بنورها السائرون في الطريق ممّن يعوزهم المثل الأعلى ليهتدوا به، ويقتفوا أثره لإدراك أهميّة المشاركة الشعبيّة في القضايا السياسيّة القوميّة؛ فالموقف الوطني غير معزولٍ عن الأحداث العربيّة القوميّة، بل يتضمّنّها. ويعادل الشعر القوميّ شعراً المقاومة في موضوعات معيّنة؛ كمحاربة الاستعمار، والكفاح في وجه التجزئة السياسيّة، والطائفية، والنزعات الانفصاليّة، ونداءات بعث المجتمع العربيّ ويقظته مجدداً.

ومن هنا، كان الوعي القوميّ نمواً للوعي السياسيّ عند الشعراء الكويتيّين، وتطوراً للحسّ الوطنيّ لديهم، فلا قصيدة قوميّة ولدت إلّا سبقتها قصائد وطنيّة. وما القضية القوميّة عند شاعر كويتيّ إلّا قضية وطنيّة عند شاعر آخر موازٍ له في الزمان، مبادئه في المكان. والشعر القوميّ هو كلّ قصيدة ذات غرض سياسيّ، ينظمها الشاعر ناصراً وممجّداً دولة غير دولته، وشعباً غير شعبه، فتأتي قصيدته منطوية على رسالة إنسانيّة تؤكّد وجود الكيان العربيّ، وتسعى للمحافظة عليه، وتذوّق مختلف نواحي الجمال والعزّة والكرامة فيه.

وغالباً، كلّما ازداد شعور المرء بوطنه ازداد شعوره بالعالم من حوله، ونمت في داخله بذرة القوميّة، وازداد تقديره للرسالة الإنسانيّة، ليكون مشاركاً بشعره في تكريس معاني الطمأنينة والسّلام، واستنهاض النفوس للوقوف برباطة جأش

(١) صبري الأفغاني، «الوعي القوميّ والسياسيّ في الكويت»، الكويت: مجلّة البعثة، السنة الرابعة، ١٩٥٠، العدد ٣، ص ٥٠.

في وجه المستعمر والمعتدي. وقد أشار الشاعر راشد السَّيف إلى المهمَّة الجليَّة التي يقوم بها الشعر، ودوره الفعَّال في المواجهات الحربيَّة؛ إذ يمثِّل وسيلة الإعلام الرسميَّة بين أبناء الخليج العربيِّ خصوصاً، والوطن العربيِّ عمومًا، فقال في قصيدة ألقاها عند زيارة الشيخ الجزائريِّ محمَّد البشير الإبراهيميِّ^(١) الكويت في خمسينيَّات القرن الماضي، مشدِّدًا على الرسالة السامية للشعر العربيِّ:

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا لِلشُّعُوبِ مُحَرِّكٌ

لَوْ اسْتَسْلَمَتْ لِلْجَوْرِ عَنْ حُكْمٍ جَائِرٍ

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مُوقِظٌ نَحْوَ وَثْبَةٍ

إِلَى نَهْضَةٍ تَرْنُو لَهَا أَعْيُنُ النَّاظِرِ^(٢)

وقد رصد الشعراء الكويتيون الأحداث السياسيَّة في الوطن العربيِّ، وسجَّلوها في حينها، ومن ثَمَّ فإنَّه لا يكاد حدثٌ يخرج من إطار الأغراض الشعريَّة عندهم؛ إذ لهؤلاء دور كبير في تنمية الوعي القوميِّ، ومساندة حركات النضال في أرجاء الوطن العربيِّ كلِّها. ولعلَّ القضايا القوميَّة من أبرز ما تمَّ تناوله في الشعر العربيِّ الفصيح منذ مطلع القرن العشرين، ويعود ذلك إلى طبيعة النزاع السياسيِّ الدائر بين الأطراف الأوروبيَّة والعثمانيَّة حول الضحية العربيَّة، فكان الشعر الكويتيُّ الذي تناولها غزيرًا ومتنوعًا، وكانت مظاهر القوميَّة فيه تغطِّي رقعة معظم الدول العربيَّة التي تعرَّضت للاستعمار الأجنبيِّ.

بيد أنَّ قضايا سياسيَّة أخرى لم يكن للاستعمار تدخُّلٌ مباشر فيها، بل كان طرفاها عربيَّين، متنازعين في حكم أو مُلكٍ، أو نتيجة خلافات شخصيَّة كالثأر

(١) محمَّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (١٣٠٦ - ١٣٨٥ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٦٥ م)، ولد ونشأ بدائرة سطيف (اصطيف) في قبيلة ريغة من أعمال قسنطينة، وتفقه وتأدب في رحلة إلى المشرق عام ١٩١١، فأقام في المدينة إلى عام ١٩١٧، وفي دمشق إلى حوالي عام ١٩٢١، ثمَّ عاد إلى الجزائر. انتخب رئيسًا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين، وأنشأ جمعية العلماء عام ١٩٣١ وتولى ابن باديس رئاستها، والإبراهيميُّ النيابة عنه. وله شعر منه «ملحمة» في تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاستعمار. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، م ٦، ص ٥٤.

(٢) يعقوب الغنيم، الأزمنة والأمكنة، ج ٧، ص ٣١٤.

بين القبائل وما شابه ذلك. فلم يهمل الشعراء الكويتيون هذه القضايا السياسية العربية العربية، بل وثّقوها في أشعارهم بكل ما تضمّنته من حالات حربٍ أو سلم، وأظهر بعضهم ميولاً إلى طرف عربيٍّ على حساب عداء الطرف الآخر، وهذا ما ستكشفه الدراسة في المكان المخصص لهذا المبحث في الفصل الثاني منها.

ولم ينحسر اهتمام الشعراء الكويتيين بالقضايا السياسية القومية في إطار الوطن العربي، بل تجاوز اهتمام عدد منهم حدود هذا الوطن لتناول أبرز القضايا السياسية العالمية. فمنهم من وقفوا من الأزمات والحروب العالمية موقفاً إنسانياً متعاطفين مع الشعوب المضطهدة، رغم أنّها لم تكن عربية، مندّدين في المقابل بوحشية المعتدي على هذه الشعوب، فجسدوا بذلك أرقى مظاهر القومية الإنسانية بعيداً عن الدين والعرق والجنس. ومنهم من أبدى حقه على الأطراف المتنازعة من دون استثناء، سواء أكان ظالماً أم مظلوماً. ولآخرين مواقف متباعدة عن المواقف السابقين، بيد أنّ لكلٍّ منه أسبابه الخاصة التي دفعته لاتخاذ موقفه من الغرب، وسنقف على ذلك تفصيلاً في مكانه في الفصل الثالث من هذا الباب.

ولإحاطة على قدر الإمكان بالقضايا السياسية القومية التي أشرنا إليها، قسمنا الباب ثلاثة فصول: الفصل الأوّل قضايا التحرُّر ومناهضة الاستعمار في الشعر العربي في الكويت، والفصل الثاني القضايا السياسية العربية العربية في الشعر العربي في الكويت، والفصل الثالث القضايا العالمية في الشعر العربي في الكويت.



الفصل الأول

قضايا التحرر في الوطن العربي ومناهضة الاستعمار الأجنبي في الشعر العربي في الكويت

لم يكن الشاعر الكويتي في منأى عن الأحداث السياسية التي أحاطت بالوطن العربي في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، سواء أكانت في الدول العربية المتصلة به جغرافياً أم البعيدة عنه. وإنَّ التفاعل مع الأحداث القومية ومسايرتها كان من مزايا الشعراء منذ العصور السالفة إلى وقتنا الحاضر، «والشعور القومي يُستفزُّ -أقوى ما يكون- أيام المحن والأزمات، ويستجيب لمناسبات الفرح وذكرى الانتصار بدرجة أقلَّ، ولكنه نادراً ما ينبثق تلقائياً كشعور حرٍّ متحررٍّ من مناسبة، نابع من تأمل ذاتي وفرح خاص»^(١). ومنذ مطلع القرن العشرين، اتَّسمت القصيدة في الكويت بالطابع القومي، فضلاً عن النزعة التحررية، والدعوة إلى الوحدة العربية المنشودة.

نتناول في هذا الفصل الشعر السياسي ذا النزعة القومية، والذي يعنى بالأحداث السياسية الحربية التي تعرَّضت لها الدول العربية من المستعمر الأجنبي خارج إطار دولة الكويت، وذلك من خلال ما نظمه الشعراء الكويتيون في توثيق

(١) محمد حسن عبدالله، الكويت والتنمية الثقافية، الطبعة الأولى، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، سبتمبر ١٩٩٠، ص ١٨٩.

هذه المواجهات الحربيّة، وتسجيل الإشادة ببطولات التضحية في مقاومة الاستعمار الأجنبيّ. ونقصد هنا بالاستعمار الأجنبيّ، كلّ اعتداءٍ عسكريٍّ يكون طرفه المعتدي دولة أجنبيّة غير عربيّة، والطرف المعتدى عليه دولة عربيّة. ومن هنا يمكننا أن نصف الشعر الذي تناوله بالشعر السياسيّ التحرّريّ.

ويُعتبر الشعر السياسيّ التحرّريّ فنّاً شعريّاً حديثاً قياساً إلى الشعر الوطنيّ الملحميّ؛ إذ ارتبط وجود هذا الفنّ بحركات التحرّر من الاستعمار في البلاد العربيّة، ذلك الاستعمار الذي حاول مراراً اغتصاب الأراضي العربيّة من أصحابها ليقيم عليها كيانات ومستوطنات له ظلماً وعدواناً، ولينهب من ثرواتها على حساب شعوبها. وقد باءت أغلب محاولاته بالفشل والخسران، كما في معظم دول بلاد الشام ودول الخليج العربيّ، ودول إقليم المغرب العربيّ، في حين صادفه النجاح في احتلال واستيطان بعضٍ منها، كما في فلسطين التي احتلّها الصهاينة. ولعلّ السبب تواطؤ المجتمع الدوليّ على إقامة كيان صهيونيّ في فلسطين، تضامناً مع توطين يهود العالم في دولة خاصّة بهم.

وقد انبرى الشعراء يندّدون بهذا المستعمر الغاشم، مسخّرين موهبتهم لفضح جرائم المحتلّ وتجاوزاته العدوانيّة، متّخذين من مكانتهم الأدبيّة في المجتمع محفلاً لشحذ الهمم واستنهاض النفوس والدعوة إلى الوحدة العربيّة، ونبذ كلّ شكلٍ من أشكال التفرقة والعنصريّة، لتأتي قصائدهم ذات مضمونٍ إنسانيٍّ سام، ولترتقي أشعارهم إلى مصافّ الشعر الملتزم الخلاق الذي يلتزم الشاعر فيه قضيةً سياسيّةً محلّيّةً أو عربيّةً أو عالميّة. ويتجلّى البعد الإنسانيّ عندما يتجاوز الشاعر النظرة الإقليميّة الضيّقة، هذه الإنسانيّة التي تتجسد في المضمون الملتزم للغرض الشعريّ في الشعر العربي في الكويت القوميّ.

شهد النصف الأول من القرن العشرين صنوفًا متنوعةً من الاستعمار الأجنبي،
غطّت كامل رقعة الوطن العربيّ تقريباً، عانت في أثنائها الشعوب العربيّة مختلفَ
أصناف القهر والعذاب. وعن طبيعة هذه السيطرة الاستعماريّة تستوقفنا قصيدة
الشاعر محمود الأيوبي «الشهداء» التي نظمها عام ١٩٢٩ يفصح فيها جرائم
المستعمرين من دون استثناء، ويعدّد الدول التي تعرّضت للاستعمار:

فِي مِصْرَ أَحْكَمْتُمْ الْأَغْلَالَ خَانِقَةً
وَفِي الْعِرَاقِ أَحَابِيلُ وَأَشْجَانُ
لَكُمْ أَيَْادٍ عَلَى السُّودَانِ مُنْكَرَةٌ
وَفِي الْخَلِيجِ مِنْ اسْتِعْمَارِكُمْ شَانُ
فِي حَضْرَمَوْتَ أَسَالِيبُ وَفِي عَدَنٍ
وَفِي عُمَانَ لَكُمْ لِلْخَثَلِ غِيْلَانُ
وَمُخَكِّمُ الْقَيْدِ فِي الْبَحْرَيْنِ صَارَ لَهُ
فِي دَفْتَرِ الرِّقِّ سُوَاسُ وَكُهَّانُ
وَفِي فَلَسْطِينِ مِنْ بَلْفُورٍ مَهْزَلَةٌ
هَزَّتْ لَهَا مِنْ خِمَارِ الْحَقْدِ أَذْقَانُ
فَيَا مُثِيرِي حُقُودِ الْغَرْبِ وَيْلَكُمْ
لَكُمْ مِنَ الْغَرْبِ أَعْضَادُ وَأَخْدَانُ
هَٰذَا فَرَنْسَا بِسُورِيَا الْأَبْيَّةِ قَدْ
سَرَى لَهَا بِحَدِيثِ الْفَتْكِ رُكْبَانُ
إِنَّ الْجَزَائِرَ مَا زَالَتْ مُرْوَعَةً
فَوَرْدُهَا أَجْنُ وَالشَّعْبُ حَيْرَانُ

بَلِّغْ أُنَاسًا عَنِ الرِّثْيُونَةِ التَّأْمُوا
 بِأَنَّ فَارِسَهُمْ يُزِيدُهُ هَجَانُ
 وَفِي طَرَابُلُسَ لِإِزْهَاقٍ مُنْتَجِعُ
 غِرَاسُهُ شَرَّةٌ يَحْمِيهِ طَلِيَانُ
 مَاذَا جَنَى الْبَطْلُ الرِّيفِيُّ يَوْمَ دَعَا
 قَوْمًا هُمْ فِي دِيَارِ الْغَرْبِ إِسْبَانُ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لَكُمْ فِي الشَّرْقِ مَجْرَرَةٌ
 يَشِيْبُ مِنْهَا صَبِيَّاتٌ وَصَبِيَانُ^(١)

ولم تكن النزعة القومية في الشعر العربي في الكويت محصورة في التوجُّه إلى بلدٍ عربيٍّ من دون آخر، ولا حكرًا على شعبٍ من دون غيره، على قدر ما كانت ثورة في النفس على الظلم والطغيان والاستعمار في الدول العربية جميعًا، ترجمها الشاعر الكويتيُّ إلى قصائد نهضويَّة وتوعويَّة وحماسيَّة، لتشكل جميعًا ديوان الشعر الكويتيِّ القوميِّ المعنيِّ بقضايا التحرُّر العربيِّ من الاحتلال الأجنبيِّ بكلِّ أشكاله. وأبرز أنموذج شعريٍّ يمكن أن يعبر عن هذه النزعة القومية، ما نظمه الأيُّوبيُّ في توحيده أغلب الدول العربية ضمن قصيدته، مبيِّنًا موقفه من الاحتلال أينما وجد، فقال:

تَرْنُو الْكُوَيْتُ لِأُخْتِهَا الْبَحْرَيْنِ بِأَلْ
 —وُدِّ الْعَتِيدِ بِغَيْرَةٍ لَنْ تُجْحَدَا
 وَمِنْ الْخَلِيجِ إِلَى الْعِرَاقِ مَشَاعِرُ
 تَنْسَابُ تَقْصِدُ لِلْمَحَبَّةِ مَوْرِدَا

(١) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٢٠٠-٢٠٢.

وَتَعُوجُ لِلشَّامِ الْعَزِيزِ مُثِيرَةً
لِلْحُبِّ لَحْنًا فِي الْحَيَاةِ مُخَلِّدًا
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ فِلَسْطِينَ انْتَحَتْ
تَبْكِي دَمًا عِزًّا غَدًا مُتَبَدِّدًا
تَبْكِي وَتَبْعَتْ أَهْلَهُ مَخْرُورَةً
تَبْكِي الْحِمَى الْمُتَمَرِّقَ الْمُتَشَهِّدًا
مِنْ سَاحِلِ الرِّيفِ الْأَشْمِ لِتُونِسِ
لِلنَّيْلِ صَوْتُ لَا يَزَالُ مُرَدِّدًا
صَوْتُ يُجَلْجِلُ فِي الْحِجَازِ إِلَى حِمَى
نَجْدٍ، وَلِلْأَحْسَاءِ يَجْتَازُ الْمَدَى^(١)

تبدو النزعة القومية ذات صفة عمومية منذ البداية، ويستدعي ذلك تناولها بشكل مفصل، مع توضيح موقف الشاعر الكويتي من الثورات العربية على المستعمر الأجنبي، أو من الحكومات الموالية لهذا المستعمر. وبداية نستعرض مواقف الشعراء الكويتيين إزاء الوجود العثماني في المنطقة العربية.

أولاً: مواقف الشعراء الكويتيين من الدولة العثمانية

تناول الشعراء الكويتيون فترة الحكم العثمانية في الوطن العربي باقتضاب، ولعل ذلك يعود إلى أن الكويت لم تتعرض للسيطرة العثمانية بشكل مباشر، ولم تشهد من صنوف الاستبداد ما شهدت الأقطار العربية الأخرى. «فقد كانت الكويت تتمتع باستقلال ذاتي في منطقة الخليج، ولقد أجمع الكثير من الرحالة العرب والغربيين -الذين جابوا منطقة الخليج العربي والكويت منذ العقود الأولى من القرن السابع عشر- على استقلال الكويت وعدم تبعيتها، والمحافظة على كيانها

(١) مجلة البعثة، السنة السابعة، ١٩٥٣، العدد ٤، ص ٢١٠.

الإقليمي، مثل: مرتضى بن علوان^(١)، وبكنجهام^(٢)، والرحالة بلي^(٣)، وغيرهم من الرحالة والمؤرخين. بل إن الكويت كانت تمتد يد المساعدة للدولة العثمانية مادياً وعسكرياً برّاً وبحراً، كما فعل الشيخ مبارك الصباح عندما قاد جيشاً من الكويت إلى الأحساء لإخماد ثورة ضد الدولة العثمانية، ونجح في ذلك. وبسبب هذه الأهمية تصاعد النزاع بين الدولة العثمانية وبريطانيا بخاصة، والدول الكبرى الأخرى بعامّة، وذلك إبان حكم الشيخ مبارك الصباح. ولكن حكمة الشيخ مبارك وحنكته السياسية وصلابته حيال أي أمر يمس استقلال بلده، استطاع أن يوازن الأدوار ويضع الكويت في المقدمة، بل وكانت المكان الآمن للكثيرين^(٤).

لكن هذا لا ينهض وحده مبرراً للسكوت عن جرائم بعض القادة العثمانيين؛ إذ إن الشاعر الكويتي ندّد في المقابل بالاستعمار الفارسي والبرتغالي والصهيوني والفرنسي والبريطاني والإيطالي، على بقاع مختلفة من الوطن العربي، هذا مع أن الكويت لم تقع في قبضة أي منهم.

ويمكننا أن نجد مبرراً لإغفال أغلب شعراء الكويت تلك القضية؛ فقد كانت الكويت قد بدأت تشعر بالخطر البريطاني الذي أطبق على الخليج العربي،

(١) مرتضى بن علي بن علوان الدمشقي (... - حياً ١١٢٢هـ / ... - حياً ١٧١٠م). فاضل، له رحلة إلى مكة عام ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م. زار الكويت عام ١٧١٠، قال في مذكراته: «دخلنا بلدًا يُقال لها الكويت بالتصغير، بلد لا بأس بها، تشابه الحسا إلا أنها دونها، ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها». انظر: عمر كخالة، معجم المؤلفين، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣، ج ٣، ص ٨٣١. وانظر: موقع مركز البحوث والدراسات الكويتية.

(٢) جيمس سلك بكنجهام James. Silk. Buckingham (١٢٠٠-١٢٧١هـ / ١٧٨٦-١٨٥٥م). كاتب وصحفي ورحالة إنكليزي. زار جزيرة فيلكا في الكويت عام ١٨٦١، وذكر في مذكراته: اسم جزيرة فيلكا القديم هو «إيكاروس»، مُعتمداً على ما جاء في كتابات المؤرخين والجغرافيين اليونان والرومان القدماء. انظر: مجلة الكويت، العدد ٣٣٥، ١٧-٩-٢٠١١.

(٣) لويس بلي Lewis. Pelly (١٨٢٥-١٨٩٥). سياسي ورحالة بريطاني. شغل منصب المقيم السياسي في الخليج بين عامي (١٨٦٢-١٨٧٣). سافر إلى الرياض عام ١٨٦٥، ودون مذكراته في كتاب أسماه «رحلة إلى الرياض في عام ١٨٦٥م»، صدر باللغة العربية عام ٢٠١٠ عن هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث. وقد تطرّق في الكتاب إلى كثير من الأحداث الاجتماعية والسياسية في دولة الكويت. انظر: موقع تاريخ الكويت.

(٤) نجا عبد القادر جاسم، قضايا في التاريخ السياسي والاجتماعي لدولة الكويت، ط ١، الكويت، ٢٠٠٠، ص ١١-١٨.

يضاف إلى ذلك التأثير بآراء بعض المصلحين العرب، من أمثال محمد الشنقيطي وحافظ وهبة اللذين كانا يريان في الدولة العثمانية المسلمة درعاً تقي من النفوذ البريطاني^(١). ولعل هذا التبرير الأخير أقرب إلى ابتعاد بعض الشعراء الكويتيين عن تسمية الفترة العثمانية بالاحتلال، أو اعتبار العثمانيين مستعمرين؛ بحيث إنهم لو كانوا يرونهم كذلك لما أحجموا عن الدعوة إلى التحرر من الاستبداد والظلم والثورة على المستعمر، بل إن فئات إسلامية كثيرة كانت ترى في الحكم العثماني خلافة، وفي السلطان العثماني أميراً للمؤمنين، وفي ذلك يقول خالد الفرج:

غَدَا الْعَاهِلُ التُّرْكِيُّ وَهُوَ خَلِيفَةُ
وَبِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُلَقَّبُ
يَرَى الضَّعْفَ وَالْأَخْطَارَ مُخَدِّقَةً بِهِ
وَأَظْلَمَ فِي عَيْنَيْهِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ^(٢)

ويرتبط هذا الاعتبار بطبيعة المجتمع الذي يرى في الدولة العثمانية دولة خلافة إسلامية، فنأى الشاعر الكويتي بنفسه عن مشقة ذمها، إذ إنه لم يعن بشأنها حتى قيام دولة عربية قوية توازي الدولة العثمانية، وتربت الخلافة عنها، وتحقق ذلك في أمارات ظهور الدولة السعودية. والشاهد في الموضوع أن الشاعر الكويتي أحجم عن اعتبار الدولة العثمانية استعماراً لاعتبارات دينية، واعترافاً بها خلافة إسلامية، حتى لو لم يصرح بذلك، إلا أن عقله الباطن مشبع بهذه الفكرة. يقول خالد الفرج: «والسلطان محمود^(٣) بعد أن تربّع على العرش، ورأى مملكته

(١) خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ص ٧٠.

(٢) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٢.

(٣) السلطان محمود خان الثاني بن عبد الحميد الأول بن أحمد الثالث (١٧٨٥-١٨٣٩). السلطان الثلاثون للدولة العثمانية. لم يكن على علاقة جيدة بالدولة السعودية الأولى، إذ خشي أن تحل محل الخلافة العثمانية، فأمر واليه على مصر محمد علي باشا بالقضاء على الدولة السعودية الأولى، فأرسل ابنه إبراهيم باشا لمهاجمة الدرعية عاصمة الدولة السعودية آنذاك، فحاصرها وأعاث فيها فساداً. انظر: الموسوعة العربية. وانظر: ويكيبيديا.

مهدّدة من جميع جوانبها، وتواجه مهدّد من جنود الانكشاريّة^(١)، صمّم على تصفية أمور المملكة، فدولة آل سعود العربيّة على قلّتها وبُعدها، أهمّته أكثر من سواها، فهناك شبح الخلافة العربيّة ماثل يهدّد مركز الخلافة الكبرى^(٢). ويشدّد الشاعر الفرّج على عظّمة الدولة العثمانيّة ومجدها التليد الذي تزعزع بسبب التشعّب السياسيّ وكثرة الوُلاة وحكم الانكشاريّة، فيقول:

وَكَمْ دَوْلَةٍ شَادَتْ مِنْ الْمَجْدِ وَالْعُلَا
لَهَا الْعِزُّ نَوْبٌ وَالسِّيَادَةُ مَرْكَبٌ
فَإِنْ لَمْ تُثَقِّفْهَا الْحَوَادِثُ أَخْلَدَتْ
إِلَى الذُّلِّ وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا التَّشَعُّبُ^(٣)

الشاهد في البيت هو اعتراف الشاعر بخلافة السلطان العثمانيّ بعيداً عن الاحتلال، ويقول في حديثه عن محمّد علي باشا^(٤)، مؤكّداً هيمنة السلطان العثمانيّ وسلطته في تعيين الولاة وعزلهم في الدول التي تقع تحت سيطرة دولته:

يُرَاوِغُ سُلْطَانُ الْبِلَادِ بِمَكْرِهِ
كَمَا رَاوِغَ الصَّيَّادُ بِالْمَكْرِ نَعْلَبُ

(١) الانكشاريّة: فرقة عسكريّة في الجيش العثمانيّ، مدرّبة تدريباً عالياً.

(٢) خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨١.

(٣) خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨١.

(٤) محمّد علي باشا بن إبراهيم آغا، لقّب بالعزيز أو عزيز مصر، هو مؤسس مصر الحديثة وحاكمها بين عامي ١٨٠٥ - ١٨٤٩م. استطاع أن يعتلي عرش مصر عام ١٨٠٥ بعد أن ثار الشعب على سلفه خورشيد باشا، فبايعه أعيان البلاد ليكون والياً عليها، ومكّنه ذكاؤه واستغلاله للظروف المحيطة به من أن يستمرّ في حكم مصر كلّ تلك الفترة، ليكسر بذلك العادة العثمانيّة التي كانت لا تترك والياً على مصر أكثر من عامين. خاض في بداية حكمه حرباً داخلية على المماليك والإنجليز، فقضى على زعماء المماليك في القلعة عام ١٨١١، ثمّ حروباً على الوهابيّين في شبه الجزيرة العربيّة، كما وسّع دولته جنوباً بضمّه للسودان. وبعد ذلك تحوّل لمهاجمة الدولة العثمانيّة حيث حارب جيوشها في الشام والأناضول، وكاد يُسقطها، لولا تعارض ذلك مع مصالح الدول الغربيّة التي أوقفت محمّد علي، وأرغمته على التخلّي عن معظم الأراضي التي ضمّها. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٩٨.

وَمَا عَادَ وَالِي مِصْرَ فِي مِصْرَ عَامِلًا

يُزَالُ بِفِرْمَانَ الْمَلِكِ وَيُنْصَبُ^(١)

وربما كانت النزعة الإسلامية عند خالد الفرج كانت طاغية على العصبية والرابطة القومية، ولذلك لم يجد غضاضة في الاعتراف بسلطة الخليفة التركي كما لاحظنا. ولعل سبباً واحداً جعل خالد الفرج يتعرض بالقبح للسلطان العثماني، وكلّ العثمانيين؛ ألا وهو قلق الدولة العثمانية من قيام خلافة جديدة في شبه الجزيرة العربية خصوصاً وأنّ العثمانيين يعلمون بعدم جواز أن يكون خليفة المسلمين غير عربي. ودفاع الشاعر عن هذه الخلافة التي بدأت مع الحركة الوهابية في تلك الفترة، فيصف العثمانيين بأبناء جنكيز^(٢)؛ إذ يتتبع الروايات التاريخية التي تقول بأنّ العثمانيين هم ورثة جنكيز خان في الحكم، فيقول:

وَقَدْ أَقْلَقْتُ أَبْنَاءَ جَنْكِيزَ فِكْرَهُ

تَحَاذِرُ أَنْ يَحْيَا نِزَارَ وَيَغْرُبُ

فَتُصْبِحَ نَجْدٌ دَوْلَةً عَرَبِيَّةً

سَيَعْدُو لَهَا نَحْوُ الْخِلَافَةِ مَارِبُ^(٣)

وقد كان موقف الشاعر الأيوبي أوضح من موقف معاصره الفرج إزاء وجود الدولة العثمانية في المنطقة العربية، إذ لا يراها خلافة كما كان يراها الفرج، بل

(١) خالد محمد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٢.

(٢) جنكيز خان (١١٦٧-١٢٢٧م): فاتح مغولي، اسمه الأصلي «تيموجين»، خلف أباه «يقوصاي» رئيساً للتّحالف المغولي. اتّخذ لقبه عام ١٢٠٦م بعد إتمام فتح منغوليا وتأسيس عاصمة له في قرقورم. هاجم إمبراطورية الشان شمالي الصين عام ١٢١٣م، وفي عام ١٢١٥م كان قد استولى على غالبية أراضيها بما فيها العاصمة ينشنج. وأغار على كل من تركستان وبلاد ما وراء النهر وأفغانستان وفارس والدول الواقعة حالياً في جنوبي روسيا. توفي في أثناء حربه على الشان، وقسمت مملكته بين أولاده الثلاثة. عرفت حروب جنكيز خان بالمذابح الرهيبة. وتحدّر منه تيمورلنك. انظر: عبد الوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ١٠١-١٠٢.

(٣) خالد محمد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٢.

استعماراً واحتلالاً للبلاد العربيّة، وما العرب في ظلّ هذا الاحتلال إلا عبيدٌ تحت إمرة السلطان العثمانيّ، فقال:

انْظُرْ إِلَى دَارَةِ الْعُرْبِ الْأَلَى صَدَحَتْ
أَخْلَاقُهُمْ هَبَّتِ الْعَلْيَا تَحْيِيَّهَا
كَانُوا عَبِيدَ «بَنِي أَرْطَغُل» رَأَيْدُهُمْ
جَهْلٌ يَفْتُ بِأَعْضَادٍ وَيَفْرِيهَا^(١)

ويرى الباحث الدكتور خليفة الوقيان أنّ الباحثين لم يعثروا على شعر يتناول فترة الحكم العثمانيّة^(٢) -وربما قصد أشعار التنديد بجرائمهم، وقصائد الدعوة إلى التحرّر من الحكم العثمانيّ- سوى إشارة إلى وحشيّة جمال باشا السّفّاح^(٣)، وردت في ثايا قصيدة للشاعر الأيوبيّ، حيث قال في بعض أبياتها مندداً بوحشيّته وهمجيّته في القتل والإجرام، وكيف أنّها كانت البداية التي أيقظت الضمير العربيّ، والشرارة لإعلان الثورة على السّفّاح:

حَتَّى إِذَا هَاجَ مَفْتُونًا بِصَوْلَتِهِ
«جَمَالٌ» يَشْنُقُ مِنْ أَحْرَارِهَا فِيهَا
ثَارُوا وَهَبُوا جَمِيعًا مِنْ مَرَاقِدِهِمْ
وَهَدَّمُوا مِنْ قِلَاعِ الظُّلْمِ عَالِيَهَا

(١) محمود الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٤١٧. [بني أرتغل هم الأتراك].

(٢) خليفة الوقيان، القضية العربيّة في الشعر الكويتيّ، ص ١٠٩.

(٣) جمال باشا، أحمد السّفّاح (١٨٧٢-١٩٢٢): ضابط في الجيش العثمانيّ، ولد في إسطنبول. كان أحد ثلاثة من العصابة العسكريّة التي حكمت تركيا في الحرب العالميّة الأولى. شغل مناصب متعدّدة في الجيش العثمانيّ في مقدونيا وتراقيا، حيث التحق بجمعيّة الاتحاد والترقي السريّة حينئذ. أرسل إلى جبهة فلسطين عام ١٩١٤ حيث قاد محاولة فاشلة لغزو مصر. عُيّن بعد ذلك حاكماً على سورية فعامل الأقلّيّة الأرمنيّة بمنتهى الشدّة، وعمل على تهجير مئات الأسر العربيّة إلى الأناضول، وكان قاسياً على المناضلين العرب بالسجن والتعذيب والتشريد. فساق عدداً منهم بمحاكمة ديوان الحرب العرفيّ بعالية سنة ١٩١٦ إلى المشنقة في بيروت وفي دمشق لتهمة لم يكن هو نفسه بريئاً منها، وهي الاتصال بالحلفاء. بعد قيام نظام مصطفى كمال عكف على الإشراف على جيش الأفغان وإعادة تنظيمه. وفي عام ١٩٢٢ اغتاله أحد الوطنيين الأرمن في أثناء نقله في مدينة تفليس. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ٧٤.

سَارَتْ مَوَاجِبُهُمْ نَشْوَى يُورَثُهَا

شَوْقُ التَّحَرُّرِ مِنْ أَيْدِي أَعَادِيهَا^(١)

إنَّ الخلافات العربيَّة العربيَّة، والنزاعات التي غطَّت رقعة شبه الجزيرة العربيَّة، ثمَّ النكبات الاستعماريَّة الأجنبيَّة التي مُني بها الوطن العربيُّ، كانت سبباً من أسباب انصراف الشاعر الكويتيِّ إلى التركيز على حقيقة هذه النزاعات أكثر من حقيقة سواها. كما أنَّ انهيار الدولة العثمانيَّة، وانحسار خلافتها عن دول عربيَّة كثيرة في الربع الأوَّل من القرن العشرين، قد أفسح المجال لدول استعماريَّة أكثر وحشيَّة واستعماريَّة، ففقدت الدولة العثمانيَّة مركز الصدارة في الاهتمام الشعريِّ والإعلاميِّ آنذاك، إزاء الاهتمام المنصبَّ على الاستعمار الأجنبيِّ الذي حلَّ مكانها.

وقد سار الشعراء الكويتيُّون ضمن التيار العامِّ للأغراض القوميَّة في تلك المرحلة المفصليَّة من التاريخ السياسيِّ للوطن العربيِّ؛ فلم تأخذ الدولة العثمانيَّة حيزاً كبيراً من اهتمامهم، لكنَّهم أشاروا إليها في أكثر من مكان، وبين بعضهم موقفه منها كما أسلفنا. وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه المحدوديَّة في تناول القضية العثمانيَّة لا تنفي عن الشاعر الكويتيِّ قوميَّته، ولا تُعدُّ مؤشراً على ضعف نزعته القوميَّة أو محدوديّتها، بل على العكس، فإنَّ الإرث الشعريِّ الذي تركه شعراء الكويت يشير إلى وعي قوميٍّ عربيٍّ وعالميٍّ، وفكر منفتح على القضايا السياسيَّة العربيَّة، رافضٍ للمستعمر الأجنبيِّ، ومنددٌ به. وعن أبرز قضايا التحرُّر العربيَّة التي تناولها الشاعر الكويتيُّ في الوطن العربيِّ شرقه وغربه، ارتأينا تقسيم الدراسة بحسب الأقاليم، بدءاً بقضايا التحرُّر من المستعمر في دول الخليج العربيِّ، ثمَّ قضايا التحرُّر من المستعمر في بلاد الشام، ثمَّ قضية مصر وثورة عام ١٩٥٢ والعدوان الثلاثي^(٢) على أراضيها، ثمَّ قضايا التحرُّر في إقليم المغرب العربيِّ.

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٤١٧-٤١٨.

(٢) العدوان الثلاثيُّ على مصر: ويُعرف أيضاً بالحرب العربيَّة - الإسرائيليَّة الثانية: هي الحرب التي نشبت عام ١٩٥٦م وشنتها إسرائيل وفرنسا وبريطانيا على مصر، وانتهت بانتصار سياسيٍّ لمصر، رغم أنَّ النتيجة العسكريَّة لم تكن في صالحها. انظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ٢٠٥-٢٠٦.

ثانياً: قضايا التحرُّر من الاستعمار في دول الخليج العربي

إنَّ اختيارنا للأحداث السياسيَّة الحربيَّة في هذه الدراسة مبنيٌّ على الأحداث التي ورد ذكرها في ديوان الشعر العربيِّ الفصيح في الكويت، فلعلَّ أحداثاً ومعارك وغزوات وقعت في شبه الجزيرة العربيَّة - غير ما سيَتَّمُ تناوله في هذا المبحث - لم يتطرَّق الشعراء الكويتيُّون إليها بالذكر، وذلك لانتهاء المعاصرة. ومراعاةً للتسلسل التاريخيِّ للأحداث وبالعودة إلى ما دوَّنه الشعراء الكويتيُّون عمَّا عاصروه منها، تكون البداية عن مملكة المُنْتَفِقِ^(١) في العراق، وكفاح ملوكها لدحر الغزو الفارسيِّ عن أراضيهم.

أ - مملكة المُنْتَفِقِ في العراق

الدَّعوات المبكرة للتحرُّر من الاستعمار، والقصائد السياسيَّة التي تَوَرَّخ لأبرز المعارك في دول الخليج العربيِّ، تبدو جليَّة عند الشاعر عثمان بن سند الوائلي الذي وثَّق لفترة مهمَّة من تاريخ العراق السياسيِّ إبَّان الحكم العثمانيِّ، وصوَّر لنا

(١) مملكة المنتفق: خليطٌ من قبائل شتَّى، تجمعهم رابطة التحالف والمجاورة والمصاهرات، إلى أن كُونوا قبيلة كبيرة تحكَّمت في نواحي العراق، وكادت تستقلُّ بحكمه. بنو المنتفق، ويقال فيهم بَلْمُنْتَفِق، بفتح الباء وسكون اللام، بَطْنٌ من عامر بن صعصعة من العدنانيَّة، اشتهروا باسم أبيهم، ف قيل لهم المنتفق؛ وهم بنو المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة. قال ابن سعيد: ومنازل المنتفق الآجام والقَصَب التي بين البَصْرَة والكُوفَة من العراق، وقال: والإمارة فيهم من بني معروف. وحُكَّام هذه المملكة هم آل شبيب الأشراف الذين عرفوا لاحقاً بال سعدون، وقد أسَّسوا الكثير من المدن في العراق مثل سوق الشيوخ والناصرية والشطرة... وغيرها، وانتزعوا الكثير من المدن من العثمانيِّين: منها مدينة البصرة في عهد الأمير مانع بن شبيب عام ١٦٩٤م، والأمير مغامس بن مانع عام ١٧٠٥م، والأمير ثويني بن عبدالله عام ١٧٨٧م. ومدينة بغداد في عهد الأمير حمود بن ثامر عام ١٨١٣م. انظر: خالد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٢٠٣. وانظر: أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط٢، تحقيق: إبراهيم الإيباري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م، ص ٧٧.

بالشعر جوانب من الواقع السياسي والحربي، ومناهضات الغزو الفارسي للعراق عام ١٧٧٥، وذلك في أثناء فترة حكم الأمير ثويني بن عبدالله الشيببي^(١).

وأهمية هذا الحدث تأتي من كونه أول إعلان لاستقلال العراق منذ سيطرة الأمير ثويني الشيببي على مدينة البصرة عسكرياً، ثم إرساله عرضاً سياسياً إلى الخليفة العثماني، وقَّعه وجهاء العراق وشيوخها، يعرض عليه نفسه والياً على البصرة، وما ترتب على ذلك من أحداث ومعارك دامية. وعلى الرغم من أهمية هذا الحدث تاريخياً وتميُّزه، لم يلقَ اهتماماً كبيراً يوازي حجمه التاريخي وأهميته من المؤرِّخين المعاصرين، وربما لكون مملكة المنتفق دولة سقطت بالحرب العالمية الأولى، ولذلك ربما لا فائدة إعلامية أو مادية لبعض الباحثين لكي يقفوا على أبرز أحداثها مقارنة بالدول القائمة، والتي غالباً ما تتركز عليها جهود معظمهم.

فرض الأمير ثويني سيطرته على مملكة المنتفق مُستعيناً بعاملين؛ اللين مع المواليين، والشدة مع المعارضين. ويشير إلى ذلك محمد بن خليفة النبهاني في تحفته النبهانية حيث يقول: «وكان لما تولَّى ثويني بن عبدالله رئاسة المنتفق، كما تولَّاهما من قبله أبوه وجدُّه وأبو جدِّه، وجَّه في بادئ الأمر سطوته ونفوذه نحو الأعراب المنبثين من جنوبي بغداد إلى حدود الكويت، وكان يُعدُّ من أجود العرب في

(١) ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع، من آل شبيب (.../١٢١٢هـ - .../١٧٩٧م)، يلقَّب بأبي قريحة. يُرفع نسبه إلى الحسين السَّبَّط. من شيوخ القبائل في بادية العراق، اتَّسعت شهرته في عصره. خَلَفَ أباه في زعامة «المنتفق» بالعراق عام ١١٧٥هـ / ١٧٦١م، وصَفَتْ له بعد مقتل ابن عمِّه ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م، وحانت له فرصة عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م فاجأ بها حامية البصرة فاحتلَّها، وحكمها مستقلاً ثلاثة أشهر. وقاُله متولِّي بغداد من قبل العثمانيين، بسنَّة آلاف جنديٍّ على بعض شواطئ الفُرات، فتفرَّق أكثر رجاله ونجا ببعض ذويه. وتحرَّج موقف الترك أمام غزاة نجد، فأعادهُ سليمان باشا «والي بغداد» إلى منصبه في المنتفق، وانتدبه لقتالهم. وزحف أبو قريحة يريد نجداً، فلم يلبث أن اغتاله عبدُ اسمه «طعيس» من عبيد جُبُور بن خالد، من أتباع آل سعود، في مكان يسمَّى «الشباك» - بتخفيف الباء - من ديرة بني خالد، ودفن في جزيرة العمائر. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٠٢.

زمانه وأسخاهم، فاستتبَّ له الأمر كما أراد»^(١). ويذكرُ كرمه وشجاعته عثمان بن سند في قوله: «وكان أحد أجواد العرب، ما أناخ في بابه أحدٌ إلا بلغ الأرب، وكان له في حكومته الأولى أيام شاهدة بأنه الصَّارم الضَّرغام»^(٢)، وقد كَنَّاه الشاعر عثمان بن سند بـ «أبي فرحان» في إحدى قصائده:

وَهَلْ كَأَبِي فَرْحَانَ يَبْرُزُ عَصْرُهُ؟

فَإِنْ يَكُ مِنْهُ مِثْلُهُ كَذَبَ الْعَصْرُ^(٣)

وتبدأ الأحداث الكبرى في تاريخ الأمير ثويني بن عبدالله، منذ الغزو الفارسي للعراق عام ١٧٧٥م، حيث كان حاكم الدولة الفارسية ينظر إلى الموانئ العربية على الخليج العربي، وخصوصاً ميناء البصرة، نظرةً يملؤها الحسد، لذلك أراد السيطرة عليها، «واستطاع حاكم فارس كريم خان الزندي تجهيز ثلاثين سفينة حربية محملة بالمدافع عند غزوه للبصرة، وكانت هذه المدافع تستطيع ضرب المدينة من الماء، وتسند محاولات الجنود الذين يقاتلون في البر»^(٤).

وعن طبيعة الحصار ما ورد في تاريخ ابن لعبون: «وفي سنة ١٧٧٥م حاصر العجم البصرة، سار بهم كريم خان الزندي، واستمرَّ الحصار سنة ونصف السنة»^(٥). وبعد أن طال الحصار وضاق الأمر على أهل البصرة، تمَّ تسليم المدينة حفاظاً على أهلها وساكنيها من فتك الجوع والمرض بهم، فدخلها الفرس وارتكبوا فيها أفعالاً شنيعة، وكانت خطوة أولى لإخضاع كامل العراق للسيطرة الفارسية.

(١) محمد بن خليفة النبهاني الطائي، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط٢، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٩، ص ٤٠١.

(٢) عثمان بن سند، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، ط١، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٠، ص ٢١٣.

(٣) عثمان بن سند، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٢١٤.

(٤) طارق نافع الحمداني، الخليج والجزيرة العربية بين القرن السادس عشر والقرن العشرين، ط١، بيروت: دار الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ١٩٨.

(٥) حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون، تاريخ ابن لعبون، ط٢، الطائف (المملكة السعودية): مكتبة المعارف، ٢٠٠٧، ص ٥١٢.

أدركت الدولة الفارسيّة صعوبة موقف مملكة المنتفق، واستحالة تلقّيها لأيّ دعم في مواجهة الفُرس، لذلك قرّر الفُرس فرض شروطهم، فوجّهوا إلى حُكّام مملكة المنتفق أمراً بالخضوع، وقد تمّ رفض هذا الطلب، فقام الفُرس بتجهيز حملة مزوّدة بالمدافع، يقودها صادق خان الزندي أخو حاكم الدولة الفارسيّة. واجهت قوَّات مملكة المنتفق هذا الجيش في منطقة تسمّى الفضليّة^(١)، وذلك في عام ١٧٧٩م، واستطاعت أن تُبيده بشكلٍ شبه كامل في معركة عُرفت بمعركة الفضليّة. ولم يكتفِ الأمير ثويني بن عبدالله بالانتصار الأوّل، بل شنّ هجوماً على القوَّات الفارسيّة في معركة ثانية من العام نفسه، عرفت بمعركة أبي حلّانة^(٢)، استطاع بها استعادة مدينة البصرة، واغتنام الكثير.

ويسجّل لنا الشاعر عثمان بن سند هذا النصر في قصيدة نظمها على لسان حاكميّ مملكة المنتفق، الأميرين: ثامر بن سعدون، وثويني بن عبدالله، بعد انتصارهما على الفرس في معركة أبي حلّانة، فقال:

إِذَا لَمْ تَرُضْ إِلَّا السَّيْفَ مِنَّا
فَإِنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا حَمَيْنَا
حُمَاةَ الْجَارِ كَمْ بَاغٍ لَوْيْنَا
وَكَمْ ضَائِمٍ بِمُرْهَفَةٍ أَبَيْنَا
سَقَيْنَا مَنْ نُحَارِبُهُ بِسَجَلٍ^(٣)
إِلَى أَنْ عَادَ مُنْقَادًا إِلَيْنَا
وَمَا إِنْ سَامَنَا الْأُمَرَاءُ خُسْفًا
فَإِنْ رَامُوا بِنَا خُسْفًا عَصَيْنَا

(١) الفضليّة: مدينة تقع في الجزء الجنوبيّ من العراق، وتبعد نحو تسعة أميال جنوب مدينة الناصريّة.

(٢) أبي حلّانة: موقع في الجزء الجنوبيّ من العراق، نسبة إلى نهر أبي حلّانة التابع لمركز مدينة الناصريّة.

(٣) السجّل: دلو الماء.

فَيَا عَلِجَ الْأَعَاجِمِ إِنَّ بَيْضًا
نَضَوْنَاهَا بِقَتْلِكَ قَدْ وَأَيْنَا
وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءٍ صِدْقٍ
نَضَوْهَا قَبْلَ مَا نَحْنُ انْتَضَيْنَا
وَأَوْصُونَا وَنُوصِي وَارِثَيْنَا
بِتِلْكَ الْبَيْضِ مَا حَرْبًا جَنَيْنَا
سَتَنْدَمُ إِنْ تَكُنْ لَقَيْتُكَ مِنَّا
فَوَارِسُ لَا يَرُونَ الْقَتْلَ شَيْنًا
شَبِيبِيُونَ أَنْجَبَ بِهِمْ نِزَارُ
يَرُونَ عَلَيْهِمُ الْغَارَاتِ دَيْنًا
سَنْقَرِيكَ السِّيُوفَ قَرَى جَمِيلاً
وَنَسْقِيكَ الْحُثُوفَ إِذَا التَقَيْنَا^(١)

وكأنَّ روحَ معلَّقةَ عمرو بن كلثوم تنبعث مجدِّداً في حماسيَّة ابنِ سند، بل إنَّ
الشاعر استعار المعنى والصياغة من ابن كلثوم، فتشابه النصَّان في شكلَيْهما من
حيث الوزن والقافية وبعض الألفاظ، ومن حيث المعنى في أبيات كثيرة، كقوله:

وَمَا إِنْ سَامَنَا الْأُمَرَاءُ خَسَفًا
فَإِنْ رَأَوْا بِنَا خَسَفًا عَصَيْنَا^(٢)
يُوافق الشاعر عمرو بن كلثوم في قوله:
إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسَفًا
أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الذُّلَّ فِينَا^(٣)

(١) عثمان بن سند، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٩٠.

(٢) عثمان بن سند، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٩٠.

(٣) الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات العشر، لا ط، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٨١، ص ٢٢٤.

ويشطر في قوله:

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ
نَضَوْهَا قَبْلَ مَا نَحْنُ إِنْتَضَيْنَا^(١)

قول ابن كلثوم:

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ
وَنُورُثُهَا إِذَا مُنْنَا بَنَيْنَا^(٢)

إلا أن الشاعر يذهب بنا إلى أبعاد أوسع من النقمة على المستعمر لمحاولته احتلال العراق واستعمارها، وتتعدى الحقد على حصار البصرة مدة عام ونصف العام، ويتطرق إلى مسألة إسلامية تمس العقيدة؛ إذ يرى أن قتال الفرس كان لزاماً على الأمير، لأسباب تتعلق بفكرهم الديني.

ومعروف أن الكثيرين من الداعين إلى الطائفية بين الفريقين يستغلون هذه القضية للتحريض في أكثر من مناسبة، فيقول:

وَلَا عُذْرَ لَنَا عَنْ قَتْلِ قَوْمٍ
سَبَابُ الصَّخْبِ جَرُّهُمْ إِلَيْنَا^(٣)

بل يزيد على ذلك حين يرى الهداية الحق لا تأتي إلا بقتال هؤلاء القوم، فيقول محرضاً متذرعاً بالأسباب الفكرية بعيداً عن الأسباب السياسية:

إِذَا لَمْ نُقْرِهِمْ بِالْبَيْضِ ضَرْبًا
يُذِيقُهُمُ الْمَنُونُ فَلَا إِهْتِدَيْنَا

(١) عثمان بن سند، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٩٠.

(٢) الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٢٢٠.

(٣) عثمان بن سند، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٩٠.

إِذَا لَمْ نَحْمِ مِنْ عُجْمٍ ذِمَارًا
بَسَبَهُمُ الصَّحَابَ فَلَا اتَّقِينَا^(١)

ويصل الشاعر إلى النتيجة التي خلص إليها ممّا سبق، إذ يلمّح إلى ضرورة مهاجمتهم في عُقر دارهم بدلاً من انتظار غزواتهم، وذلك في قوله:

فَصَبِّرَا يَا عَدُوَّ اللَّهِ صَبِّرَا
لَأَسْيَافِ بِهَا الْعُلَيَّا اِزْتَقِينَا
فَعَنكَ يَضِيقُ رَحْبُ الْأَرْضِ عَمَّا
قَرِيبٍ، وَالْعُلُوجُ تَقُولُ أَيْنَا^(٢)

هذه النداءات لإشغال فتيل النزعة الطائفية، لم تجد لها مكاناً في كتب التاريخ التي تناولت هذه الموقعة، وهذا الغزو الكبير للعراق، بل اكتفت بالمطامع الفارسية بالموانئ الخليجية، وتوسعة النفوذ الفارسي السياسي على حساب الدولة العثمانية آنذاك.

كما توجه ابن سند بالمدح إلى صديقه الوالي محمود الرديني^(٣) الذي جرت له في تلك الأيام وقائع رهيبة وعظيمة، أسفرَ بها محيّا، فوجد فيه الفارس المغوار الذي تصدّى بكلّ بسالة وشجاعة للمطامع الفارسية في العراق، فقال في مدحه:

(١) عثمان بن سند، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٩٠.

(٢) عثمان بن سند، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٩٠.

(٣) محمود بن عبدالرحمن الرديني البصري، وهو علويّ النسب، وقد ولّاه الشيخ ثويني بن عبدالله أمرَ البصرة، فحكم بالعدل، وردّ هجمات بني كعب عنها، وبنى في البصرة مدرسة، وأوّل من تولى أمر تلك المدرسة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن عبدالقادر لعدة أعوام حتّى توفّي بعد عودته من الحج، فتولّاها بعده الشيخ عبدالله بن جامع شهراً أو شهرين ثم عزل نفسه، وبقيت بدون مدير لها حتّى تولّاها عثمان بن سند. توفّي الردينيّ عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م. انظر: عثمان بن سند، سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، ط١، الهند: مطبعة البيان، ١٨٩٧، ص ٦٦.

إِذَا عَضَّتِ الْفَيْحَاءُ وَاشْتَجَرَ الْقَنَا
فَمَا هُوَ فِي الْفَيْحَاءِ إِلَّا الْمُهْلَبُ
هُوَ النَّقْعُ فِيهَا غَيْرَ أَنَّ جَبِينَهُ
وَصَارِمَهُ بَدْرٌ يُحَاذِيهِ كَوَكَبُ
إِذَا مَا اخْتَفَى قَدْرُ الرَّجَالِ وَجَدْتَهُ
هُوَ الشَّمْسُ إِنْ تَطْلُعَ تَرْخَرَحَ غَيْهَبُ^(١)

يبدو الشاعر ابن سند مؤلعا باستحضار المعاني الشعرية القديمة، فيتجاوز استعارة الشكل ليصل إلى استعارة الصورة الفنية. وها هو في بيته الأخير يشبه ممدوحه بالشمس، متوافقا مع الصورة التي نظمها النابغة الذبياني في مدحه ملك الحيرة النعمان بن المنذر:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ
إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبُ^(٢)

ولم يغفل الشاعر الكويتي عن الدعوات المبكرة للوحدة والنهضة والحرية، والسعي الدؤوب للثورة على كل أصناف الظلم والعبودية، واستصراخ العروبة في الشعوب العربية، لإيمانه بأن الشعب هو الحكم الفيصل في بقاء الاستعمار أو هزيمته وطرده مدحورا. وقد تبوأ الشعر العربي الفصيح في الكويت منزلةً جديرة بالتقدير، ليحتل مكانته التي يستحقها في ديوان الشعر العربي بشكل عام، ويعود ذلك إلى التزام الشاعر الكويتي القضايا العربية التحررية الأخرى، فينهض بنفسه وبشعره، وليقدم رسالته السامية التي حملت له كفرد عربي واع ومثقف.

تجدد الإشارة إلى أن ولادة الشاعر عثمان بن سند كانت عام ١٧٦٦م، وأن أحداث الغزو الفارسي التي وثقها في شعره ونثره، وقعت بين عامي (١٧٧٥-

(١) عثمان بن سند، سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، ص ٦٧.

(٢) الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٣٠٤.

١٧٧٩م^(١)، وأنَّ المعركتين الرئيسيتين «الفضليَّة، وأبي حَلَّانة» وقعتا عام ١٧٧٩م، وقد ذكرنا أبياتاً لابن سند يوثقُ نصرَ أمراء مملكة المنتفق على لسان أميرها ثامر وثويني الشيببيين. فهل يمكن لابن سند أن ينظم الشعر بهذه الدقَّة والحرفَة السياسيَّة وهو ابن ثلاثة عشر عاماً؟ هذا إذا علمنا أنَّ المصادر التي ترجمت له تذكر أنَّ أوَّل اتصالٍ له بالبصرة كان عام ١٨٠٤م، حيث كَرَّمه الوجهاء والولاة، وكان أحد خاصَّة الوالي العثمانيِّ داود باشا.

لَمَّا لم أعثر على خلاف يتعلَّق بتاريخ ولادة الشاعر ابن سند، ولا على آخر يتعلَّق بتاريخ موقعتي الفضليَّة وأبي حَلَّانة، فإنَّ القضية تحتمل تأويلين اثنين: الأوَّل هو أنَّ ابن سند كان نابغة منذ صغره، فمكَّنه نبوغه من النظم بهذا العمق السياسيِّ ثمَّ الأدبيِّ. ولعلَّ هذا التأويل مجانب للصواب؛ إذ إنَّ الشاعر نظم قصيدته على لسان الأميرين، وضمَّنهما -كما أسلفنا- آراءً عقائديَّة تشفُّ عن علم ومعرفة بالأطماع الفارسيَّة في المدِّ الشيعيِّ إلى القسم الجنوبيِّ من العراق آنذاك، كما يرى ابن سند، وهذا يحتاج إلى تفقُّه على الصعيدين السياسيِّ والدينيِّ لم يكن قد تسنَّى لابن سند بعدُ تحصيلهما في هذه السنِّ المبكِّرة.

والتأويل الثاني هو أنَّ الشاعر نظم مستذكراً ومؤرِّخاً لفترة عاشها في شبابه، بيدَ أنَّه نظم أحداثها لاحقاً، حين ملكَ القدرة على التحليل والتأريخ، وأصبح من ذوي البلاط العثمانيِّ الحاكم في العراق وخاصَّته آنذاك، وبخاصَّة أنَّه شغل وظيفة مستشارٍ للوالي داود باشا^(٢)، وكان من المقربين منه. وممَّا يرجِّح هذا الرأي، أنَّ

(١) انظر: لوريمر، دليل الخليج: القسم التاريخيُّ، ج ٤، ص ١٨٤٨.

(٢) داود باشا (١٧٧٤ - ١٨٥١م) أصله من المماليك، جلبه بعض النخَّاسين إلى بغداد وله من العمر أحد عشر عاماً، فاشتراه الوالي العثمانيُّ سليمان باشا، وعلمه، فقرأ الأدب العربيَّ والفقه والتفسير، ونثر ونظم باللغات العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة. عُيِّن والياً على بغداد عام ١٨١٦، فصدَّ الجيوش الفارسيَّة، ونظَّم الجيش. عُزل عن الولاية عام ١٨٣١، لنزعتِه الاستقلاليَّة كما قيل. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٣٣١.

ابن سند كان الناقل لهذا الشعر، والمدوّن الوحيد له، ضمّنه كتابه «مطالع السُّعُود بطيب أخبار الوالي داود»، وهو يؤرّخ في هذا الكتاب بدقّة لجانب من تاريخ العراق السياسيّ، لفترة زمنيّة تقرب من نصف قرن، هي من بداية الربع الأخير للقرن الثامن عشر إلى نهاية الربع الأوّل للقرن التاسع عشر.

كما أنّنا لا نستطيع القول بأنّ ابن سند قد أرّخ لبعض الغزوات الفارسيّة التي استهدفت السيطرة على بغداد في عهد الوالي داود باشا، إذ إنّ الشاعر قد خصّ أمراء مملكة المنتفق في قصيدته المدحيّة، فسَمّى الأمير باسمه، وعدّد أسماء إخوته، وتعرّض لتفاصيل الانتصار الذي حقّقه الأمير ثويني على القوّات الفارسيّة في المعركتين المذكورتين. بيد أنّهُ استذكر أحداثاً عاصرها في بداية شبابه، فنظّمها نظم المعاصر لها، المشاهد لما دار فيها، بانيّاً رأيه على هوى الولاة العثمانيّين المعادين للدولة الفارسيّة. ولو لم يكن هذا شأن الوالي العثمانيّ داود باشا، لما نظّم ابن سند الأحداث بصيغة التطرّف للمذهب، بل لاكتفى بالأسباب السياسيّة لها.

ولاحقاً، صوّر الشعراء الكويتيّون حركات التحرّر من المستعمر الأجنبيّ في دول الخليج العربيّ في مرحلة النضال العربيّ أوائل القرن العشرين ومنتصفه. وإن لم تخضع بعض أقطار شبه الجزيرة العربيّة للاحتلال الأجنبيّ بشكل مباشر -كالكويت والسُّعُوديّة وقَطَر والإمارات العربيّة- ولم تتعرّض لويلات الاستعمار وجرائمه كما تعرّضت له الأقطار الأخرى -كالعراق والبحرين وعمان- فقد كان الاحتلال حاضراً بشكل غير مباشرٍ في بعضها، ومتحكّماً في قرارها السياسيّ، ومقيّداً عليها حقّ السيادة الممنوحة لها كدول مستقلّة، لها حُكوماتها وحُكَّامها الشرعيّون. ومن أبرز مظاهر الاستعمار الأجنبيّ لدول الخليج العربيّ، الاعتداء البريطانيّ على مملكة البحرين.

ب - مملكة البحرين في ظل الاستعمار البريطاني

علاقة دولة الكويت بمملكة البحرين قديمة وراسخة. وإذا ما وقفنا على سير الشعراء الكويتيين في البدايات، وجدنا أن الكثير منهم كانوا يزورون جزيرة البحرين (أوال) وقيمون فيها فترة من الزمن؛ ومن أبرزهم: عبد الجليل الطبطبائي، وخالد الفرج، وعبد العزيز الرشيد، وجاسم عيسى النصرالله، ومحمود الأيوبي، وغيرهم. ونتيجة لهذا الاتصال نشأت لديهم محبة هذا البلد، بل اعتبروه في أحيان كثيرة موطنهم الثاني بعد الكويت، ومنهم خالد الفرج الذي أشاد بالبحرين، وعبر عن أنسه بها، ورأى في أمجادها أمجاد آبائه العرب الأولين، وذلك في قصيدته التي نظمها لمناسبة بناء الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة^(١) قصرًا في إحدى ضواحي مدينة المنامة^(٢)، عام ١٩٢٦م، فقال:

يَا دُرَّةَ وَسَطِ الْخَلِيجِ تَلَالُثُ
وَزَهَتْ عَلَيْهِ بِنُورِهَا الْوَقَادُ
الدُّرُّ مِنْ حَصْبَائِهَا، وَالتُّبْرُ مِنْ
أَمْوَائِهَا، وَالْمَجْدُ فِي الْأَوْلَادِ^(٣)

وقال مُستذكرًا أمجاد البحرين القديمة والحديثة، مُستحضرًا التاريخ المغرق في القدم، عودة إلى أقوام (عاد، وثمود، والأدواء، وأباد)^(٤)، وكيف أن الزمان أخنى عليهم، في حين أن مجد البحرين باقٍ عامًا بعد عام:

(١) حمد بن عيسى بن علي آل خليفة (١٢٩١ - ١٣٦١ هـ / ١٨٧٤ - ١٩٤٢ م) شيخ البحرين، وأميرها. ولد في مدينة المحرق. توفي بالسكتة القلبية في بلدته ودفن فيها. وهو والد الشيخ سلمان الذي ولي الإمارة بعد ذلك. انظر:

خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٢) المنامة: عاصمة مملكة البحرين، وأكبر مدنها.

(٣) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١١٧. وانظر: مجلة الكويت، ١٩٢٩، ج ٢، ص ١، ج ٥٠٠.

(٤) قبائل من العرب البائدة التي اندثر ذكرها، سوى بعض ما ذكر عنها في القرآن الكريم، وبعض كتب التاريخ. وتستعمل أسماء هذه القبائل للإشارة إلى الشيء القديم جدًا.

وَجَزِيرَةُ الْبَحْرَيْنِ بَحْرُ زَاخِرٍ
 فِيهَا، وَبَحْرُ مَوَيْلِ الْوَرَادِ
 وَالْمَجْدُ فِيهَا شَامِخٌ مُتَقَادِمٌ
 لِنَمُودَ يَرْجِعُ عَصْرُهُ أَوْ عَادِ
 أَخْنَى الزَّمَانِ عَلَى تَمُودَ وَعَادَ وَالْ
 أَنْوَاءِ مِنْ يَمَنِ وَرَهْطِ أَبَادِ
 الْمَجْدُ فِي الْبَحْرَيْنِ بَاقٍ لَمْ يَزَلْ
 يَسْتَقْبِلُ الْمِيلَادَ بِالْمِيلَادِ^(١)

كما استعاد الفرَجُ مجدّها القديم في قصيدة ألقاها في احتفال أقيم بالبحرين
 للشيخ كمال بن قاسم المهزغ، القاضي فيها، فركّز على التاريخ العسكري للبحرين،
 والقوّة التي تمتّع بها أجدادهم، حين أشادوا الأساطيل الحربيّة، فملؤوا بها البحر؛ قال:

إِيَّاهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَجْدَ أَوَالِ
 حِينَمَا أَزْهَرَتْ لَهَا الْأَيَّامُ
 فَلِذَا الْمَجْدُ فِي الْمَرَاقِبِ^(٢) ذَكَرَى
 خَلْفُوهَا لَنَا الْجُدُودُ الْعِظَامُ
 مَلَأُوا أَكْثَرَ الْبَحَارِ سَفِينًا
 مَاخِرَاتٍ كَأَنَّهَا الْأَعْلَامُ
 وَجَبَوْا مَوْرِدَ الْأَقَالِيمِ طُرًا
 فَارْزَدَهَى الْعَصْرُ وَاسْتَنْبَبَ السَّلَامُ^(٣)

(١) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١١٧.

(٢) المراقب: موضع في جزيرة أوال «البحرين»، فيه أطلال مدينة عظيمة قديمة، يُظنُّ أنَّها من عهد الفينيقيين.

انظر: مجلة الكويت، ١٩٢٨، م ١، ج ١، ص ٢١٨. [لعلَّ ارتفاع المنطقة على سواها وإطلالتها على البحر، جعلها

مكاناً مناسباً للمراقبة والمشاهدة، فجاء اسمها من هنا].

(٣) مجلة الكويت، ١٩٢٨، م ١، ج ١، ص ٢١٨.

ولعلَّ الإقامة الطويلة للشاعر خالد الفرّج في البحرين، زادت من محبّته لها، واستعر في مقابلها حنقه على مستعمرها البريطانيّ الغاصب، فنظم قصيدة طويلة عنوانها «الغرب والشرق»^(١) يصف معاناة البحرينيين من المحتلّ، وما تعانيه مملكة البحرين من المستعمر البريطانيّ، قال:

الْغَرْبُ قَدْ شَدَّدَ فِي هَجْمَتِهِ
وَالشُّرْقُ لَاهِ بَعْدُ فِي غَفْلَتِهِ
وَكُلُّ مَا جَدَّ بِأَعْمَالِهِ
يَسْتَسْلِمُ الشُّرْقُ إِلَى رَاحَتِهِ
فَيَجْمَعُ الْغَرْبِيُّ وَخِدَاتَهُ
وَالشُّرْقُ مَفْسُومٌ عَلَى وَخِدَتِهِ
وَهَذِهِ الْبَحْرَيْنُ مَغْلُولَةٌ
يَقُودُهَا الْغَرْبُ إِلَى حُفْرَتِهِ
قَدْ أَبْعَدَ الْأَخْرَارَ عَنْ دَارِهِمْ
وَقَرَّبَ الْأَنْذَالَ مِنْ حَضْرَتِهِ^(٢)

وفي قصيدة الشاعر محمود الأيُّوبيّ «تحيّة البحرين» تعبيرٌ صادق عن محبّته لهذا البلد العربيّ الشقيق، يبتُّ فيها حزنه وأسفه على ما أصاب البحرين من ضيم الاحتلال الإنجليزيّ الغاشم، ويشدّد على الأخوة بين البحرين والكويت، وأنّ الودّ الذي بينهما سيبقى عامراً، ويصوّر حزن الكويت التي ترمق شقيقتها بعينين دامعتين لا تملكان إلّا الدعاء لها، فيقول:

(١) ألقى الشاعر قصيدته المشهورة «الغرب والشرق» في حفلة تكريميّة أقيمت له في الكويت احتفاءً بمناسبة قدومه من البحرين إلى الكويت في الأوّل من ديسمبر ١٩٢٧م. انظر: خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في القرنين، ج١، ص ١٦٧.
(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١١٦. انظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربيّ في الكويت، ص ١١٦.

تَرْنُو الْكُوَيْتَ لِأُخْتِهَا الْبَحْرَيْنِ بِأَلْ
 سُوْدُ الْعَتِيدِ بِغَيْرَةٍ لَنْ تَجْعَدَا
 أَمْرَابِعَ الْبَحْرَيْنِ جُنْتُكَ مُنْشِدَا
 لَحْنًا يَشِفُّ عَنِ الْوَلَاءِ مُسَدِّدَا
 لَحْنًا يُتَرْجَمُ لِلْإِخَاءِ تَحِيَّةً
 تَسْرِي كَضَوْعِ الشَّمْسِ تَغْشَى الْمَوْعِدَا^(١)

إذ يشدد الأيوبي على متانة العلاقة بين الدولتين الشقيقتين، الكويت والبحرين،
 ويعبر عن القربى التي تربط أبنائهما، بأنها علاقة الشقيق بشقيقه، فيقول أيضاً:

سَلَامًا يَا بَنِي أُمِّي سَلَامًا
 شَذِيًّا مِنْ حِمَى الْوَطَنِ الْمَجِيدِ^(٢)

ويخاطب العرب على مختلف أطيافهم وانتماءاتهم، ويستجدي عروبتهم
 الأصيلة، ويدعوهم إلى نصره مملكة البحرين على الاستعمار الذي عاث فيها
 فساداً، ليجعل من البحرين وطناً لجميع من يناديه، غير مكتفٍ بأن يخصصها وطناً
 لساكنيها، بل وطناً للعرب جميعاً، فيقول:

إِيَّاهِ مَعَاوِيرَ الْعُرُوبَةِ هَا هُنَا
 وَطَنٌ يُنَاشِدُ هَاتِفًا مُسْتَنْجِدَا
 وَطَنٌ يُنَاشِدُ كُلَّ أَصِيدٍ نَحْوَةً
 تَسْمُو وَتَنْهَضُ عِرْزَنَا الْمُسْتَعْبِدَا
 وَطَنٌ يَمْوُجُ النُّورُ فِي أَرْجَائِهِ
 مَا أَضْحَرَ الرُّكْبَ السَّعِيدَ وَأَبْعَدَا^(٣)

(١) مجلة البعثة، السنة السابعة، ١٩٥٣، العدد ٤، ص ٢١٠.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٠٥.

(٣) مجلة البعثة، السنة السابعة، ١٩٥٣، العدد ٤، ص ٢١٠.

يَتَّسَعُ مفهوم الوطن عند الأيوبيّ في حديثه عن البحرين ومعاناتها من
المستعمر، فيرى فيها وطنًا لكلّ العرب، ويبني ذلك على الأخوة التي تجمع بين
أبنائها وأبناء شبه الجزيرة العربيّة، أخوة الدم العربيّ، فإنّ فصلت الجغرافيّة بين
هؤلاء الإخوة، فإنّ الوحدة ستعيد لهم شملهم مجددًا.

ويضرب الشاعر خالد الفرّج مثالاً على تبعيّة بعض الدول الخليجيّة للآخر
الأجنبيّ، وتحكّمه في قرارها السياسيّ وشؤونها الداخليّة، في تناوله لتبعيّة دولة
البحرين للاحتلال البريطانيّ وتدخّله الفعليّ في شؤونها؛ فلا قانون يُسنّ إلّا
بأمره، ولا قرار يصدر إلّا بإرادته، ولا مسؤول يُعيّن إلّا برغبته. ويرى الشاعر
الفرّج أنّ المستعمر كان يحاول الاحتلال من خلال نشر التمرد والتحضّر الغربيّين
المزعومين، فقال مُصوِّراً حال مملكة البحرين:

جَارْتُنَا تَرْقَى إِلَى أَسْفَلِ
بِمَظْهَرِ التَّمْدِينِ أَوْ صِبْغَتِهِ
مَجَالِسُ الْأَعْمَالِ إِسْمِيَّةُ
لَا تُضَدِّرُ الْحُكْمَ بِلَا رَغْبَتِهِ
وَمَضَدُّ الْعَدْلِ وَقَانُونُهُ
مِنْ فِخْرَةِ الْبَلْيُوزِ^(١) أَوْ حِكْمَتِهِ
بِمَاغِهِ الْقَانُونُ فِي حُكْمِهِ
وَقَوْلُهُ الْفَضْلُ عَلَى عِلَّتِهِ^(٢)

(١) بَلْيُوزٌ وَبَالْيُوزُ: القُنْصَلُ العامُّ، أو المعتمد السياسيّ العامُّ. وأصل اللفظة يونانيّ أو فرنسيّ «Baylos». وقد
كان البليوز هو المعتمد السياسيّ البريطانيّ العامُّ في الخليج، وكان يقيم في ميناء «خرم شهر» في إيران، ثمّ
انتقل مقرّه إلى البحرين، وكان الناس يسمّون زوجة البليوز «بولو». انظر: فالح حنظل، معجم الألفاظ العاميّة
في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، ط٢، تقديم ومراجعة: غسان الحسن، أبوظبي: وزارة الإعلام والثقافة،
١٩٩٨. [نسخة إلكترونيّة تحتوي على خاصيّة البحث في المفردة].
(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١١٧.

ولعلَّ النظرة الراضية للتمدُّن والتحضر عند الفرج وغيره من الشعراء المتمسِّكين بالدين وتعاليمه التقليديَّة، جعلته يطلق أحكاماً كهذه على الدول التي تستقطب الحضارة الغربيَّة، أو جزءاً منها، إلى شعوبها وحُكوماتها، ويرى في ذلك رُقياً عكسياً، تنازلياً لا تصاعدياً، ويضع أدلَّتَه على ما ذهب إليه من خلال استدعائه لمجلس الأعمال البحرانيِّ؛ فعلى الرغم من وجوده وضمِّه عناصر مختلفة من الشعب، لا يستطيع اعتماد قرارٍ داخليٍّ أو خارجيٍّ إلَّا بما يتوافق مع رأي معتمدٍ بريطانيٍّ فيها.

وإلى فكرة التمدُّن التي يرتديها الغرب بُرْدَةً ليدخل فيها البلاد العربيَّة المراد السيطرة عليها، في النصف الأوَّل من القرن العشرين، أشار الشاعر عبدالمحسن الرشيد إلى أنَّه لم يرفض التمدُّن والحضارة كمبدأ أو فكرة، بل كان رفضه لادِّعاء الغربيِّ نشرَ تمدُّنه في البلاد العربيَّة المتخلِّفة - بحسب نعتهم لها- لا كما يرى شاعرنا في قوله:

فَلَا تَدْعِي فَضَلَ التَّمَدُّنِ أُمَّةٌ

أَلَسْنَا الْأَلَى قَدْ مَدُّنُوا الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ؟^(١)

ومن أبرز الأمثلة التي توضَّح موقف الشعراء الكويتيِّين من الاحتلال البريطانيِّ لمملكة البحرين، تصويره الظلم والتعسف الذي عاناه البحرانيُّون من المعتمد البريطانيِّ الميجر ديلي^(٢) الذي حاول اغتصاب البحرين المملكة ليكون حاكمها الوحيد بدلاً من أن يكون وكيلاً لرعاية المصالح البريطانيَّة فيها، «يعرض خالد الفرج الوضع في البحرين بعد أن شهدت انقلاباً قام به الميجر ديلي على

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٣٠.

(٢) الميجر ديلي: المعتمد البريطانيُّ السياسيُّ في مملكة البحرين، تقلَّد مهمَّاته فيها عام ١٩٢٠، وكانت في يده جميع السلطات، التشريعيَّة والقضائيَّة والتنفيذية، واشتهر بعدائته وهمجيَّته، حتَّى اضطر الحكومة البريطانيَّة إلى سحبه من البحرين وإعادته إلى بريطانيا بعد محاولة اغتياله عام ١٩٢٦.

حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فاستولى على السلطة، وخنق الحرّيات، وألقى بالأحرار في السجون»^(١):

يَخْنُقُهَا الْغَرْبِيُّ فِي كَفِّهِ
وَبِاسْمِهَا يَسْتَرْ مِنْ سَوَاتِهِ
مُسَيِّطِرٌ فِي كُلِّ أَعْمَالِهَا
يَنْدِمِجُ الْكُلَّ بِشَخْصِيَّتِهِ^(٢)

إنَّ الشخصيةَ الزاهيةَ التي يدخل بها الغربُ المتحضّرُ البلادَ العربيّةَ الأقلَّ حضارةً، يجعل منه النارَ التي تتحلّق حولها الفراشات الحاملة والمستغربة، فيحاول الغربُ جاهداً أن يفرض على العربيّ تقبُّله الأناقة والتمدّن والشكل الأوروبيّ، والدعوات المتكرّرة إلى ضرورة التطوُّر، والشعارات الرنانة المكّلة بحماية حقوق الإنسان، والحفاظ على حرّيّة الفرد في مجتمعه أينما وجد. لكنّ جوهر هذه الشخصيةَ الزاهية لم يخفَ على الطبقة الواعية المثقّفة، من شعراء وأدباء ومثقّفين، بل كان مضمونها مفسّراً نتيجة أعمالها الظاهرة. وفي نقد المستعمر الأجنبيّ قال خالد الفرّج:

يَظْلِمُ -بِاسْمِ الْعَدْلِ- سُكَّانَهَا
يَسُوِّمُهَا الْخَسْفَ بِوُخْشِيَّتِهِ
مَا قَيْصَرُ الطَّاعِي -عَلَى ظُلْمِهِ-
أَقْلُ ظُلْمًا مِنْهُ فِي سُلْطَتِهِ
فَقَيْصَرٌ يُسْأَلُ عَنْ ظُلْمِهِ
وَذَاكَ لَا يُسْأَلُ عَنْ فِعْلَتِهِ^(٣)

(١) خليفة الوقيان، القضية العربيّة في الشعر الكويتيّ، ص ١٢٤.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١١٨.

(٣) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١١٨.

يجعل الشاعرُ المحتلَّ البريطانيَّ أشدَّ ظلمًا من قيصر الروم، ويعقد مقارنةً ظاهريةً بين كليهما. وإن كان هذا حال مملكة البحرين مع المستعمر البريطاني، كما يراه خالد الفرج، فهو حالٌ لم يستطع الأجنبيُّ فرض سلطته فيه على الشعب البحراني، والدليل على ذلك الحركات الوطنية، ودعوات الحرية التي كانت تصدح مع كلِّ حدثٍ قوميٍّ في أيِّ بلدٍ عربيٍّ مجاور أو غير مجاور لهم. فقد هبَّت جموع الشعب الخليجيِّ لنصرة الشعب المصريِّ إبان مقاومته العدوان الثلاثيِّ عام ١٩٥٦، ولم يؤخِّرهم عن ذلك معاناتهم من قيود المستعمر الأجنبيِّ، فسوَّر الشاعر الأيوبيُّ الثورة الخليجيَّة العارمة آنذاك بقوله:

كُلُّ الرِّقَاعِ بِأَرْضِ الْعُرْبِ تَضْطَخِبُ
وَفِي الْخَلِيجِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ مُضْطَرَبُ
وَفِي الْكُوَيْتِ أَنْشِيدُ وَفِي قَطْرِ
وَفِي عُمَانَ يُغْنِيهَا الْأَلَى وَتَبُؤَا^(١)

ولا يمكن إغفال عمليات القمع والنفي التي تعرَّض لها الأحرار في البحرين آنذاك، حيث شعروا، أكثر من غيرهم، بوخزات الاستعمار لبلادهم، ولاقوا أقسى أنواع العذاب النفسيِّ جرَّاء مواقفهم الوطنيَّة المناهضة للاحتلال، وخصوصًا بعد تدخُّلات الميجر ديلي في شؤون البحرين الداخليَّة، بخلاف المعاهدة بين الحكومة البريطانيَّة وشيوخ البحرين. فعوقب الأحرار بالنفي الداخليِّ أوَّلًا؛ بتنحياتهم عن شغل المناصب السياسيَّة أو الاقتصاديَّة أو الثقافيَّة في بلادهم، وبالنفي الخارجيِّ ثانيًا؛ بتهجير بعضهم إلى الهند، واضطرار آخرين إلى الهجرة إلى بلدٍ آخر يستطيعون العيش فيه بحريَّة أكثر من تلك التي حرَّموها في بلادهم، قال الفرج:

وَالْوَيْلُ لِلْحُرِّ الْأَبْيِّ الَّذِي
يَشْعُرُ بِالْوُخْزِ مِنْ إِبْرَتِهِ

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٨١.

قَدْ أَبْعَدَ الْأَخْرَارَ عَنْ دَارِهِمْ
وَقَرَّبَ الْأَنْذَالَ مِنْ حَضْرَتِهِ
وَرَأْسَ الْعَاطِلِ مِنْ قَوْمِهِ
فِي وَافِرِ الْعَيْشِ وَفِي بَسْطَتِهِ^(١)

وفي عام ١٩٥٦م نظم الأيُّوبي قصيدته «ثورة البحرين» مشيداً بالأبطال الذين هبُّوا لدحر المستعمر البريطاني عن أراضيهم، والذين لم يستطيعوا الصبر على جرائمه وسياسته الجائرة المتعسِّفة، فأعلنوها ثورة عليه انتهت بهزيمته مدحوراً، قال:

تَمَرَّدْتُمْ عَلَى الطَّاعُوتِ لَمَّا
أَهَاجَ عَلَيْكُمْ عَسْفَ اللَّدُودِ
فَكَانَتْ ثَوْرَةً حَمْرَاءَ تَشْوِي
جَهَنَّمُهَا مَجَانِينَ الْحَقُودِ
وَزَلَزَلْتُمْ لَلِاسْتِغْمَارِ بُرْجًا
أُقِيمَ عَلَى الْجَمَاجِمِ وَالْحَدِيدِ^(٢)

نلاحظ ممَّا سبق مكانة دولة البحرين في نفس الشاعر الكويتي، إذ يتغنَّى فيها أوقات سَلَمَها وأمنها وصفاء جوِّها، ويتألَّم معها ولها في محنها وأزماتها، ويدعو نفسه والعرب إلى مؤازرتها ونصرتها وتخليصها من المستعمر.

تحدَّث الشعراء بحرقَة عن مملكة البحرين، وما تعانیه أَسَى، ثُمَّ أَشَادُوا بثورتها وفرحوا لها، حتَّى ليحسبهم القارئ شعراء بحرانيّين. كما يُلَاحَظ مدى اللحمة والاتصال بينهما، فيبثُّ الشاعر في قصائده قوميَّته التي اقتربت من الوطنيَّة غالباً، المنطوية على علاقة الودِّ والإخاء بين الدولتين الشقيقتين، ليكون الشاعر بذلك مرآة وطنه، وصوته الرسميّ لإعلان ودِّ العلاقة.

(١) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٨.

(٢) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ١٠٦-١٠٧.

ج - العُدوان البرتغاليُّ على سلطنة عُمان، والتدخُّل البريطانيُّ في أراضيها:

«عُمان»، هي رسمياً «سَلْطَنَة عُمان»؛ دولة عربيَّة مستقلَّة، وعضو في جامعة الدول العربيَّة، تقع في غرب آسيا، وتحتلُّ الموقع الجنوبيَّ الشرقيَّ من شبه الجزيرة العربيَّة. يحدها من الغرب المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ومن الجنوب الغربيَّ جمهورية اليَمَن، ومن الشمال الغربيَّ الإمارات العربيَّة المتَّحدة، ولديها ساحل جنوبيُّ مُطلُّ على بحر العرب وبحر عُمان من الشمال الشرقيِّ. ويعتبر نظام الحكم فيها ملكيًّا مُطلقاً، ولا يَسْمَحُ الدستور العُمانيُّ بالأحزاب السياسيَّة، بينما حقُّ الانتخاب مشروع ومكفول لكلِّ مواطن عُمانيٍّ بلغ الواحدة والعشرين من عمره لاختيار أعضاء مجلس الشورى.

تعود بدايات الاحتلال الأجنبيِّ لسلطنة عُمان إلى القرن السادس عشر، حين وصل البحَّار البرتغاليُّ ألفونسو دي ألبوكيرك^(١) إلى الهند عام ١٥٠٢م، فوضع حينها خطَّة للاستيلاء على منافع البحر الأحمر والخليج العربيِّ، لاستمرار السيطرة البرتغاليَّة. وقضت خطَّته باحتلال مدينة عَدَن لتأمين باب المندب، وإغلاق الملاحة في البحر الأحمر، وباحتلال هُرْمُز والمرافئ العُمانيَّة، والسيطرة على التجارة في الخليج.

وفي عام ١٥٠٨م بدأ الهجوم على جزيرة سوقطرة اليمنيَّة، ثمَّ اقتحمت السُّفن البرتغاليَّة ساحل الخليج، لتعيثُ فساداً وقتلاً وتنكيلاً في بعض المدن الساحليَّة، لكنَّ هذه الأعمال الوحشيَّة أثارت الحميَّة في نفوس العُمانيِّين، فكانوا يتحينون

(١) ألفونسو دي ألبوكيرك Alfonso.de Albuquerque (١٤٥٣ - ١٥١٥م)، قائد بحريٍّ وسياسيٍّ برتغاليٍّ، برز كمبعوث قويٍّ في إرساخ سلطة البرتغاليِّين في أفريقيا وآسيا. وكان في رأيه أنَّ الوسيلة الوحيدة لدء خطر العرب على نفوذه، هو إخضاعهم بالقوَّة، ليضمن تثبيت سيطرته على المنطقة، وتحقيق أهداف البرتغال. ولهذا وجد ضرورة إنشاء قلاع في مواقع استراتيجية يضمن منها حماية طرق التجارة البحريَّة والمصالح البرتغاليَّة على البر. وقد قتل الكثير من العرب في منطقة الخليج وعُمان. انظر: ويكيبيديا.

الفرصة لإعلان الثورة عليهم. وبعد ستّة عشر عاماً، انتفض شعب عُمان، وقام الثوّار بإحراق المراكب البرتغاليّة وقتل الحامية، إلّا أنّ الإمدادات العسكريّة التي وصلت إلى البرتغاليّين من الهند، أسهمت في القضاء على الكثير من المناطق المشتعلة بالثورة، وأتخذوا من هذا التمرّد عليهم ذريعة للتوسّع والسيطرة، فلم يرقّ ذلك الدولة العثمانيّة التي حاولت مراراً إرسال النجّادات البريّة والبحريّة لإيقاف البربريّة البرتغاليّة، فكانت المعارك تدور على أشدّها بين العثمانيّين والبرتغاليّين، وقد استطاع العثمانيّون الانتصار عليهم في عدّة معارك.

بدأ النفوذ البرتغاليّ يضعف في منطقة الشرق ومنها عُمان، ولعلّ السبب الرئيس احتلال إسبانيا للبرتغال، والمطامع البريطانيّة في الخليج العربيّ، إذ بدأت بريطانيا تبحث لنفسها عن موطئ قدم في منطقة الخليج، فتحقّق لها ذلك حتّى تمّت سيطرتها على ميناء هرمز، وطرد البرتغاليّين من المنطقة لثرتهم، وكانت عُمان من ضمن التركة البرتغاليّة للبريطانيّين. ومن هنا، حاول الإنجليز إقناع سكّان عُمان والخليج العربيّ بأنّ نزولهم في دول الخليج هو بقصد الفتح، وتحريرهم من الحكم البرتغاليّ الاستعماريّ، بيد أنّ العرب، أو أغلبهم، كانوا على معرفة بالنيّات الاستعماريّة البريطانيّة في المنطقة.

ولاحقاً، لم يكن الشاعر الكويتيّ غافلاً عن هذا التاريخ الحافل بالتفاصيل السياسيّة الدقيقة والحاسمة، وكأنّه عاصر الأحداث ونظم على هواها، فالشاعر أحمد السّقاف نظم قصيدته التي أشاد فيها بسلطنة عُمان حكومةً وشعباً، وقد جعل عنوانها «عُمان والخليج العربيّ»، في إشارة منه إلى التلاحم والأخوة بين السلطنة وكلّ دول الخليج العربيّ، مستذكراً بطولات الثوّار أمام المحتلّين، فقال:

نَوْخُوا الْبُرْتُغَالَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وَكَانُوا فِي الْحَرْبِ كَالطُّوفَانِ



وَأَذَاقُوا مَنْ جَاءَهُمْ يَطْلُبُ فَتًى
 حَا هَوَانًا مَا بَعْدَهُ مِنْ هَوَانٍ
 كَيْفَ تَنْسَاكِ أُمَّةٌ أَنْتَ مِنْهَا
 كَالْجَنَاحِ الْيَمِينِ فِي الْعِقْبَانِ^(١)

يشير الشاعر إلى البسالة التي تصدّى بها العمانيون للاحتلال البرتغاليّ البريّ والبحريّ، وكيف أنّهم كانوا على دراية بالنيّات الخبيثة للبريطانيّين الذين دخلوا البلاد بحُجّة الفتح، وكيف أنّهم قاوموهم أيضًا، ولم يسلموا لهم رقابهم، وأبوا الاعتراف بالمعروف المزعوم الذي تحاول الدول الاستعماريّة دائمًا اللعب على أوتاره، واختلافه لكسب تأييد الشعب المحتلّ، ولتبرير جرائمها وقرصنتها باسم السياسة والبحث عن السلام أمام شعوبها في دولها.

ويشير الشاعر عبدالله سنان محمّد إلى المحنة العُمانيّة، حين تعرّضت للتدخل البريطانيّ في أراضيها، والذي قُوِّل ببسالة من الشعب العمانيّ الثائر رغم قلة العدة والعتاد في أيديه، كما قاوموا من قَبْلُ الأسطول البرتغاليّ وردّه على أعقابهِ مدحورًا، فيقول:

هَنَنْتُوا سِخْسُونًا بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ
 وَاهْتَفُوا حَيُّوا الْأَسْوَدَ الْفَاتِحِينَ
 هَنَنْتُوهَا بِانْتِصَارَاتٍ عَلَى
 أُمَّةٍ عَزَلَاءَ تَأْبَى أَنْ تَلِينَ
 قَاوَمَتْ إِنْجِلْتِرَا نَزْوَى كَمَا
 قَاوَمَ الْأُسْطُولُ أَشْبَالَ الْعَرِينِ
 قَاوَمَتْ مُؤْمِنَةٌ بِالْحَقِّ لَا
 تَنْحَنِي وَالْفَوْزُ جِلْفُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) محمّد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتيّ، ص ٥١. [في الحروب: لإقامة الوزن الشعري].



وتُسَعَف الثقافة السياسيَّة الشاعرَ لاستحضار التاريخ القديم للبريطانيِّين؛ إذ إنَّ السكسونيِّين هم أبناء القبائل الذين وفدوا إلى إنجلترا واستقروا فيها، وتَّسموا بالهمجيَّة والاستعماريَّة وحبَّ السيطرة. وبذلك لا يتعرَّض الشاعر لجميع الشعب البريطانيِّ، بل يخصُّ الثُلَّة التي تدخلت في عُمان لاغتصاب سواحلها. فالشاعر يتهمُّ بالبريطانيِّين السكسون بتهنئتهم بالنصر المزعوم على شعب عُمان الأعزل الذي قاوم بكلِّ بسالة رغم الفارق الكبير بين تسليحه وتسليح الجيش البريطانيِّ، إلَّا أنَّ انتصاره جاء نتيجة لإيمانه بالنصر، وإيمانه بأنَّه شعب يقاقل محتلاً، وشعبٌ صاحب حقٍّ.

وفي هذا السياق جاء الأيوبيُّ بالمصطلح نفسه في وصفه للإنجليز المستعمرين، فقال في أثناء قصيدته «الشهداء» التي نظمها بُعيد حادثة البُراق في القدس عام ١٩٢٩م:

يَا وَيَحَكُّمُ يَا بَنِي سَكْسُونِ إِنَّكُمْ
غَدَرْتُمْ وَلَكُمْ لِلْغَدْرِ أَغْوَانٌ^(١)

ويستحضر الشاعر صقر الشبيب معاناة الشعب العُمانيِّ من المستعمر الأجنبيِّ، ويدعو البلاد العربيَّة إلى مؤازرتها، في قصيدته التي نظمها في مناسبة الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٦م، ويستذكر عُمان في تناوله للشعوب العربيَّة التي يضطهدها الاستعمار الأجنبيُّ، وفي توثيقه للجرائم البريطانيَّة على الشعب الآمن، فيحاول عدم الانسلاخ عن مبدأ الوحدة العربيَّة، ويأسى للآلام العربيَّة، والجرح الذي تعانيه بقاع كثيرة من الوطن العربيِّ، في محاولة منه لإيقاظ الضمير العربيِّ، وبعث وحدة العرب مجدداً، كي يجتمعوا على النصر، كما جمعهم العدوُّ على الهزيمة. فيقول:

كَمْ لَنَا شَعْبٌ حَبِيبٌ يَشْتَكِي
مِنْهُ شَرًّا بِالسَّانِ الْمُعَرَّبِ

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٩٩.

أَذْكُرُوا شَعْبَ عُمَانَ وَالَّذِي

يَتَلَقَّى مِنْ مُبْنِدِ الشَّجَبِ^(١)

وفي التشديد على دعوات الحث على الوحدة العربيّة وعدم فصل البلاد بعضها عن بعض، وخصوصاً أقطار الخليج العربيّ، يذكر الشاعر الأيوبيّ سلطنة عُمان بين الدول التي ثارت ثائرتها، وضجّت ساحاتها، وجلجل شعبها، إبّان العدوان الثلاثيّ على مصر عام ١٩٥٦م، فيصف الحميّة التي ثارت في نفوس العُمانيّين وغيرهم من دول الخليج العربيّ، فيقول:

وَفِي الْكُوَيْتِ أَنَاشِيدٌ وَفِي قَطَرٍ

وَفِي عُمَانَ يُغْنِيهَا الْأَلَى وَتَبُّوا^(٢)

الشاعر جمع في أبياته ما ثار من دول الخليج العربيّ غضباً على العدوان الثلاثيّ، وانتصاراً للشعب المصريّ، إلّا أنّ القوميّة التي اتّجهت عواطفها إلى خارج نطاق الخليج العربيّ، دليلٌ حقيقيّ على نموّ الوعي القوميّ لدى الشاعر الكويتيّ أولاً، ودولة الكويت ثانياً، ودول الخليج العربيّ كلّها ثالثاً.

وبعد قيام الثورة العُمانيّة عام ١٩٥٦م في مواجهة الاحتلال البريطانيّ لدحره من البلاد والسعي إلى الاستقلال عنه، نظم الأيوبيّ قصيدته «عُمان الثائرة» التي بارك فيها الثوّار العُمانيّين، وأشاد ببطولاتهم فقال:

إِلَى ابْنِ عُمَانَ أَرْفُ النِّعَمِ

وَأَشْدُو لَهُ بِجَمِيلِ النِّعَمِ

فَنَوْرَتُهُ فِي ظِلَالِ الرَّدَى

تَغْنَى لَهَا كُلُّ قَلْبٍ وَقَمِ^(٣)

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٧٠.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٨١.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٦٠.

وشدّد الأيوبيّ على مناصرته للتوّار العُمانيّين، وأوضح وقوف الشعب الكويتيّ
مع نضالهم ليتحرّروا من القيد البريطانيّ، فقال:
أَيَا ابْنَ الْعُرُوبَةِ إِنَّا هُنَا
نُحْيِيكَ فَاسْلَمْ عَظِيمَ الْهَمَمِ^(١)

تجدُر الإشارة إلى ندرة التغطية الإعلامية في سلطنة عُمان في فترة الثورة
العُمانيّة وبعد خرق بريطانيا لمعاهدة السيب ١٩٢٠م واحتلالها لمدينتي فهود ونزوى
عام ١٩٥٥م، إلى أن تلاشت الثورة عام ١٩٦٥م، ولم يكن يُسمح للمؤسّسات الدوليّة
الحقوقيّة والإنسانيّة بدخول عُمان؛ فضلّت الأحداث والوقائع مجهولة للعالم بشكل
كامل تقريباً، باستثناء زخّات أخباريّة وإعلاميّة تركّزت في الوطن العربيّ عن
الأحداث التي جرت في هذه الفترة^(٢).

د - العدوان البريطانيّ على العراق، وثورة رشيد عالي الكيلاني^(٣)

الكويت والعراق بلدان شقيقان في جغرافيا الوطن العربيّ، وتربط بين
شعبيهما علاقات الأخوة والدم منذ القدم، أيّام كانت شبه الجزيرة العربيّة وطناً

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٦١.

(٢) موقع الحارة العُمانيّة، حرب الجبل الأخضر ١٩٥٧-١٩٥٩: الأسباب والنتائج. [موقع إلكترونيّ].

(٣) رشيد عالي الكيلاني (١٨٩٣ - ١٩٦٥م) سياسيّ ورجل دولة عراقي، من عائلة بغداديّة غنيّة لها مكانتها
الدينيّة والاجتماعيّة المرموقة. درس الحقوق وعمل بتدريس القانون، عرف بميوله العربيّة والقوميّة. عُيّن عضواً
بمحكمة التمييز، فوزيراً للعمل عام ١٩٢٤، وتقلّد عدداً من المناصب الوزاريّة المهمّة في العراق آنذاك. بعد
إعلان الحرب العالميّة الثانية، رأى الوصيّ على العرش عبدالإله أن يساير الرأي العامّ العراقيّ الذي استنكر
الدسائس البريطانيّة المحيطة بمقتل الملك غازي، فطلب إلى الكيلانيّ أن يرئس حكومة أقطاب تضمّ كبار ساسة
العراق، وتمّ تأليف الوزارة إلاّ أنّها سرعان ما اصطدمت بالإنجليز، وتحولّت بعد ذلك إلى حراك مسلّح عام
١٩٤١ في ما عُرف بثورة رشيد عالي الكيلاني، حيث خاضت القوّات العراقيّة النظاميّة والشعبيّة معركة غير
متكافئة انتهت بفشل الثورة الوطنيّة، وعقد هدنة في الثلاثين من أيار - مايو ١٩٤١، أي يوم مغادرة الكيلانيّ
ورفاقه أرض العراق. وقد لجأ الكيلانيّ إلى إيران ثمّ إلى ألمانيا والسعوديّة ومصر، وعاد إلى العراق بعد
ثورة ١٤ تمّوز ١٩٥٨، وتوفّي في بيروت صيف عام ١٩٦٥. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة،
٢م، ص ٨١٨-٨١٩.

واحدًا مشتركًا، فقد كان الشاعر الكويتي متابعًا لأوضاع شقيقه السياسيّة، يتألم لأمله، ويفرح لفرحه، ويرى المصاب مشتركًا بينهما كما النصر. وتوضّح النماذج الشعريّة متابعة الشعراء الكويتيين الأوضاع السياسيّة في العراق بقلق، وقد أظهروا مرارًا رفضهم التدخّل الأجنبيّ في شؤونهم بشكل مباشر أو غير مباشر. وعلى الرغم من أنّ الكويت لم ترضخ للعدوان الإنجليزي المحتلّ لجارتها العراق، يكاد الحسّ القوميّ لدى أبنائها لا يصدر إلاّ عن شعبٍ ذاق مرارة الاحتلال وعاناه، وبهذا كان الشعر القوميّ التفصيليّ الذي يخرج من بلدٍ آمن إلى آخر شقيق مستعمر، يشكل دليلًا قاطعًا على الانتماء القوميّ إلى الوطن العربيّ الواحد.

كانت العراق في الفترة الممتدة بين الحرب العالميّة الأولى والحرب العالميّة الثانية خاضعة للانتداب البريطانيّ؛ حيث الحكومة البريطانيّة هي الحاكم الفعليّ في العراق، ولم تجد بريطانيا سبيلًا أفضل من تحويل العراق إلى الحكم الملكيّ، فأسس البريطانيّون حكمًا ملكيًا فيه، تقلّده الملك فيصل الثاني بن غازي الهاشمي الذي وقّع اتفاقيّات امتياز مع الإنجليز، كي يستطيعوا الحكم من خلال المؤسّسات السياسيّة التي أنشئت لهذه الغاية، ورجالاتها المواليين لها المتبوّئين أعلى المناصب في دولة العراق.

لم يكن هذا الوضع السياسيّ البعيد عن الاستقرار والاستقلال يروق الأحرار العراقيّين الراغبين في تأسيس الجمهوريّة العراقيّة المستقلّة عن الانتداب البريطانيّ، وعلى رأسهم رشيد عالي الكيلاني الذي كان يشكّل رمزًا للمعارضة الوطنيّة في وجه الوصيّ الملكيّ والمندوب البريطانيّ، فاستغلّ منصبه السياسيّ رئيسًا لمجلس الوزراء، وسارع إلى القيام بانقلاب على المؤسّسات الملكيّة التابعة لبريطانيا، وساعده في ذلك مجموعة من الضباط الأحرار الراغبين في إنهاء التبعيّة.

«وكانت هذه التطورات موضع معارضة بريطانية، فأخذت تماطل في الاعتراف بالانقلاب وتعدُّ العدة للقضاء عسكرياً على الحكم الوطني الجديد. وفي الثاني من مايو عام ١٩٤١م أعلنت بريطانيا الحرب على العراق، وفتحت النار من قاعدة الحَبَّانِيَّة، وأنزلت قوَّات كبيرة في البَصْرة، وتحركت القوَّات من الأردن نحو الرُّطبة والرَّماحي فَبَغْداد. وقد شارك في الدفاع عن الحكم الوطني أبناء الشعب...»^(١). وبهذا بدأت الثورة العراقية حين تدخلت بريطانيا لإسقاط حكومة الرشيد «حكومة الإنقاذ الوطني» بعد استقالة حكومة نوري السعيد»، والدفاع عن الحكومة المستقيلة الموالية لها.

ووقف الشعراء الكويتيون من الثورة موقفهم الإنساني والقومي الموالي للثورات العربية على المستعمر، والمعارض لأي وجود أجنبي على الأرض العربية، فنظم الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري قصيدة ندِّ فيها بالتدخل السافر للقوَّات البريطانية في العراق، وأشاد بالعراق المباركة أرض الأجداد: المُنْتَى^(٢) وهَارُون الرشيد^(٣)، وأكَّد دعمه ثورة القائد رشيد عالي الكيلاني، ودعاه إلى السير قدماً في مناضلة المستعمر:

(١) عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، م١، ص ٩٠٨.
(٢) المُنْتَى بن حارثة الشيباني (...-١٤هـ،...-٦٣٥م) المُنْتَى بن حارثة بن سَلَمَة بن ضَمَضَم بن سَعْد بن مُرَّة الربعي الشيباني البكري الوائلي. من أشرف قبيلته بكر، وشيخ حربها، تميَّز برجاحة عقله وحسن إدارته المتميزة في المعارك. أسلم سنة تسع للهجرة، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب، حين سَير الخليفة أبا عبيد بن مسعود الثقفي في جيش إلى المُنْتَى، فاستقبله المُنْتَى واجتمعوا ولَقُوا الفُرس بـ«قَسَّ النَّاطِف» واقتتلوا فاستشهد أبو عبيد، وجُرح المُنْتَى جراحاً مات متأثراً بها قبل معركة القادسية. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٢٧٦.
(٣) هَارُون الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ، ٧٦٦-٨٠٩م) هَارُون بن مُحَمَّد المهدي بن المنصور العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالري في العراق لمَّا كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ، وازدهرت الدولة في أيامه، واتَّصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان «Charlemagne» فكانا يتهاديان التَّحَف. كان رجل دولة مشهوراً بحكمته وشجاعته، وهو صاحب وقعة البرامكة، حين أوقع بهم في ليلة واحدة. دامت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وبعض السنة، وتوفي في «سَنَابَاز» من قُرَى طُوس، وبها قبره. انظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج٧، ص ٢٢.

يَا بَرِيطَانِيَا أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ
عَثَّتْ فِي أَرْضِ الْمُتَنَّى وَالرَّشِيدِ
خُنْتُ مَا قَدْ كَانَ عَهْدًا بَيْنَنَا
وَتَعَدَّيْتُ عَلَى أَرْضِ الْجُدُودِ
هَلْ ظَنَنْتِ الْعُرْبَ يَرْضَوْنَ بِمَا
قُفِّمَتْ فِيهِ أَمْ ظَنَنْتِهِمْ عَبِيدُ؟
لَا وَرَبِّي إِنَّهُمْ لَنْ يَقْبَلُوا
رَايَةَ الظُّلْمِ فَهَيَّا يَا رَشِيدُ
سِرْ وَقَدْ جَيْشًا مِنَ الْأَبْطَالِ قَدْ
جَاءَ مِنْ كُلِّ بِلَادٍ وَصَعِيدُ^(١)

كما حيَّا الأيوبيُّ الثورةَ العراقيَّةَ على الاحتلال البريطانيِّ، ووصف الغضب
الشعبيَّ العارم في العراق، وتفاعل العراقيين مع ثورة الكيلانيِّ، في بغداد والنَّجَف
والمُوصل، والمدن التابعة لهذه المحافظات الكبرى، في تشديد منه على الحاضنة
الشعبيَّة المتينة للكيلانيِّ، والرغبة الشعبيَّة المتوافقة مع أهداف الثورة لمقاومة
الاحتلال البريطاني وإقالة الحكومة المؤتمرة بأمره:

وَفِي الْعِرَاقِ الْأَبْيِّ اهْتَزَّتِ الدِّمْنُ
بِثَوْرَةٍ لَمْ يُلَوِّثْ طَهْرَهَا الْوَهْنُ
بَغْدَادُ وَالنَّجَفُ الْمَيِّمُونَ حَوْلَهُمَا
قَدْ اسْتَجَابَتْ إِلَى قَارَاتِهَا الْمُدُنُ

(١) مؤسَّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريِّ، ديوان عبدالله زكريَّا الأنصاريِّ، ص ١٢٩.

وَنَارَتِ الْمُؤَصِّلُ الْحَذَبَاءُ ضَارِبَةً

مِيثَاقَ بَغْدَادٍ^(١) فِي وَجْهِ الْأَلَى لُعْنُوا^(٢)

ويرى الأيوبي أن السبب المباشر للتدخل العسكري البريطاني، هو رئيس الحكومة المستقيل نوري السعيد الذي حاول جاهداً إثبات ولائه للإنجليز، واستطاع إقناعهم بالقضاء على الثورة الوطنية، ليعود إلى سدة الحكم مجدداً، ليكون العين البريطانية في العراق، فقال:

نُورِي السَّعِيدُ وَمَنْ وَالَاهُ مِنْ نَفَرٍ
شَلَّتْ أَيْادِيَهُمْ بِالْغَدْرِ قَدْ مَرَنُوا
هُمُ الْخِيَانَةُ فِي أَشْقَى مَخَائِلِهَا
تَكْشَفَتْ وَبِهَا كَمْ عُذِّبَ الْوَطَنُ
نَارَ الْعِرَاقُ فَلَنْ يَشْقَى بِثَوْرَتِهِ
وَهُوَ الْأَبْيُّ عَلَى الْأَمْجَادِ مُؤْتَمَنُ^(٣)

أصرَّ الأيوبيُّ في أبياته التي انتقد فيها رئيس الحكومة نوري السعيد، على استدعاء الشخصية باسمها الحقيقي من غير تلميح أو رمز، وكأنَّه يسلم الأخير عن أصله العربي، وينسبه إلى المحتل الذي أعانه على أبناء شعبه. كما استحضر

(١) حلف بغداد «السنتو»: اتفاقية تعاون عسكري وأمني أبرمت بين العراق وتركيا بوجي من الدوائر الاستعمارية الغربية في فبراير عام ١٩٥٥م، وانضمت إليها كل من بريطانيا وباكستان وإيران في العام نفسه، وعُرف باسم حلف بغداد، مقر الحلف. وأنشأ الحلف مجالس وزارية ولجاناً عسكرية واقتصادية، وقد انضمت الولايات المتحدة إلى عضوية اللجان العسكرية والاقتصادية. واستهدف الغرب من وراء هذا الحلف تأمين مصالحه الدولية والمحلية. فعلى الصعيد الدولي كان الحلف حلقة من حلقات الأحلاف العسكرية التي أقامها الغرب للإحاطة بالاتحاد السوفييتي والمنظومة الشيوعية ومنع انتشار النفوذ السوفييتي والشيوعية بالقوة بعد الحرب العالمية الثانية. أمّا على الصعيد المحلي فكان الهدف حماية الأنظمة العميلة التابعة له بالقوة والإرهاب، وتأمين غطاء سياسي قانوني لوجود قواته العسكرية في المنطقة، وإطلاق يده في التدخل بالشؤون الداخلية لدول مستقلة، وضرب حركة التحرر العربي التي أخذت تقوى وتشتد في الخمسينيات، وتشكل تهديداً كبيراً لمصالحه البترولية المتزايدة في المنطقة. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٥٤٨.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٨٠.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٨٠.

الشخصية نفسها في قصيدة أخرى، تعرّض له فيها بالقدح والاتّهام بالعمالة
للبريطانيين والخيانة للعراق، يوم عقد الأخير «حلف بغداد» في فبراير عام
١٩٥٥م فقال:

وَأَنْحَسُ النَّاسُ فِي بَغْدَادَ مُرْتَكِزُ
كَأَنَّهُ صَنَمٌ أَوْ ثَغْلَبٌ جَشِعُ
يَا مُبْرِمَ الْحِلْفِ مَهْلًا هَذِهِ نُذُرُ
تَنْهَالُ حَنْمًا وَمَا لِلصَّبْرِ مُتَسَعُ
شَعْبُ الْعِرَاقِ الْأَبْيُّ الْحُرُّ كَدَتْ لَهُ
كَيْدًا أَثِيمًا وَقَدْ أَوْدَى بِكَ الْجَشَعُ^(١)

وينتقد الأيُّوبيُّ في نوري السعيد سعيه وراء أطماعه الشخصية على حساب
تدمير شعب العراق الحرّ، وكيدِه للتوّار الأحرار للقبض عليهم وإعدامهم بعد ذلك.
وفي العلاقة الوثيقة بين نوري السعيد والحكومة البريطانية، والاتّفاق الذي تمّ
عقده في بغداد «دار السّلام»، يقول الأيُّوبيُّ:

أَيَّامُكَ السُّودُ فِي دَارِ السَّلَامِ لَهَا
فِي كُلِّ قَلْبٍ، أَوَّارُ النَّارِ يَلْتَمِعُ
يَا عَاشِقَ انْكِلتِراً هَذَا مَكَائِدُكَ السَّدُ
سُفْلَى تَجَلْجَلُ بِالْأَوْغَادِ مَنْ خَنَعُوا^(٢)

إنَّ المتنبّع للشعر السياسيّ في الكويت في النصف الأوّل من القرن العشرين،
وخصوصاً الشعر القوميّ التحرّريّ الذي تمازج مع شعر المقاومة، يستطيع إدراك
مدى اللّحمة العربيّة بين أبناء شبه الجزيرة العربيّة أوّلاً، والوطن العربيّ كلّه ثانياً،
وأنّ الوحدة بين الشعوب قائمة منذ الأزل، إلّا أنّ الوحدة بين الحكّام كانت تشكّل

(١) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٦٧.

(٢) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٦٨.

العائق أمام ذلك، وما زالت، فثمّة حكوماتٍ تحاول تأطير الوحدة وحصرها في الدعوات النظرية بعيداً عن التطبيق.

وجدنا الشاعر الكويتي مهتماً بالتاريخ السياسي لشبه الجزيرة العربية ومعتبياً بتدوينه شعراً، مازجاً بين التوثيق التاريخي والبراعة الشعرية، كالشاعرين عثمان ابن سَند وخالد الفَرَج. وعلى قلة ما وصل إلينا من قصائد سياسية تصوّر الكفاح الشعبي في وجه المستعمر الخارجي، فإننا لا نعزو ذلك إلى قلة إنتاج شعراء تلك المرحلة في الكويت، بل إلى محدودية المواجهات الحربية المقاومة للاحتلال الأجنبي في شبه الجزيرة، التي تكاد تنحصر في مملكة البحرين وسلطنة عُمان والعراق.

بيد أن العالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين شهد أصنافاً متعدّدة من الاستعمار، ومن دول متعدّدة، كان لها بالغ الأثر على الحياة بكل أشكالها في الوطن العربي، وعلى تحريض قريحة الشعراء العرب أينما وجدوا، والكويتيون منهم كأساس للدراسة على وجه التحديد. وستكشف لنا النماذج الشعرية اللاحقة مزيداً من مظاهر القومية العربية عند الشعراء الكويتيين، وغزارة تدفقها شعراً لديهم، بالإضافة إلى الوقوف على أبرز المراحل الاستعمارية التي مرّت بها دول بلاد الشام من وجهة نظرهم وبناءً على توثيقهم التاريخي لأحداثها.

ثالثاً: قضايا التحرّر من الاستعمار في بلاد الشام

لم تكن بلاد الشام بعيدة عن الصراعات السياسية في العالم العربي، بل كانت محط أنظار المستعمرين الغربيين؛ فتشابعت البلدان في معاناتها من همجية المستعمر وطغيانه، بيد أن وسائل الاحتلال تنوّعت في كل منها، فكان أكثرها تأثيراً وأشدّها وقعاً الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين. ونتيجة لأهمية هذه القضية، والاهتمام الكبير من الشعراء الكويتيين بمجريات أحداثها، وأسفهم وحزنهم على تفریط العرب بها، كان طبيعياً أن تحتلّ مركز الصدارة عند الحديث عن الشعر السياسي في الكويت في الفترة التي عاصرت الاحتلال، ودراستها قبل غيرها من

القضايا السياسية في دول بلاد الشام الأخرى؛ لكثرة النماذج الشعرية التي نظمها الشعراء فيها مقابل ما نظموه في غيرها، ولما لها من أهمية سياسية وإنسانية، وما تركته من أثر في نفس كل عربي يحلم بالوطن العربي الكبير.

أ - قضية فلسطين في التاريخ والشعر

إن أعظم نكبة سياسية استعمارية مُنيت بها بلاد الشام، ثمّ العالم العربيّ كله، احتلالُ العدوِّ الصهيونيِّ الإسرائيليِّ لمعظم دولة فلسطين، وبذلك جعلها القضية الأساسية لدى الشعوب العربية في خضم الصراعات الاستعمارية في الوطن العربيّ. ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا الحدث المخزي للعرب، فثارت نائرة الشعراء لذلك، ومنهم الشعراء الكويتيون، إذ لم يدّخروا منبراً خطابياً أو مناسبة أو احتفالاً إلا رثوا فلسطين فيه، مسلّطين الضوء على جرائم المحتلّ الصهيونيّ على أرضها المباركة، ومصورين الظلم الذي يتعرّض له شعبها حيناً، وتخاذل العرب وتقايسهم حيناً آخر، داعين إلى وحدة عربية تُعيد المجد القديم باسترجاع فلسطين من دنس محتليها أحياناً كثيرة. وللوقوف على دور الشاعر الكويتي في تأريخ القضية الفلسطينية وتوثيقها شعراً، نورد نبذة تاريخية سياسية عن مجريات الأحداث في فلسطين منذ المطامع الإسرائيلية فيها، إلى الاستيطان.

١ - لمحة سياسية

للقضية الفلسطينية أثر بالغ في نفوس الشعوب العربية؛ حيث كانت ولا زالت الهمّ العربيّ المشترك، منذ اتّجهت المخططات الصهيونية والاستعمارية إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، وذلك عندما صرّح «حاييم وايزمن»^(١) في رسالة وجّهها إلى

(١) حاييم وايزمن Haim Weizummann (١٨٧٤-١٩٥٢م)، زعيم صهيونيّ وعالم كيميائيّ وأوّل رئيس لإسرائيل. ولد في روسيا، وتلقّى تعليمًا دينيًا في طفولته، ودَرس علومه العالية في برلين وفرانكفورت. كان من زعماء الجناح الديمقراطي في المؤتمر الصهيوني السادس الذي دعا إلى انتهاج الصهيونية العملية، بعد فشل جهود هرتزل الدبلوماسية للحصول على إذن باقتطاع فلسطين من الدولة العثمانية. تولى رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية اليهودية بين ١٩٢٠-١٩٤٨م، باستثناء الفترة الواقعة بين ١٩٣١-١٩٣٥م. بذل جهوداً كبيرة مع ترومان من أجل حصول الصهاينة على النقب. أهمُّ مؤلفاته كتاب «التجربة والخطأ». ركز وايزمن جهوده على العمل التقنيّ، لذلك سعى إلى تقريب الصحفيين والمثقفين منه في دعم فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج٧، ص ٢٥٤-٢٥٥.

«تشارلز سكوت»^(١) في تشرين الثاني عام ١٩١٤م قائلاً: «في حالة وقوع فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني، وإذا ما قامت بريطانيا بتشجيع استقرار اليهود هناك، باعتبارها محميةً بريطانيةً، فإننا نستطيع خلال عشرين أو ثلاثين سنة جمع مليون يهوديٍّ هناك، وقد يكون العدد أكبر من ذلك، فيقومون بإعمار البلاد، ويعيدون المدنيةَ إليها، ويشكلون في الوقت نفسه حرساً مهماً لقناة السويس»^(٢).

بعد هذا التفكير الأوروبي المبكر في السيطرة على فلسطين لتوطين اليهود فيها، أرادت الدول الأوروبية إزاحة الدولة العثمانية عن الرقعة العربية؛ للسيطرة على هذا الإرث العثماني، ولم تجد من سبيل إلى ذلك إلا الاستعانة بالعرب أنفسهم، أو بعض منهم؛ فكان ذلك سبب الاتفاق بين «الشريف حسين»^(٣) و«مكماهون»^(٤) للثورة على الدولة العثمانية، على أن تلتزم بريطانيا الاعتراف بخليفة عربيٍّ للمسلمين حين إعلان الخلافة، والاعتراف بدولة عربية مستقلة ضمن حدود اتفق

(١) تشارلز سكوت Charles Scott (١٨٤٦-١٩٣٢م)، الصحفي البريطاني البارز الذي قام بتحرير جريدة مانشستر غارديان المعروفة باسم «الغارديان- Guardian The» منذ عام ١٩٥٩م. دُرِس في جامعة أكسفورد، وتخرَّج عام ١٨٦٩م. انظر: ويكيبيديا.

(٢) آلان تايلور، مدخل إلى إسرائيل: الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧-١٩٤٧م، ترجمة: شكري محمود نديم، ط٣، بغداد: مطابع شركة دار الجمهورية، ١٩٦٥، ص ٢٣.

(٣) الشريف حسين (١٨٥٤-١٩٣١م)، حسين بن علي الهاشمي، مؤسس المملكة الحجازية الهاشمية، وأول من نادى باستقلال العرب عن حكم الإمبراطورية العثمانية. ولد في إسطنبول حينما كان والده منفياً فيها، فألمَّ باللغة التركية وحصل على إجازات في المذهب الحنفي. عاد إلى مكة وسنَّه ثلاث سنوات. بعد التوجُّه القومي التركي للدولة العثمانية نصحه ابنه عبدالله بالتفاوض مع البريطانيين للمطالبة بمساعدتهم للانفصال عن الدولة العثمانية ولقبول خلافة إسلامية عربية، فتواصل معه البريطانيون من مصر، وعرضوا عليه خدماتهم من خلال ما عُرف بمراسلات «حسين مكماهون». قاد الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م متحالفاً مع البريطانيين على الدولة العثمانية لجعل الخلافة في العرب بدلاً من الأتراك، ولقَّب بملك العرب. انظر: ويكيبيديا.

(٤) هنري مكماهون Henry McMahon (١٨٦٢ - ١٩٤٩م)، الممثل الأعلى لملك بريطانيا في مصر، اشتهر بمراسلاته مع شريف مكة حسين بن علي بين عامي ١٩١٥ و ١٩١٦م في خلال الحرب العالمية الأولى. موضوع الرسائل يدور حول المستقبل السياسي للأراضي العربية في الشرق الأوسط؛ حيث كانت المملكة المتحدة تسعى لقيام ثورة مسلحة على الحكم العثماني. وعد مكماهون الحسين بن علي باعتراف بريطانيا بالجزء العربي من آسيا إذا شارك العرب في الحرب على الدولة العثمانية. منح عام ١٩٢٠م وسام النهضة من الدرجة الأولى من ملك الحجاز. ورفع عام ١٩٢٥م إلى درجة فارس العدالة في نظام سان جون. انظر: ويكيبيديا.

عليها الطرفان. وتجدر الإشارة إلى أنَّ فلسطين كانت تدخل ضمن حدود الدولة العربية المتَّفَق عليها.

وبعد أن قام العرب بالثورة، وأعلنوا الحرب على الدولة العثمانية في الخامس من حزيران عام ١٩١٦م، تبيَّن أنَّ بريطانيا توصَّلت في مفاوضات أخرى مع فرنسا إلى عقد اتفاقية «سايكس بيكو»^(١)، في أيار- مايو عام ١٩١٦م، تتضمن الاستيلاء على الأراضي التي كانت خاضعة للدولة العثمانية، واقتسامها كمناطق انتداب في ما بينها، واتفاقهما المسبق على أن تكون فلسطين هي الموطن المقترح لليهود. وتمَّ إثبات ذلك من خلال إعلان وزير خارجية بريطانيا آنذاك «آرثر جيمس بلفور»^(٢)،

(١) سايكس بيكو: تفاهم سرِّي استعماري بين بريطانيا وفرنسا متمم لاتفاق بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم السلطنة العثمانية والاستيلاء على المشرق العربي -سوررية الطبيعة- في أعقاب دخول الأتراك الحرب إلى جانب ألمانيا. وقد توصَّلت فرنسا إلى الاتفاق النهائي بشأن التفاهم السري بعد أن عيّنت الحكومة الفرنسية المسيو «جورج بيكو» قنصلها العام في بيروت في التاسع من تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٥م مندوباً سامياً مكلفاً بمفاوضة الحكومة البريطانية بشأن مستقبل الولايات العربية في السلطنة العثمانية مع مندوب الحكومة البريطانية السير «مارك سايكس» عضو مجلس العموم البريطاني والمهتم بالشؤون العربية والمندوب السامي البريطاني لشؤون الشرق الأدنى. وقد تمَّ تبادل إحدى عشرة رسالة تحدت بموجها بنود الاتفاقية التي سُمِّيت باسم المتفاوضين «سايكس بيكو» والتي جرى توقيعها سرّاً في القاهرة في السادس عشر من أيار - مايو ١٩١٦م. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٣، ص ١٢٠.

(٢) جيمس آرثر بلفور James Arthur Balfour (١٨٤٨-١٩٣٠م) سياسي بريطاني محافظ، وصهيوني صاحب التصريح أو الوعد السيئ الصيت الذي حمل اسمه، والصادر عن الحكومة البريطانية عام ١٩١٧م. تلقى تعليماً مشبعاً بتعاليم العهد القديم. اهتمّ بالمسألة اليهودية في الفترة بين ١٩٠٢-١٩٠٥م في أثناء توليه منصب رئيس الوزراء، حين بدأت موجات هجرة يهود شرق أوروبا تجتاح بريطانيا، ووقف منها موقف المعارض. وفي عام ١٩٠٦م قابل الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن وأعجب به. استعاد إعجابه بالصهيونية عندما عُيِّنَ وزيراً للخارجية عام ١٩١٦م لأهداف متصلة بمحاربة النزعة الثورية المنتشرة بين يهود شرق أوروبا، ولإيمانه بمقدرة اليهود التأثير في الرئيس الأمريكي ولسون في اتجاه إدخال الولايات المتحدة بجانب الحلفاء، علاوة على الأهداف الاستراتيجية التي تجنيها بريطانيا من جرّاء بسط هيمنتها على فلسطين بسبب رعايتها للصهيونية ومن خلالها. ساعد الصهيونية في مرمترات السلم التي عُقدت بعد الحرب والتي أقرت الانتدابات على المشرق العربي. اعتزل السياسة عام ١٩٢٢م وشارك في افتتاح الجامعة العبرية عام ١٩٢٥م حين استقبلته فلسطين بالإضراب العام، كما استقبلته دمشق بالتظاهرات الصاخبة، واضطرت السلطات الفرنسية إلى تهريبه تحت الحراسة المشددة. يوجد في إسرائيل مزرعة تعاونية تدعى «بالفوريا» أسستها جماعة من المستوطنين اليهود من الولايات المتحدة. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٥٦٠.

بالتصريح أو الوعد الذي حمل اسمه «وعد بلفور»^(١)، والذي أرسله ضمن رسالة في تشرين الثاني عام ١٩١٧ إلى اللورد الصهيونيّ الثريّ «ولتر روتشيلد»^(٢) يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية إنشاء وطن قوميّ لليهود في فلسطين. إلى هذا الوطن القوميّ أشار الأيوبيّ في قوله:

وَفِرْيَةُ الْوَطَنِ الْقَوْمِيّ آيْتَكُمْ
مَا خَوَّلَتْهَا قَوَانِينٌ وَأَدْيَانٌ
لَكِنَّهَا فِكْرَةٌ خَرَقَاءُ مَوْهَهَا
عَلَى خُلُومِكُمْ الْجَوَفَاءِ شَيْطَانٌ^(٣)

في هذه المرحلة المبكرة من الاحتلال، كانت بريطانيا تعتبر فلسطين منطقة انتداب تابعة لها، ويعود ذلك إلى رغبتها في توفير الحماية للأقليات اليهودية التي بدأت بالتوافد إليها من أوروبا، إلا أنّ الإدارة العسكرية في بريطانيا أنهت حكمها العسكريّ في تلك المنطقة، وآثرت أن تقيم إدارة مدنيّة يُعيّن من خلالها مندوبوه عن الحكومة البريطانية في هذه المناطق. ومن هنا كان تعيين اللورد اليهوديّ هربرت صموئيل وزير داخلية بريطانيا السابق، أوّل مندوبٍ سامٍ لها في فلسطين، حيث بدأ العمل على توطين اليهود وتهويد البلاد.

(١) تصريح بلفور «وعد بلفور»: هو التصريح البريطانيّ الرسميّ الصادر في الثاني من نوفمبر ١٩١٧م والذي أعلنت فيه الدول الاستعماريّة تعاطفًا مع الأماني اليهوديّة في إقامة وطن قوميّ لليهود في فلسطين، وذلك على شكل رسالة بعث بها اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانيّ إلى اللورد روتشيلد، المليونير اليهوديّ البريطانيّ المعروف. انظر: عبد الوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج١، ص ٥٦٠.

(٢) ليونيل والتر روتشيلد Walter Rothschild (١٨٦٨ - ١٩٣٧م)، زعيمٌ يهوديّ صهيونيّ، ومصرفيّ بريطانيّ، وسياسيّ وعالم حيوان. كان الابن الأكبر ووليّ عهدٍ للورد ناثان روتشيلد. زعيم الطائفة اليهوديّة في إنكلترا آنذاك، وتقرّب إليه كل من حاييم وايزمان -أوّل رئيس لإسرائيل فيما بعد- وناحوم سوكولوف، ونجحا في إقناعه بالسعي لدى حكومة بريطانيا لمساعدة اليهود في بناء وطن قوميّ لهم في فلسطين، ولم يتردّد ليونيل، بل سعى أيضًا لاستصدار وعد بلفور، وإلى إنشاء فيلق يهوديّ داخل الجيش البريطانيّ في الحرب العالميّة الأولى. انظر: ويكيبيديا.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٠٤.

وسَّعت الحكومة البريطانية إلى محاولات شتَّى لإلغاء الهويَّة الفلسطينية؛ من خلال مؤامرة رهيبة كان من أبرز خيوطها: «حرمان أهل فلسطين من بناء مؤسساتهم الدستوريَّة وحكم أنفسهم، ووضعوا تحت الحكم البريطانيِّ المباشر، وأعطى المندوبون السَّامون صلاحيَّات مُطلقة، وضَيِّقت بريطانيا على الفلسطينيين سُبُل العيش وكسب الرزق، وشجَّعت الفساد، وسَّعت لتعميق الانقسامات العائليَّة والطائفيَّة، وإشغال أبناء فلسطين ببعضهم. وفي المقابل شجَّعت الهجرة اليهوديَّة»^(١).

إلا أنَّ محاولات اغتصاب فلسطين من العرب بالسياسة والتفاوض قد باءت بالفشل، فجعلت اليهود المتمثِّلين باللورد هيربرت صموئيل يلجأون إلى القوَّة لإقامة الدولة اليهوديَّة، وإرغام العرب على قبول الواقع والتسليم به. وهذا ما فضحته اللجنة الملكيَّة^(٢) في تقريرها؛ إذ تقول: «يُلحُّ الصهيونيُّون على الحكومة المنتدبة بإنشاء الدولة اليهوديَّة بالقوَّة والعُنْف، ولكنَّا نرى أنَّه لو اتَّخذت الحكومة سياسة أشدَّ من السياسة التي تسير عليها، لتمكَّنت من كبح جماح هذا النزاع مدَّة من الزمن، ولكنَّه لا يمكن أن يتسنَّى لها بذلك أن تقوى على إزالته نهائيًّا»^(٣).

وأمام هذا الخطر الإسرائيليِّ المروِّع، وخيبة الفلسطينيين من نيل استقلالهم المبكِّر قبل تفاقم الخطر، وتمادي الحكومة البريطانيَّة في الكيد لهم والتَّأمر عليهم، وتحقيق المطامع الصهيونيَّة على حسابهم، لم يكن أمام الفلسطينيين إلاَّ النُّضال والقتال دفاعاً عن الأرض المغتصبة، والدُّود عن الحمى المهْدَّ بالضَّياع، فبدأت ثوراتهم على المحتلِّ تتحوَّل إلى المواجهة المباشرة مع آلة الفتك الصهيونيَّة، مقابل

(١) محسن محمَّد صالح، القضية الفلسطينية: خلفيَّات التاريخيَّة وتطوُّراتها المعاصرة، [طبعة مزيدة ومنقَّحة]، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٢، ص ٤٥.

(٢) اللجنة الملكيَّة، لجنة بيل، لجنة تحقيق بريطانيَّة أوفدتها الحكومة البريطانيَّة إثر إندلاع ثورة فلسطين ١٩٣٦ للوقوف على أسبابها وتقديم الحلول لمعالجتها برئاسة اللورد بيل. انظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٦٥٤.

(٣) سعدي بسيسو، إسرائيل جناية وخيانة، [الكتاب الثاني والثمانون من منشورات «كتب سياسيَّة»]، ص ٦٩-٧٠.

سلاح التحدي والإيمان الذي لم يملك الفلسطينيون سلاحاً سواه. فكانت هذه الثورات مضرب المثل في الصمود والصبر والإصرار على نيل الحرية والحياة الكريمة، ومثالاً للوطنية الصادقة والحمية النادرة، ومثاراً للدهشة والإعجاب.

ولم يتوان عرب فلسطين في بذل التضحيات العظيمة في الأرواح والدماء والأموال حين بانث لهم النيات اليهودية العدوانية، وخيانة بريطانيا ودول الحلفاء للقضية العربية. كما سارع الفلسطينيون إلى وضع ميثاق قومي عام ١٩١٩ يشتمل على رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية والانتداب البريطاني، والمطالبة بوحدة فلسطين وسورية، ولزوم النضال من أجل الاستقلال ضمن الوحدة العربية. وعلى الرغم من كل ما لاقوا من آلام وأهوال فقد استمروا في كفاحهم، يحاربون قوى الإمبراطورية البريطانية وشرور الصهيونية العالمية، ومكائد المنظمات الدولية مما يعجز عن مثله أي شعب من الشعوب.

وأول احتكاك دموي وقع كان في القدس في ربيع عام ١٩٢٠م، فكان إيذاناً بانطلاق «ثورة العشرين»^(١)، ثم اندلعت انتفاضة وطنية في يافا عام ١٩٢١م، ثم تحولت إلى مواجهات مسلحة راح ضحيتها أكثر من تسعين شخصاً، ثم ما لبثت أن امتدت إلى المستعمرات اليهودية^(٢). وفي سنة ١٩٢٢م قرّر المؤتمر الفلسطيني الخامس عدم التعاون مع سلطات الانتداب، ومتابعة حركة المقاومة والنضال. وتقرّر في المؤتمر السادس الذي عُقد في يافا سنة ١٩٢٣م الامتناع عن دفع الضرائب، ومناهضة السياسة الإنجليزية - الصهيونية في فلسطين بقوة وحزم.

«وفي صيف عام ١٩٢٩م نشبت في البلاد ثورة ثالثة استمرت قرابة أسبوعين، وتجاوز عدد الضحايا فيها مائتي قتيل وستمئة جريح معظمهم من اليهود»^(٣)، في

(١) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٩٢٠.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٩٢٨.

(٣) سعدي بسيسو، إسرائيل جنائية وخيانة، ص ٧١.

حين أن اليهود لم يدّخروا جهداً في السيطرة بقوة السلاح على الأرض الفلسطينية، مستخدمين في ذلك أعتى أنواع القمع والاستبداد. وبعد أن اتّضح هذا التصميم اليهودي على التثبيت بإقامة الوطن المزعوم لهم، واعتداءاتهم المتكررة على السّكان العرب خلال العام ١٩٢٩م، ندّد الشعراء في قصائدهم بهذا الاحتلال، واستمرّوا ينظمون في هذا الغرض لكي يصل الصوت الفلسطيني إلى كلّ أذن تسمع الشعر وتهتمّ به.

وإلى العام ١٩٢٨م، نستطيع الاكتفاء باللمحة السياسيّة التي توضّح الخطوط العريضة للدور البريطاني في القضية الفلسطينية، والمؤامرات التي أدّت إلى الاحتلال والاستيطان. بيد أننا سنتابع مجريات أحداث هذه القضية من خلال الانتفاضة الشعريّة التي قام بها شعراء الكويت منذ العام ١٩٢٨م، حيث بدأت قصائدهم تعاصر الأحداث تدريجياً. وتعود أهميّة هذه اللمحة السياسيّة إلى أنّ الشعراء الكويتيين لم يغفلوها لاحقاً، بل عادوا إليها وفصلوا فيها، وبينوا مواقفهم القوميّة منها.

٢ - القضية في الشعر

لم يتطرّق الشعراء الكويتيون، في ما وصلنا من أشعارهم، إلى النظم في القضية الفلسطينية قبل العام ١٩٢٨م، إلّا أنّهم لم يهملوا الأحداث التي سبقت هذا العام، فكان تناولهم للقضية الفلسطينية بأثر رجعيّ يعود إلى بداية المحنة المتمثلة في «وعد بلفور»، فتصادفنا أوّل إشارة إلى هذه القضية في قصائد الشاعر خالد الفرّج، حين قال:

هَزِيءُ الْقَوِيِّ «بِسِيفِر»^(١) وَعُهُودِهِ
وَلِوَعْدِ «بَلْفُور» بِنَا أَطْوَأَقُ^(٢)

(١) إشارة إلى معاهدة «سيفر» وهي المعاهدة التي فرضها الحلفاء على الدولة العثمانيّة في نهاية الحرب العالميّة الأولى، ورفضت حكومة كمال أتاتورك العثمانيّة الاعتراف بها. انظر: خليفة الوقيان، الثقافة في الكويت: بواكير - اتّجاهات - ريادات، ص ٢٩٥.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٥٣.

وبعد هذه القصيدة بعام، أي في عام ١٩٢٩م، توجه الشاعر خالد الفرَج بخطابه إلى «بلفور» الذي يُعدُّ في نظره أساس البلاء في المنطقة العربيَّة، فقال في هذا المعنى على سبيل التهكُّم والاستهزاء مُهنِّئاً بلفور بهذا التصريح:

بَلْفُورُ إِنَّ الْيَوْمَ عِيدُ
فَالْبَسَ مِنَ الثُّوبِ الْجَدِيدِ
وَعَلَيْكَ إِخْلِيلُ السَّعَا
دَةِ فِي أَكَالِيلِ الْوُرُودِ^(١)

ثمَّ يرى أنَّ هذا الوعد لا يتعدَّى أن يكون سحابة صيفٍ عابرة، وأنَّ الأرض لن تكون إلا لأصحابها وسكَّانها الأصليين، فيقول:

هَذِي فَلَسْطِينُ الْوُدِيِّ
عَلَّةُ فِي مَصَائِبِهَا تَمِيدُ
مَا يَنْقُضِي زَلْزَالُهَا
حَتَّى تُزَلَّزَلَ مِنْ جَدِيدِ
مِنْ قَبْلِ وَغْدِكَ بِالْهَنَا
عَاشَ الْمُسَوَّدُ وَالْمَسْوَدُ^(٢)

وقد شهد هذا العام ١٩٢٩م الكثير من المنازعات والمواجهات بين اليهود والعرب إثر تظاهرات كان مركزها حائطُ البُرَّاق، حائطُ المبكى كما يسمِّيه اليهود، قُتل على أثرها العشرات من الطرفين، وجرح المئات، فسمَّيت هذه المواجهات بأحداث القدس، وكان من أبرزها «حادثة البُرَّاق»^(٣)، فاستدعى ذلك من الشعراء الكويتيين أن يوثِّقوا هذه الحادثة، ومنهم الشاعر الأيُّوبيُّ الذي انبرى يفضح المستعمر اليهوديَّ، ملقياً باللوم على الإنجليز باعتبارهم سبب هذه المعضلة

(١) خالد محمَّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٥٦. وانظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرَج: حياته وأثاره، ص ٢٩.

(٢) خالد سعود الزيد، خالد الفرَج: حياته وأثاره، ص ٢٩.

(٣) عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٨٧٩.

السياسية الإنسانية، ونتيجة لسياسة بريطانيا الجائرة في إصدار هذا الوعد المشؤوم، ثم إطلاقها أيدي اليهود لتعبث بالمقدّسات وتستفزّ المشاعر، وترزعزع الأمن والاستقرار، فقال:

نَاخَ الْهَزَارُ فَلَا أَسْ وَرِيحَانُ
وَلَا ظِلَالُ، وَغَيْثُ الدَّمْعِ هَتَّانُ
سَمْعًا لِبَاكِیَّةٍ أَذْكَتْ مَنَاخَتُهَا
نَارَ الْحَمَاسِ، وَطَرَفُ الْهَوْلِ يَقْظَانُ^(١)

يبدأ الشاعر قصيدته «الشهداء» بعاطفة جيّاشة غلّفت النصّ من بدايته حتّى نهايته، فبدت نبرة الحزن واضحةً على طول القصيدة. وقال في فضح جرائم اليهود في القدس:

وَفِي فَلَسْطِينٍ مِنْ بَلْفُورٍ مَهْزَلَةٍ
هُزَّتْ لَهَا مِنْ خِمَارِ الْحِفْدِ أَذْقَانُ
وَحَادِثُ الْقُدْسِ سَاءَ النَّاسِ قَاطِبَةً
وَلِلْبُرَاقِ عَلَى التَّنْكِيلِ بُرْهَانُ
وَالْيَوْمَ أَشْعَلْتُمْ نَارًا تُؤَجِّجُهَا
أَيْدِي الْيَهُودِ وَهُمْ لِلْفَتْكِ ذُوبَانُ^(٢)

ولم يكن هذا الاتّهام الذي وجّهه الأيوبيّ إلى بريطانيا عبثيًّا، حتّى لو كان طرفًا النزاع الأساسيّان فيه هما العرب واليهود؛ فحاييم وايزمن كان قد عبّر من قبل عن دور بريطانيا في تهويد فلسطين، وذلك في مذكراته^(٣) التي نُشرت عام ١٩٤٩م

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٩٨.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٠١.

(٣) كتب حاييم وايزمن مذكراته تحت عنوان «Trial and Error» «التجربة والخطأ»، ونُشرت عام ١٩٤٩، وترجمت هذه المذكرات إلى اللغة العربيّة غير مرّة، منها: ترجمة فتح الله محمّد مشعشع، بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع. وترجمة محمّد رشاد الشهابي، دمشق: دار القفلة العربيّة.

بقوله: «احتضنت بريطانيا الصهيونية منذ نشوئها، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكّانها العرب في سنة ١٩٣٤م، ولولا الثورات العربيّة المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين، لتّم إنجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور»^(١). ويشير في قوله هذا إلى الثورات الفلسطينيّة التي بدأت في القدس وحيفا ويافا وكلّ البقاع الفلسطينيّة، ومنها حادثة البراق السابقة الذكر.

وندّد الشاعر فهد العسكر أيضاً بالدور الذي اضطلعت به بريطانيا في إخضاع فلسطين للانتداب، وللسيطرة اليهوديّة عليها بعد ذلك، فيقول منتقداً الوعد الجائر بحق العرب والفلسطينيين:

لَا دَرَّ دُرٍّ الْغَادِرِينَ فَإِنَّهُمْ
وَعَدُوا الْيَهُودَ بِقِسْمَةِ الْأَوْطَانِ
وَبَنِي كَالْغُرَبَاءِ فِي أَوْطَانِهِمْ
أَوَلَيْسَ هَذَا مُنْتَهَى الطُّغْيَانِ؟^(٢)

وبالتزامن مع ثورات المواجهة التي اندلعت في فلسطين، ضجّت البلاد العربيّة بثورات التنديد بالاستعمار وبنصرة الشعب الفلسطيني، ودعوات الحضّ والاستنهاض للحكّام العرب ليأخذوا مكانهم الحقيقيّ في الوطن العربيّ. ولم تكن الكويت إلّا جزءاً لا ينفصل من الجسد العربيّ الكلّي، فقد عمّت بمختلف شرائحها الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة ثورة عارمة على الوعد المشؤوم، تهدف إلى نصرة الشعب الفلسطينيّ المظلوم الذي تعرّض لمؤامرة دوليّة سلبت الأرض، وهجّرت الإنسان، وأحرقت البيوت.

كان الشعراء الكويتيون الذين نظموا في السياسة واسعي الأفق، وملمين إلماماً جيداً بالأحداث السياسيّة في أسبابها ونتائجها، فعرفوا حقّ المعرفة ضرورة

(١) سعدي بسيسو، إسرائيل جناية وخيانة، ص ٤١.

(٢) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٢٣.

مواجهة الأزمة من بدايتها، وعرقلة المشروع الصهيوني في فلسطين، إذ إنَّ نصَّ تصريح بلفور على إقامة وطن قوميٍّ لليهود، يقوم على دعامةٍ أساسيةٍ واحدة، تتمثَّل في دفع أكبر عددٍ من يهود العالم للهجرة إلى فلسطين والإقامة فيها، تحت غطاءٍ سياسيٍّ دوليٍّ، وتحت حماية توفِّرها الدول الأوروبية القائمة بالانتداب على تدبير الدول العربية المحيطة بفلسطين. ولذلك نجد الشاعر صقر الشبيب يؤكِّد ضرورة مكافحة هذا المدِّ اليهوديِّ في بدايته، في إشارة منه إلى منع تدفُّق العدد الهائل من عصابات اليهود المسلَّحة إلى فلسطين، حيث الهجرة اليهودية استمرَّت عقوداً بعد وعد بلفور، فقال:

وَمَا جَبُنْتُ فَلَسْطِينَ وَلَكِنْ
عَلَيْهَا لِإِعْدَا كَثُرَ الْجُنُودُ
«تَكَاثَرَتِ الظُّبَاءُ عَلَى خِرَاشٍ
فَمَا يَذْرِي خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ»^(١)

وعلى الرَّغم من كثرة الثورات التي اندلعت في وجه الكيان الصهيونيِّ، إلَّا أنَّ ثورة عام ١٩٣٦م كانت أبرزها في طبيعة الكفاح المسلَّح، وسمَّيت بالثورة الفلسطينية الكبرى؛ «التي كانت انفجاراً ثورياً شعبياً فلسطينياً عربياً عارماً على سياسة بريطانيا الصهيونية، نتيجة اعتراض الصهاينة على إقامة مؤسسات للحكم الذاتي، فضلاً عن استمرار الهجرة اليهودية وبيع الأراضي على نطاق واسع»^(٢)، وقد شهدت تدفُّق عددٍ كبيرٍ من المتطوِّعين العرب، علاوةً عن تطوُّر أساليب الثَّوار في مواجهة آلة الحرب اليهودية، وترافق ذلك مع إضراب مدنيٍّ

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٢٦٢. [خِرَاش: اسم علم على وزن كتاب، فهو معرَّب مصروف صحيح الآخر، ويروى خِدَاش بالذال. ولا يُعرف لهذا البيت قائل في ما وقفت عليه، وهو من الأبيات السائرة. ذكره الأبيشي في «المستطرف» في الباب الذي أفردته في الأمثال الشعرية. كما يحكى أنَّ بعض العرب أرسل صائداً له على صيدٍ، فخرج الصَّيْدُ عليه من أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، فوقف باهتاً ينظر يميناً وشمالاً ولم يصطد شيئاً، فقال هذا البيت].

(٢) عبد الوهَّاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٩١٥.

يعتبر أطول إضرابٍ في التاريخ يقوم به شعبٌ بكامله^(١)؛ إذ استمرَّ نحو ستَّة أشهر. كما أنَّ هذه الثورة قد تميَّزت بالحاضنة الشعبيَّة الواسعة لجميع أطيافها من فلسطينيِّين أو عربٍ وافدين للقتال فيها، فكان العدوُّ الصهيونيُّ يواجه جيشاً قوامه شعبٌ كامل. «وصرَّح حاكم اللواء الشماليِّ في تقرير رسميٍّ بعد الثورة، ومؤرَّخ في سبتمبر ١٩٣٨م، يصف فيه ما شاهده بعينه قائلاً: إنَّ جميع العرب في فلسطين إمَّا ناثرون وإمَّا عاملون مع الثوَّار، وكلُّهم يتحمَّلون بجلدٍ عظيمٍ ما يصيبهم من خسائر، ويصبرون صبراً لا نظير له على كلِّ ما يحلُّ بهم من أذى وعنف»^(٢).

ومن هنا جاءت الدَّعوات إلى مساعدة الشعب الفلسطينيَّ بتسليحه، إذا كانت اليد تقصِّر عن مساعدته بالدفاع عنه. وللشَّبيب عدَّة قصائد يُحيي فيها الثورة، ويحثُّ العرب على ضرورة الوقوف إلى جانب الثوَّار ومدِّهم بما يحتاجون إليه، كما يُلقي باللائمة على الذين يتخلَّفون عن مساندة الثورة، ويقول مشيداً بنضال الشعب الفلسطينيَّ في خلال ثورة عام ١٩٣٦م، ومؤكِّداً ضرورة النهوض لنصرة المناضلين:

وَقَدْ جَاهَدَتْ شُبَّانُهُمْ وَكُهُولُهُمْ
جِهَادَ بَهَائِلِ غَطَارِفَةٍ غُرٍّ
جِهَادَ فُؤَادِ الْمَجْدِ سُرِّ بَوَاقِهِ
وَعَادَتْ لَهُ الْعَلْيَاءُ بِاسِمَةِ الثَّغْرِ
وَقَدْ أَصْبَحَتْ فَرَضاً مَعُونَتُهُمْ بِمَا
تَصُونُونَ مِنْ غَالِي الْحَيَاةِ أَوْ الثَّبْرِ
فَإِنْ تَنْجِدُوهُمْ يَا بَنِي الْعَرَبِ تَنْقِذُوا
نُفُوسَكُمْ لَا غَيْرَهَا مِنْ يَدِ الشَّرِّ

(١) محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، ص ٥٢.

(٢) سعدي بسيسو، إسرائيل جنابة وخيانة، ص ٧٧.

وَمَا لَكُمْ إِنْ لَمْ تَقُومُوا بِنَصْرِهِمْ

لَدَى اللَّهِ وَالْإِنصَافِ وَالْمَجْدِ مِنْ عُنْدِ^(١)

فنراه يحذر الحكّام العرب من مغبّة السكوت والتهاون في نصرة القضية الفلسطينية، وكيف أنّ إنقاذهم لهذه القضية ما هو إلّا إنقاذ لأنفسهم من الهلاك الذي يجلبه الاستعمار على المنطقة كلّها. وفي ذلك أيضاً نظم الشاعر خالد الفرّج فقال:

مَا وَعْدُ بَلْقُورٍ إِلَّا بِدْءِ سِلْسِلَةٍ

مِنْ الْمَظَالِمِ فِي التَّارِيخِ كَالظُّلَمِ^(٢)

وقد حازت هذه الثورة اهتماماً عربياً وعالمياً، إذ كانت مختلفة عن سابقتها في أعوام الأزمة الأولى، وقد وصفت لجنة اللورد بيل هذه الحقيقة بقولها: «إنّ ما يحدث في فلسطين من الثورات كان في ما مضى يثير اهتمام الشعوب العربية وعطفها، وفي هذه المرّة (أي ثورة ١٩٣٦م) لم يبق الأمر قاصراً على إظهار الشعور العامّ القويّ في مواجهة الحكومة البريطانية واليهود على السواء، بل تعدّى ذلك إلى أنّ عدداً لا يُستهان به من المتطوّعين، وبينهم قائد الثورة فوزي القاوقجي^(٣)، جاء إلى البلاد من سورية والعراق، ولم يمنع عرب شرق الأردن من الاشتراك في النزاع إلّا بعد جهدٍ جهيد»^(٤).

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٢) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٥٩.

(٣) فوزي القاوقجي (١٨٩٢-١٩٧٧م) ضابط سياسيّ مناضل، ولد في طرابلس الشام، وتخرّج في المدارس العثمانيّة. ساعد الملك عبدالعزيز آل سعود في تشكيل الجيش السّعوديّ عام ١٩٢٨، ثمّ انضمّ إلى الملك فيصل في العراق عام ١٩٣٢، ثمّ قام بتشكيل قوّة متطوّعة عربيّة توجّه بها إلى فلسطين عام ١٩٣٦. شارك في الثورات في مناطق مختلفة من سورية على الفرنسيّين في العشرينيّات وثورة فلسطين ١٩٣٦. قاد عدداً من المعارك على الإسرائيليين، عاش في دمشق، ثمّ توفّي في بيروت عام ١٩٧٧. انظر: محمّد خير رمضان يوسف، تنمّة الإعلام للزركليّ، ط٢، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ج ٢، ص ٩٦.

(٤) سعدي بسيسو، إسرائيل جنابة وخيانة، ص ٦٨. [الصحيح لغة «جهدٍ جاهدٍ»].

وقد وجَّه صقر الشبيب التحية إلى قادة الثورة، مبجلاً دورهم الفعّال في رفع شأن العروبة، وأهميّة ما قاموا به في إيصال رسالة الشعب الفلسطيني إلى الأمم العربيّة والغربيّة، في أنّ ما أخذ بالقوّة لا يُستردُّ إلّا بالقوّة، ولا بدّ من التضحية في سبيل الحصول على الحياة الحرّة الكريمة، فيقول مخاطباً القائدين فوزي القاوقجي وسعيد العاص^(١):

فَمَرَّحَى لِفَوْزِيِّ الْعُلا وَسَعِيدِهَا
وَصَحْبِهِمَا الْمُغْلِينَ أَعْلَامَهَا الْقُشْبَا
فَقَدْ رَفَعُوا شَأْنَ الْعُرُوبَةِ فَأَعْتَلَى
بِهِمْ وَجَلُّوا عَنْ شَمْسِ غُلَيَّاتِهَا الْحُجْبَا
وَأَلْقَوْا عَلَيْهَا خَيْرَ دَرَسٍ مَفَادُهُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا فَلَا تُغْمِدِ الْعُضْبَا^(٢)
ويستدعي أيضاً بطولاتهما في قصيدة أخرى حيث يقول:
كَمَا جَاءَ فَوْزِيُّ الْعُلا وَسَعِيدِهَا
مِنْ الْعَمَلِ الْمُعْطِيهِمَا رِفْعَةَ الشُّهْبِ^(٣)

وفي العام نفسه الذي نشبت فيه ثورة ١٩٣٦م، توجَّه الشاعر فهد العسكر إلى فلسطين وشعبها بقصيدته النونيّة يشيد فيها بالبطولات التي حقّقها الثوّار في ثورتهم، ومُكَبِّراً صمودهم في وجه المعتدي على أرضهم، وذلك في الحفل الذي أقيم

(١) محمّد سعيد بن محمّد بن شهاب المداهني الحموي، المعروف بالعاص (١٨٨٢-١٩٣٦م)، مجاهد سوريّ عسكريّ، له اشتغال بتدوين الحوادث. ولد في حماة، وتعلّم فيها، وقصد الآستانة فدخل المدرسة الحربيّة، وتخرج فيها برتبة ملازم عام ١٩٠٧. كان من كبار قادة الثورة العربيّة الكبرى، ومن جماعة الضباط العرب الأحرار، التحق بثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويّين، وبعدها بثورة إبراهيم هنانو في أقضية حلب على العدوان الفرنسيّ. غادر إلى عمّان وعيّن برتبة عقيد في الجيش الأردنيّ. انضمّ إلى الثورة في فلسطين سنة ١٩٣٦ حتّى استشهد في معركة الخضر في ٦ تشرين الأوّل من العام نفسه. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٤٣.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٩٤.

(٣) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٤٩.

لمناسبة استقبال البعثة التعليمية الفلسطينية إلى الكويت، لينتزه هذه المناسبة أمامهم
ويعبر عن ولائه والكويتيين لفلسطين الأخت الشقيقة للكويت في عروبتها، فيقول:

بِإِلَهِ يَا رُسُلَ الثَّقَافَةِ خَبِّرُوا
نَا كَيْفَ حَالُ الْأُخْتِ يَا إِخْوَانِي؟
أَعْنِي فَلَسْطِينًا وَكَيْفَ أَمِينُهَا
وَجُنُودُهُ وَبَقِيَّةُ السُّكَّانِ؟
بَعْدَ الْكِفَاحِ وَبَعْدَ مَا بَثَّ الْيَهُو
دُ شُرُورُهُمْ فِيهَا بِكُلِّ مَكَانٍ
إِنِّي سَمِعْتُ نِدَاءَهَا وَسَمِعْتُ تَلَا
بَيَّةَ الضِّيَاغِمِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ
وَزَيْرَ أَشْبَالِ الْعُرُوبَةِ مِنْ بَنِي
غَسَّانَ، لَا نَكْبُوا بَنُو غَسَّانِ^(١)

إلاَّ أنَّ بدء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، وإنهاك قوى الفلسطينيين،
وتشتت قياداتهم السياسية نتيجة الثورة^(٢)، وعدم قدرتهم على تطوير أساليب
النضال، وتخاذل العرب في إرسال الإمدادات العينية والمالية، قد أسهم في قمع
الثورة وإنهاء الإضراب، فضلاً عن مصالحة سعى في عقدها عدد من الدول
العربية بين الفلسطينيين واليهود، وقد أرخت لجنة بيل الأمريكية ذلك في قولها:
«وأهمُّ من ذلك أنَّ الحكومات العربية نفسها قد اهتمَّت بالنزاع، فقد ظلَّ الزعماء
العرب في فلسطين طوال دوام الثورة على اتِّصال بملك الحجاز والعراق وأمير
شرق الأردن، وحاول وزير خارجية العراق التوسُّط مباشرة، ثمَّ أنهيت الثورة على

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١٢٣. [أمينها: هو الحاج أمين الحسيني (١٨٩٥-

١٩٧٤) مفتي فلسطين، ورئيس الهيئة العربية فيها].

(٢) محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، ص ٥٥.

إثر النصائح التي تقدّم بها مباشرة ملكُ الحجاز وملكُ العراق وإمامُ اليمن وأميرُ شرق الأردن»^(١).

فتوجّه الشاعر الشبيب في قصيدة أخرى عنوانها «صرخة ثانية بعد إنهاء إضراب فلسطين» نظمها عام ١٩٣٧م، إلى الحكّام العرب لدّ الثّوار بالمال، كي تستقيم معادلة الثورة على الكيان الصهيونيّ المسلّح، ولتعيد إليهم قدرتهم على الوقوف مجدّدًا أمام الحشود العسكريّة الصهيونيّة، والأسلحة المتطوّرة التي يملكونها، قال:

فَلْبُؤُوا سِرَاعًا بِالْمَعُونَةِ وَابْذُلُوا
جُهُودَكُمْ فَالْفَوْزُ مِنْكُمْ لِمَنْ لَبَّى
أَعَيْنُوهُمْ بَلْ أَثَرُوهُمْ لِتَشْبِيَهُوا
بِإِثَارِكُمْ أَجْدَادَكُمْ فِي الْعَلَا الْعُزْبَا
فَكَمْ أَثَرُوا بِالْوَجْدِ مُحْتَاجٍ وَجْدِهِمْ
وَأَذْكَرُ مِنْهُمْ حَاتِمُ الْجَوْدِ أَوْ كَعْبَا^(٢)

ويشدّد الشاعر الشبيب على ضرورة تدارك الوضع الفلسطينيّ المزري، وذلك بعد أن أخفقت كلّ الجهود العربيّة في دعم الثورة الفلسطينيّة، ويسأل بحسرة واستنكار عن مستقبل الحال العربيّ أمام العالم والشعوب إذا ما استملك اليهود فلسطين، فيقول في قصيدته التي نظمها عام ١٩٣٧م:

أَيَرْفَعُ رَأْسُهُ الْعَرَبِيُّ يَوْمًا
إِذَا امْتَلَكَتْ فِلَسْطِينُ الْيَهُودُ؟

(١) سعدي بسيسو، إسرائيل جناية وخيانة، ص ٦٨. [ملك الحجاز: عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود ١٨٧٦-١٩٥٣م. ملك العراق: غازي بن فيصل الأوّل بن حسين بن علي الهاشمي ١٩١٢ - ١٩٣٩م. إمام اليمن: يحيى محمّد حميد الدين محمّد المتوكّل ١٨٦٩-١٩٤٨م. أمير شرق الأردن: عبدالله الأوّل بن حسين بن علي ١٨٨٢-١٩٥١م].

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٩٢. [حاتم الطائي وكعب بن أُمّة الأيادي، اشتهرا بالكرم قبل الإسلام].

وَهَلْ عُذْرٌ لَهُ إِنْ لَمْ تَجِدْهُ
بِأَعْلَى مَا لَدَيْهِ لَهَا يَجُودُ؟
وَرَاءَ الْخَطْبِ هَذَا أَيُّ خَطْبٍ
تُصَانُ لَهُ النُّفُوسُ أَوْ النُّقُودُ؟^(١)

ويخلد صقر الشَّيْبِ مواقف بعض الدول العربيَّة من ثورة عام ١٩٣٦م، ومن ذلك موقف مصر التي انتهجت سياسة النَّأي بالنفس آنذاك، حتَّى بعد سنة من انتهاء الإضراب وإخماد الثورة المسلَّحة من قبل اليهود، فما كان من الشَّيْبِ إلَّا أن توجَّه إليها باللوم المشوب بالهجاء على هذا الموقف عام ١٩٣٧م، ثمَّ باللوم للأزهر الشريف الذي يعتبر مرجعيَّة دينيَّة أساسيَّة في مصر، ويطلب إلى هذه المؤسَّسة الدينيَّة أن تلقي بثقلها في هذه المعركة ولو بالحفز وخطب الاستنهاض، فهي إن لم تقتل العدو فسوف تذعره وتكفُّ أذاه، ويدعوه لأن يكون مشجِّعًا للحكومة المصريَّة التي يمثلها النَّحاس^(٢) آنذاك، لا متواطئًا مع صمتها وراضيًا به، ثمَّ يترحمُ الشَّيْبِ على أيَّام سعد زغلول^(٣) الذي كان رئيسًا للحكومة قبل النَّحاس:

وَأَحَقُّ مِنْ مِصْرٍ بِكُلِّ مَلَامَةٍ
ذَاكَ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِالْأَزْهَرِ
كُنَّا نُوَمِّلُ أَنْ يُقِيمَ قِيَامَةً
إِنْ لَمْ تُرِقْ مَهْدَ الْأَعَادِي تَذَعِرِ

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشَّيْبِ، ص ١٨٩.

(٢) مصطفى النَّحاس باشا (١٨٧٦-١٩٦٥م) أحد أبرز السِّيَاسِيِّينَ المصريِّينَ في القرن العشرين. تولَّى منصب رئيس البرلمان المصريِّ بعد وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧م، ثمَّ منصب رئيس وزراء مصر عام ١٩٢٨م. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ٢٤٦.

(٣) سعد زغلول (١٨٥٨-١٩٢٧م) زعيم مصريٍّ وقائد ثورة ١٩١٩م في مصر. تقلَّد عدَّة مناصب ثقافيَّة وسياسيَّة مهمَّة في مصر. شغل منصب رئاسة الوزراء عام ١٩٢٤م، ثمَّ منصب رئيس البرلمان عام ١٩٢٦م. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٨٣.

فَإِذَا تَثَاقُلُهُ يَطُولُ كَأَنَّمَا
 دَهَنَ الْعِدَا أَعْصَابَهُ بِمُخَدَّرٍ
 أَيْصَدُّ عَنْ أَمْسِ الْجِهَادِ وَيَوْمِهِ
 رَغَمَ اقْتِضَاءِ الْوَاجِبِ الْمُتَكَرِّرِ؟
 لَوْ لَمْ يَغِبْ يَا مِصْرُ سَعْدُكَ مَا أَتَى
 نَحَّاسُكَ الْأَمْرَ الَّذِي لَمْ يُشْكَرِ^(١)

وتحضرننا هنا قصيدة متأخرة للشبيب نظمها عام ١٩٥٢م بعد الثورة المصرية التي قامت آنذاك في الثالث والعشرين من يوليو، يعتذر فيها عن القصيدة السابقة التي تضمنت من الهجاء الكثير، فشرح أسباب هذا الموقف آنذاك، وجعل هذه المناسبة وسيلة للاعتذار عما سبق:

عَتَبْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ ثَوْرَتِهَا لِمَا
 رَأَيْتُ لَهَا إِذْ ذَاكَ مِنْ مُوجِبِ الْعُتْبِ^(٢)

لكنه لم يبدل موقفه أو يغيّره تجاه القضية الفلسطينية؛ فبعد أن مضى في تمجيد الثورة المصرية، تمنى عليها أن تعمل لإزالة الكيان الإسرائيلي، في إشارة منه إلى ضرورة تلافي الأخطاء السياسية التي وقعت فيها الحكومة المصرية من قبل، وأن تكون الثورة جديدة في مواقفها وأفعالها تجاه القضية التي أصبحت قضية العرب كلهم، فقال في ذلك:

وإِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يُتَوَجَّ سَعْيُهُمْ
 بِنَزْعِهِمْ مِنْ بَيْنِنَا شَوْكَةَ الْجَنْبِ^(٣)

واعتنى الشعراء الكويتيون بتفاصيل الأحداث ومجرياتها الدقيقة، ولم يكتفوا بالنظم في المسائل العامة، مؤرخين وموثّقين الإجرامين البريطانيين والصهيونيين

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٥٠.

(٣) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٥٠-١٥١.

في فلسطين؛ «فمع ازدياد نشاط الثَّوار الفلسطينيين عادت بريطانيا إلى انتهاج أقسى أساليب البطش، وبلغ عدد الذين أُعدموا مئة وثمانية وأربعين شخصاً، من بينهم الشيخ فرحان السَّعدي^(١) الذي كان في الثمانين من عمره، ولم يراعِ الإنجليز شيخوخته، بل دفعوا به إلى المشنقة في عَكا خلال شهر رمضان وهو صائم^(٢). وحول حادث إعدام الشيخ المذكور يقول الأيُّوبيُّ مغلِّداً هذه الحادثة:

حَيُّوا بِفَرَحَانِ السَّعْدِيِّ شَيْبَتَهُ
تِلْكَ الَّتِي حَوْلَهَا الْأَنْوَارُ تَزْدَحُرُ
فِي الْخَالِدِينَ مَضَى فِي زُورِقٍ عَبَقَتْ
بِهِ الطُّيُوبُ بِمَنْ يَوْمَ اللَّقَا صَبَرُوا^(٣)

وبعد المناوشات الحربيَّة بين الثَّوار من جهة والصهاينة من جهة ثانية، وإخفاق كلٍّ من العرب واليهود في الوصول إلى تسوية تضمن التعايش بسلام بين الطرفين كجارين، أصدرت بريطانيا في السابع عشر من أيَّار - مايو عام ١٩٣٩م الكتاب الأبيض، بيَّنت فيه أنَّ قيام الدولة الفلسطينيَّة سيكون في خلال عشرة أعوام، وسترتبط هذه الدولة بمعاهدة حماية مع بريطانيا، وتوقف الهجرة اليهوديَّة إلى فلسطين بعد وصول الدفعة الأخيرة من المهاجرين وعددها خمسة وسبعون ألفاً، والتي تمتدُّ في خلال خمس سنوات لاحقة لتاريخ إصدار الكتاب، مع وجوب وضع حدٍّ لتملُّك اليهود للأراضي الفلسطينيَّة.

أظهر اليهود غضبهم ورفضهم لهذا الكتاب الذي أصدرته الحكومة البريطانيَّة، واضطَّروهم إلى التماس المساعدة الأمريكيَّة لإكمال مشروعهم

(١) فرحان السعدي (١٨٥٨-١٩٣٧م)، ينتمي إلى عائلة السعدية الجبائية الصوفية، ويلقب بالشيخ الصائم. هو أوَّل من أطلق صيحة الجهاد مدوية في فلسطين على الاستعمار الإنجليزي، ولكن سرعان ما أُلقي القبض عليه مع مريديه، فأعدمه الإنجليز وهو صائم. انظر: الموسوعة الإلكترونيَّة.

(٢) خليفة الوقيان، القضية العربيَّة في الشعر الكويتي، ص ١١٩.

(٣) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٢٢٧.

الاستيطاني في فلسطين، في حين انقسم العرب بين مؤيِّدٍ لمضمون هذا الكتاب ورافضٍ له. فالمؤيِّدون أرادوا سبيلاً سهلاً المنال لوقف نزيف الشهداء الذي تنزفه فلسطين بشكلٍ شبه يوميٍّ، والرافضون رأوا في الكتاب الأبيض مراوغة جديدة من الحكومة البريطانية لالتفاف على المقاومة الفلسطينية، ولا تتعدَّى أن تكون مهدِّناً للشعب الفلسطينيِّ الثائر، وتشبيطاً لحماسته واندفاعه، وقد قال الشبيب هذا في قصيدته «أويشفي من الكلوم الكلام؟» التي نظمها في الرابع من مارس عام ١٩٤٠م معقِّباً على مضمون هذا الكتاب:

وَبِأَيِّ الْحُقُوقِ، يَا لَيْتَ شِعْرِي،

كَأَن مِّنَّا لَسَاكِنِيكَ قِيَامُ؟^(١)

ويُشبَّه الإنجليز بالأفعى التي تُظهر خلاف ما تُضمّر، وكيف أنَّ اللين الذي تُبديه بريطانيا ليس إلَّا اعترافاً بالدولة الإسرائيلية، وتسليماً من العرب بذلك:

إِنْ يَلِيْنُوا لِبَعْضِ مِّنَّا فَهَذَا

لِيْنٌ أَفْعَى مِنْهَا اسْتَحَالَ السَّلَامُ

أَوْ يُنْزِلُوا الحُطَامَ مِنْهَا أَنْسَا

فَسَلُّوهُمْ مِنْ أَيْنَ ذَاكَ الحُطَامُ؟^(٢)

توجَّه الشاعر بأسئلته الاستكاريَّة إلى الإنجليز واليهود والعالم بعرقه الغربيِّ والعربيِّ، وتابع أحداث القضية بحذر وحرص شديدين؛ «فلمَّا رأى العرب أنَّ الثورة قد آتت أكلها، وأينعت ثمرتها في قتل التقسيم، وأنَّ الحرب العالميَّة الثانية قد أُعلنت، أوقفوا القتال بانتظار ما يحقِّق لهم الحرِّيَّة والاستقلال. بيد أنَّ ما قاله البريطانيُّون هذه المرَّة أيضاً لم يكن حقًّا ولا صدقاً، بل نوعاً من الخداع

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٣٢.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٥٣١.

والكذب، ووسيلة لإنهاء الإضراب وتهيئة خطة جديدة لكسر شوكة العرب»^(١). وتحقق ذلك بموت الرئيس الأمريكي «تيودور روزفلت»، بانتخاب الرئيس الجديد «هاري ترومان» عام ١٩٤٥م، فسارع إلى نصرة الصهاينة بطلبه إلى وزير خارجية بريطانيا السماح بدخول مائة ألف يهودي فلسطين، لكن بريطانيا خشيت الموافقة تجنباً لردة فعل عربية وفلسطينية، فاقترحت على أمريكا أن تشاركها المسؤولية في تحمل النتائج، فأسفر ذلك عن تشكيل لجنة إنجليزية أمريكية وافق أعضاؤها على الطلب الأمريكي، فأشعلت فتيل الأزمة مجدداً، فثار العرب رفضاً لقرارها. في ذلك قال عبدالله النوري في قصيدة أنشدها في أيار- مايو عام ١٩٤٦م:

أَتَشْقَى فِلَسْطِينُ وَأَنْتُمْ حُمَاتُهَا
فَأَيْنَ السَّيُوفُ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ السُّمُرُ؟
وَأَيْنَ رِجَالُ الْمَجْدِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةٍ
يُمَثِّلُهَا صِيَتْ وَيَرْفَعُهَا ذِكْرُ؟^(٢)

يتوجه الشاعر ببيته إلى العرب حاثاً إيّاهم على الدفاع عن فلسطين في وجه التقسيم، والوقوف سداً أمام سيل الهجرة اليهودية المتفق عليها بين بريطانيا وأمريكا، مذكراً العرب بأمجادهم العريقة وبطولات أجدادهم التي ذاع صيتها وعلا ذكرها في سفر التاريخ.

وفي العام ١٩٤٧م عقد مجلس الأمن جلسته التي أسفرت عن التصويت على قرار استقلال فلسطين وإنهاء الانتداب البريطاني عليها، وذلك بطلب عربي، لتأتي النتيجة لمصلحة اليهود؛ إذ وافق المجلس على تقسيم فلسطين، بينما أعلنت بريطانيا استعدادها لإنهاء الانتداب، من غير أن يتم وضع حدٍّ للتجاوزات اليهودية في فلسطين. وقد كان لهذا التقسيم دور عظيم في هيجان الشارع العربي، وتنديده

(١) سعدي بسيسو، إسرائيل جناية وخيانة، ص ٧٩.

(٢) خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ص ١٢٢.

بهذا القرار المجحف، فاستدعى الشاعر خالد الفرَج لنظم قصيدة عام ١٩٤٧م مندداً بهذا القرار:

يَا مَجْلِسَ الْأَمْنِ بَلْ يَا هَيْئَةَ الْأُمَمِ
مَاذَا التَّلَاعُبُ فِي الْأَلْفَاظِ وَالْكَلِمِ؟
هَلِ الْعَدَالَةُ سَلَبُ الْمَرْءِ مَوْطِنَهُ؟
وَالْأَمْنُ هَلْ هُوَ فِي التَّقْتِيلِ وَالنَّقَمِ؟^(١)

نلاحظ اعتماد الشعراء على الأسئلة الاستكبارية التي تتطوي على استغراب من الوقاحة العالمية في استغفال العرب بقرارات تبدو واضحة جلية أنها مجحفة. ويشير في القصيدة عينها إلى مسألة المظاهرات التي تخرج تنديداً بالاحتلال وبهذا القرار الاستيطاني، وكيف أن هذه الشعارات لا تعيد الحق إلى أصحابه، وليس من سبيل إلى طرد المحتل والموالين له إلا النضال والكفاح المسلح:

مَا فِي الصِّيَاحِ وَلَا الْإِضْرَابِ مَنْفَعَةٌ
وَلَيْسَ يَنْفَعُ إِلَّا بَطْشُ مُنْتَقِمِ^(٢)

وفي القضية نفسها يستوقفنا الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري، موجهاً خطابه إلى العرب جميعاً - إذ إن تلك المرحلة قد شهدت مظاهرات هائلة العدد والانتشار في كل البقاع العربية على اتساعها- ومخاطباً فيهم النزعة القومية والجهادية، مطالباً بأن تتحوّل هذه المظاهرات إلى كفاح مسلح في وجه الاستعمار الصهيوني، كي يتحقّق النصر ويعود الحق إلى أصحابه، وتعود الكرامة العربية إلى العرب، فيقول:

يَا بَنِي الْعُرْبِ وَالْعَدُوُّ مُجِدٌّ
لَيْسَ تَنْجُو أَوْطَانُنَا بِالنُّوَاحِ

(١) خالد محمد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٨٦.

(٢) خالد محمد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٨٦.

فَاطْلُبُوا الْمَوْتَ بِالْجِهَادِ لَتَخَيُّوا
وَأَنْشُدُوا الْعِزَّ فَوْقَ هَامِ الْأَضَاجِي
قَدْ أَتَتْ سَاعَةُ الْجِهَادِ وَقَدْ دَفَّ
قَتُّ فَحَيُّوا عَلَى الْعُلَا وَالْفَلَا ح
فَحَيَاةُ الْفَتَى عَلَى الشُّوكِ أَحْلَى
فِي نُزَى الْعِزِّ مِنْ حُدُودِ الْأَقَا حِي^(١)

ويشدّد الشاعر أحمد مشاري العدوانى على المعنى عينه في قصيدته «نداء»،
إذ لا يرى أيّ نتيجة من الأصوات التي تتعالى في طلب الحقّ إذا لم تقترن بالفعل
والعمل، وإذا ما وقع المحذور ودخل المستعمر وبدأ الخراب يتسرّب إلى الرحاب،
فلن ينفع وقتها الندم والأسف؛ يقول:

وَلَنْ يُغْنِيَكُمْ صَوْتُ وَصُولٍ
إِذَا زَخَفَ الْخَرَابُ إِلَى الرَّحَابِ
وَلَا نَدَمٌ وَلَا أَسَفٌ مُقِيلٌ
مِنَ الْعَثَرَاتِ فِي كَهْفِ الْعُقَابِ^(٢)

لكنّ خالد الفرّج لم يقف عند حدّ النصّح للشعوب العربيّة بالنهوض بدلاً من
التّديد بالمظاهرات، بل حضّهم على قرن القول بالعمل الذي يخلد مآثرهم فقال:
يَا أُمَّةَ الْقَوْلِ أَلَا فِعْلَةٌ
تُبْقِي لَكُمْ فِي النَّاسِ بَعْضَ الْأَثَرِ^(٣)

وبدا الشاعر أحمد السّقاف أكثر غضباً وحنقاً على حال العرب، إذ يضرب
عُرْضَ الحائط بكلّ حلٍّ سلميٍّ، ولا يرى إلّا الجهاد سبيلاً لنيل الحرّيّة والكرامة،

(١) محمّد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتيّ، ص ٢٢٨.

(٢) مجلّة البعثة، السنة الثالثة، ١٩٤٩، العدد ٢، ص ٥٨. [نظم الشاعر قصيدته بعد حرب عام ١٩٤٨ في فلسطين،
والتي انتهت بهزيمة عربيّة].

(٣) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٣٤.

ويحذر العرب من خديعة السلم التي يتسلح بها عدوهم، فلا يأمنوا جانبه، بل لا بدَّ لهم من الحرب وحمل السلاح لصدِّ كلِّ محاولة منهم. ولم يفوَّت الفرصة للتدبير بهذا القرار التعسُّفيِّ بحقِّ العرب، وذلك في احتفال أقامته المدرسة المباركية عام ١٩٤٧، وتزامن مع صدور قرار الأمم المتَّحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، القرار الذي كان وقَّعه على أبناء فلسطين وقع الصاعقة، فقد صدر في وقت كانوا ينتظرون فيه الإنصاف من هذه الهيئة الدوليَّة، إلَّا أنَّ ظنَّهم بها خاب، فما وجدوا إلَّا الاستمرار في الجهاد طريقًا لتحرير وطنهم. فانتَهز السَّقَّاف فرصة الاحتفال للتعبير عن هذه الكارثة الجديدة، ليكون هذا القرار في نظره دافعًا للعرب إلى إعلان الجهاد في فلسطين، وما هو إلَّا إشارة البدء به، ولا يترك أيَّ عذر في التراخي عن نصرتها، فقال:

بَارَكَ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ وَلَا عَا
 شَتَّ نُفُوسٌ تَعِيشُ عَيْشَ الْبَهَائِمِ
 أَيُّ مَعْنَى لِلْسَّلَامِ إِنْ سَعَرُوا الْحَرْ
 بَ؟ وَمَا قِيَمَةُ الْجَبَانِ الْمُسَالِمِ؟
 ذَا أَوَانُ النُّهُوضِ يَا مَعْشَرَ الْعُر
 بِ فَلَا عُذْرَ بَعْدَ ذَلِكَ لِنَائِمٍ^(١)

ينتقد أيضًا هيئة الأمم المتَّحدة التي تدَّعي السلام قانونًا لها، ولا يرى في اجتماعها إلَّا تحقيقًا لحلم صهيون بدولة يهوديَّة في الوطن العربيِّ، معبرًا عن حنقه على هذا القرار، ومتوعدًا بمواصلة الثورة في وجه الصهاينة ومن يواليهم، فيقول:

يَا حُمَاةَ السَّلَامِ مِنِّي سَلَامٌ
 مُخْرِقٌ كَالشَّوَاظِ غَضَبَانُ نَاقِمٌ

(١) خليفة الوقيان، القضية العربيَّة في الشعر الكويتيِّ، ص ١٣١.

لَيْسَ عَدْلًا أَنْ يُشْنَقَ الْعَدْلُ فِي الْقُدِّ
 سِ، وَأَنْ تُسْتَبَاحَ مِنْهُ الْمَحَارِمُ
 لَيْسَ عَدْلًا أَنْ تُنْجِزُوا حُلْمَ صِهْيُؤَ
 نَ، وَصِهْيُؤُونَ فَاقْدِ الرُّشْدَ وَاهِمَ
 جَلَّ مَا تَطْلُبُونَ يَا أَيُّهَا الْقَوَّ
 مُ، وَهَيْهَاتَ أَنْ تُضَامَ الْأَكَارِمُ^(١)

وينتقد الشاعر عبدالله زكريّا الأنصاري الظلم الذي لحق بالعرب، والتحيّز الذي وصمّ الغرب في موقفه من العرب في سبيل إرضاء اليهود وأموالهم، وكأنّ الشاعر يشير إلى أنّ اليهود قد اشتروا التأييد الغربيّ بأموالهم، فيقول في قصيدة نظمها عام ١٩٤٧م، منتقداً مجلس الأمن وقراره التعسّفيّ:

أَوَلَمْ يَأْتِكْ مَاذَا فَعَلُوا
 حِينَ سَأَلُوا لِفِلَسْطِينَ قَرَارًا؟
 قَرَرُوا تَقْسِيمَهَا مُذْلَمَةً
 صَفْحَةَ الدُّوَلَارِ فَانْصَاعُوا انْبِهَارًا
 عَبَدُوا صِهْيُؤُونَ فِي أَمْوَالِهِ
 وَتَخَلَّوْا عَنْ بَنِي الْعَرَبِ ارْزُورَارًا^(٢)

«واندلعت الحرب فور صدور قرار التقسيم، وتحملّ أبناء فلسطين أعباءها الأشهر الستة الأولى بمساعدة عدد محدود من المتطوّعين؛ إذ رفضت الدول العربيّة أن تدخل بجيوشها إلى أن تخرج بريطانيا في ١٥/٥/١٩٤٨م، وشكّل الفلسطينيون جيش الجهاد المقدّس بقيادة عبدالقادر الحسيني، كما شكّلت الجامعة العربيّة جيش الإنقاذ من متطوّعي البلاد العربيّة. وقد عانى أبناء فلسطين هزّالة الدعم

(١) خليفة الوقيان، القضية العربيّة في الشعر الكويتيّ، ص ١٣١.

(٢) مؤسّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ، ديوان عبدالله زكريّا الأنصاري، ص ١٨٧.

العربيّ بالسلاح والعتاد لدرجة مأسويّة، ومع ذلك تمكّنوا من إثارة قلق اليهود ورعبهم فترة طويلة، ووصل الأمر بالولايات المتّحدة الأمريكيّة إلى التراجع عن فكرة التقسيم في شهر مارس عام ١٩٤٨م^(١).

وقد عمدت بريطانيا، قبيل انتهاء الانتداب، إلى سحب قوّاتها العسكريّة من الأراضي التي أصبحت من حصّة اليهود بعد التقسيم، فأدّى هذا إلى جعل العرب المقيمين فيها تحت رحمة هذا الكيان الغاشم؛ إذ أصبح المجال الإجرامي مفتوحاً أمامه، فلم يدّخر فرصة في استعمال أقصى أنواع البطش والإجرام والإرهاب لإجبار سكّان المناطق المحتلّة على الهجرة منها، وإسكان المزيد من اليهود مكانهم، لتكون ملكاً لهم بوضع اليد.

«وحتّى دخول الجيوش العربيّة تمكّن الفلسطينيون من المحافظة على نحو ٨٢٪ من أرضهم، رغم النقص المريع في كلّ شيء قياساً إلى اليهود، وتعاون البريطانيّين مع اليهود. وقد مثّل دخول الجيوش العربيّة السبعة قصّة مأسوية أخرى؛ فلم يزد عدد المقاتلين فيها عن أربعة وعشرين ألفاً، مقابل أكثر من سبعين ألف يهوديٍّ، كما عانت الجيوش ضعفَ التنسيق بعضها مع بعض، وجهلها بالأرض، فضلاً عن أسلحتها القديمة والفاصلة»^(٢). ويمجّد عبدالله زكريّا الأنصاريّ الجيوش التي شاركت في المعركة، ويذكر الدول المشاركة في نصرّة القضية الفلسطينيّة قائلاً:

يَا فِلَسْطِينِ زَهَتْ أَوْطَانُنَا

بِبَنِي الْمَجْدِ وَجَاءَتْ تَقْبَارِي

هَتَفَتْ «مِصْرُ» وَضَجَّتْ «مَكَّةُ»

وَعَدَتْ «بَغْدَادُ» لَا تُبْدِي قَرَارَا

(١) محسن محمّد صالح، القضية الفلسطينيّة: خلفيّاتها التاريخيّة وتطوّراتها المعاصرة، ص ٦١.

(٢) محسن محمّد صالح، القضية الفلسطينيّة: خلفيّاتها التاريخيّة وتطوّراتها المعاصرة، ص ٦١.

وَرَبَّى «صَنْعَاءَ» قَدْ رِيَعَتْ كَمَا
 وَطَنُ الْأَخْرَارِ فِي «الْمَغْرِبِ» ثَارًا
 وَرُبُوعُ «الشَّامِ» حَيْثُ اضْطَرَبَتْ
 أَلْمًا هَيَّجَ فِي الْقَلْبِ ادِّكَارًا
 نَحْنُ لَسْنَا عَرَبًا إِنْ لَمْ نَدْعُ
 فِكْرَةَ التَّفْسِيمِ تَنْزَاحُ بُخَارًا^(١)

نلاحظ التفاعل النفسي للشعراء الكويتيين مع الحدث السياسي في حينه، فلا يستطيعون إخفاء غضبهم حين يتعلّق الأمر بالإجرام الصهيوني والتخاذل العربي، كما لا يخفون فرحهم عند أيّبادرة اتحاد تجمع العرب تحت راية واحدة كما في اجتماع الجيوش السبعة في وجه الاحتلال الصهيوني.

ولم يكن من الفلسطينيين إلّا استقبال الجيوش العربية استقبال الفاتحين، في حين رأى فيها العرب بداية عهد جديد خالٍ من الاستعمار الغاشم، ووسيلة أكيدة لتحرير الأرض وإعادة الحقّ إلى أصحابه. في ذلك يقول الشاعر عبدالله زكريّا الأنصاري:

أَعْلَنُوهَا ثَوْرَةً قُدْسِيَّةً
 وَمَشَى الْإِسْلَامُ فِيهَا وَالنَّصَارَى
 وَتَبُّوا كَالْأُسْدِ فِي وَجْهِ الْعِدَا
 وَثَبَّةً أَضْحَى لَهَا الْقَوْمُ حَيَارَى^(٢)

إلّا أنّ بريطانيا وأمريكا قد تدخلتا لإيقاف هذه الحرب، بغية الحفاظ على وجود الكيان الصهيوني وحمايته. ونتيجة لهذا الضغط الإنجليزي الأمريكي على العرب، تراجع العرب عن موقفهم في الحرب، وتمّ الاتفاق في التاسع والعشرين من أيار- مايو عام ١٩٤٨م على هدنة بين الطرفين مدّتها أربعة أسابيع. وبعد

(١) مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ديوان عبدالله زكريّا الأنصاري، ص ١٨٢.

(٢) مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ديوان عبدالله زكريّا الأنصاري، ص ١٨٢.

انتهائها عاد الاقتتال بين الطرفين مجدداً في التاسع من تموز في العام نفسه، بيد أن القوات الصهيونية بدت أقوى وأكثر عتاداً من ذي قبل، وهذا يشير إلى أن الهدنة ما كانت إلا لعبة سياسية من قبل إنجلترا وأمريكا لإمداد اليهود بالأسلحة اللازمة. وبعد عشرة أيام تمكن اليهود من احتلال المزيد من الأراضي الفلسطينية، فأصدر مجلس الأمن قراراً يدعو إلى وقف القتال بين الطرفين، وإعلان هدنة غير محدودة الأجل، فساعد ذلك اليهود على تمكين قوتهم بشكل أكبر، وقيامهم بخرق هذه الهدنة في أكثر من مكان وزمان.

الشاعر عبدالله أحمد حسين^(١) ينتقد الموقف العربي بالموافقة على إيقاف الحرب والاستسلام للحل السياسي التوافقي، ويرى أن فلسطين ضاعت بسبب هذا الخطأ الجسيم بالمساومة، وأن بعض الحكام العرب لم يفوا بوعودهم التي كللوا بها خطبهم وأمطروا بها شعوبهم، في النيل من المستعمر وطرده، وبذل الدم رخيصة في سبيل نيل الكرامة والحرية، وأنهم بدلاً من ذلك لجأوا إلى التسويات التي تؤكد خنوعهم، قال:

كَمْ مَلَأْنَا الْأَسْمَاعَ فِي شِدَّةِ الْخَطِّ
بِ كَلَامًا! وَكَمْ هَزَزْنَا الْمَنَابِرَ
وَاجْتَمَعْنَا مِنْ كُلِّ حَذْبٍ وَصَوْبٍ
وَسَمِعْنَا لِنَاظِمٍ وَلِنَاثِرٍ

(١) عبدالله بن أحمد حسين العلي الرؤمي (١٩٢٧ - ١٩٩٤م) ولد في مدينة الكويت وتوفي فيها. عاش حياته بين الكويت ومصر وتونس والمغرب. عمل معلماً بالمدرسة المباركية في الكويت في الفترة ١٩٤٧ - ١٩٥٠م، ثم بالمدرسة الشرقية للبنين ١٩٥٠ - ١٩٥١م، ثم عين سكرتيراً عاماً للبلدية في الفترة ١٩٥٢ - ١٩٥٤م، ثم عين في وزارة الخارجية عام ١٩٦١م مديراً للشؤون الإدارية والمالية والقنصلية، وتقلد منصب سفير للكويت لدى أكثر من دولة عربية. أحد مؤسسي مجلتي «الإيمان» و«صدى الإيمان». نشرت قصائده مجلة البعثة الكويتية، ومجلة الطليعة، ومجلة البيان، وجريدة القبس، وجريدة الوطن، انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ٢١٤.

غَيْرَ أَنَّا لَمْ نَجْبِهِ الْخَضَمَ بِالْعُدُوِّ

فِ وَمِلْنَا إِلَى السَّلَامِ الْخَائِرِ^(١)

يرى الشاعر أنَّ الجنوح إلى السلم في مثل هذه الحالة دليلٌ على الجبن والخنوع والاستسلام، وليس من الحكمة بشيء، ولو جُوبه العدوُّ بالعنف والمقاومة لكان النصر حليف العرب آنذاك.

وتستوقفنا قصيدة للشاعر خالد الفرَج حملت عنوان «الهدنة»، يتطرق فيها إلى هذه اللعبة السياسيَّة التي خُدع العرب بها، والتي لم تكن إلَّا لمصلحة العدوِّ الإسرائيليِّ، ويشير إلى الخروقات الكثيرة التي قام بها الصهاينة في أثناء الهدنة، في حين لم يستطع العرب الردَّ على هذه الخروقات، سوى تقديم شكوى إلى مجلس الأمن الدوليِّ عسى أن يضع حدًّا للانتهاكات المتكرِّرة. في الحين نفسه كان اليهود سبَّاقين إلى الشكوى في مجلس الأمن، فتراهم يبطشون ويقتلون ويعتدون، ويسبقون إلى النحيب والاحتجاج، فقال الشاعر:

بَيْنَ الْيَهُودِ وَبَيْنَ قَوْمِي هُدْنَةٌ

قَدْ خُرِّقَتْ حَتَّى غَدَتْ غَرْبَالًا

فِيهِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ تَكَسَّرَتْ

وَبِهِ نَخَلْنَا لِلْخُطُوبِ رِجَالًا

لَمْ يُمْسِكِ الْغَرْبَالُ مِنْهُمْ وَاحِدًا

حَتَّى وَلَا عَدَا وَلَا أَقْوَالًا

صُورُ تَرَاعَتْ فَوْقَ شَاشَةِ مَسْرَحٍ

وَمَتَّى لَمَسَتْ لَمَسَتْ نَمَّ خَيَالًا

(١) مجلَّة البعثة، السنة الثالثة، ١٩٤٩. [حَدَّب: هي في الأصل حَدَبٌ بفتح الدال، لكنَّ الشاعر سكَّنَهَا جَوَازًا للضرورة الشعريَّة].

«كَالدُّونِ كِيشُوتٍ»^(١) وَطَاحُونَاتِهِ

يَغْشَى الْوَعَى وَيَجْنِدُ الْأَبْطَالَ

وَإِذَا الْيَهُودُ بَغَوْا رَأَيْتَ كِفَاحَهُمْ

بِالِإِحْتِجَاجِ صِيَاخِهِمْ يَتَعَالَى^(٢)

إثر ذلك ظهر الكيان الصهيوني إلى الوجود كدولة يعترف بها العالم، وترضخ لواقع وجودها بعض الدول العربيّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ اليهود قد بدأوا باختلاق مبررات إقامتهم على هذه الأرض، مستندين إلى مزاعم دينيّة وتاريخيّة؛ كي يكون أمام أبنائهم وأحفادهم حجّة يدافعون بها عن الأرض المزعومة لهم. «وقد أعلنت الحركة الصهيونيّة دولة إسرائيل في مساء ١٤/٥/١٩٤٨م، وتمكّنت مع نهاية الحرب من هزيمة الجيوش العربيّة، ومن الاستيلاء على نحو ٧٧٪ من أرض فلسطين، بينما وجدّ شعب فلسطين نفسه مُشرّداً في العراء بعد أن مزّقت الحرب النسيج الاجتماعي والاقتصاديّ له»^(٣). فمن الشعراء الكويتيّين من رأى أنّ الهزيمة في الحرب كانت نتيجة التفرّق والتخاذل والغدر والشقاق، فقال عبدالمحسن الرّشيد:

وَبِالْعَارِ لَا بِالْعَارِ عَادَتْ جُيُوشُنَا

وَقَدْ هُزِمَتْ غَدْرًا وَمَا هُزِمَتْ حَرْبًا

وَضَاعَتْ فِلَسْطِينٌ وَشُرِدَ أَهْلُهَا

وَضُمَّتْ مَغَانِيهَا الصَّهَائِنَةُ الْغُرْبَا

إِذَا مَعْشَرُ دَبِّ التَّخَاذُلِ بَيْنَهُمْ

وَجَدْتُهُمْ وَالضُّعْفُ فِي عَزْمِهِمْ دَبًّا^(٤)

(١) الدُّون كِيشُوت: شخصيّة أسطوريّة هزليّة تجسّد فارساً تتراعى له طواحين الهواء على أنّها عمالقة، فيقاتلها في مخيلته.

(٢) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ٢٠٥. [حوّل الشاعر همزة الوصل إلى همزة قطع في «بالاحتجاج» لإقامة الوزن الشعريّ].

(٣) محسن محمّد صالح، القضية الفلسطينية: خلفيّاتها التاريخيّة وتطوّراتها المعاصرة، ص ٦٣، ٦٥.

(٤) عبدالمحسن الرّشيد، أغاني ربيع، ص ٢٧.

ويستعمل الشاعر الأيوبي مصطلح «الصهاينة» كما استعمله من قبله عبدالمحسن الرشيد، للتشديد على ماهية العدوان اليهودي الذي يحمل صبغة الطائفية والعنصرية، وفي تأكيد لعدم إمكانية اعتراف العرب بإسرائيل كدولة سيادية، ومن ثم إرساخ الهوية الفلسطينية وسيادة دولتها من خلال هذه المصطلحات السياسية، فيقول:

إِنَّ الصَّهَائِنَةَ الْأَوْبَاشَ حَرَبْتُنَا
نَيْرَانَهَا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ تَتَقَدُّ^(١)

لم يكن الشعراء الكويتيون مغالين أو متطرفين في تناولهم لعدوهم، بل ملكوا من الوعي الثقافي والديني ما أهلهم لنيل العنصرية أيًا كان مذهبها. وتحضرنا أبيات للشاعر خالد سليمان العدساني يستكر فيها الطائفية والعنصرية المقيتة، ويبيّن أن حقه ليس على الدين اليهودي، بل على أولئك اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين، منبهاً أن العنصرية هي مذهبهم، إذ قال:

مَا نَقَمْتِي نَحْوَ الْيَهُودِ وَإِنَّمَا
رَجَسُ بَغْضِهِمْ لَهُ اسْتِعْلَاءُ
فَالْعُنْصَرِيَّةُ دِينُهُمْ وَسِمَاتُهُمْ
وَشَرَائِعُ التَّمْيِيزِ ثُمَّ وَلَاءُ^(٢)

وكان أحمد السقاف شاعر القومية بامتياز، بدت واضحة في أوائل قصائده، ومنها التي ألقاها في احتفال المدرسة المباركية عام ١٩٤٨م، وقد أقيم لمناصرة القضية الفلسطينية، فصور حجم الإجرام اليهودي في فلسطين وأهلها الآمنين، واستفسر عن حال مدنها وقراها:

يَا سَاكِبَ الدَّمْعِ أَلَمًا وَأَخْزَانًا
أَضْرَمْتَ فِي الْقَلْبِ وَالْأَخْشَاءِ نِيرَانًا

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٦٥.

(٢) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج٧، ص ٣٢٥.

قُلْ لِي^(١) بِرَبِّكَ هَلْ فَارَقْتَهَا لَهَبًا
وَهَلْ غَدَتْ لِبَنِي صِهْيُون مَيْدَانًا؟
وَكَيْفَ خَلَفَتْ حَيْفًا بَعْدَ نَكْبَتِهَا
وَهَلْ مَرَزَتْ عَلَى عَكَا وَبَيْسَانَا؟^(٢)

وبعد أن عيّنت الأمم المتحدة لجنة للتوفيق بين العرب واليهود، من ممثليين عن الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وتركيا، للتوصل إلى حلّ القضايا المعلقة حول فلسطين، وافقت الحكومات العربية وإسرائيل على مقترحات اللجنة التي عرفت باسم «بروتوكول لوزان» في الثاني عشر من أيار ١٩٤٩م، لتكون أساساً للعمل والمفاوضات بين الطرفين. وفي ذلك رأى الشاعر خالد الفرّج ألا فائدة من حلّ سيبقي على الاحتلال في فلسطين، فقال منتقداً:

لِمَ الذَّهَابُ إِلَى لُوزَانَ فِي ضِيعَةٍ؟
أَلَاغْتِرَافٍ؟ فَلَيْتَ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لِلْوُزَانِ نَفُوزُ بِهِ
إِلَّا خُنُوعٌ وَإِذْعَانٌ وَخُسْرَانُ^(٣)

لكن الأمل بالنصر الوشيك ظلّ حليف الشعراء الكويتيين، متسلحين بأنّ العرب لا ينسون تأثرهم مهما طالّت الأعوام، بل لا بدّ من يوم سينهضون فيه نهضة رجل واحد لطرد العدوان وتحرير الأرض، إذ لا شيء يمنعهم من ذلك؛ فالإمكانيات والطاقت لا حصر لهما، والإيمان بأنّهم أصحاب حقّ سيكون دافعاً قوياً لهم لنيل حريّتهم واستعادة مغتصباتهم. فنظم الشاعر عبدالمحسن الرشيد قصيدة عام ١٩٤٩م، يشحذ بها الهمم ويستنهض النفوس النائمة، محاولاً إيقاظ النّوم على قضية فلسطين بعد هذه الحرب الخاسرة مع الكيان الصهيوني، فقال:

(١) ورد الشطر في الأصل بدونها، وتمّت إضافتها لإقامة الوزن الشعريّ.

(٢) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج٢، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وآثاره، ص ٣٠.

وَمَنْ ذَلَّنَّ أَنَّ الْعُرْبَ يَنْسَوْنَ ثَأْرَهُمْ
وَيَرْضَوْنَ حَمْلَ الضَّيْمِ، لَمْ يَعْرِفِ الْعُرْبَا
فَلَا يَحْسِبِ الْأَعْدَاءُ فِينَا هَوَادَّةً
فَمَا هِيَ إِلَّا رَجْعَةٌ تَسْبِقُ الْوُثْبَا
رُؤَيْدَهُمْ يُلْفُوا كَتَائِبَ يَغْرِبُ
كَمَا فَاضَ فِي الْوَادِي الْمَضِيقِ إِذَا عَبَا
بِكُلِّ فَتًى كَابِنِ الْوَلِيدِ بَسَالَةً
يَرَى الْمَوْتَ فِي سَاحِ الْوَعَى مِنْهَلًا عَذْبَا
أَبْيَّ هَوَى الْأَوْطَانِ حَلَّ شِغَافَهُ
فَلَيْسَ يُرَى إِلَّا بِهَا مُدْنَفًا صَبَا^(١)

وكما تغيّرت ظروف القضية الفلسطينية بعد خسارة الحرب، تغيّرت الرؤى الشعرية تجاه هذه القضية، وانتقلت إلى الحنين الرومانسيّ الباكي والمفجع، والندب على أطلال الذكريات الأليمة، بخاصة بعد بدء مأساة التشرد والضياع. وبدأت المعاناة الحقيقية للشعب الفلسطيني الذي خرج من أرضه على أمل العودة إليها، فأقام في الدول العربية المجاورة لفلسطين، بينما نزح آخرون كلاجئين سياسيين إلى عدة دول غربية، بعد أن سهّلت لهم الإقامة فيها آنذاك، فأصبح الأمل بالعودة آمنيات يرددها الشعراء علهم يخففون من قسوة اللجوء ومرارة التشرد. ودخلت قضية فلسطين حينها مرحلة جديدة من الصراع، أشار إلى حالها المزري الشاعر الأيوبي، وإلى الأوضاع التعسة التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون من الشيوخ والأطفال والنساء، وكيف أمسوا عرضة للهلاك، فقال:

وَحَوْلَ الثُّخُومِ تَائِنُ الْأُفُوفُ
مِنَ الْلاجِئِينَ بَلِيلِ عَكِرُ

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٢٧.

وَبَيْنَ الْوَهَادِ وَفَوْقَ الذُّرَا
يُزْمَجِرُ غَوْلُ الْهَلَاكِ الْقَذِرِ
فَتَاةٌ تَصِيحُ وَأُخْرَى تَمُوتُ
وَأُخْرَى بِأَخْزَانِهَا تُخْتَضِرُ
وَطِفْلٌ يُوَلِّوْلُ فَوْقَ الْعِدَا
وَشَيْخٌ يُهْمُهُمْ أَيْنَ الْمَفْرِ؟
وَأُمٌّ تَهَاوَى وَلَيْسَ بِهَا
سِوَى أَغْظَمِ نَالٍ مِنْهَا الضَّرَرُ^(١)

ومن خُصِّمَ هذه المأساة انبرى الشعراء الكويتيون ينددون طوراً وينقدون تارة، ويدعون بالفرج تارة أخرى، حتَّى لم تكن لتخلو مناسبة من التذكير بمأساة فلسطين، وبخاصَّةِ المناسبات الدينيَّة، لما لها من تأثير في مشاعر الأُمَّة الإسلاميَّة. وقد نظم الشاعر أحمد السَّقَّاف عام ١٩٥٠م قصيدة ضمَّنَها حزنه على ضياع فلسطين، وتمنَّى الفرج بعد الشدَّة التي حلَّت فيها. وقد دعاه الحال الفلسطينيُّ للتعبير عن المأساة التي شاهدها وعاصرها، فتوسَّل بالنبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ آملاً تفريج الهمِّ بإزاحة المأساة، فقال:

أَمَلِي لَأَنْتَ، وَأَنْتَ كُلُّ رَجَائِي
يَا بَاعِثَا أَلَمِي وَشَجَوَا غِنَائِي
يَا مَوْطِنَا لَعِبَ الشَّتَاتُ بِأَهْلِهِ
حَتَّى غَدَا مُتَعَدِّدَ الْأَسْمَاءِ
حَاشَاكَ تَجَحُّدُ مَا بَقِيَتْ قَصَائِدِي
وَلَوْ أَنَّهَا دَمْعٌ وَبَعْضُ دِمَاءِ^(٢)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٦٦.

(٢) يعقوب الغنيم، الأزمنة والأمكنة، م٧، ص ٤٢٥-٤٢٦.

إنَّ العامَ الذي نظم فيه الشاعر قصيدته من الأعوام العسيرة على الأمة العربية؛ لأنَّه جاء بعد أن حلَّت مأساة فلسطين، فنُكِبَ العرب جميعاً بما أصابها، وكأنَّ ظلام الهزيمة في الحرب أطفأ كلَّ بارقة أمل استضاء بها العرب قبل الهزيمة. ويصوِّر خالد الفرج حال اللاجئين الفلسطينيين الذين أقصوا عن ديارهم بغير وجه حقٍّ، وكيف أنَّ الدول المستضيفة لهم لم تفِ بوعودها تأمينَ حياة كريمة لهم، ريثما تعود لهم أرضهم المغتصبة، فيقول مصوِّراً الحال وساخرًا من الحكومات العربية:

اللاجئون من الرَّمْضَا إلى النَّارِ
عَارٌ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا أَيُّمًا عَارِ
نَرَكْتُمُوهُمْ وَقَدْ غَرَّرْتُمْ بِهِمْ
مُشَرِّدِينَ بِلا مَالٍ وَلَا دَارِ
الجُوعُ يَفْتِكُ وَالْأَمْرَاضُ سَارِيَّةٌ
وَكَمْ رَأَى اللَّيْلُ مِنْ ضَاوٍ وَمِنْ غَارِي^(١)

كما ينبّه الشاعر خالد الفرج إلى حجم المصيبة التي ألجأت الفلسطينيين إلى النزوح عن وطنهم بأعداد مخيفة، ويتهكَّم بإشارة خفيّة بالحكَّام العرب، ويستهزئ بوعودهم التي أمطروا الفلسطينيين بها إبان نزوحهم، بأسلوبٍ أشبه بالكوميديا السوداء التي تنتثر الدمعة قبل أن تزرع البسمة، فيتوجَّه إلى الحكَّام باللوم والاستغراب، أنَّ كيف يموت كلُّ هذا العدد من اللاجئين، في حين كنتم قد صرَّحتم أنَّ الأوضاع مدروسة بكلِّ تفاصيلها، وتحت السيطرة؟ فيقول:

وَسَيُّلٌ مِنْ مَلَايِينِ
عَلَى الْأَفْئَاقِ مَخْبُوسَةٌ
وَكَمْ مِنْ لَاجِئٍ قَدْ مَاتَ
تَ وَالْأَوْضَاعُ مَذْرُوسَةٌ^(٢)

(١) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٦٩.

(٢) محمَّد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتي، ص ١٤٥.

وتناول آخرون هذه المأساة بإدخال عنصر القصة الشعرية في قصائدهم، لما لها من تأثير في المشاعر، وتوصيف دقيق لأحوال اللاجئين اليومية، وتحولهم من العزة والكرامة والعيش الرغيد، إلى المهانة والعيش النكد. ومنهم محمد أحمد المشاري^(١) الذي صور حال امرأة فلسطينية عزيزة الجانب، لكن المأساة ألجأتها إلى السؤال، فأخذت تطوف مع طفلتها الشوارع، فقال:

لَمَّا رَأَيْنَا أَسْرَعَتْ إِثْرَنَا
وَعَيْنُهَا بِالْدَّمْعِ مُخْضَلَةٌ
قَالَتْ وَمَدَّتْ كَفَّهَا نَحْوَنَا
وَصَوْتُهَا مُرْتَعِشٌ ذِلَّةً
اللَّهُ لَا يُرِيكَ مَأْسَاتَنَا
يَا سَيِّدِي وَشِدَّةَ الْعِلَّةِ
كَأَنْتَ لَنَا أَمْسِ فِلَسْطِينُنَا
وَبَيْنُنَا وَالْعِيشَةَ السَّهْلَةَ^(٢)

ولم يكتفِ اليهود بالنصر في حرب ١٩٤٨م، وتهجير الفلسطينيين من أراضيهم، بل مارسوا الكثير من الاعتداءات على القرى والمدن الفلسطينية التي تَمَسَّكَ بها عرب فلسطين. ولمَّا كان الشاعر الكويتي متابعاً نهماً للأحداث السياسية في فلسطين، لم تَرَقُّهُ تلك الاعتداءات، فنظم في التنديد بها، وخصَّها للحفز والحث على الثورة مجدداً، فنظم خالد الفرج قصيدة ندَّد فيها بالعدوان

(١) محمد أحمد خالد المشاري (١٩٣٦ - ٢٠٠٠م)، ولد في الكويت، وأتمَّ دراسته الابتدائية والثانوية فيها، ثم سافر إلى القاهرة وأكمل دراسته الجامعية بحصوله على البكالوريوس في الاقتصاد. تقلد عدداً من الوظائف الحكومية السياسية والثقافية، فعمل محاسباً في دائرة المطبوعات والنشر، ثم معاوناً مالياً، ثم سكرتيراً لسفارة دولة الكويت في اليابان، ثم مديراً للإدارة الاقتصادية في وزارة الخارجية، ثم سفيراً لدولة الكويت في كينيا، وتفرَّغ بعد ذلك للأعمال الحرة. كان عضواً في رابطة الأدباء الكويتيين. له قصائد منشورة في الصحف والمجلات الأدبية، وله ديوان شعر بعنوان «أصداء». انظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٢) خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ص ١٣١.

الإسرائيلي على قرية «نَحَالين»، وواسى أهلها في مصيبتهم، موضِّحاً أنَّ خسائرهم أقلُّ من خسائر المجزرة التي ارتكبتها الصهاينة في قرية «قَبِيَّة» الفلسطينية أيضاً، والتي راح ضحيَّتها سِتُّون نفساً:

يَا أَهْلَ نَحَالِينَ صَبِّ
— رَا إِنَّ زُرَّاكُمُ أَخَفُّ
مِنْ قَبِيَّةٍ سِتُّونَ فِي
أَمْتَالٍ مَحْنَتِكُمْ تُؤْفُوا
ظَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَدَّ
مُعْ تَائِلِيهَا لَا تَجْفُ^(١)

وقال أيضاً في قصيدة استذكار مجزرة قَبِيَّة، ومجزرة دير ياسين:

وَدَوْلَةٌ تَدْعِي الْحُرِّيَّةَ اعْتَرَفَتْ
بِوَاقِعِ الْأَمْرِ قَوْرًا فِي فَلَسْطِينِ
وَسَلَّطَتْ كُلَّ أَفْأَقٍ يَمْرُقُهَا
قَتْلًا وَنَهْبًا لآلِفِ الْمَسَاكِينِ
فِي قَبِيَّةٍ وَسِوَاهَا كُلِّ أَوْنَةٍ
بَلْ فِي الضَّحَايَا الَّتِي فِي دَيْرِ يَاسِينِ^(٢)

واستحضر الفرُجُ في مكان آخر المجزرة المروَّعة التي راح ضحيَّتها عدد كبير من الأهالي الآمنين، فوصف طريقة الإجرام اليهوديِّ بذبح الفلسطينيين كما تُذبح الشِّياه:

فِي دَيْرِ يَاسِينِ وَفِي أَخَوَاتِهَا
ذُبِحَ الْأَهَالِي مِثْلَ سِرْبٍ نَعَاجِ^(٣)

(١) خالد محمَّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٨٤.

(٢) خالد محمَّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٨٩.

(٣) خالد محمَّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ٤٥.

تعقيباً على الاعتداء السافر على قرية «نَحَّالين»، انعقدت جامعة الدول العربية في ٣١/٦/١٩٥٤م، علَّ الدول المشاركة فيها تستطيع وضع حدٍّ للعنف والاستيطان المستمرَّين. بيدَ أنَّ خالد الفرّج كان من المتابعين بدقّة للوضع السياسيّ الفلسطينيّ، فنقد الحكّام العرب المشاركين في هذه الدورة، وكيف أنّهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا الإتيان بجديد يفيد القضية، ما لم يكن للسّلاح والكفاح أولويّة بدلاً من التّديد والوعيد بالكلام والخطب، فقال:

أَفْ لِهَذَا الْوَضْعِ أَفْ!
 إِنَّ لَمْ تَفُوا بِالْقَوْلِ كُفُوا
 مِنْكُمْ تَفْطَرَتِ الْمَرَائِرُ
 وَالْعِدَى بِكُمْ اسْتَخَفُوا
 مَهْمَا اجْتَمَعْتُمْ وَاجْتَجَجْتُمْ
 فَالْأَعْيَادِي لَا تَعِفُّ^(١)

وله في قصيدة أخرى انتقادٌ لجامعة الدول العربيّة، مُستخفاً بالأقوال التي لا تُعزّزها الأفعال، ومحدّراً من الدول الطامعة بالبلاد العربيّة:

عَقَدْتَ اجْتِمَاعَكَ يَا جَامِعَهُ
 فَهَلْ أَنْتِ مُبْصِرَةٌ سَامِعَةٌ؟
 سَيُؤْمِنَا الْكَلَامُ فَهَلْ مِنْ فِعَالٍ؟
 فَإِنَّ الْأَعْيَادِي بِنَا طَامِعَةٌ^(٢)

لم يكن الشاعر الفرّج مُتَشائماً في شعره، ولا بعيداً عن التّفاؤل بالخلاص العربيّ من المستعمر، إلّا أنَّ جمود الجامعة العربيّة أمام الاعتداءات الأجنبيّة المتكرّرة ألجأته إلى هذا النقد. وجدير بالذكر أنَّ الشاعر نفسه كان سابقاً قد هلَّل

(١) خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وأثاره، ص ٥٥.

(٢) خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وأثاره، ص ٢٧. وانظر: محمّد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتيّ، ص ١٤٣.

فرحاً يوم أعلن عن تأسيس جامعة الدول العربيّة عام ١٩٤٥م، فنظم قصيدة يشيد بهذا الإنجاز العربيّ الذي يُعتبر خطوة أولى نحو الوحدة الحقيقيّة، وموثّقاً أسماء الدول الأعضاء فيها، فقال:

وَأَنْعِمَ بِجَامِعَةِ الْعُرُوبَةِ عُرُوءَ
وُثِّقَى لِحَبْلِ الْإِخَا مَوْضُولِ
صَفَتِ الْقُلُوبُ بِهَا لِحْمَسِ مَمَالِكِ
جَعَلَتْ مِنَ الْمِيثَاقِ خَيْرَ كَفِيلِ
لُبْنَانُ وَالْيَمَنُ الشَّقِيقُ وَسُورِيَا
وَبِلَادُنَا الْعُلْيَا وَوَادِي النَّيْلِ
وَلَسَوْفَ تَنْتَظِمُ الْعُرُوبَةُ كُلُّهَا
مِنْ جَامِعٍ أَوْ خَاضِعٍ مَغْلُولِ^(١)

وبعد المحنة التي أصابت فلسطين والفلسطينيين، لم يترك الشعراء الكويتيون منبراً شعريّاً إلا صدحوا من خلاله متأسّفين حيناً ومستجدين أحياناً أخرى. وتنوّعت الأغراض الشعريّة التي تناولت القضية في الفترة التي أعقبت الحرب؛ بين الأسف على الهزيمة النكراء، وخسارة فلسطين بسببها، والتوجّه إلى استنهاض الهمم والتركيز على استحضار الأمجاد الماضية، والتذكير بانتصارات العرب سابقاً، والتحذير من المدّ الغربيّ واليهوديّ في المنطقة العربيّة. فدفع الأملُ الشاعرَ عبدالله حسين الرومي^(٢) إلى استنكار الماضي المشرفّ للعرب، وانتصاراتهم بجيوشٍ انت تغطّي عين الشمس، فيقول مُواسياً نفسه والعرب:

(١) عواطف خليفة العذبي الصّباح، الشعر الكويتي الحديث، ط١، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣، ص ٢٥٦.

(٢) عبدالله بن أحمد حسين العلي الرومي (١٣٤٦-١٤١٥هـ/ ١٩٢٧-١٩٩٤م). شاعر وسياسي، نشرت قصائده في عدد من مجلّات عصره، ورصد له محمّد حسن عبدالله في كتابه «الصحافة الكويتية في ربع قرن» ثلاث عشرة قصيدة حتّى عام ١٩٧٢. انظر: معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج١٢، ص ١٢٧.

مَا نَسِينَا كِتَابَ النَّصْرِ بِالْأَمِّ
 سِيسٍ وَمَا غَابَ بِنْدُنَا الْمَنْشُورُ
 أُمْتِي لَنْ تَمُوتَ وَالزُّخْفُ أَتِ
 قَدَرٌ صَاخِبٌ وَبَخْرٌ يَمُورُ
 نُونٌ إِرْغَامِهَا تَزُولُ الْجَلَامِي
 دُ وَتَفْنَى عَلَى رَحَاهَا الدُّهُورُ^(١)

في حين كان الأيوبي أكثر تفصيلاً في استحضاره الأمجاد الماضية، فعاد بها إلى «بدر» أول معركة في الإسلام، ثم «اليرموك» المعركة الفاصلة بين الروم والمسلمين، فمعركة «القادسية» التي كانت الفاصمة للجيش الفارسي، ثم الفتوحات العربية التي وصلت المشرق بالمغرب، فيقول:

يَا يَوْمَ بَدْرٍ وَفِي الْيَرْمُوكِ كَارِثَةٌ
 دَارَتْ عَلَى الرُّومِ حَتَّى عَزَّ مِنْجَاهَا
 قَدْ أَزْهَقَ اللَّهُ رُوحَ الشُّرْكِ فَأَنْدَثَرَتْ
 جَمَاجِمُ الرُّومِ وَاضْطَكَّتْ ثَنَائِيهَا
 دُكَّتْ رُؤُوسُ بَنِي سَاسَانَ وَأَنْسَحَقَتْ
 بِالْقَادِسِيَّةِ وَأَرْفَضَتْ مَطَايَاهَا^(٢)

ولا يرى خالد الفرج العرب المعاصرين له جديرين بأن ينسب نفسه إليهم، ولولا تعلقه بماضٍ مجيد للأجداد لتخلّى عن هويته العربية، وتبع قوماً غير العرب، من أقوام شرق آسيا مثلاً، فيقول في ذلك:

لَوْلا اغْتِرَازِي بِجِدُودِي الْأَلَى
 سَادُوا دُرَى الْمَجْدِ فِي مَا غَبَرَ

(١) محمد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتي، ص ٢١٣.
 (٢) مجلة الكويت، ١٩٢٩، م ٢، ج ١، ص ٩٨-٩٩. [أرفض الشيء: تفرق وزال].



لَقُلْتُ يَا مَوْمَأُ هَلْ عِنْدَكُمْ
لِي صَبْغَةٌ أَوْ فُلْفُلٌ مِنْ شَعْرٍ؟^(١)

إنَّ رغبة الشاعر عن قومه العرب، ورغبته في الانتساب إلى قوم غيرهم، نتيجةٌ طبيعيةٌ للتخاذل العربيِّ من القضية الفلسطينية، وتعبيراً واضحاً عن الصدمة التي تلقَّتها الجماهير العربية باحتلال إسرائيل واستيطانها فلسطينَ أمام أعين الحكَّام العرب. ولما لهذه القضية من أهميةٍ سياسيةٍ وتاريخيةٍ ووطنيةٍ وقوميةٍ عند العرب، فإنَّ كلَّ نداءٍ أطلقه الشعراء العرب على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، كان يصبُّ في ضرورة إيجاد حلٍّ جذريٍّ لهذه القضية.

ومن هنا، نادى أغلب الشعراء بضرورة الوحدة العربية التي هي السبيل الأمثل، بل الوحيد، للنهوض بالأمة العربية مجدداً، لتكون في مصافِّ الدول ذات القوَّة والسيطرة في الشرق الأوسط، وفي العالم. ورأى الشعراء الكويتيون ألاَّ سبيل إلى النصر إلاَّ بالوحدة تحت لواء العروبة أو الإسلام أو الأخوة، فضلاً عن ضرورة حثِّ العرب على النهضة العملية والعلمية معاً، كي يستطيعوا مجاراة المستعمر الغربيِّ. فتوجَّه الأيوبيُّ إلى أمَّة العرب مخاطباً:

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ لُمِّي الْجَمْعَ وَاحْتَفِظِي
بِكُلِّ قَرْمٍ - لَأَيَّامِ الْخُطُوبِ - أَبِي
إِلَى الْأَمَامِ إِلَى الْمَجْدِ الْأَثِيلِ إِلَى
ذِكْرِ تَخْلُدُهُ الْأَجْيَالُ فِي الْكُتُبِ
إِلَى الْوَنَامِ إِلَى حَفْنِ الدَّمَاءِ إِلَى
جَمْعِ الشَّتَاتِ إِلَى الْأَقْلَامِ وَالْكِتَابِ

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٧٤. [لعلَّ الشاعر يرمز إلى اسم هنديٍّ؛ إذ تشتهر الهند بثقافة صبغ الشعر باللون الأحمر، واستخراج صبغته من الفلفل الأحمر، وزاد احتمالات أن تكون الهند هي المقصودة، الاختلاط الحاصل بين شعوب الخليج العربيِّ وأقوام الهند، حيث يوجدون في دول الخليج بأعداد كبيرة].



الدِّينُ يَأْمُرُنَا بِالْإِتِّحَادِ فَلَا

تُخَالِفُوا سُنَّةَ الْإِسْلَامِ فِي الْكَرْبِ^(١)

ويدعو الشاعر عبدالمحسن الرشيد إلى رص الصفوف والتضحية في سبيل الوطن، ويشدد على أهمية الوحدة العربية، ويطالب العرب بالإعراض عن كل من يحاول جرهم إلى التفرقة والانزياح عن طريق الوحدة، فيقول:

وَذَنِّي بِقَوْمِي أَنْ يَضُمُّوا صُفُوفَهُمْ

وَأَنْ يَضْرِبُوا كَفًّا وَأَنْ يَحْمِلُوا قَلْبًا

وَأَنْ يُعْرِضُوا عَنْ كُلِّ دَاعٍ لِفُرْقَةٍ

وَهَلْ تُطْرِبُ الْغَرْبَانُ سَامِعَهَا نَعْبًا؟^(٢)

ولعل الوعي العروبي القومي لم يكن حصرًا على المطلعين سياسيًا وكبار الشعراء والمتقنين الواعين منهم، إلا أنه كان سمةً للشعب الكويتي كله، فتستوقفنا قصيدة «الوطن العربي» لعنجري أحمد العنجري^(٣)؛ الطالب آنذاك بالمدرسة المباركية، نظمها عام ١٩٥٤م، وفيها:

وَقُولُوا لِيَعْرَبَ إِنِّي الْبَشِيرُ

مِنَ الشَّامِ لِلشَّرْقِ حَتَّى الْيَمَنِ

فَبَغْدَادَ ثُمَّ الْكُوَيْتِ الْمَجِيدِ

وَمِصْرَ وَتُونِسَ حَتَّى عَدَنَ

فَسِرْ بِالْحَيَاةِ سَرِيعَ الْخَطَا

وَقِفْ بِالْمَعَالِي رَفِيعَ الْمَهَنِ^(٤)

(١) نورية الرومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعري عرض ونقد، ص ٥٤٠.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٢٧.

(٣) عنجري بن أحمد العنجري: شاعر كويتي، كان حياً في خمسينيات القرن العشرين، له قصائد تعبر عن حسه القومي، نشر بعضها في مجلة البعثة (الكويت). [لم أعر على ترجمة له].

(٤) مجلة البعثة، السنة الثامنة، ١٩٥٤، العدد ٥، ص ٤٩٣.

وممَّن طَوَّفَ بشعره آفاق القضية العربيَّة، وندَّد بالاستعمار، ودعا إلى الوحدة العربيَّة، وإيقاظ الوعي القوميِّ لدى جماهير الشعوب العربيَّة، الشاعرُ راشد السَّيف في قوله:

خُذُوا الْوَحْدَةَ الْكُبْرَى لِتَوْحِيدِ رَأْيِكُمْ
مَنَارَ سَبِيلٍ وَاضِحٍ غَيْرِ جَائِرٍ
فَفِي اللِّغَةِ الْفُصْحَى وَدَيْنِ وَمَوْطِنٍ
رَوَابِطُ تُغْنِي عَنْ عُمُومِ الْأَوَاصِرِ^(١)

وبدا العرب أكثر تفاؤلاً يوم استجاب حُكَّامهم لنداءات الشعوب المتكرِّرة بضرورة الوحدة العربيَّة، للوقوف في وجه الاستعمار اليهوديِّ وقفة رجل واحد، وتجسَّد ذلك عملياً من خلال الوحدة بين الجمهوريَّة العربيَّة السوريَّة وجمهوريَّة مصر العربيَّة، عام ١٩٥٨م، وإعلان «الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة»^(٢)، بعد سنتين معركة سيناء والعدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م، وإعلان القوَّات السوريَّة النفير العام، ووقوفها بجانب القوَّات المصريَّة في محنتها.

واعتبر الشعراء الكويتيُّون الوحدةَ أبرزَ إنجاز تاريخيٍّ على مستوى العالم العربيِّ آنذاك، فانبهروا بباركونها ويشيدون بصنَّاعها. ومن هؤلاء عبدالله أحمد حسين الذي تلقَّى خبر إعلان الوحدة بالتمجيد والفخر، فنظم قصيدة أكَّد فيها الأثر الإيجابيِّ الذي تركته في نفوس الشعوب، إزاء الرعب الذي دبَّ في قلوب المعتدين الذين سيرفعون رايات الاستسلام بعد هذا، فقال:

يَا لَهَا مِنْ لَحْظَةٍ حَاسِمَةٍ
عَصَفَتْ بِالْقَيْدِ فَاهْتَزَّ عَدَانَا

(١) خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، ج١، ص ١٩٣.

(٢) هو الاسم القوميُّ لدولة الوحدة بين جمهوريَّة مصر والجمهوريَّة السوريَّة، والتي أُعلن عن قيامها في الأوَّل من فبراير ١٩٥٨م، والذي بدأ بعد التقارب بين الحركة الثوريَّة العربيَّة في المشرق بقيادة حزب البعث في سورية، والرئيس جمال عبدالناصر في مصر.

وَالطَّوَاغِيَتْ عَلَى أَبْرَاجِهَا
رَفَعَتْ رَايَاتِهَا تَبْغِي الْأَمَانَا...
إِنَّمَا الْوَحْدَةُ يَخْذُوا رُكْبَهَا
أَثَبَتْ النَّاسَ عَلَى الْجُلَى جَنَانَا
أَخْوَانِ اتَّفَقَا فِي مَوْقِفِ
رَفَعَ الرَّأْسَ وَأَخْيَا كِبْرِيَانَا
تَبَعَ الشَّعْبُ جَمَالاً رَائِدَا
وَاقْتَفَى شُكْرِي^(١) فَمَا حَابَ رَجَانَا^(٢)

وأكدَّ أحمد مشاري العدواني أنَّ الوحدة بين سورِيَّة ومصر هي الأصل الذي كان عليه العرب منذ القدم، وليست أمراً مستغرباً، لكنَّ الأمر العجيب هو تفرُّق العرب عن أصل الوحدة واتِّخاذهم الفرقة بدلاً منها، فقال:

لَيْسَ الْعَجِيبُ بِنَا تَحْقِيقَ وَحْدَتِنَا
لَكِنْ تَفْسِيمَنَا هَذَا هُوَ الْعَجَبُ^(٣)

كما أشادَ الشعراء بالوحدة بين البلدين، فرحين باجتماع المشرق العربيِّ مع مغربه مجدِّداً، وقد اكتسبت هذه الوحدة أهميَّتها الاستراتيجيةَّ من الحاجز الصهيونيِّ بين الدولتين، وقيام إسرائيل كمنطقة فاصلة بين المشرق العربيِّ ومغربه، «فلقد قيل الكثير في تفسير دوافع وعد بلفور، إلَّا أنَّ الثابت والأكيد

(١) شكري بن محمود بن عبدالغني القوتلي (١٨٩١-١٩٦٧م)، أوَّل زعيم وطنيٍّ تولَّى رئاسة الجمهوريَّة السوريَّة. دمشق المولد والأسرة. كان على عهده جلاء فرنسا عن سورِيَّة عام ١٩٤٦م. انتخب رئيساً للجمهوريَّة في أغسطس- آب ١٩٥٥م، وقصد مصر على رأس وفد من سورِيَّة، فاتفق مع رئيس الجمهوريَّة المصريِّ جمال عبدالناصر على توحيد القطرين، وتسميتهما (الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة) ونزل له شكري، باختياره، عن الرئاسة عام ١٩٥٨م، ومنحه الثاني لقب (المواطن العربيُّ الأوَّل) فعاد إلى دمشق. واستقرَّ لاحقاً في بيروت للعلاج من مرض القرحة، وتوفِّي فيها، ثمَّ نُقل إلى دمشق ودفن فيها. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٧٣.

(٢) معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ٢١٤. [الجلَى: الأمر الشديد والخطب العظيم].

(٣) خليفة الوقيان، القضية العربيَّة في الشعر الكويتيِّ، ص ١٥٧.

أنَّ السبب الرئيس هو تحقيق الهدف الإمبرياليّ الثابت بزرع كيان يهوديّ استيطانيّ في فلسطين، ليكون حاجزاً بين مصر والمشرق العربيّ، وقلعة أماميّة أمام التحرُّر والاتِّحاد»^(١).

وانفصلت الوحدة بين البلدين، ومَرَّت ذكرى عدوان حزيران ١٩٦٧م واغتصاب مزيدٍ من الأراضي العربيّة عامّاً بعد عام، وليس ثمة ما يبشر بحلّ القضية الفلسطينيّة، فمن الطبيعي أن يزداد الاهتمام بالمقاومة الفلسطينيّة على أنّها الجهة التي لم تتوقّف عن السّعي على طريق التحرير، وإن كانت خطواتها تصطدم بكثير من العقبات التي تعرقل السير وتؤخّر بلوغ الغاية المنشودة.

يشكّل توثيق الشعراء الكويتيّين للمجازر التي ارتكبتها الصهاينة بحقّ الفلسطينيين أهميّة تاريخيّة لا تقلُّ عن الوثائق المسجّلة أو المصوّرة، وتعيد إلى الذاكرة الفظائع اللاإنسانيّة، وتنكّأ في الضمير العربيّ جرح فلسطين كلّما أوشكت الأيّام والأعوام على برئه. ومن هنا تتّضح لنا حميّة الشعراء الكويتيّين وغيرتهم على أشقائهم الفلسطينيين؛ إذ لم يكتفوا بتناول أحداث القضية بشكل عموميّ وحسب، بل تطرّقوا إلى التفاصيل الدقيقة التي يمكن لها أن تستهض الهمم العربيّة النائمة، وتساعد في شحن النفوس نحو وحدة عربيّة للخلاص من العدو الصهيونيّ.

وعندما نتفحص المفردات المعجميّة في لغة القصائد، والأغراض الشعريّة التي تناولها الشاعر، ندرك أنّ الواقع النضاليّ الفلسطينيّ يفرض نفسه ولغته، ونلاحظ الوجد والألَم والتشرّد يوحى بالحزن والرومانسيّة الباكية المفرطة. إنّ الواقعيّة الثوريّة أنموذج حيّ لتطوّر الرّؤى الفكرية والمواقف الواقعيّة، وهذا ما لمسناه في النتاج الشعريّ الكويتيّ الذي رافق مرحلة النهوض الثوريّ الفلسطينيّ. وقد رافق الشعر العربيّ الكويتيّ قضية فلسطين منذ ظهورها على المسرح العالميّ

(١) عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٥٦١.

في عشرينيات القرن الماضي، وكان الشعراء يستغلون كل مناسبة لتأييدها والتذكير بها، فتابعوها في جميع مراحلها وأطوارها المختلفة؛ منذ إعلان «وعد بلفور»، مروراً بانتفاضات الشعب الفلسطيني في الثلاثينيات، ثم رفضه قرار التقسيم، ثم حرب ١٩٤٨م وما لحقها من تبعات.

لم تكن قضية فلسطين الوحيدة في بلاد الشام التي حظيت باهتمام الشعراء الكويتيين، بيد أنها كانت الأبرز والأكثر تناولاً، وقد شكّلت مادة ثرية لهم، فأكثرُوا من تناولها في قصائدهم، وأثر في ذلك عاملان: الأول معاصرتهُم لأحداث القضية ومتابعتهم لمجرياتها. والثاني نزعتهم القومية ووعيهم السياسي الذي حمل قصائدهم همّاً عربياً، ورسائل إنسانية، ووثائق تاريخية، ارتقت جميعها بشعرهم إلى مراتب الشعر الإنساني السياسي الخالد.

ولمّا كان الوطن العربي ولا يزال المطمع الأوّل لكلّ الدول الاستعماريّة في العالم، عانت الأغلبية من هذه الدول الاستعمار الأجنبي، فكانت الثورة شيئاً ملازماً لهذا الاستعمار، وكانت دعوة الشعراء عنصرًا أساسيًا في الحزّ على الجهاد لطرده. فأشار الشعراء إلى قضايا الأمة العربية في مختلف الأقطار العربية، وقد فضح الشعر أساليب المستعمرين وأعمالهم الوحشية، ودعا إلى مساندة من يتعرّضون للعدوان، كما مجّد المخلصين والمناضلين في سبيل حرّية الأمة، وعمل على كشف المتخاذلين والمتآمرين على العرب. ومن الدول العربية التي عانت ويلات الاستعمار الأجنبيّ الجمهوريّة العربيّة السوريّة، كما سنراها من منظور الشعراء الكويتيين المعاصرين لمرحلتها الاستعماريّة.

ب - قضايا التحرُّر من الاستعمار الفرنسي في سورية، ومناصرة القضية الفلسطينية

تزامن الاحتلال الفرنسي لسورية (١٩٢٠ - ١٩٤٦م) مع الاحتلال الصهيوني لفلسطين، إذ كانت سورية ضمن التقسيم الذي اتفقت عليه بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط. إلا أنَّ هذا الاحتلال قد جُبهَ بكثير من الثورات المسلَّحة التي لم تدَّخر عدَّة ولا عتادًا في سبيل نيل الحرِّيَّة وطرد المستعمر، ممَّا ساعد على عدم استيطان الفرنسيين في سورية، أو تهجير شعبها منها على عكس ما حصل في فلسطين، فقد كانت الأنظار الاستعماريَّة متَّجهة إليها لجعلها وطنًا قوميًّا لليهود العالم، فحظي اليهود بالدعم الغربيِّ ومناصرته، وحظيت فلسطين بالاهتمام العربيِّ وعنايته، سواء أكان في الشعر أم التوثيق التاريخيِّ.

وما يهْمُنَا في هذا الشأن، هو إلقاء الضوء على حركات التحرُّر من المستعمر الفرنسي في سورية في ما وثَّقه الشعر الكويتيُّ المعاصر لأحداثها. وأوَّل إشارة نجدها عند الشاعر الأيوبيِّ في قصيدته «الشُّهداء» التي نظمها عام ١٩٢٩م، يقول فيها:

هَـذِي فَرَنْسَا بِسُورِيَا الْأَبِيَّةِ قَدْ
سَرَى لَهَا بِحَدِيثِ الْفَتْكِ رُكْبَانُ
تَحَكَّمَ الْوَحْشُ فِي نَحْرِ الْفَتَاةِ فَيَا
وَيْحَ الْفَتَاةِ، وَهَلْ لِلْوَحْشِ وَجْدَانُ؟^(١)

ينعت الاستعمار الفرنسي بالوحش، بينما يشبَّه سورية بالفتاة الوداعة الآمنة، فكيف إذا تحكَّم الوحش في هذه الفتاة؟ فلا رحمة أو إنسانيَّة يمكن أن تتوقَّع منه. وفي قصيدة أخرى له يشير إلى نضال الشعب السوريِّ وبسالته في مواجهة المستعمر الفرنسيِّ، ويشيد بعزيمة هذا الشعب الذي صمَّم على التحرُّر من قيد الاستعمار رغمَ تعنته وصلابته:

وَبِسُورِيَا شَعْبٌ يُكَافِحُ لَا يَنْبِي
مُتَشَامِخًا يَسْقِي الْفَرَنْسِيْسَ التَّرْحُ

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٠١.

وَيُحَاطُّمُ الْأَغْلَالُ وَهِيَ ثَقِيلَةٌ

بِعَزِيمَةٍ جَبَّارَةٍ يَهْوَى الرَّبِّحُ^(١)

يأخذنا هذا إلى أنَّ معاناة الشعب السوريِّ من الفرنسيِّين، لم تصرفهم عن مناصرة قضية فلسطين، بل كانوا ينددون الاحتلال الصهيونيِّ لها، ويثورون مع الشعوب العربيَّة لنصرة هذه القضية، فمن ذلك ما قاله الشاعر الأيوبيُّ في ثورة سهل حوران في الجنوب السوريِّ، وثورة الشعب في كلِّ أرجاء سورية:

وَمِرْجَلُ الْحِفْدِ يَغْلِي فِي صُدُورِكُمْ

إِذْ هَبَّ يَصْخَبُ لِلْهَيْجَاءِ حَوْرَانُ
وَفِي سُورِيَا لِأَخْذِ الثَّأْرِ غَمْغَمَةٌ

لِلْأَسَدِ قَامَتْ لَهَا لَحْمٌ وَغَسَّانُ^(٢)

ولاحقًا، ظهرت الإشادات بالبطولات السوريَّة في الشعر العربي في الكويت متأخرة، فوردت مثلًا في سياق الاحتفال لمناسبة عيد الجلاء الفرنسيِّ عن سوريَّة، فكانت قصائد مناسبات أكثر ممَّا هي قصائد توثيق للحدث ومعاصرته. من ذلك ما نظمته الأيوبيُّ:

قَفَا بِنَا فِي رُبُوعِ الشَّامِ إِنَّ بِهَا

عَيْنُ الْعُرُوبَةِ فَيَاضُ بِهِ النَّجْحُ
بَيْنَ الرُّوَابِي أُسُودٌ فِي عَرَائِنِهَا
تَهْوَى الْوُثُوبُ، عَلَيْهَا خَيْمَ الْفَرَحِ^(٣)

وقال فيها مشيدًا بالبطولات السوريَّة التي انتهت بطرد المحتلِّ مدحورًا:

هُمْ هُمُ الْقَوْمُ مَا ذَلُّوا وَمَا ضَعُفُوا

وَمَا اسْتَكَانُوا لِطُغْيَانٍ وَمَا سَمَحُوا
وَهُمْ أَذَاقُوا فَرْنَسَا يَوْمَ وَثَبَتْهُمْ
نَارَ السَّعِيرِ فَأَقْعَى فَوْقَهَا النَّارُ^(٤)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٧٩.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٠٦.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٧٠.

(٤) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٧١. [أَقْعَى فِي جُلُوسِهِ: جَلَسَ عَلَى أَلَيْتِيهِ، وَنَصَبَ سَاقِيهِ وَفَخَذِيهِ].

ومن ذلك القصيدة التي نظمها الشاعر عبدالله زكريّا الأنصاريّ لمناسبة
الاحتفال بيوم جلاء المستعمر الفرنسيّ عن سوريّة، فقال:

أَيَا يَوْمَ الْجَلَاءِ طَلَعَتْ فَجْرًا
وَحَارَرَتْ الرَّقَابَ مِنَ الْقُيُودِ
وَبَشَّرَتْ النُّفُوسَ بِعَهْدٍ عَزٍّ
وَهَنَّتْ الْقُلُوبَ بِيَوْمِ عِيدٍ^(١)

واستوقفنا قصيدة للشاعر الأيوبيّ، عنوانها «تحية سوريّة الخالدة»، يشيد
فيها بالشّام وأهلها، ويصف دمشق بأنّها حضن العروبة، فيقول:

وإِنَّا لِلنَّفِيرِ عَلَى انْتِظَارٍ
لِتَوْقِظَ صَرْخَةُ الْحَقِّ الرُّقُودَا
وَمِنْ حِضْنِ الْعُرُوبَةِ فِي دِمَشْقٍ
نَرُومُ الزَّخْفَ مُزْدَخِرًا سَدِيدًا^(٢)

لكنّ الشاعر لم ينظمها حين كان الثوّار السوريّون يسطّرون أروع الملاحم
في مقاومة المستعمر الفرنسيّ، بل لاحقاً في مدحه للجيش السوريّ الذي قاتل
بجانب القوّات المصريّة في العدوان الثلاثيّ على مصر عام ١٩٥٦م، فكانت
مناسبة تناوله لأحداث الحرب تحيله إلى مدح الجيوش العربيّة المشاركة فيها.
ونقف على أنموذج آخر للشاعر الأيوبيّ يصوّر اللحمة بين الدولتين العربيّتين
الكويت وسوريّة، وبّين الشاعر ودمشق، مشبّهاً إيّاها بالوطن الكبير المحتضن
للوطن الابن الكويت، فيقول:

تَرْنُو الْكُوَيْتُ إِلَى دِمَشْقَ وَكُلَّهَا
قَلْبٌ يَحِنُّ وَغَيْرَةٌ لَنْ تُجْحَدَا

(١) مؤسّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ، ديوان عبدالله زكريّا الأنصاريّ، ص ١٣٠-١٣١.

(٢) محمود شوقي الأيوبيّ، ألحان الثورة ص ١٣٨.

حُبُّ مِنَ الْوَطَنِ الصَّغِيرِ مُهْلَلٌ

يَنْسَابُ لِلْوَطَنِ الْكَبِيرِ مُخَلَّدًا^(١)

وهنا أيضاً لم ينظم الشاعر القصيدة في أحداث ما قبل عام ١٩٤٦م، بل نظمها في مناسبة «زيارة الفريق الرياضي للجيش السوري الكويت مساء يوم الثلاثاء الموافق للثاني والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٥٥م، وألقاها في الحفل الذي أقامه النادي الثقافي القومي في الكويت احتفاءً لمناسبة الزيارة»^(٢). ويعود الشاعر الأيوبي ليؤكد الوفاق والأخوة بين الكويت وسورية، فيقول:

وَمِنْ مَعْنَى الْكُوَيْتِ إِلَى دِمَشْقٍ

يَفِيضُ الْحُبُّ مَيْمُونًا حَمِيدًا

إِخَاءً كُلُّهُ حُبُّ صَمِيمٌ

يَوْحَدُ بَيْنَنَا الْأَمَلَ الْوَطَنِيَّ^(٣)

الحقيقة أن الشعر الكويتي أغفل بعض الأحداث السياسية التحررية في بلاد الشام، وإغفاله لها لم يكن بالمعنى الدقيق لتجاهلها، بل بعدم شرح تفاصيل هذه الأحداث ومعاصرتها، ولعل ذلك يكون منطقياً في حال أن المناطق التي لم يتناولها الشعراء لم تكن تخضع للاحتلال الأجنبي، ولم تقم فيها ثورات تحررية. واللافت للنظر هو ندرة ما نظمه الشعراء الكويتيون عن توصيف الثورات السورية على المحتل الفرنسي في الفترة (١٩٢٠-١٩٤٦م) التي حفلت في تاريخ سورية بالكثير من البطولات في مجاهدة المحتل، عدا النماذج التي ذكرناها للشاعر محمود الأيوبي والتي ضمّنها قصيدته «الشهداء» التي نظمها عام ١٩٢٩م.

والشعراء الكويتيون عاصروا هذه الأحداث وكتبوا في أحداث معاصرة للفترة نفسها، بيد أن أغلبهم لم يتطرقوا إلى الثورات السورية بشكل مباشر، ولعل السبب

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٥٣.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٤٩.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١١٥.

الرئيس في ذلك تزامنُ الاحتلال الفرنسيّ لسوريّة مع الاحتلال اليهوديّ لفلسطين، فاعتنى شعراء الكويت، كشعراء تلك المرحلة، بالقضيّة الفلسطينيّة أكثر من سائر القضايا العربيّة.

ج - الثورة الأردنيّة المناصرة للقضيّة الفلسطينيّة

ترجّحت مواقف الشعراء الكويتيّين من الحكومة الأردنيّة والجيش الأردنيّ في مرحلة النزاع العربيّ الأجنبيّ منتصف القرن العشرين؛ فمنهم من انتقد الجيش الأردنيّ وتبعيّة الحكومة الأردنيّة للآخر البريطانيّ المتحكّم في كلّ أمورها وقراراتها الداخليّة والخارجيّة، وأكثر ما أثار حفيظة الشعراء المنتقدين، استكاف الأردنّ عن نصرّة الشعب الفلسطينيّ في مجابهته للمستعمر الصهيونيّ عام ١٩٤٨م. ومنهم من أشاد ببطولات الشعب الأردنيّ وتضحيات بعض أفرادهِ في سبيل نصرّة شعب فلسطين المجاور له.

يفضّح الشعر ما تغفله بعض كتب التاريخ السياسيّ من مواقف مخزية للعرب إبّان الاحتلال الصهيونيّ لفلسطين، وكأنّ الشاعر خالد الفرّج عرف أنّ شعره سيخلّد للأجيال اللاحقة، فبذل جهده ليضع بين أيديهم تاريخاً عاصره بنفسه وشاهده بعينه، فنظم قصائد مطوّلة تحاكي الواقع العربيّ، وتنبّي عن حقيقة تقاعس العرب في نصرّة بعضهم البعض. فيقول في قصيدة عنوانها «الوضع العجيب»:

وَفِي الْأُرْدُنِّ وَآسَفَاءُ جَيْشُ

عَرِيبُ الْجُنْدِ قَائِدُهُ كُلوْبُ^(١)

(١) كُلوْب «غُلوْب باشا» جون باجوت Glub.J.B (١٨٩٧-١٩٨٦م)، ضابط بريطانيّ عمل في الجيش البريطانيّ في العراق عام ١٩٢٠م. وفي عام ١٩٢٦م استقال من الجيش البريطانيّ والتحق بقوّات الصحراء العراقيّة، ليضع حدّاً للغزوات القبليّة فيها، وعندما نجح في مهمّته هذه، عينته الحكومة الأردنيّة في جيشها لقمع الغزوات البدويّة، كما فعل في العراق، وبقي في منصبه هذا طوال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٠-١٩٣٩م. ثمّ اختير رئيساً لأركان حرب الجيش العربيّ الأردنيّ الذي كان يعمل فيه عدد كبير من الضباط البريطانيّين. وكان هذا الجيش يتلقّى سنوياً معونة بريطانيّة ماليّة كبيرة نسبياً. وكان غلوْب باشا يدّعي دائماً أنّه كان موالياً ومخلصاً للقضايا العربيّة، وأنّه ترك جانباً ولاءه لبريطانيا، ولكنّ الدور الذي لعبه في الحرب العربيّة الإسرائيليّة كشفه وفضح أمره. وفي عام ١٩٥٦م اضطرّ الملك حسين إلى طرد غلوْب باشا من جيشه، مُنهيّاً بذلك سجلاً مليئاً بالخبت والدّهاء دام ستّة وثلاثين عاماً. له مؤلّفات متعدّدة في تاريخ العرب، ومذكرات نشرها في كتاب. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي: موسوعة السياسة، ج٤، ص ٣٥٦-٣٥٧.

يُقِيمُ كَأَنَّهُ فِي الصَّيْنِ ثَاوٍ
وَحَوْلَ حُدُودِهِ تَدْوِي الْحُرُوبُ
وَحَامِيَهَا حَرَامِيهَا كَذُوبُ
كَمَا يَحْمِي جِمَى الْقُطْعَانِ ذَيْبُ
أَحَاجِي النَّاسِ بِالْأَلْغَازِ هَذِي
فَيَفْهَمُ سِرَّهَا الْفِطْنُ اللَّيْبُ^(١)

ينتقد الشاعر قوَّات الجيش الأردنيَّ على موقفهم المؤسف من القضية الفلسطينية، ويشير إلى أنَّ قيادة الجيش كانت بيد الضابط البريطانيِّ غلوب باشا، بينما عناصر جيشه من العرب الأردنيِّين، إلَّا أنَّهم كانوا يأتَمرون بأمره، ويناؤون بأنفسهم عن الأحداث الدمويَّة على الحدود الأردنيَّة الفلسطينية، وكأنَّهم مقيمون في الصَّين لا جيرانَ لفلسطين.

وفي موقفٍ مشابهٍ، يستوقفنا الشاعر عبدالمحسن الرشيد في قصيدة نظمها لمناسبة قدوم وفدٍ أردنيٍّ إلى الكويت طلباً لاستئناف العون الماديِّ الذي تقدَّمه الكويت للأردن، فتَهَجَّم الشاعر بغضبٍ عليهم منتقداً جرأة الوفد في طلب المعونة، في حين أنَّهم تخلَّوا عن فلسطين في أزمتها، لا بل استنكر هذا الطلب، وتهكَّم أسلوبه، فلعلَّ أعضاء الوفد يظنُّون أنَّها جَزِيَّةُ أردنيَّة على الكويت، أو دَيْنٌ وجب سدَّاده، فقال:

صَبَّغُوا بِالْدَّمِ الْبَرِيءِ الْيَادِي
ثُمَّ جَاؤُوا يَبْغُونَ عَوْنَ بِلَادِي
حَسِبُوا الْعَوْنَ جَزِيَّةً فَرَضُوهَا
أَوْ دَيْوَنًا وَحَانَ وَقْتُ السَّدَادِ^(٢)

(١) مجلَّة البعثة، السنة الثامنة، ١٩٥٤، العدد ٥، ص ٤٥٤.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٣٥.

ثمَّ يستهجن طلبهم المعونة في حين أنَّهم يحصلون عليها من الإنجليز
الداعمين لليهود في فلسطين على شكل قُرُوضٍ وعُقُودٍ واتِّفَاقِيَّاتٍ، وَعُدَّةٍ وَعَتَادٍ
وَمُسَاعَدَاتٍ، فيقول:

عَقَدُوا وَالْعَدُوَّ صَفْقَةً خِزْيٍ
فَتَمَّانُوا وَأَمْعَنُوا فِي التَّمَّادِي
وَتَقَاضُوا أَجُورَهُمْ مِنْ عِدَانَا
فِي قُرُوضٍ وَعُدَّةٍ وَعَتَادٍ^(١)

ويصفهم بالأعداء ما داموا قد اختاروا الوقوف إلى جانب المستعمر اليهودي
في معاداة الشعب الفلسطينيِّ المظلوم المسلوب الحقَّ والأرض، وأنَّ رداء العروبة الذي
يرتدونه كي يتميَّزوا به عرباً، لن يحولَ دونَ كشف حقيقتهم؛ فهمُ والعدوُّ واحدٌ في
الهدف والغاية، وعليهما العقاب عينه في موعد الحساب العربيِّ المنتظر، فيقول:

أَنْتُمْ وَالْعِدَا سَوَاءٌ لَدَيْنَا
مَا لَبِسْتُمْ مِنْ زَائِفِ الْأَبْرَادِ
فَاصْبِرُوا، مَوْعِدُ الْحِسَابِ سَيَأْتِي
عَنْ قَرِيبٍ وَالْعُرْبُ بِالْمِرْصَادِ^(٢)

لكنَّ الشعب الأردنيَّ لم يكن راضياً عن تبعيَّة قرار حكومته للاستعمار
الأجنبيِّ، فقام بثورته على الاستعمار وعلى الحلف العراقيِّ التركيِّ البريطانيِّ عام
١٩٥٥م، فانبهرى الشاعر الأيوبيُّ يشيد بالثورة المباركة، غير مستهجنٍ هذا النهوض
الثوريَّ بعد الصمت المطبق، بل رأى أنَّ القوميَّة العربيَّة والغيرة الأخويَّة متأصلتان
في الشعب الأردنيِّ، فقال:

لَا تَقُولُوا ثَارَ شَعْبُ الْأُرْدُنِ
بَلْ هُوَ الْحَقُّ انْجَلَى فِي الزَّمَنِ

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٣٦.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٣٨.

إِنَّهُ شَغِبَ سَرَى الْحَقِّ بِهِ
سَرِيَّانَ الْمَاءِ بَيْنَ الْغُصْنِ
فَبَدَا فِي الْأَرْضِ حَقًّا سَاحِقًا
بُغْيَةَ الْمُسْتَعْمِرِ الْمُسْتَهْجَنِ^(١)

ويعود الأيُّوبيُّ ليُحيِّي الثورة الأردنيَّة على الاحتلال الصهيونيَّ عام ١٩٥٥،
مترحمًا على الشَّابَّة «رجاء حسن أبو عماشة»^(٢) التي استشهدت وهي تُنزلُ العَلَمَ
البريطانيَّ عن القنصلية البريطانية في القدس في العام نفسه. فكانت بذلك أوَّل
شهيدة فلسطينيَّة (من يافا)، فقال:

شُهِدَاءُ الْحَقِّ فِي الْأُرْدُنِ قَدْ
لَقَّنُوا الدَّرَسَ لِمَنْ لَمْ يُدْعِنِ
يَا رَجَاءُ! أَنْتِ فِي الْمَغْنَى عَلَى
كُلِّ قَلْبٍ نَشْوَؤُ الْمُسْتَيْقِنِ^(٣)

ونظم في الشهيدة رجاء وجعلها رمزًا عربيًّا للبطولة والتضحية، مشبِّهاً إيَّاهَا
بِالثائرة الفرنسيَّة «جان دارك»^(٤)، التي اعتبرت رمزًا قومياً للفرنسيين، فقال:

(١) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ١٤٢.

(٢) رجاء حسن أبو عماشة (١٩٣٩ - ١٩٥٩م)، شابَّة فلسطينيَّة ولدت في مدينة يافا. استشهدت على يد قوَّات
الأمن الأردنيَّة في القدس عام ١٩٥٥ في أثناء اقتحامها مبنى السفارة البريطانيَّة على رأس مظاهرة قامت
احتجاجاً على حلف بغداد. وهي أوَّل من رفع العلم الفلسطينيَّ في القدس، وكانت القدس، وسائر ما يسمَّى
بالضفة الغربيَّة، تحت إدارة الجيش الأردني. في أثناء اقتحامها مبنى السفارة البريطانيَّة على رأس مظاهرة
قامت احتجاجاً على حلف بغداد. انظر: موقع المعرفة. وانظر: موقع جنوب لبنان.

(٣) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) جان دارك Jeanne d'Arc (١٤١٢-١٤٣١م)، مناضلة فرنسيَّة قاتلت من أجل حرِّيَّة بلادها في القرن
الخامس عشر. ارتقت إلى مصافِّ البطلة الشعبيَّة والقديسة، نظراً لشجاعتها واكتسابها صفة «رمز الوحدة
الوطنية» لدى الفرنسيين. كانت في سنِّ المراهقة حين بدأت أحاسيسها الوطنيَّة تنضج في جوٍّ من انتقام
الشعب الفرنسيِّ وهو يواجه حرباً مع إنجلترا. قادت الجيوش الفرنسيَّة في الثامن من مايو ١٤٢٩م لفتح
حصار الجيش الإنجليزيِّ عن مدينة أورليانز الفرنسيَّة، ولكنها وقعت في أسر دوقيَّة بورغندي التي باعتها
للإنجليز. وواجهت محاكمة صوريَّة انتهت بإعدامها حرقاً. وفي عام ١٩١٩م قرَّرت الحكومة الفرنسيَّة اعتبار
يوم الأحد الثاني من شهر مايو عيداً قومياً تكريماً لذكرى جان دارك». انظر: عبد الوهَّاب الكيالي، موسوعة
السياسة، ج ٢، ص ٢١.

هَذِي الْكُوَيْتُ تَهَلَّلَتْ بِحَمِيَّةٍ
عَرَبِيَّةٍ فِيهَا الْإِخَاءُ تَوَجَّدَا
قَسَمًا بِ (جَانِ دَارِكِ) الْعُرُوبَةِ إِنَّنَا
دِنَا بِمَا قُمْتُمْ وَلَنْ نَتَرَدَّدَا
قَسَمًا بِعَذْرَاءِ الرَّجَاءِ شَهِيدَةِ الـ
أُزْدَنْ مِنَّا الْحُبُّ فِيكُمْ خُلْدًا^(١)

إذ يغبط الشاعرُ الشعبَ الأردنيَّ على هذه الحميَّةِ القوميَّةِ مع الشعب
الفلسطينيِّ المناهض للمستعمر، ويشدّد على أنَّ مكانة الأردنَّ قد عظمت في نفوس
الكويتيَّين والعرب، وأنَّ موقفهم -وإن جاء متأخراً- قد أرسخ المحبَّة في القلوب
مخلدةً إلى الأبد.

لم يكن الشعراء الكويطيُّون ذوي محاباة في ما يتعلّق بالقوميَّة والقضايا
السياسيَّة ذات التأثير في مستقبل الوطن العربيِّ والأمة العربيَّة، فتباينت مواقفهم
في تناولهم للأردن جيشاً وحكومة وشعباً، حيث كان الموقف السياسيُّ للأردن
يفرض نفسه على الشعراء الكويطيَّين، فحين تخاذل الجيش عن المشاركة في معارك
المصير العربيِّ، لم يتوان الشعراء في توجيه النقد إليه، وحين بذل الشعب تضحيات
توكّد دعمه المعنويَّ والحسيَّ للقضايا العربيَّة، نظم الشعراء في تمجيده والإشادة
بصنيعه والفخر به.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الشعر الكويطيَّ لم يتطرق إلى الحالة السياسيَّة في لبنان
في النصف الأوَّل من القرن العشرين، إلَّا في إشارات وجدنا منها عند الشاعر
الأيوبيِّ في قصيدته التي نظمها تنديداً بحادث القدس عام ١٩٢٩م، والتي أشار
فيها إلى الثورات العربيَّة التي قامت نصرة لفلسطين بعد هذه الواقعة الأليمة،
حيث قال:

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٢٥.

لِلأَزْدَنِ الزَّاحِرِ الثُّجَّاجِ دَمْدَمَةٌ

وَقَدْ تَنَهَّدَ يَوْمَ الْخُطْبِ لُبْنَانُ^(١)

استمد الشعر الكويتي قوّته وصحّته من الواقع المعيش، فقد استطاع أن يصوّر الواقع السياسيّ للمناطق الساخنة في بلاد الشام تصويراً دقيقاً، فوصف الأحداث وسردها نظماً حيناً، واستتهض الهمم والنفوس حيناً، معتمداً على حسن اختيار الكلمة الموحية بطاقتها وجرسها ومعناها، فجاء الشعر قوياً مؤثّراً، فارتفع شعره إلى مراتب الوثائق التاريخية المهمة، ووصل إلى ذروة الجمال الفنيّ في لوحات حزينة لصراع الأمة العربيّة في أغلال العدو. وقد أكّد الشاعر الكويتيّ حضوره وفعاليّته على الساحتين الأدبيّة والنضاليّة؛ فالقضيّة الفلسطينيّة قضيّة دامية ومؤلمة في كلّ قلب عربيّ، والشعر شكلٌ من أشكال الثقافة وسلاح من أسلحة المناضلين، ومن هنا جاءت أهميّة صوت الشاعر في ميدان المعركة.

وقد بدا أغلب الشعراء الكويتيّين ملتزمين قضايا أمّتهم، سخّروا شعرهم لخدمة القضيّة العربيّة بعامة، وقضيّة فلسطين بخاصّة، فسجّلوا الأحداث والمحن السياسيّة التي شهدتها هذه البقعة المقدّسة تحت نير العدو الصهيونيّ وأعبائه الثقيلة. فلمسنا في شعرهم صدق العاطفة القوميّة، ولهذا جاء بمثابة مرآة لأحوال الوطن العربيّ، فحملت قصائدهم صيحتهم الوطنيّة وصرخة الألم، وصور الثوّار المناضلين والمناهضين للطغيان والاستبداد. وقد كان الشعراء الكويتيّون في مستوى القضايا السياسيّة المعاصرة لهم، وأقلاماً حرّة في مرحلة خطيرة مرّت بها الأمة العربيّة وما زالت، هي الدفاع عن الوجود والحفاظ على البقاء والسعي إلى المستقبل.

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٠٦.

رابعاً: مصر الملكية والجمهورية، والعدوان الثلاثي عليها

لم يكن الشعراء الكويتيون بمعزل عن الأزمات السياسية ثمّ المواجهات الحربيّة التي دارت في مصر في كلتا مرحلتَيها: الملكية ثمّ الجمهوريّة، فأروا في مصر الركن الأساسي الذي تنهض به سائر الدول العربيّة، والثقل العسكري الذي يمكن الاعتماد عليه في ترجيح كفة العرب على العدوّ الأجنبيّ المستعمر في أيّ مواجهة بينهما. ومن هذه المكانة المرموقة والعالية لمصر في نفوسهم، تناولوا أحداثها بأهميّة بالغة، فأيدوا تارةً، وندّدوا ببعض قراراتها السياسيّة تارةً أخرى.

إنّ الدافع إلى سلّك الملكية ثمّ الجمهوريّة التي أطاحت حكم الملك فاروق^(١)، في سياق قضايا التحرّر، يعود إلى التبعيّة المصريّة لبريطانيا، وقد أشار الشعراء إلى هذه التبعيّة في أكثر من مكان، فضلاً عن نداءاتهم المستمرّة بضرورة التحرّر منها، وذلك بتأميم قناة السويس، ومواجهة القوى الاستعماريّة في المنطقة، وفي مقدّماتها إسرائيل. كما شكّل الحكم العسكريّ الذي اتّسمت به الجمهوريّة آنذاك تهديداً للمصالح الأجنبيّة في المنطقة العربيّة، تهديداً أسفر عن وقوع العدوان الثلاثي «بريطانيا، فرنسا، إسرائيل» على مصر عام ١٩٥٦م، والذي دعا الشعراء إلى تخليد بطولات المقاومين المصريين والعرب في صدّه آنذاك، وهذا ما سنتطرّق إليه بعد الوقوف على آراء الشعراء الكويتيّين في المرحلتين السياسيّتين: الملكية والجمهورية.

(١) فاروق الأوّل، الملك (١٩٢٠-١٩٦٥م)، ملك مصر ١٩٣٧-١٩٥٢م، ولد في القاهرة، وهو الابن الوحيد لأبيه الملك فؤاد، فتقلّد ولاية العهد في حياة أبيه، ولقب بأمير الصعيد. حين تولى عرش مصر تجمّعت حوله كل القوى السياسيّة المعادية لحزب الوفد الذي كان في الوزارة، ثمّ أقال الوزارة عام ١٩٣٧م، ومع نشوب الحرب العالميّة الثانية اتّهمه الإنجليز بالتخابر مع ألمانيا، ففرضوا عليه وزارة الوفد مجدداً. تمتّع فترة قصيرة من بداية حكمه بتأييد شعبيّ نسبيّ. عُرف عنه الاستبداد والمجون. بدأ الهتاف بسقوطه عام ١٩٤٦م في الجامعة، ثمّ أجبرته ثورة ١٩٥٢م على التنحي عن عرشه لابنه فؤاد الثاني في السادس والعشرين من تموز- يوليو ١٩٥٢م ورحل عن مصر، ثمّ ألغيت الملكية وقامت الجمهوريّة في الثامن عشر من حزيران- يونيو ١٩٥٣م. انظر: عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج٤، ص ٤٤٦-٤٤٧.

تعددت مواقف الشعراء في تناولهم للأحداث السياسية التي مرّت بها مصر آنذاك، بل إنّ التباين وقع في قصائد الشاعر الواحد؛ فتارةً يكون عاتباً على مصر، وتارةً أخرى مادحاً مشيداً بها. كما أنّ ثورة الأحرار عام ١٩٥٢ قسّمت الشعراء الكويتيين المهتمّين بالقضايا السياسية فريقين: فريقاً أيّد الثورة وأشاد بقادتها واستبشر بها الخير لمصر جديدة، وفريقاً آخر عارضها ورأى فيها انقلاباً أكثر منه ثورة. وقد دفعت الشعراء لاتّخاذ هذه المواقف دوافع خاصّة سوف نبينها.

أ - المملكة المصريّة^(١)

حمل بعض الشعراء الكويتيين قصائد هم كثيرًا من العتب على موقف المملكة المصريّة من قضية فلسطين، منتقدين الحياد الذي انتهجته حكومة الملك فاروق من العدوان الصهيونيّ عليها، حيث إنّ موقف الشعراء ارتبط بموقف المملكة تجاه القضية الفلسطينيّة، ويؤكد التاريخ تخاذل المملكة آنذاك في نصرّة القضية، ممّا ألجأ بعض الشعراء إلى النظم نقدًا لها وعتبًا عليها، ومن ذلك ما نظمه صقر الشبيب عام ١٩٣٧م أيام الملك فاروق وحكومة النحاس، عن تخاذل مصر الملكيّة في نصرّة القضية الفلسطينيّة عمليًّا، والأصحّ عدم تقديمها المرجوّ والمنتظر منها كدولة لها شأن كبير في العرب، وأقرب جارة قويّة لفلسطين، قال:

لُومِي فِلَسْطِينِ الْعَزِيزَةَ، أَوْ ذَرِي

مِصْرًا عَلَى هَذَا السُّكُوتِ الْمُنْكَرِ

سَكَتَتْ وَصَوْتُ الظُّلَمِ يَذْوِي مُعْلِنًا

تَقْسِيْمَكَ الْمُشْجِي كَأَنَّ لَمْ تَشْعُرِ^(٢)

(١) المملكة المصريّة (١٩٢٢ - ١٩٥٢م)، كانت أوّل دولة مصريّة حديثة. أُنشئت المملكة عندما تمّ إعلان استقلال مصر عن المملكة المتّحدة عام ١٩٢٢، بعد اندلاع ثورة ١٩١٩م وسقوط مئآت القتلى. أصبح فؤاد الأوّل الملك الأوّل لمصر، خلفه ابنه فاروق الأوّل عام ١٩٣٦، ثمّ فؤاد الثاني عام ١٩٥٢م كآخر ملوك مصر حتّى قيام ثورة عام ١٩٥٢ من قبل الضباط الأحرار والتي انتهت بإعلان جمهوريّة مصر العربيّة. وقد بلغ عدد سكان المملكة في آخر عهدها حوالي اثنين وعشرين مليون نسمة. انظر: ويكيبيديا.

(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٧٤.

ولعلَّ سبب هذا الموقف المستنكر من مصر، والذي أشار إليه الشَّيْب، هو تبعيَّة المملكة المصريَّة لبريطانيا في تلك الفترة، ومصر يومئذٍ ترسِف في قيود الاحتلال البريطانيِّ الذي يُقيِّدُ عليها حريَّتها السياسيَّة، ويحرمها حقَّ الانفراد بالقرار السياديِّ. فمن المعلوم أنَّ بريطانيا هي الراعي الرسميُّ لتوطين اليهود في فلسطين، والمستفيد الأكبر من هذا التوطين؛ بالخلاص من اليهود في أوروبا، وزرع كيانٍ مُوَالٍ للغرب في قلب الوطن العربيِّ. ومن هنا، لم يكن تخاذل مصرٍ في نصرَّة القضية الفلسطينيَّة آنذاك لقلة في العُدَّة والعديد، بل محاولةٌ من مصر لإرضاء بريطانيا، حتَّى لو أنَّ جارتها تتعرَّض للعدوان الصهيونيِّ. إلى هذه النقطة يشير الشَّيْب في قوله:

أَيَسَّرُ مَضْرًا أَنْ تُرَمِّمَ مَجْدَهَا
بِمُزَقٍّ مِنْ مَجْدِنَا وَمُبَعَثٍ
وَلَعَلَّنَا نَلْقَى لَهَا أَقْوَى يَدٍ
إِنْ نَازَلَتْ يَوْمًا عَدُوًّا يَجْتَرِي^(١)

ثمَّ قوله مشدِّدًا على ذلك:

الْجُبْنُ قَدْ صَدَّ أَمَّ لِرِضَائِهِ
عَنْ جَوْرِ حُكْمِ الظَّالِمِ الْمُتَنَمِّرِ^(٢)

وقد حاول النظام الملكيُّ إصلاح موقفه الحياديِّ من القضية الفلسطينيَّة، وذلك باشتراكه مع القوَّات العربيَّة في محاربة الغازي الصهيونيِّ عام ١٩٤٨م، بيدَ أنَّ الهزيمة التي لحقت بالقوَّات العربيَّة، كانت الصخرة التي تحطَّم عليها النظام الملكيُّ في نظر الجيش المصريِّ؛ فحينما عاد الضُّبَّاط المصريُّون من الحرب مهزومين ومقهورين، تحوَّلوا إلى خلايا نشطة ذات طابع تنظيميٍّ، لأنَّهم رأوا أنَّ الملك فاروق كان مسؤولاً عن هزيمة الجيش المصريِّ في فلسطين، سواء أكان

(١) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّيْب، ص ٣٧٤.

(٢) أحمد البشر الرُّومي، ديوان صقر الشَّيْب، ص ٣٧٤.

بالقيادات التي انتخبها وهي تجهل أساليب الحرب، أم بقلّة التموين والإمداد اللوجستيّ. فَوُلِدَتِ الهيئةُ التأسيسيةُ للضُّباط الأحرار في سبتمبر ١٩٤٩م بقيادة الضَّابط جمال عبدالناصر.

ب - الجمهورية المصرية

في الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢م، اندلعت شرارة الثورة المصرية لإطاحة نظام الحكم الملكي، وكانت حركة تغيير سلمي بلا عنف، قادها ضباط الجيش المصري الأحرار بقيادة جمال عبدالناصر، ونجحت في الاستيلاء على مبنى هيئة أركان الجيش، ومراكز القيادة الكبرى، واعتقال بعض الوزراء وكبار القادة. وأذاع حينها اللواء محمد نجيب بياناً أعلن للشعب فيه قيام الجيش بحركة غايتها مصلحة الوطن. ومن أبرز التشريعات التي جاءت بها الثورة: تأكيد عروبة مصر، وإقامة الوحدة مع سورية، وجلاء القوات البريطانية جلاءً تاماً، وتأميم قناة السويس^(١).

كانت الثورة المصريّة النافذة الأولى التي انفتحت وسط ليلٍ عربيٍّ مُتجهّم الوجه، ومن الطبعيّ أنّ تتلقّى الجماهير ميلاد الثورة بالبهجة والفرح، وأنّ ترى فيها الأمل لتخليصها ممّا عانتَه أيّامُ المملكيّة، وبخاصّةٍ أنّ أحد أبرز أسبابها هو المطالبة بالتخلّص من الاحتلال البريطانيّ، ورفض وجوده على أرض مصر.

وقد حظيت الثورة بتأييدٍ شعبيٍّ كبير، فضلاً عن وجود بعض الفئات المعارضة استلامها للحكم في مصر. وتسابق الشعراء العربُ بعامةً والكويتيّون بخاصّةٍ إلى النظم في الثورة المصريّة، إلّا أنّ مواقفهم تباينت بين موالٍ لها ومعارض، وستقف على تفاصيل ذلك عند بعض الشعراء الكويتيّين.

١ - الشعراء الموالون للثورة المصرية ١٩٥٢

تواطؤاً أسفر عن تخاذلها في نصرة القضية الفلسطينية، فنظم قصيدة أشاد فيها بالثورة المصريّة، واعتذر عن نقده السابق لمصر، واستبشر بنصرة مصر الجديدة القضية الفلسطينية، فقال:

لَقَدْ أَنْعَشْتُ مِصْرَ رَجَاءِ بَنِي الْعَرَبِ
فَأَتْنَى عَلَيْهَا مِنْهُمْ كُلُّ ذِي لُبٍّ
عَدْتُ مِنْ بَنِي الْعَرَبِ الْكَرَامِ جَمِيعَهُمْ
مَنَاطُ عَرَى الْأَمَالِ فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ^(١)

واعتذر عن قصيدته السابقة مبيناً أنّه لم يكن إلاّ عتاب المحبّ لحبيبه، وأنّ الواقع السياسيّ حينها كان يستوجبه منه، فقال:

عَتَبْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ ثَوْرَتِهَا لِمَا
رَأَيْتُ لَهَا إِذْ ذَاكَ مِنْ مُوجِبِ الْعُتْبِ
وَهَلْ يَرْتَضِي الْمَحْبُوبُ حُبَّ مُحِبِّهِ
إِذَا لَمْ يُعَاتِبْهُ الْمُحِبُّ عَلَى الذَّنْبِ؟^(٢)

نستطيع ملاحظة بشائر الفرحة في قصيدة الشبيب، وآماله التي يعقدها على الثورة المصريّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ الشبيب جعل نظمه لهذه المناسبة في سياق العموميّة، فلم يُفرد قصيدة في مدح جمال عبدالناصر، ولا في اللواء محمّد نجيب، وإن كان قد أشار إلى الأوّل في سياق إشادته بالوحدة العربيّة الكبرى بين مصر وسورية، لكنّه قرن الشخصيّة بالمناسبة، واستحضرها مع شخصيّة الرئيس السوريّ شكري القوّتلي، قال:

بَيْنَ شُكْرِي وَجَمَالِ الْعَرَبِ
خَيْرُ حَلْفٍ مُوَصِّلٍ لِأَرْبٍ...

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٥٠.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٥٠.

فَلِشُّكْرِي خَيْرُ شُكْرِ مِثْلُهُ

لِجَمَالِ مُغْتَلِي الْقَدْرِ الْأَبْيِ^(١)

فإذا كان الشَّبيب قد أشاد بالثورة المصريَّة بشكل عامٍّ، وخصَّ بها الرئيسين شكري وجمال، فإنَّ غيره من الشعراء قد خصَّ القيادة السياسيَّة للثورة بهذه الإشادة. وها هو أحمد السَّقَّاف في قصيدته «تحية الكويت لمصر»، يحلم بمصر جديدة في أقوالها وأفعالها، بعيداً عن تلك التي لم تستطع تحقيق المرجوَّ منها قبلاً. فخصَّ اللواء محمَّد نجيب بالتحية، إذ رأى فيه معاني الزعامة والخلاص والكفاح، فقال:

نَجِيبٌ تُفَدِّيكَ مِنَّا الْقُلُوبُ

تَزَعَّمُ عَلَى الْأُمَّةِ الثَّائِرَةَ

فَلَوْلَمْ تَكُنْ أَنْتَ مَعْنَى الْخَلَاصِ

لَجَاءَتْ مَفَاهِيمُهُ قَاصِرَةً

وَلَوْلَمْ تَكُنْ أَنْتَ مَعْنَى الْكَفَّاحِ

لَظَلَلْتُ مَكَانَتُهُ شَاغِرَةً^(٢)

كما توسَّع الشاعرُ في الرئيس جمال عبدالناصر القائد الذي سيحرِّر فلسطين من الاحتلال اليهوديِّ، والذي سيطوي سنوات من العار والخذلان إزاء القضية الفلسطينية أيام حكم الملكة، فقال:

جَمَالُ فِلَسْطِينِ تَرْنُو إِلَيْكَ

لِتَقْطَعَ مِنْ وَخْشِهَا دَابِرَةَ

لَقَدْ طَالَ فِيهَا مَقَامُ الطَّرِيدِ

وَرَاجَتْ مَكَائِدُهُ الْمَاكِرَةَ

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٦٨.

(٢) محمَّد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتي، ص ٥١.

وَمَادَتْ لِأَعْمَالِهِ الْمُنْكَرَاتِ

وَضَاقَتْ بِقُطْعَانِهِ الدَّاعِرَةُ^(١)

كما تبوّأ الرئيس المصري جمال عبدالناصر مكانة مرموقة عند الشاعر الأيوبي بعد ثورة الأحرار، فقد حفز النصر المصري في حرب ١٩٥٦م الشاعر على إهداء الرئيس المصري ديوانه الملحمي «ألحان الثورة»، ومما قاله فيه:

بِكَ يَا جَمَالَ الْغَاصِبُونَ تَقَوَّضَتْ

أَبْرَاجُهُمْ يَوْمَ الْكِفَاحِ الْمُرْعِبِ^(٢)

تبدو ملامح الفرح بثورة الأحرار المصريّة واضحة المعالم في الشعر العربي في الكويت، والذي كان مرآة عاكسة لفرح شريحة كبيرة من الجماهير المصريّة بالثورة الجديدة، وبخاصة أنّ الهدف الأسمى للقائمين بها هو رفض الاحتلال الأجنبيّ جملة وتفصيلاً، ممّا يُعتبر بداية مبشّرة للخلاص الكامل من الاحتلال في أرجاء الوطن العربيّ بعامة، وفلسطين بخاصّة.

٢ - الشعراء المعارضون للثورة المصريّة ١٩٥٢

لم تحظ الثورة بتأييد تامّ من الشعراء الكويتيّين؛ فمنهم من انتقدها وقبح فيها، ولم يرَ فيها المنقذ العربيّ من الاحتلال الأجنبيّ، بل صوّرها قيّداً جديداً للحرّيّات في مصر، فضلاً عن القيود التي خلّفتها الملكيّة وتشريعاتها. ومن هؤلاء خالد الفرّج الذي نظم قصيدة إبّان أحداث الثورة المصريّة، يقول في مطلعها:

سَائِلُوا فِي مِصْرَ مَوْوُودَتَهَا

وَيَحَهُمْ فِي أَيِّ ذَنْبٍ قَتَلُوهَا

دَفَنُوهَا وَتَغَنُّوا بِاسْمِهَا

فِي أَنْشِيدٍ فَخَارٍ رَتَلُوهَا

(١) محمّد حسن عبدالله، ديوان الشعر الكويتيّ، ص ٥١.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٩.

مَجْدُوا فِي قَوْلِهِمْ حُرِّيَّةً

هُمْ بِأَفْعَالِهِمْ قَدْ جَنَدَلَوْهَا^(١)

الموؤودة التي يرثيها الشاعر ليست إلا الحرية؛ الهدف الأول الذي تقوم لأجله كل الثورات السياسيّة في العالم. وإذا كانت الثورة لم تحقّق هذا الهدف، فلن تستطيع تحقيق أيّ هدفٍ آخر لاحقاً. والشاعر الفرّج يشير إلى قضية مهمّة تتمثّل في أنّ العدل الذي تطبّقه الفئة المنتصرة والمسيطرّة، هو ذاته الظلم الذي تعانيه الفئة الخاسرة والمضطهدة. فنداءات الحرية التي ضجّت بها الساحات والبيادين لإسقاط حكم الملكية، هي عينها نداءات باعتيال كلّ معارضٍ لسياسة الثورة، أو الانقلاب كما يراه الفرّج. وعلى الرغم من أنّ قصيدة الشاعر هنا تدور في فلك العموميّة، يؤكّد الكثير من الإشارات أنّه نظمها قدحاً في الضبّاط الأحرار الذين أطاحوا الحكم الملكيّ ليعلموا الحكم الجمهوريّ مكانه، كما أنّه لا يرى في فعلهم ثورة، بل انقلاباً مطمعه سياسيّ، فيقول:

يَا بَكَابِيش^(٢) بِمَضْرٍ سَيَطْرُوا

مِثْلَمَا سَيَطْرَ فِيهَا أَوْلُوهَا^(٣)

يقصد الشاعر بالبكايش الضبّاط الأحرار، وعلى رأسهم جمال عبدالناصر الذي كان برتبة بكباشي في الجيش المصريّ؛ ففي الثامن من مايو ١٩٥١م رُقّي جمال عبدالناصر إلى رتبة البكباشي «مُقَدَّم» وفي العام نفسه اشترك مع رفاقه من الضبّاط الأحرار سرّاً في محاربة الفدائيّين للقوّات البريطانيّة في منطقة القناة، حرباً استمرّت حتّى بداية ١٩٥٢م.

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٨٧.

(٢) بكباشي: رتبة عسكريّة في الجيش العثمانيّ، تُقابل رتبة مُقَدَّم في الجيش العربيّ. ولعلّ أصل التسمية يعود إلى تركيب هذه الرتبة من اسمين (بيك + باشا)، لتتطوّر إلى هذه الرتبة العسكريّة.

(٣) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٨٧.

لكنَّ هذا الموقف المعارض لثورة الأحرار لم يكن في المقابل ولاءً لحكم الملكية في مصر، ولا حُزنًا على إقالة الملك فاروق من منصبه، بل إنَّ الشاعر يرى في الحكومة الملكية المقالة مثالاً للطاغية، بيدَ أنَّ الثورة جاءت بحكومةٍ لا تقلُّ طغياناً عن سابقتها، بل إنَّ الضبَّاط جعلوا الثورة وسيلةً لتحقيق مآربهم السياسيَّة، فيشرح الشاعر موقفه بقوله:

طَرَدُوا الطَّاعِي لِيَطْغَوْا مِثْلَهُ
فِي رَوَايَاتٍ وَعُودٍ مَثْلُوهَا
جَعَلُوا الثُّورَةَ سَيْفًا مُضَلَّتًا
وَبِهَا أُمَّتُهُمْ قَدْ ذَلُّوهَا^(١)

إنَّ هذا الموقف السلبيَّ لخالد الفرَج من الثورة المصريَّة، المناقض لمواقف الشعراء الكويتيَّين الآخرين -كصقر الشبيب وأحمد السقَّاف ومحمود الأيوبي الذين أشادوا بالثورة المصريَّة وزعيمها جمال عبدالناصر- يحتاج إلى أن نعود إلى تاريخ الشاعر الفرَج أوَّلًا، ثمَّ الأحداث الممتدَّة بين قيام الثورة ١٩٥٢م، ووفاة الشاعر نفسه ١٩٥٤م. ومن خلال تقصُّينا لسيرة الشاعر، تبين لنا أنَّه كان من المتأثِّرين بدعوة الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب، زعيم الحركة الوهابيَّة في نجد، ومن المدافعين عن دعوته، والمنضوين تحت لوائها لاحقًا، وترجم الشاعر ولاءه شعرًا في قصيدة مدَّح بها الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب،^(٢) وأخرى يشير فيها إلى نفسه بالتزامه الدينيَّ الشديد، فقال:

فِي الْمَهْدِ لُقِّنْتُ الشَّهَادَةَ، وَهِيَ لِي
زَادُ، وَتَكْفِينِي بِهَا يَكْفِينِي^(٣)

(١) خالد محمَّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٨٧.

(٢) مجلَّة الكويت، ١٩٢٩، ٢م، ج ٧، ص ٣١١.

(٣) خالد محمَّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ٣٧. [جانس الشاعر بين الاسم (تكفيني) أي لَفِّي بالكفن، و(تكفيني) الفعل المضارع بمعنى الاكتفاء عن قناعة].

فارتبطت هذه النزعة الدينيّة عند الفَرَج بالأحداث القمعيّة التي رافقت حركة الإخوان المسلمين منذ تاريخ تأسيسها في مصر عام ١٩٢٩م، ولاحقاً؛ «في عام ١٩٤٨ حين اغتيل النقراشيُّ باشا، رئيس وزراء مصر، بعد أن أصدر أمراً بحلّ الجماعة ومصادرة أموالها. واغتيال الشيخ البنّا مؤسس الحركة ومُرشدّها العامّ بعد بضعة أسابيع. وفي عام ١٩٥٠م أُعيد تنظيمها مجدّداً، لكنّ الرئيس جمال عبدالناصر عاد فحلّها وقضى عليها، إلى جانب جميع الأحزاب المصريّة الأخرى عام ١٩٥٤م»^(١). ولعلّ الشاعر بنى موقفه من الثورة على أساس دينيٍّ، فكان في صفّ الإخوان المسلمين معارضاً الحكومة الجديدة. وممّا يشير إلى هذا الرأي قوله:

لَا تَخْضُوا بِالْبَلَا إِخْوَتَكُمْ
نَاضِلُوا الْأَعْدَاءَ قَبْلًا نَاضِلُوهَا
عَلَّقُوا الْجُلُجْلُ فِي مَوْضِعِهِ
بِفِعَالٍ وَالْقَنَاءَ انْتَشِلُوهَا^(٢)

الأرجح أنّ الشاعر أراد بـ«إخوتكم»، حركة الإخوان المسلمين، فانتقد ملاحقة الحكومة أعضاء الحركة واعتقالهم، ورأى أنّ الأجدى هو محاربة العدوِّ الأجنبيِّ، وطرد الاحتلال البريطانيّ. وهنا استبق الشاعر الوقت، ودعا إلى تأميم قناة السويس وتخليصها من البريطانيّين، فتحقّقت له هذه الرغبة بعد وفاته بعامين، حين أمّم جمال عبدالناصر القناة عام ١٩٥٦م.

إنّ المطلع على قصائد الشاعر خالد الفَرَج يرى فيها تصويراً دقيقاً للواقع الحالي، المصريّ منه بخاصّة؛ فينظر بعين الإخوان المسلمين ويتكلّم بلسانهم. ومن ذلك وصفه للثورة بالانقلاب ورفضه للحكومة المسيطرة، بل إنّ طالب الضبّاط ومن والاهم، بدخول انتخابات حقيقيّة يختار الشعب فيها حاكمه، فقال:

(١) عبدالوّهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج١، ص ١١٣.
(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٨٧. [الجلّجُل: الجرسُ الصغير].

اجْعَلُوا الْأُمَّةَ فِيهِمْ حَكَمًا
بِأَنْتِخَابَاتٍ صِحَاحٍ أَدْخُلُوهَا
وَدَعُّوا أُمَّتَهُمْ تُسْقِطُهُمْ
فَهِيَ لَنْ تَقْبَلَ نَاسًا ضَلُّوهَا
لَا تَسُوْمُوا الشَّعْبَ خَسْفًا بِاسْمِهِ
أَطْبُخُوا الطَّبْخَةَ أَنْتُمْ وَكُلُّوهَا^(١)

يقترح الشاعر على الضبَّاط الأحرار بأسلوب تحدُّ أن يتركوا مسؤوليَّة اختيار الحاكم للشعب المصريّ، فهو وحده صاحب الحقِّ في اختيار حاكمه، ثمَّ إنّ الشعب سيتولَّى لاحقاً مهمّة إسقاط حاكمه إن رآه يسير في درب الضلال ويحيد عن الطريق القويم. ويحثُّ الضبَّاط على الاهتمام بشؤون الجيش والدفاع الوطنيّ، ويدعوهم إلى عدم استخدام الشعب غطاءً سياسياً وحاضنة شعبية مزيفة لأعمالهم ومطامعهم القياديّة.

نجد من مواقف الشعراء الكويتيّين تجاه ثورة الأحرار ١٩٥٢م، أن الأصوات الشعريّة الكويتيّة المؤيِّدة للثورة كانت أكثر من الأخرى المعارضة لها التي تكاد تنحصر في الشاعر خالد الفرّج. كما أنّنا نلاحظُ الروح القوميّة لدى الشعراء الموالين للثورة؛ إذ بُني موقفهم الموالي للثورة والمشيّد بقائدها جمال عبدالناصر، على أسس عروبيّة قوميّة، تتلخّص في التخلُّص المصريّ من التبعيّة البريطانيّة، ومساندة الشعب الفلسطينيّ في قضيّته، وتأميم قناة السويس الذي تحقّق بعد العدوان الثلاثيّ على مصر، وسنرى موقف الشعراء إزاءه في ما يأتي.

ج - العدوان الثلاثيّ على مصر عام ١٩٥٦

عُرف هذا العدوان في بعض المصادر التاريخيّة بالحرب العربيّة الإسرائيليّة الثانية؛ «وهي الحرب التي نشبت في العام ١٩٥٦م، وشنَّتها إسرائيل وإنجلترا

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٨٧.

وفرنسا على مصر، وانتهت بانتصار سياسي كبير لمصر وحركة التحرر العربيّة، رغم أنّ النتيجة العسكريّة لم تكن في صالح مصر^(١)، لكنّها كسرت شوكة المعتدين، وقوّضت مطامعهم الاستعماريّة، وحرّرت مصر من كلّ تبعيّة للاحتلال الأجنبيّ.

وقد أشار الشاعر الأيوبيّ إلى الانتفاضة العارمة التي غطّت دول الخليج العربيّ، انتصاراً لمصر والجيش العربيّ في مواجهة العدوان الغاشم على أراضيتها، فقال:

كُلُّ الرِّقَاعِ بِأَرْضِ الْعُرْبِ تَضْطَخِبُ
وَفِي الْخَلِيجِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ مُضْطَرَبُ
وَفِي الْكُوَيْتِ أَنْشِيدُ وَفِي قَطْرِ
وَفِي عُمَانَ يُغْنِّيْهَا الْأَلَى وَتَبُؤَا^(٢)

وحين تهيّأت قوى العدوان الثلاثيّ لغزو مصر، «توجّه الشاعر عبدالله الجوعان إلى المسؤولين العرب يدعوهم للتضامن والاتّحاد، وكان يؤمن -لفرط حماسته- أن لا فرق في أن يكون الوطن العربيّ تحت قيادة هذا الرئيس أو ذلك الملك، بل المهمّ لديه أن تتحقّق الحياة الكريمة في ظلّ الوحدة العربيّة، لذلك نراه يتوجّه إلى ملك العراق فيصل الثاني بقوله:

نَحْنُ لَا فَرْقَ بَيْنَنَا إِنْ مَلَكْتَ النُّ
زَيْلَ وَالشَّامَ وَالْخَلِيجَ الدَّانِي
إِنَّمَا الْفَرْقُ أَنْ نَعِيشَ كِرَامًا
لَيْسَ إِلَّا بِوَحْدَةِ الْأَوْطَانِ^(٣)

(١) عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، م٢، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٨١.

(٣) خليفة الوقيان، القضية العربيّة في الشعر الكويتي، ص ١٥٣-١٥٤.

وقد تفاعل الشعراء الكويتيون مع القضية المصرية بشكل واضح. ويؤكد الأيوبي للشعب المصري وقوفه إلى جانبه في محنته هذه، وبأنه وأبناء وطنه يؤيدون الانتصار لقضيتهم، لدحر العدوان الثلاثي عنها، فقال:

وَرَأَاكَ نَمَشِي كَمَشِي الرُّعُودِ
لِحُرِّيَّةِ الْوَطَنِ الْغَاضِبَةِ
وَرَأَاكَ نَمَشِي وَلَا نَنْتَنِي
عَنِ الْحَقِّ فِي الظُّلْمَةِ الصَّاخِبَةِ^(١)

كما يفخر الأيوبي بالتطور العسكري العربي الذي بدت نتائجه واضحة في دحر المستعمر الأجنبي، مستغنياً عن السيف وجدواه الضئيلة، وبأنه لا يشفي الغليل بقتل المعتدين مثلما تفعل فيهم القذائف المدفعية التي تقطع أوصالهم، فقال:

الْمِدْفَعُ الرَّشَاشُ دُونَكَ فَاعْصُرِي
بِزَنَادِهِ قَلْبَ الْمُغِيرِ وَقَطِّعِي
السَّيْفُ لَا يُجْدِي وَلَا أَتْبَاعُهُ
إِنْ لَمْ أُسَدِّدْ لِأَعَادِي مَذْفَعِي^(٢)

وإلى الغرض عنه يشير الشاعر في قصيدة أخرى:

مَزَقَّ جُنُودَ الشَّرِّ كُلَّ مُمَزَّقٍ
يَا أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ أَقْدِمِ وَاضْرِبِ
وَابْعَثْ صَوَارِيخَ الْعَذَابِ عَلَى الْعَدَا
وَاجْعَلْ بَنَانَكَ فِي الزَّنَادِ وَصَوَّبِ^(٣)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٥١.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٥.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٤٨.

واعتبر الكثيرون منهم أنَّ النصر المحقَّق في مصر، يُنبئ بانتصارات كثيرة لاحقة، فأعاد الانتصارُ الأملَ إلى نفوسهم، بعد صيحات ملأت أصقاع الوطن العربيَّ تدعو إلى الوحدة والتكاتف وطرد المحتلِّ الأجنبيِّ. وفي ذلك يقول الشاعر صقر الشَّبيب يوم انقلب أصحاب العدوان الثلاثيَّ على أعقابهم خائبين:

قَدْ انْتَصَرْتُ مِصْرُ فَرَادَ انْتِصَارُهَا
مَفَاخِرَ شَعْبِ الضَّادِ يَوْمَ فَخَارِهِ
وَأَنْشَأَ هَذَا النُّصْرُ - لَا خَفَّ وَطْؤُهُ -
عَلَى لَابِسِي خِرْزِي الرُّمَانِ وَعَارِهِ
لِكُلِّ لَبِيبٍ فِي الْبَرِّيَّةِ عِبْرَةً
إِلَى مِثْلِهَا، فَامْتَدَّ طَرْفُ اغْتِبَارِهِ^(١)

واللافت للاهتمام في هذه القضية هو هجاء الشاعر للولايات المتحدة الأمريكية، على الرغم من أنها لم تكن من الدول التي شاركت عسكرياً في العدوان الثلاثي على مصر، بيد أنها كانت مؤيدة لهذا العدوان بشكلٍ غير مباشر، فقال الشاعر عبدالمحسن الرشيد في ذلك:

قُولِي لِأَمْرِيكََا وَقَدْ بَرَحَ الْخَفَا
وَتَهْتَكْتِ عَنْ وَجْهِهَا الْأَسْتَارُ
وَتَكْشِفُ اللَّصَّ اللَّئِيمَ سِلَاحَهُ
الْعُزْبُ قَوْمِي مَا الْوَعِيدُ يُخَيِّفُهُمْ
أَوْ يَنْفَعُ التَّهْدِيدُ وَالْإِنْذَارُ^(٢)

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشَّبيب، ص ٣٩٧.

(٢) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٦٠.

وممّا نظمهُ الأيوبيُّ في معركة بور سعيد، والنصر العربيّ على قوَّات العدوان
في هذه المعركة، ورفع العلم المصريّ على الأرض المحرَّرة، قوله:

وَبُورْتُ سَعِيدُ لِلتَّارِيخِ فَجُرْ
جَدِيدٌ وَهِيَ لِلشَّهْدَاءِ بُرْجٌ
عَلَيْهِ رَفَرَفَ الْعَلَمُ الْمُفْدَى
لَهُ الْأَزْوَاجُ فِي الدُّنْيَا تَحْجُ
جَمَالَ أَشْبَعِ الدُّنْيَا جَمَالاً
لَهُ بَيْنَ الضِّيَاءِ الْمَخْضِ أَوْجٌ^(١)

هنا، يستدعي الأيوبيُّ المفردة الأجنبية لميناء بور سعيد، والذي يعود بنا إلى
أصل هذا المسمّى؛ حيث «بُورت» الإنجليزِيَّة تعني «ميناء» في اللغة العربيَّة، ومن هنا
جاءت تسميتها بهذا الاسم. ويخصّص الشاعر أبياته بالتشديد على أهمية النصر
الذي حقَّقه القوَّات المصريَّة على المعتدي الأجنبيّ، ممجِّداً أرواح الشهداء الأبرار
الذين سقطوا في هذه المعركة، ومشيراً إلى ارتفاع سارية العلم المصريّ كدليلٍ على
سيادة المكان المحرَّر، وانتمائه إلى الدَّولة صاحبة العلم، ولا ينسى الإشادة بالرئيس
جمال عبدالناصر، لكونه ركناً من أركان النصر آنذاك.

ولم يغفل الشعراء عن توجيه التحيَّة إلى الجيوش العربيَّة التي آزرت مصر
عسكرياً، ووقفت معها موقف الشقيق، فنصرتْها حين استنصرت، وأرسلت خيرة
رجالها إلى أرض مصر لرِّيِّها بالدماء الطاهرة. ومن ذلك ما نظمهُ الأيوبيُّ في مدح
القائد «جول جمال»^(٢) ليكشف عن حسٍّ وطنيٍّ وانتماءٍ قوميٍّ أصيل، فقال:

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣-٣٤.

(٢) جول يوسف جمال (١٩٣٤-١٩٥٦م) شابٌّ سوريٌّ من قرية «المشناية» غربيّ مدينة حمص. نشأ وترعرع في
مدينة اللاذقيَّة. تخرَّج في البحريَّة المصريَّة، وقاد «الطورييد» الذي فجَّر به في حرب السويس المدمِّرة الفرنسيَّة
«Bart Jean» وعلى متنها ٨٨ ضابطاً فرنسيّاً و ٢٠٥٥ جنديّاً بحريّاً فرنسيّاً. انظر: ويكيبيديا.

كَأَنَّ جُولَ عَلَى سَيْفِ الْجَمَى قَدَرُ
تَخَرُّ مِنْهُ عَلَى الْبَاغِينَ أَهْوَالُ
لَمَّا امْتَطَى صَهْوَةَ الطُّورِ يُدِ مُنْتَشِياً
بِفَخْرَةِ الْمَجْدِ نَابَ الْجُنْدِ إِذْ لَالُ
جُنْدُ الْفَرَنْسِيِّسِ فِي جَانِ بَارَ أَذْهَلَهُمْ
جُولُ الْعَظِيمِ الَّذِي عَنْ دَرْبِهِ مَالُوا^(١)

وتناول الشعراء أبرز نتائج هذه الحرب، فأشادوا بالخطوة الجبارة التي
اتَّخذها الرئيس جمال عبدالناصر بتأميمه قناة السويس التي كانت تابعة لإحدى
الشركات الإنجليزيَّة العالميَّة، فقال الأيوبيُّ في وصف ذلك، مخاطباً الرئيس:
وَلَقَدْ وَقَفْتَ مِنَ الْقَنَاةِ مُحَرِّراً
أَمْجَادَهَا مِنْ كُلِّ قَيْدٍ أَجْنَبِيٍّ^(٢)

كما يشير الأيوبيُّ إلى الهيجان والحنق اللذين أصابا الدول المعتدية لمَّا طرح
الرئيس جمال عبدالناصر فكرة تأميم القناة، فقال:
ثَارَ الْجِدَالُ بِتَأْمِيمِ الْقَنَاةِ لَهُ
عَلَى قُلُوبِ الْعِدَا النَّيِّرَانِ تَسْتَعِرُّ
فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ تَأْمِيمِ الْقَنَاةِ عَلَى
الدُّنْيَا جَهَنَّمُ أَحْقَادٍ لَهَا نُذُرُ^(٣)

يشير الشاعر إلى الجدل الذي حصل بين الدول الأجنبية التي كانت مستفيدة
من تبعيَّة القناة للبريطانيِّين، والغضب انتابهم لدى سماعهم تفكير الرئيس عن

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٨٦-٨٧. [جان بار Jean Bart: بارجة فرنسيَّة الصنع، صمَّمها
المهندس الفرنسيُّ كامِي روجرون، وكانت تعتبر من أقوى البارجات في ذلك الوقت، وتحمل أوَّل رادار في
العالم، حيث لم تكن أي آلة حربيَّة متحرِّكة تحمل أي رادار في ذلك الوقت].

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٤٣.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٥٤.

تأميمها، فأدركوا أنَّ هذه الخطوة ستقطع دابرهم من مصر. وازداد غضبهم بعد قرار التأميم، فتحول إلى حقدٍ في نفوسهم على مصر بخاصة، وعلى العرب بعامَّة. ولأنَّ المقام ليس مقام إحصاءٍ، بل مقام تحليل الهدف منه إيضاح موقف الشعراء الكويتيين من أبرز القضايا السياسيَّة في مصر، يمكننا القول إنَّ النماذج الشعريَّة تشير إلى أنَّ الشاعر الكويتيَّ كان من المتابعين للأحداث المصريَّة؛ منذ الحكم الملكيِّ وسليبيَّاته وتبعيَّته للأجنبيِّ، إلى الحكم الجمهوريِّ وقضايا تحرُّره من المستعمر البريطانيِّ، ثمَّ كفاحه العدوان الثلاثيِّ. وتناولت أيضًا بدايات الثورة المصريَّة التي أعطت نتائج إيجابیَّة لاحقًا؛ كالتخلُّص من المستعمر نهائيًّا، وتأميم قناة السويس، والانفراد بالقرار السياسيِّ، والعودة إلى واجهة الدول العربيَّة القويَّة مجدَّدًا. وكان الموت قد غيَّب الشاعرَ خالد الفرج عن هذه الإنجازات العظيمة، ولربَّما كان سيغيِّر موقفه حينها، ولا سيَّما أنَّه من أوائل الداعين مُبكرًا إلى تأميم قناة السويس واستخلاصها من الأيدي الأجنبيَّة.

خامسًا: قضايا التحرُّر من الاستعمار في دول إقليم المغرب العربيِّ

لم يكن الشاعر العربيُّ، أينما وجد، في معزلٍ عن الإنسان العربيِّ أيًّا كان موطنه في العالم العربيِّ؛ مشرقه ومغرب. كان الشعراء في طليعة مثقفي العقود الأولى من القرن العشرين ممَّن وصلتنا نماذج من كتاباتهم، وقد كشفت تلك الكتابات عن توجُّهات قوميَّة ظاهرة احتلَّت مساحة كبيرة من ديوان الشعر الكويتيِّ، على الرغم من بُعد المسافة بين أقصى مغرب الوطن العربيِّ وأقصى مشرقه، فضلًا عن ضعف وسائل الاتِّصال في بداية القرن العشرين.

والشاعر الكويتيُّ واحدٌ من أبرز الشعراء الذين تغنَّوا بالعروبة والقوميَّة، ولم تقف حدود قوميَّته عند ضفاف الخليج العربيِّ، ولا عند بلاد الشام ومصر، بل

تجاوز الأقاليم الجغرافية ليكون مغربيّ الولاء بعد أن كان مشرقيةً، وعربيّ الانتماء في كلتا الحالتين. فتناول أقطار المغرب العربيّ بعين المهتمّ بمصير العرب، والحالم بالوطن العربيّ الكبير الذي لا فرق فيه بين عرب الشرق وعرب الغرب، فأشاد ببطولات الثوّار في المملكة المغربية، ونَدَّد بالاستعمار البرتغاليّ لأراضيها، وانتقل منها إلى تونس ثمّ الجزائر فليبيا، وسنقف على تفاصيل هذا كله ما يلي.

أ - الاحتلال الإسباني والفرنسي للمملكة المغربية

كانت بداية إعلان الكفاح الشعبيّ المسلّح في الشمال المغربيّ في مواجهة الاحتلال الإسبانيّ، وذلك بعد إعلان الاتّفاق الفرنسيّ- الإسبانيّ في السابع والعشرين من نوفمبر ١٩١٢، وقد قام هذا الكفاح على أُسسٍ ومنطلقاتٍ دينيّةٍ ووطنيةٍ، شدّدت على مجاهدة الاحتلال، فتناغم الحسّ الدينيّ مع الوطنيّ والقوميّ حتّى الإنسانيّ، في منطلقات هذه الثورة المسلّحة^(١).

أمّا في إقليم الريف المغربيّ، فقد تصدّى المغاربة للغزو الإسبانيّ منذ مطلع القرن العشرين، في الثورة الريفية الأولى التي قادها الشريف «محمد أمزيان»^(٢)، وكانت منطلقاته الكفاحيّة تقوم على التعبئة الدينيّة والوطنية أيضًا، وتمّ ذلك بالتعاون مع علماء الإقليم ووجهائه. ثمّ جاء استشهاد قائد الثورة الشريف أمزيان في العاشر من مايو ١٩١٢، ليضع حدًّا آنيًّا للكفاح المسلّح؛

(١) محمّد علي داهش، الشريف أحمد الريسوني: حياة وجهاد، ط١، تطوان: دار الحياة، ١٩٩٦، ص ٢٥.
(٢) الشريف محمّد أمزيان (١٨٥٩-١٩١٢) محمّد بن أحمد عبد السلام القلعي الريفيّ الأمازيغيّ، ولد في المغرب. وقاد الثورة الريفية الأولى على الاحتلال الإسبانيّ عام ١٩٠٩. كان من زعماء القبائل الذين تحرّكوا للدفاع عن أرضهم والقضاء على «بوحمارة الزرهوني» القادم من أجل نهب خيرات الريف، وبعد أن انهزم الزرهونيّ أمام قبيلة آيت ورياغل، ذهب الشريف محمّد أمزيان على رأس وفد إلى مدينة فاس عام ١٩٠٩ لطرح قضية الريف، وطلب المساعدة من سلطان المغرب للدفاع عن الأراضي من غزوات المستعمرين، لكنّه لم يتلقَ جوابًا، فعاد إلى الريف ووحد كلمة القبائل للدفاع عن البلاد، فتحمل مسؤولية قيادة ثورة الريف الأولى عام ١٩٠٩. استشهاد عام ١٩١٢. انظر: حسن الفكيكي، الشريف محمد أمزيان: شهيد الوعي الوطني (١٩٠٨-١٩١٢)، ط١، الرباط: مطبعة ربانيت، ٢٠٠٨، ص ٢٣.

بسبب الهجوم الكاسح للقوّات الإسبانية بعد الاتفاق الفرنسي- الإسباني المقترن بالتفوّق التسليحي والمؤني^(١).

ولم يقف الشعراء الكويتيون على أحداث هذه المرحلة المبكرة، ولم يتطرقوا إلى توثيق الحركات الوطنية في الربع الأول من القرن العشرين، ولعل ذلك يعود إلى قلة عدد الشعراء في الكويت آنذاك، فضلاً عن بدائية أدوات التواصل بين الشرق والغرب، هذا مع عدم إغفال بدائية وسائل التدوين بعامة.

ولمّا عادت الثورة الريفية للانتفاض مجدداً، بتلاحم الكفاح في الشمال المغربي، والذي انطلق وفق أسس تعبوية أكثر وعياً لحقيقة قوّة الخصم وأهدافه، بانطلاق ثورة الريف المغربية الثانية^(٢) بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطّابي^(٣)، انتصر الشعراء الكويتيون لهذه النهضة الوطنية التي دأبت على النصر لطرد المحتلّ، ومنهم الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف الذي أشادَ ببطولات الخطّابي، فقال:

طَلَعْتَ فَظَنُّوا فِي ثِيَابِكَ طَارِقًا
فَذَكَّرْتَهُمْ أَيَّامَ طَارِقٍ فِيهِمْ

(١) أحمد عبدالسلام البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، ط١، طنجة: مطبعة دار الأمل، ١٩٧٤، ج ١، ص ٧٠، ٤١٥.

(٢) محمد بن محمد عمر القاضي، أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطّابي، ط١، تطوان: مطبعة ديسبريس، ١٩٨١، ص ٢٥-٥٣.

(٣) محمد بن عبد الكريم الريفي الخطّابي (١٨٨٢-١٩٦٣) زعيم الثورة الريفية المعروفة باسمه في شمال المملكة المغربية. ولد في بلدة «أجدير» من الريف. وهو من قبيلة ورياغل: إحدى كبريات القبائل البربرية في جبال الريف. سار على نهج والده في محاربة المحتلين الإسبان، فجمع أنصاراً من قبيلته، وقد آلت إليه زعامتها بعد أبيه. وقاتل الأسبان، وظفر في معركة «أنوال» من جبال الريف، وتتابع معاركه معهم فاحتل شفشاون عام ١٩٢٥، وحاول احتلال تطوان، وأرسل من يهدّد مدينة «تازة»، وقُدّر جيشه بمئة ألف مقاتل. أنشأ جمهورية الريف، ولمّا خاف الفرنسيون امتداد الثورة إلى داخل المغرب، حالفوا الإسبان حلفاً اضطره إلى الاستسلام، وتمّ نفيه إلى جزيرة ريونيون في بحر الهند شرقي أفريقيا، ثم عاد من منفاه إلى القاهرة وتوفي فيها. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢١٦-٢١٧.

صَدَمْتَهُمْ وَسَطَ الْمَلَا حِمِ صَدَمَةٌ
فَكَمْ بَعْدَهَا تَحْلَى تَرْنٌ وَتَرْزُمٌ!
فَلِلَّهِ يَوْمٌ فَيْكَ قَدْ شَهِدَ الْعِدَا
حُسَامًا جَلَاءَ اللَّهِ لَا يَتَثَلَّمُ
فَقَدْ عَلِمْتُ مَدْرِيْدُ أَنْكَ فَاتِحُ
وَقَدْ شَهِدْتُ بَارِيْسُ أَنْكَ ضَيْغَمُ
وَقَدْ عَلِمُوا لَوْ أَصْبَحَ الْعِلْمُ نَافِعًا
بَأَنَّكَ مِنْ بِسْمَارِكْ أَذْهَى وَأَخْرَمُ^(١)

يمتلك الشاعر النصف الوعي لما يدور حوله في الواقع السياسي، والشعر لديه هدف وخطّة للتغيير، وتأسيس صور أخرى قادرة على تحقيق الأحلام الوطنيّة والقوميّة؛ فنراه يعقد المقارنة مُستدعيًا الشخصيّات التراثيّة العربيّة كطارق بن زياد، والأجنبيّة كبسمارك^(٢)، مستفيدًا من القاسم المشترك بين شجاعة الأوّل ودهاء الثاني، فلخصّه في شخص الأمير الخطّابيّ.

ويخاطب الشاعر النّصف أسد الرّيف -كما يُسمّيه- الأمير الخطّابيّ قبل اضطرابه إلى الاستسلام للإسبان عام ١٩٢٦، فيعقد مقارنة بين الشرق المكبّل بأغلال الاستعمار التي تقيّد حرّيّته، والغرب الذي ينعم بالخيرات العربيّة بعيدًا عن ويلات الاستعمار وجرائمه. فيقول:

(١) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربيّ في الكويت، ص ١٨١. انظر: مجلّة البعثة، السنة الأولى، ١٩٤٧، العدد ٩، ص ١٧٩.
(٢) أُوْتُو فُون بِسْمَارِك Otto.von.Bismarck (١٨١٥-١٨٩٨) سياسيٌّ بروسيٌّ كبير، ومن أهمّ العاملين لتوحيد ألمانيا، تولّى منصب المستشاريّة (١٨٧١-١٨٩٠)، وتعتبر أهمّ منجزات تحقيق الحلف الداخليّ، وإقامة الإمبراطوريّة الألمانيّة الثانية، ثمّ وضع بعض التشريعات الاشتراكيّة. أمّا في حقل السياسة الخارجيّة فأعظم ما أنجزه تأمين مكانة كبرى في السياسة الأوروبيّة لبروسيا، ثمّ في ما بعد لألمانيا الموحّدة، وذلك بعد سلسلة من الحروب الناجحة مع الدانمارك عام ١٨٦٤، والنمسا عام ١٨٦٦، وفرنسا ١٨٧٠-١٨٧١، وحاول أن ينتهج سياسة تعاون مع روسيا بغية العمل على عزل فرنسا». انظر: عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٥٤٣-٥٤٤.

أَرَى الشَّرْقَ بِالْأَغْلَالِ يَرْسِفُ بَاكِئًا
عَلَى حَيْنِ بَاتِ الْغَرْبِ جَذْلَانِ يَبْسِمُ
حَنَانِيكُمْ يَا سَاسَةَ الْغَرْبِ حَسْبُكُمْ
فَيَا طَالِمَا أَجْرُمْتُكُمْ وَظَلَمْتُكُمْ
تَخَلُّوا عَنِ الرَّيْفِ الْعَزِيزِ لِأَهْلِهِ
وَعُودُوا إِلَى أَوْطَانِكُمْ فَهُوَ أَسْلَمُ
حَمَى الرَّيْفَ أَبْطَالَ الْمَعَامِعِ عَنْكُمْ
وَأُسْدُ جِيَاعٍ فِي الْجِبَالِ تَهْمُهُمْ^(١)

يخاطب الشاعر الزعماء السياسيين الأوروبيين، ويطالبهم بسحب قواتهم الغازية من الريف المغربي، وينصحهم بالعودة إلى أوطانهم وتركهم الظلم والإجرام اللذين حلّا في كلّ بلدٍ غزّوه، وإلاّ فإنّ أبطال الريف سيدافعون عن الريف المغربيّ دفاع الأسد عن أجماتها.

ولم ينسَ الشاعر الأيوبيّ أن يوجّه التحيّة إلى البطل الريفيّ الذي قاتل ببسالة في مواجهة المستعمر، بيد أنّ مكر الأخير قد حال دون النصر الكامل للأوّل، إذ ألقت القوّات الفرنسيّة القبض عليه، ثمّ نفته خارج المغرب، وفي هذه الحادثة قال شاعرنا:

وَمَا لِلسَّيِّدِ الرَّيْفِيِّ نَدُّ
كَمِيّ ضَرَمَ الطَّاعِي ضَرِيمًا
ثَوَى بِدَعَشَقَرٍ جَوْرًا أَسِيرًا
حَبِيسَ الظُّلَمِ أَعْوَامًا كَظِيمًا^(٢)

(١) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربيّ في الكويت، ص ١٨١.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ٣٣١.

بينما سَخَرَ خالِد الفَرَج من فرنسا التي لُقِّنت في الصِّين درسًا قاسيًا من قَبْل،
فإن كانت شمس النصر قد غابت عن سماء مدينة طنجة التي كانت تحت الحماية
الفرنسيَّة، فإنَّها أشرقت في سماء الصين؛ إذ تلقت فرنسا فيها هزيمة أجبرتها
على الانسحاب تحت ضربات المقاومين الصينيين. كما سَخِر من قومه الذين لا
يملكون سلاحًا لينتصروا به إلا الاحتجاجات، قال:

يَا شَمْسُ إِمَّا غِبْتِ عَنْ طَنْجَةٍ
ثُمَّ عَلَى الصِّينِ خَلَعْتَ الشُّرُوقَ
تَرَى بَنِي بَارِيسَ أَسَادَهَا
فِي الصِّينِ إِذْ هُمْ كَفَارٌ غَرِيقُ
تَمْضِي فَرَنْسَا فِي اغْتِدَاءِهَا
وَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ إِلَّا النُّقِيقُ^(١)

وفي موضع آخر أَفْرَدَ الفَرَج قصيدة شرح فيها حال المغرب العربي الذي
يعاني ويلات الاستعمار الفرنسي الذي عاث في البلاد فسادًا، فقال:

إِنَّ قَطَرَ الْمَغْرِبِ الْمَسِ
حِينَ بِالظُّلُمِ تَعِيسُ
مِنْ ظَلَامَاتِ فَرَنْسَا
وَبِمَا كُنْتَ تَسُوسُ^(٢)

ويركِّز الشاعر على جانبين في قصيدته: الأول اقتصادي؛ حيث نشر المستعمر
الفرنسيُّ الفقر والجوع والبؤس في أرجاء المملكة المغربية، لأنَّه يحتكر لنفسه كلَّ ما
تنتجه الأرض المغربية من خيرات، في حين يحجبها عن أصحاب الأرض المقيمين
عليها، وهي التي تعتبر المعيل الوحيد لهم آنذاك، قال:

(١) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٧٤.

(٢) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٨٦.

حُلِّمَ يَفْتَضُّ مِنَّا الذِّ
دَمٌّ فِي الْجِسْمِ وَسُوسُ
لَهُمُ الْأَرْضُ وَمَا يَنْ
تَجُّ مِنْهَا وَالْمُكُوسُ^(١)

والثاني حربي؛ يصف فيه جُبن القوَّات الفرنسيَّة التي تختبئ خلف السواتر العالية، وتضرب المجاهدين من وراء الحجب، ضرباً سبَّب الإرهاق للثوَّار المغربيين الذين يقاتلون من دون تحصينات عسكريَّة فعَّالة، قال:

جُنْدُهُمْ مِنَّا إِذَا مَا
شَبَّتِ الْحَرْبُ الضُّرُوسُ
وَهُمْ خَلَفَ خُطُوطِ الذِّ
نَارَ أَبْطَالٍ وَشُوسُ^(٢)

تناول الشعراء الكويتيُّون الأحداث في المغرب العربيِّ من أكثر من جانب، فأشادوا بالثوَّار، وندَّدوا بالاستعمار ووحشيَّته، وتتبعوا المراحل الزمنيَّة لما تعرَّضت له مناطق المغرب العربيِّ من احتلال وجرائم. وانتقل الشعراء بين الأغراض الشعريَّة لوصف الواقع المغربيِّ المؤلم في خلال احتلاله، وتنوَّعت أساليبهم بين الجدِّ في الحديث عن الجرائم الاستعماريَّة أو بطولات المقاومين، والهزل في تذكير فرنسا بالخسائر التي تلقتَّها على يد المقاومين الصينيين مثلاً.

وتنقَّل الشعراء الكويتيُّون في إحصائهم للجرائم الاستعماريَّة الفرنسيَّة بين دول إقليم المغرب العربيِّ، مشيدين بالثورات العربيَّة والحركات الوطنيَّة التحرُّريَّة، ومن ذلك دولة الجزائر، حيث سنقف على ما ورد في الشعر العربي في الكويت الذي عاصر الثورات الجزائريَّة المقاومة للاحتلال الفرنسيِّ.

(١) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٨٦. [سُوسُ كُلُّ شَيْءٍ: أَكَلُهُ، دُودًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ. المُكُوسُ: الرسوم والضرائب].

(٢) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٨٦.

ب - الاحتلال الفرنسي للجزائر

الجزائر من أكثر الدول العربية معاناة للاستعمار وهيمنته القمعية، منذ اتجهت الأطماع الفرنسية إلى احتلال الجزائر عام ١٨٣٠، حتى نالت استقلالها عام ١٩٦٢. حاول الاستعمار في أثنائها طمس التراث العربي واللغة العربية في هذا البلد، وصبغهما بالصبغة والثقافة الفرنسيين، فجعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية بدلاً من اللغة العربية. لكن عزيمة الشعب الجزائري، والتضحيات الجلل التي روى بها ثرى وطنه، والهزائم الكثيرة التي مني بها الفرنسيون تحت وطأة ضرياتهم، أوصلتهم إلى الاستقلال مجددًا.

ورأى الشاعر محمود الأيوبي أن أسباباً دينية كانت وراء غزو الفرنسيين للجزائر ومن ثم تونس، وهي الحملات التبشيرية التي تدعو العرب إلى اعتناق الدين المسيحي، فقال:

جاء الفرنسيُّسُ اللئامُ بدعوةٍ

قالوا: لإنجيلِ المسيحِ تحوّلوا

وأتى الجزائرُ ثم تونسَ جورُهُم

تُعسُّا لهم ما فكروا وتأمّلوا^(١)

ثم شدّد الأيوبي على أن الدين المسيحي يبرأ من هؤلاء الطغاة المستعمرين الذين حلّلوا سفك الدماء في أقطار المغرب العربي، بيد أنهم اتّخذوا الدين ذريعة للاحتلال والاستعمار، فقال:

اللهُ يبرأ وابنُ مريمَ منهم

وكتابهُ الإنجيلِ ذا يتنصّل^(٢)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٥٣.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٥٣.

لم يقف الشعب الجزائري مكتوف الأيدي أمام هذه التدخّلات الفرنسيّة في بلاده، والتي تحوّلت إلى احتلالٍ شبيهاً فشيئاً، فبمجرّد أن وطّئت الجيوش الفرنسيّة أرض الجزائر، هبّ الشعب الرافض للسيطرة الأجنبية إلى الدفاع عن أرضه، ناهضاً إلى جهادٍ نادى إليه الحكومة المركزيّة، وطبقة العلماء والأعيان. وتركزت المقاومة الجزائريّة في البداية على محاولة وقف عمليات الاحتلال، وضمان بقاء الدولة، لكنّ معظم هذه المحاولات باءت بالفشل؛ نظراً لعدم توازن القوى، وتشتّت الثورات جغرافياً أمام الجيوش الفرنسيّة المنظّمة التي استمرّت في التزايد.

وفي بداية القرن العشرين، بلغت السيطرة الاستعماريّة في الجزائر ذروتها رغم المقاومة الشعبيّة، وبدأ دويّ المعارك يهدأ في الأرياف، ليفتح المجال أمام أسلوبٍ جديدٍ من المقاومة التي انطلقت من المدن. ويعود الفضلُ في ذلك إلى ظهور جيلٍ من الشباب المثقّف الذي تخرّج في جوامع الزيتونة والأزهر، ومراكز الحجاز، فعمل على نشر أفكار الإصلاح الاجتماعيّ والدينيّ، فضلاً عن دفعات من الطلاب الجزائريّين الذين تابعوا تعليمهم باللغة الفرنسيّة، واقتبسوا من الثقافة الغربيّة طرائق جديدة في التفكير.

أشاد الشعراء الكويتيون بالثورة الجزائريّة، وندّدوا وحشيّة المستعمر الفرنسيّ، وأكبروا الروح الجهاديّة التي تحلّى بها المقاومون. يَصِفُ عَنجَرِي أَحْمَد العَنجَرِي ثَوَار الجزائر بالوعي والفطنة، وبأنّهم خبروا كُنْه الحياة، وعرفوا طريق الخلاص فسلكوها، غير عابئين بما يمكن أن يلحق بهم من أذى، يقول:

قَدْ أَدْرَكُوا كُنْهَ الْحَيَاةِ فَجَيَّشُوا
جَيْشًا يَقْضُ الْغَاصِبَ الْجَبَّارَا
لَمْ يَنْتَنُوا رَغَمَ التَّكْشِفِ وَالْقِلَى
وَكَذَا الْأَبْيُ يَرَى الْمَذَلَّةَ عَارَا

لَا يَذْعُرُونَ مِنَ الْمَدَافِعِ إِنْ دَوَّتْ

حَتَّى وَلَوْ صَارَ النَّجِيعُ بِحَارًا^(١)

ونظم الشاعر الأيُّوبي أبياتاً في وصف قوَّة الثَّوَّار الجزائريين، ورباطة جأشهم أمام الاحتلال الفرنسي، آتياً على ذكر الانتصارات التي حقَّقتها الثَّوَّار، فقال:

أَمَا فَرَنْسَا مَلَاذُ الْفِسْقِ دَوَّخَهَا

بَنُو الْجَزَائِرِ مَنْ بِالْحَقِّ قَدْ شَرُّفُوا

هُمْ الْقَسَاوِرَةُ الْأَحْرَارُ مَا ضَعُفَتْ

إِرَادَةُ الْمَجْدِ فِيهِمْ إِذْ سَمَا الْهَدَفُ

يَسِيرُونَ لِلْمَوْتِ نَشْوَى بَيْنَ أَضْلُعِهِمْ

شَوْقُ الْحَيَاةِ فَلَا خَوْفٌ وَلَا أَسَفٌ

وَهُمْ أَذَاقُوا فَرَنْسَا الْحَتْفَ مُنْتَفِضًا

يَنْقُضُ كَالشُّهْبِ مَا هَانُوا وَمَا اخْتَلَفُوا^(٢)

وحياً عبداللطيف النصف انتصارَ الجزائر، وفخر ببطولات الجزائريين، فاستعمل أسلوب المقارنة والقياس واستحضر القديم، ورأى مجد العرب الأولين ماثلاً أمامه في الجزائر، فأنشد:

لِمَنِ الشَّعْبُ فَوْقَ أَرْضِ الْجَزَائِرِ؟

مَلَّتِ الْأَرْضُ تَحْتَهُ وَهُوَ صَابِرٌ

فَانْظُرُوا، هَلْ قَتَيْبَةٌ وَالْمُتَنَّى

بُعِثَا فِي صُفُوفِهَا وَابْنُ عَامِرٍ؟

أَمْ عَلَى الْخَيْلِ خَالِدٌ قَاهِرُ الْأَبْ

طَالِ يَوْمَ الْوَعَى بِحَدِّ الْبَوَاتِرِ؟

(١) خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ص ١٢١.

(٢) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٦٠.

أَمْ هُوَ اللَّيْثُ طَارِقٌ يَغْبِرُ الْبَحْ
رَ وَيَنْقُضُ كَانِقِضَاضِ الْكَوَاَسِرْ؟
حَشَدَ الْقَوْمِ كُلِّ أَسْلِحَةِ الْمَوِ
تِ لِكَي يَخْطَفَرُوا فَكُنْتَ الظَّافِرُ^(١)

إنَّ أسلوبَ المقارنة الذي يعتمد عليه الشاعر النُّصَف، يعود إلى نُدرة الأُمجاد العربيَّة المعاصرة له، مقارنةً بعصر زخر بالفتوحات عامًّا بعد عام، فلا تكاد عينه تقع على بطلٍ عربيٍّ يواجه عدوَّهُ إِلَّا قارنه بفرسان العرب القدامى، فيستحضر أبرز القادة العرب - الفاتحين منهم بخاصَّةٍ - كقُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ فاتح الصين والهند، وطارق بن زيَّاد فاتح الأندلس، والمثنَّى بن الحارثة فاتح بلاد فارس، وابن عامر عقبة بن نافع فاتح بلاد المغرب العربيِّ، وخالد بن الوليد فاتح الشام ومحرِّرُها من الرُّوم. وكأنَّ الشاعر يوجِّه رسالةً إلى الأجنبيِّ الغازي، يضمِّنُها جسارة العرب حين زحفوا إليهم وهزموهم، ويوجِّه رسالةً أخرى إلى الثائر العربيِّ، يحثُّه على عدم الاكتفاء بالتحريم، بل بردِّ الصاع مضاعفًا للمستعمرين في عُقر دارهم.

لمسنا اهتمام بعض الشعراء الكويتيِّين بتمجيد رجال التضحية، واستنكار تقصير العرب في تقديم المساندة المرجوَّة لأشقائهم المناضلين في مواجهة المستعمر الفرنسيِّ، وبلغ الأمر بالشاعر الأيُّوبيَّ حدَّ الاستغراب حين انتقد انغماس أجهزة الإعلام العربيَّة في إذاعة اللهو، في حين تكابد الجزائر صنوف العذاب، وتحتاج إلى كلِّ الجهود لنصرتها، فقال في قصيدته «الشهداء» التي نظمها عام ١٩٢٩:

مَا لِلْإِذَاعَاتِ بَيْنَ الْعُرْبِ دَائِبَةٌ
تَبَثُّ مِلءَ الشُّرُوقِ الْلَهُوَ وَالطَّرَبَا
كَأَنَّهَا حَسِبَتْ أَهْلَ الْجَزَائِرِ فِي
مَا يَفْتَضِي طُولَ بَثِّ الْلَهُوَ وَالْدَّأَبَا...

(١) خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، ص ١٢٢-١٢٣.

أَكَانَ يَغْرُبُ يَرْضَى اللّهُوَ وَهُوَ يَرَى

مِنْ قَوْمِهِ أَحَدًا قَدْ سِيءَ أَوْ نُكِبَا؟^(١)

يأخذ على الإعلام العربيّ خوضه في اللّهُو وبثّ الأغاني الطريفة، بينما تدور على أرض الجزائر أعتى المعارك في مواجهة الفرنسيين، فقال في قصيدة أخرى موضّحاً حجم المصيبة:

إِنَّ الْجَزَائِرَ مَا زَالَتْ مُرَوَّعَةً

فَوَزْدَهَا أَجْنُ وَالشَّعْبُ حَيْرَانُ^(٢)

ونتيجةً لزيادة همجية القتل في حقّ الشعب الجزائريّ، انتفضت الشعوب العربيّة منتصرة له، مؤكّدة وقوفها إزاء شقيقتهم المضطهد. في تلك الهبة الجماهيرية نظم الشاعر الأيوبيّ قصيدته «يوم الجزائر» التي توعّد فيها فرنسا بالهزيمة وبشرّ فيها العرب بالنصر القريب، فقال في مطلعها:

خُذِي فَرَنْسَا صَوَارِيخَ الْوُثُوبِ فَقَدْ

تَصَدَّعَتْ لِمُنَى اسْتِعْمَارِكَ الْجَدْرُ^(٣)

الحقيقة أنّ الجزائر احتلّت حيزاً مقبولاً في ديوان الشعر الكويتيّ؛ نظراً إلى معاناتها من همجية المستعمر، ولما بدّل شعبها من تضحيات جسام وصلت إلى مليون ونصف المليون شهيد، فأسميت بعد ذلك ببلد المليون شهيد. ولاحظنا كيف أنّ الشاعر يسير في أسلوب تناوله للقضية ضمن محاور لا تخرج على التنديد بالمستعمر والفخر بالثوّار وصمودهم، واستنصار العرب للقضية. وتابع الشعراء مسيرة المستعمر في بلاد المغرب العربيّ، فندّدوا بأفعاله، وأشادوا بتضحيات المقاومين له، وذلك في ما نظموه في أحداث الاحتلال الفرنسيّ لتونس.

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢١٦.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١١٧.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٤.

ج - الاحتلال الفرنسي لتونس

لم تتوقّف الشهوة الفرنسية الاستعمارية عند دولتي: المغرب والجزائر، بل اتّسعت لتضمّ تونس إلى مستوطناتها الجديدة. فقد سعت فرنسا، منذ أن استتبّ لها الأمن في الجزائر، إلى السيطرة على البلاد التونسية لتوسيع رقعتها الاستعمارية في إقليم المغرب العربي، وقد تمكّنت بالفعل من تحقيق ذلك سنة ١٨٨١؛ إذ تذرّعت بهجوم بعض القبائل التونسية على الحدود مع الجزائر لتتدخل عسكرياً في البلاد التونسية وتحاصر قصر الباي في مايو ١٨٨١. وقد فرض قائد الجيش الفرنسي الجنرال «بريار» والقنصل «روسطان» على «محمّد الصادق باي» نصّ معاهدة «باردو» التي بدأت بمقتضاها الحماية^(١) على تونس، وباتت مدخلاً لاحتلال البلاد واستعمارها لاحقاً.

وتجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أنّ الشعر الكويتي يَصوّر لنا حقيقة سياسة الاحتلال الأجنبي للبلاد العربية؛ إذ تبدأ كلّها بمعاهدات الحماية والدفاع المشترك، ثمّ ما تلبث أن تستغل أبسط سبب لتبدأ بإدخال قوّاتها الغازية لمناصرة الدولة العربية المحمية بموجب المعاهدة، حتّى يُظنّ أنّها حليف لها، ثمّ تتكشف مطامع المحتلّين بعد أن يسنّوا قوانينهم الغربية لتطبيقها على العرب، وقمع الحرّيات والسيطرة على البلاد وكلّ مواردها. ومن هنا تبدأ مرحلة النضال في وجه المستعمر الأجنبي.

بعد أن بدأ الاحتلال الفرنسي يأخذ شكله الحقيقي على الأرض، قامت حركات تونسية مناهضة لوجوده، ثمّ تحوّلت إلى ثورات عسكرية مقاومة له، برز فيها قادة عسكريون يقاتلون على الجبهات ويقودون المعارك، مع نخبة من المثقّفين حملت على عاتقها مسؤولية قيادة النضال السياسي للثورة، وشحذ الهمم وفضح جرائم المستعمر الفرنسي وتجاوزاته اللاإنسانية بحقّ التونسيين.

(١) الحماية الفرنسية على تونس: شكل آخر مغاير للتجربة الفرنسية في الجزائر، وهي مستوحاة من سابقة أحدثتها النمسا عندما ضمّت البوسنة والهرسك، وتتمثّل في حكم البلاد حكماً غير مباشر، بواسطة السلطات التقليدية، والاكتفاء بمراقبتها عن كثب. انظر: ويكيبيديا.

وقد توجّه الأيوبيُّ بالتحية إلى الشعب التونسيّ، في قصيدة أشاد فيها
بالزعيم التونسيّ عبدالعزيز الثعالبيّ في اثناء زيارته الكويت، إذ وجد في هذه
الزيارة فرصة للتعبير على تضامن شعب الكويت مع شقيقه التونسيّ، ففخر
بصمود الشعب الثائر، ومجّد ثورته لنيل الاستقلال. فقال مخاطباً إيّاه عام ١٩٢٧،
مركّزاً على دوره الفعّال في استمرار النضال والدعوة إلى التحرّر:

يَا مُثِيرَ الْعَرَبِ الْأَخْرَارِ فِي
تُونُسِ الْخَضِرَاءِ لَبَّتْكَ الرُّمُزُ
يَا زَعِيمَ الْعُرْبِ وَثُبَّتْ بِنَا
ثَوْرَةُ التَّخْرِيرِ مِنْ بَعْدِ الضُّجُرِ^(١)

ويصف الشاعر خالد الفرّج العدوان الفرنسيّ على تونس بشيء من التهكّم
والاستنكار، حين يقارن بين الشجاعة التي يطبّقها المستعمر الفرنسيّ على الشعب
التونسيّ الآمن الوادع، والضعف الفرنسيّ أمام الجيوش الحقيقيّة في الغرب،
وهزيمة فرنسا في «تونكين»^(٢) أمام القوّات الفيتناميّة، لولا تدخّل الولايات المتّحدة
الأمريكيّة إلى جانب الأولى لتتقدّ موقفها الحرج كدولة عظمى آنذاك، فيقول:

أَلَا تَرَوْنَ فَرَنْسَا فِي شَجَاعَتِهَا
بِتُونُسٍ فَقَدَتْهَا عِنْدَ تُونِكِينِ^(٣)

ونجد الأيوبيّ يخاطب عام ١٩٤٨ شعب تونس، ويطلب إليه أن ينظر إلى الثورة
الحمراء التي أشعلها الأحرار في أرض إندونيسيا لطرد المحتلّ الهولنديّ والحصول
على الاستقلال التامّ منه، فيقول:

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٨٩.
(٢) تونكين: هو خليج واقّع بين الصين وفيتنام. يُعرف بضحاّله، حيث عمقه أقلّ من ستمين متراً، ويقع إلى الشمال
الغربيّ من بحر جنوب الصين. تلقّت فيه القوّات الفرنسيّة هزيمة نكراء أمام القوّات الفيتناميّة في أواخر
الحرب العالميّة الثانية عام ١٩٤٥.
(٣) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٨٩.

لِتَسْمَعْ تُونُسُ الْخَضِرَاءُ مِنَّا
دُعَاءَ يَمْلَأُ الدُّنْيَا هَزِيمًا
أَثَرْنَا الثُّورَةَ الْحَمْرَاءَ لَيْلًا
وَكَسَّرْنَا السَّلَاسِلَ وَالشُّكِيمَا
نَحَرَّرْهَا جَزَائِرَ إِنْدُلسِيَا
وَنَبْعَثُ حَقَّهَا الْحَقَّ الْهَضِيمَا
نَخُوضُ غِمَارَهَا حَرْبًا ضَرُوسًا
تُثِيرُ الشُّيْخَ وَالطِّفْلَ الْفَطِيمَا^(١)

وكأنها رسالة تحريض للشعب التونسي الذي يبدو أن عزمته في مقاومة الاحتلال الفرنسي قد فترت آنذاك، وكأنه بدأ يتأقلم مع الوضع الاستعماري من غير التفكير جدًّا في التحرُّر والاستقلال. ويتابع الأيُّوبي ناصحًا ومحرِّضًا:

أَجَلُ حُرِّيَّةِ الْأَوْطَانِ فَرَضٌ
عَلَيْنَا أَنْ نُثِيرَ لَهَا الْفُهُومَا
أَجَلُ يَسْتَهْدِفُ الْأَهْوََالَ شَعْبٌ
أَبِيٍّ لِلْمَذَلَّةِ لَنْ يَرُومَا
وَيَنْأَى عَنِ مَثَارِ الْعِزِّ شَعْبٌ
ثَوَى فِي ذَلِكَ أَبَدًا نَوْومَا^(٢)

يؤكد الأيُّوبيُّ الرأي الذي ذهبنا إليه، فهو يقول صراحة بأن استحضاره لتونس في هذا المكان وبهذا الشكل ما هو إلا محاولة منه لاستثارة العروبة التونسية وتحريض شعب تونس على النهوض وطلب الحُرِّيَّة بدلًا من النوم والاستسلام للواقع. ولعلَّ هذا ما يبرر عدم تناول الشعر الكويتي للقضيَّة التونسية بشيء من التفصيل، كما في المغرب والجزائر، بل اكتفى الشعراء بإشارات كان من أبرزها

(١) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٢) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٣٤٥.

الإشادة بجهود عبدالعزيز الثعالبي في التحريض على الثورة لنيل الاستقلال من المستعمر الفرنسي، وربما لو لم يزر الثعالبي الكويت في تلك الفترة، لما نظم الأيوبي قصيدته فيه. والأمر اللافت للنظر في ذكر تونس عند خالد الفرج، أنها جاءت في سياق التهكم بالمستعمر الفرنسي المسيطر على مساحة كبيرة من الوطن العربي، ولم تكن خالصة للحديث عن الثورات التونسية آنذاك. وعلى الرغم من هذه الإشارة، بيد أنها تؤكد إلمام الشاعر بأحداث الاستعمار الفرنسي لتونس، وإن لم ينظم تفصيلاً في ذلك استناداً إلى ما استطعنا الوصول إليه من شعر. ولم يقف الشعراء عند جرائم المستعمر الفرنسي، بل أرسلوا أنظارهم إلى الجرائم الإيطالية في ليبيا، ودافعوا عن القضية الليبية دفاع المواطن عن وطنه.

د - الاحتلال الإيطالي لليبيا

حين كانت دول المغرب العربي تعاني ويلات الفرنسيين، وتناضل في سبيل نيل استقلالها، كانت ليبيا الشقيقة في الأرض والعروبة تشاطرهما المعاناة والنضال، لكن من الاحتلال الإيطالي. بدأت محاولات إيطاليا لاستعمار ليبيا منذ عام ١٩١١، حين حاولت السيطرة على إقليمي طرابلس وبرقة اللذين كانا تحت حكم السلطنة العثمانية، بحجة أن الإيطاليين جاؤا لتحرير الليبيين من الحكم العثماني. ورغم المقاومة العنيفة من الليبيين للغزو، قامت الدولة العثمانية بتسليم ليبيا إلى إيطاليا بتوقيع الطرفين اتفاقية تعترف الدولة العثمانية بموجبها بامتلاك إيطاليا لليبيا في ما عرفت بمعاهدة لوزان عام ١٩١٢.

هَبَّ الشاعر عبدالله النوري مُستنكراً الاستعمار الإيطالي لليبيا، فنظم قصيدته «لا فخر لمن ذلَّ» عام ١٩٣١، ينددُ بوحشية الإيطاليين وأعمالهم القمعية الفاشية في مدينة طرابلس، قال:

قُبْحًا لَكُمْ يَا بَنِي رُومَا فَبَغْيُكُمْ
جَنَدْتُمْ مِنْهُ يَا ظُلَامُ شَنَاْنَا

سَفَكْتُمُ الدَّمَ عُذْوَانًا بِلا سَبَبٍ
 أَيْتَمْتُمُ النُّشْرَ طِفْلَاتٍ وَّوَلَدَانَا
 وَفِعْلُكُمْ مَا فَعَلْتُمْ فِي طَرَابُلُسٍ
 يَا جُنْدَ «فَاشِسْت»^(١) عَصُرَ النُّورَ قَدْ شَانَا
 زَلْزَالَ ظُلْمِكُمْ وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ
 نَارًا تَفْجَرُ فِيهَا بَعْدُ بُرْكَانَا
 وَحَشِيَّةُ يَا بَنِي رُومَا الْبُغَاةَ لَقَدْ
 نَلْتُمُ بِهَا عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ أَضْغَانَا^(٢)

يقدح الشاعر بالمستعمر الإيطاليّ قذحاً يؤكد حقه وغيظه من همجيّته ووحشيّته، وكأنّ الشاعر نفسه قد عانى ويلاتّه، وعاشها مع الشعب الليبيّ واقعاً. كما يشير أيضاً إلى مجزرة ارتكبتها الإيطاليّون في مدينة طرابلس، حيث يُتَمّ الأطفال ورُمّت النساء وسُفكت الدماء؛ فضلاً عن أنّ الشاعر يفسّر سبب الضغينة التي يحملها في صدره على المستعمرين، فبأعمالهم الإجرامية استحقّوا الحقد والضغينة من الناس جميعاً. وأشار الأيوبيّ إلى المحنة الليبيّة في ظلّ الاستعمار الإيطاليّ الذي اشتهر بالتككيل والوحشيّة، فقال:

لَقَدْ شَقِيَتْ بِإِيطَالِيَا دِيَارُ
 بِأَفْرِيْقِيَا وَكَابَدَتْ السُّقُومَا
 هُمْ خَضَبُوا الرِّحَابَ دَمًا وَدَمْعَا
 وَهُمْ هَتَكُوا الْمَحَارِمَ وَالْحَرِيمَا^(٣)

(١) الفاشيّة «الفاشستية»، بمعناها الحرفي: هي الحركة التي أسّسها حاكم إيطاليا في ليبيا «بنيتو موسوليني» في ميلانو في التاسع عشر من مارس عام ١٩١٩، وهي: النظام السياسيّ الذي فرضته إيطاليا بعد وصوله إلى السلطة في الثلاثين من أكتوبر عام ١٩٢٢. وهي كذلك: اسم عام يُطلق على الأيديولوجيّات، والحركات السياسيّة، وأنظمة الدولة التي تتخذ موقفاً قومياً متطرفاً، وتجنح إلى التسلط والعسكريّة والتوتاليتاريّة. انظر: عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج٤، ص ٤٤٩.

(٢) خليفة الوقيان، القضية العربيّة في الشعر الكويتيّ، ص ١٢٠.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٤٣.

كما أرسل تحيةً إلى المجاهد الليبيِّ عُمَر المختار^(١) الذي قضى حياته مجاهداً في سبيل نصره القضية الليبية، حتَّى تمَّ إلقاء القبض عليه وتنفيذ حكم الإعدام شنقاً فيه:

إلى الْمُخْتَارِ فِي الْأَجْنَانِ ذِكْرِي
ثَحَاكِي اللَّوْلُو الرُّطْبِ النَّظِيمَا^(٢)

واللافت للنظر أنَّ الأيوبيَّ انتهج نهج معاصره الفرج في استدعاء التاريخ الأسود لإيطاليا، تلك التي لم تتوانَ من إلحاق الأذى بالمسلمين أينما كانوا، حتَّى في أوروبا نفسها، فقال مستهجنًا الاعتداء الإيطاليَّ على شعب ألبانيا المسلم:

أَوْغَادُ رُومَا نَاوُشُوا الْأَلْبَانَ بِأَ
غَدْرِ الشُّنَيْعِ وَقَدْ أَتَوْا مَا يُخْجِلُ^(٣)

ويقول في أخرى مشدداً على الصلة التي تربط مسلمي الشرق بمسلمي الغرب، حتَّى جعل روابط صلة الدين لا تقلُّ متانة عن صلة الرحم:

وَفِي أَلْبَانِيَا رَجْمٌ عَتِيدٌ
مَضَى جَوْرًا بِهَا اسْتِعْمَارُ رُومَا^(٤)

حظيت ليبيا باهتمام الشعراء الكويتيين مثلها مثل كلِّ دول إقليم المغرب العربيِّ. وعلى الرغم من قلة ما نظم في شرح المعاناة الليبية تحت نير الاستعمار،

(١) عمر بن مختار بن عمر (١٨٥٨ - ١٩٣١) أشهر مجاهدي طرابلس الغرب في حربهم مع المستعمرين الإيطاليين. نسبته إلى قبيلة «المنفة» من قبائل بادية بُرْقَة. بدأت مسيرته الجهادية عندما تولى قيادة «الجبل الأخضر»، ولحقت به القبائل، وأتفق الرؤساء على أن يكون القائد العام، والرئيس الأعلى للمجاهدين. وأشهر ما خاضه من المعارك: معركة «الرحبية»، و«عقيرة المطمورة»، و«كرسة»؛ وهي أسماء أماكن في الجبل الأخضر. ولما ألقى القبض عليه، سُئِلَ عن أعماله فأجاب بالإيجاب، غير هيَّاب، فأعدم شنقاً في مدينة بنغازي. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٦٥.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٤٤.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٥٣.

(٤) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٤٣.

تبقى النماذج التي وردت دليلاً على قومية الشاعر الكويتي، وعدم إغفاله صيحات الألم التي كانت تتبعث من أفواه الشعب الليبي آنذاك.

لقد جاء تصوير الشاعر لحركات التحرر في مناهضة المستعمرين الإسبان والفرنسيين والإيطاليين في دول المغرب العربي، في سياق الروح القومية العالية لديه، والوعي السياسي المنفتح على المشرق والمغرب، وهذا الوعي كان نتيجة البعثات التعليمية المبكرة في دولة الكويت، فضلاً عن الرحلات التجارية والثقافية آنذاك. بيد أن سبباً آخر قد يكون وراء اهتمام الشعراء الكويتيين بتصوير الثورات العربية في دول المغرب العربي، يكمن في رغبة المشرقي العربي في فضح جرائم المستعمر الأجنبي أينما وجد، سواء أكان في المشرق أم في المغرب، وحتى في دول العالم البعيدة عن هذا وذاك. وتبقى النماذج التي وصلتنا دليلاً على الوعي القومي للشاعر الكويتي، بعيداً عن السبب النفسي للنظم في القضايا على مختلف أشكالها وانتماءاتها وأماكنها.

لاحظنا تتقل الشعراء بقوميتهم بين المشرق العربي من بلدان شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، وصولاً إلى دول إقليم المغرب العربي، منددين بالاستعمار الأجنبي وجرائمه وتجاوزاته العدوانية والاستيطانية على مرأى من العالم أجمع، وشاحدين العزيمة في نفوس العرب للنهوض أمّة عربية واحدة تقف في وجه العدوان وتدحره عن الأراضي المغتصبة، ومتخذين من أشعارهم وثائق تاريخية توثق الجرائم والمجازر في كل الدول العربية المحتلة.

وبدت قضية فلسطين الهمّ الأوّل عند الشعراء الكويتيين، فحازت بذلك النصيب الأكبر من اهتمامهم بين القضايا العربية الأخرى المعاصرة لها، ويعود ذلك إلى هول الاعتداء الصهيوني اليهودي المؤازر بالدعم العالمي لاغتصاب فلسطين وطناً قومياً لليهود العالم. واستطاع الشعراء توثيق أحداث القضية بتفاصيلها الدقيقة، بدءاً من المساعي البريطانية لإحلال اليهود في فلسطين، إلى وعد بلفور،

إلى الهجرات اليهودية المنهجية، ثم الاستيطان، والثورات التي اشتعلت في أكثر من مكان تنديداً بهذا العدوان السافر، فضلاً عن أنَّ الشعراء قد أولوا النازحين واللاجئين الفلسطينيين قسماً من أشعارهم، فركزوا على معاناتهم، ووجهوا نداءات كثيرة إلى الشعوب العربية والحكام العرب، لإنقاذهم، وتأمين حياة كريمة لهم.

تناول الشعراء للقضايا السياسية العربية الأخرى كان أقل من معاصرتها الفلسطينية، إلا أنَّهم لم يتجاهلوا الثورات التي قامت في تلك البلاد لدحر المستعمر بكل أشكاله، ففخروا ببطولات الثوار العرب حيناً، ونددوا بالمستعمر حيناً، ودعوا إلى الوحدة العربية أحياناً كثيرة. ولم يكن تناول الشعراء لهذه القضايا لغاية النظم فقط، أو لإحياء مناسبة أو تخليد ذكرى، بل كان نابعاً من عمق الأخوة العربية، وغيره الشقيق العربي على شقيقه المتألم، ودليلاً على تطور المضامين الشعرية لدى الشاعر الكويتي، وارتقاء الشعر العربي الفصيح في الكويت ليتبوأ مكاناً متميزاً في ديوان الشعر العربي بعامة.

بيد أنَّ قضايا سياسية خارجية أخرى كانت حاضرة بقوة في الشعر العربي في الكويت، لم يكن للاستعمار الأجنبي أيُّ تدخل مباشر فيها. من ذلك، المعتركات السياسية والحربية بين الدول العربية، تلك التي كانت نتيجة سعي عدد من الملوك والأمراء لتوطيد حكمهم في أكبر رقعة ممكنة من الأرض العربية، وسعي قسم آخر إلى السيطرة على أجزاء من الممالك المجاورة لمالكهم وضمها إلى حكمهم، وآخرين لأهداف دينية وطائفية وراء قناع السياسة والتوسع، أو التحرر من ربقة الظلم والتعسف العربي، وعلى هذا سنقف بالتفصيل في ما يأتي.

الفصل الثاني

القضايا السياسية العربية العربية في الشعر العربي في الكويت

إنَّ القضايا السياسية العربية العربية هي النزاعات واتفاقيات السَّلام بين دولتين عربيَّتين، على نقيض قضايا التحرُّر من المستعمر حيث يكون أحد طرفيها أجنبيًّا. ولأنَّها تقع تحت عنوان الباب: «القضايا السياسيَّة الخارجيّة في الشعر العربي في الكويت قبل الاستقلال»، فهي القضايا التي تدور أحداثها خارج إطار الكويت. وتتحصّر القضايا التي ستتمُّ دراستها في تلك التي وثّقها الشعراء الكويتيُّون في دواوينهم، والتي تبين نظرتهم إلى الواقع السياسيَّ العربيَّ في تلك الفترة. ويعود اهتمام الشعراء بهذه القضايا إلى كثرة تجوالهم وترحالهم كما أهل البداية آنذاك، فذلك سمح لهم بمعاصرة الأحداث السياسيَّة للدول العربيَّة التي يضعون عصا ترحالهم فيها، فتناولوها ووثّقوها. وسنبداً بالحديث في ما كان بين مملكة المنتفق في العراق وبنو كعب^(١) من أيَّام.

(١) الدولة الكعبيَّة: نسبة إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية. وهي إمارة عربيَّة قامت في عربستان (الأحواز)، حين هاجرت قبيلة بني كعب إلى إقليم عربستان من وسط العراق في منتصف القرن السابع عشر، واستوطن قسم من هذه القبيلة الجزء الجنوبيَّ الغربيَّ من حوض نهر كارون، وانتشر باقي أفراد القبيلة على ضفّتي شط العرب شرقاً وغرباً. نظرًا لضعف الدولة الفارسيَّة والعثمانيَّة، قامت قبيلة بني كعب بالسيطرة على منطقة الأحواز والبصرة والزابير والكويت، وأصبح شيوخ الكويت يدفعون أتاوة كبيرة لبني كعب، كان ذلك في الفترة (١١٧٤-١١٨٠هـ/ ١٧٦٢-١٧٦٧م). يقول المستر لاتوش، المقيم البريطاني في البصرة، في رسالة محرَّرة عام ١٧٨٢: «وحتَّى وقت قريب كانت القرين (الكويت) مضطرة أن تدفع أتاوة كبيرة لبني كعب...». انظر: أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث، ص ١٦.

أولاً: مملكة المنتفق ودولة بني كعب

كنّا قد تناولنا في الفصل الأوّل أحداث الغزو الفارسيّ للعراق وتفاصيله أواخر القرن الثامن عشر، وهزيمة القوّات الفارسيّة أمام قوّات أمير مملكة المنتفق ثويني بن عبدالله الشبيبيّ، معتمدين في ذلك على ما وصلنا من الإرث الشعريّ لعثمان بن سند الوائليّ المعاصر لتلك الأحداث، والمقرّب من أمراء مملكة المنتفق. وانتقل عثمان بن سند بشعره ليوثّق حادثة أخرى مرتبطة بالغزو الفارسيّ للعراق، بل محوراً أساسياً من محاور المعركة آنذاك، لكنّه هذه المرّة يتعلّق بخلافٍ عربيّ عربيّ، يتزامن مع الحدث العربيّ الفارسيّ.

فبينما كان حصار القوّات الفارسيّة للبصرة في أعنى أيامه وأشدّها قسوة، استمرّت قوّات مملكة المنتفق وقبائلها بإيصال الإمدادات إلى مدينة البصرة المحاصرة، وقامت قوّات بني خالد^(١) وقبائلها بالدور نفسه أيضاً، «وشعّر بنو خالد بأنّ مصالحهم المختلفة، سواء أكانت المتعلقة بحماية القوافل التجارية الوافدة إلى البصرة، أم الحصول على المواد الغذائية، وخاصّة الثّمور، سيلحقها الضّرر جرّاء الحصار الفارسيّ للبصرة واحتلالها، لذلك وقف بنو خالد إلى جانب مُتسلّم البصرة في الدفاع عن المدينة ومساندتها. ففي المراحل الأولى من الحصار الفارسيّ قام بنو خالد، إلى جانب المنتفق، بدور كبير في إيصال الإمدادات إلى المدينة»^(٢).

كانت قوّات المنتفق تعاني من مسؤوليّة حماية جبهتين: الجبهة الفارسيّة، وجبهة شمال مملكة المنتفق التي هي جبهة بني كعب الذين تعاونوا مع الفرس.

(١) بنو خالد: مجموعة قبائل عربيّة متحالفة، اختلف المؤرّخون في نسبتهم إلى فخذ بعينه، ويسلكهم بعض المؤرّخين مع بني المنتفق في النسب إلى عامر بن صعصعة، وكان الراجح نسبتهم إلى قبيلة طي، كما أشار إلى ذلك ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» متحدّثاً عن أحداث سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م. كان مركز حكمهم المملكة العربيّة السعوديّة، فضلاً عن انتشارهم في مناطق متعدّدة من سواحل الخليج العربيّ. انظر: ويكيبيديا..

(٢) طارق نافع الحمداني، الخليج والجزيرة العربيّة بين القرن السادس عشر والقرن العشرين، ص ١٧٥.

عن طبيعة هذا التعاون بين الطرفين، كتب المؤرّخ والمستشرق الألماني البارون «ماكس فون أوبنهايم Max.Von.Oppenheim» في حديثه عن الهجمات التي شنّها الإنجليز على الموانئ في البصرة، وتصدّي بني كعب لها: «فقد فضّل بنو كعب حرق السفن المستولى عليها، بدلاً من تركها تقع في أيدي الأعداء، وصدّوا هجوماً شنه الإنجليز على تحصيناتهم عند غور موسى. وفي النهاية انسحبت القوّات العثمانية والبريطانية بناءً على احتجاج خطّي من كريم خان زند^(١)، اعتبر فيه كعباً من الرعايا الفُرس، ووضعهم في حمايته، وطلب الخروج من الأراضي الفارسيّة. ثمّ عند محاصرة البصرة، الحدث الرئيس في الحرب التي دارت عام ١٧٧٤م بين القوّتين، أبدى بنو كعب استعدادهم لمساعدة كريم خان^(٢)».

وبعد استرداد الأمير ثويني بن عبدالله وجنده لمدينة البصرة عام ١٧٧٩م، وإعادتها إلى العثمانيين كدعم منه لسليمان باشا، وبعد هزيمة القوّات الفارسيّة في معركتي الفضليّة وأبي حَلَانَة اللّتين قُتلَ فيهما كثير من قادة الجيش الفارسيّ، ساد التوتر العلاقة بين الدولة العثمانيّة والدولة الفارسيّة بسبب هذه الأحداث، ومن ثمّ ساءت العلاقة بين مملكة المنتفق التي وقفت بالجانب العثمانيّ، ودولة بني كعب التي وقفت بجانب الدولة الفارسيّة. ويشير المؤرّخ ماكس أوبنهايم إلى وقوف بني كعب إلى جانب الفُرس مُعادين مملكة المنتفق، فكتب ما نصّه: «وعندما عبّر الجيش الفارسيّ، قادماً من الحُويزَة، شطّ العرب تحت القرنة، قطع أسطول بني كعب خطّ السفن التركيّة، ووضع نفسه تحت تصرّف الفرس لنقل المؤن والذخائر^(٣)».

(١) محمد كريم خان زند (١٧٥٠ - ١٧٩٥م)، أوّل عاهل زنديّ في إيران (١٧٥٠ - ١٧٧٩م)، كان أبرز قادة نادر شاه العسكريّ، وعلى أثر الفوضى التي أعقبت وفاة نادر شاه عام ١٧٤٧، غدا كريم خان من أهمّ المناضلين من أجل وراثة عرش إيران، لكنّه توجّح حفيد آخر الملوك الصفويّين إسماعيل شاه الثالث ملكاً على عرش إيران، فألّت السلطة إلى كريم خان الذي حمل لقب الوكيل أو الوصيّ. انظر: الموسوعة العربيّة، ج ١٦، ص ٢٥٢. [نسخة إلكترونيّة].

(٢) ماكس فراهير فون أوبنهايم، البدو، ترجمة: محمود كيكبو، تحقيق وتقديم ماجد شبر، [الطبعة العربيّة الثانية]، لندن: شركة دار الوراق للنشر، ٢٠٠٧، ج ٤، ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) ماكس أوبنهايم، البدو، ج ٤، ص ٨٩.

لَمَّا أَصْبَحَتِ الْبَصْرَةُ تَحْتَ نَفوذِ حَاكِمِ مَمْلَكَةِ الْمُنْتَفِقِ الْأَمِيرِ ثُوَيْنِي، رَأَى غَضَبَانِ
 بَنِ مُحَمَّدٍ الْكَعْبِيِّ^(١) أَنَّ تَزَايُدَ نَفوذِ مَمْلَكَةِ الْمُنْتَفِقِ الْمَجَاوِرَةِ لَهُ، وَخُصُوصًا سَيِّطَرَتِهَا
 عَلَى مِينَاءِ الْبَصْرَةِ، يَضُرُّ بِمَصَالِحِ دَوْلَتِهِ، فَفَرَّرَ الْقِيَامَ بِتَحْرُكٍ عَسْكَرِيٍّ مُضَادٍّ
 لِمَعْسَكِرِ مَمْلَكَةِ الْمُنْتَفِقِ الْقَرِيبِ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَالْمُكَلَّفِ حِمَايَتِهَا. وَفِي عَامِ ١٧٨٤م شَنَّتْ
 قُوَّاتٌ كَبِيرَةٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ هَجُومًا مَفَاجِئًا عَلَى مَعْسَكِرٍ لِلْأَمِيرِ صَقَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 أَخِي الْأَمِيرِ ثُوَيْنِي وَانْتَصَرَتْ عَلَيْهِ. وَقَدْ كَانَ هَذَا التَّحْرُكُ الْعَسْكَرِيُّ جُزْءًا مِنْ حَالَةٍ
 عَامَّةٍ تَعِيشُهَا الْمُنَاطِقَةُ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ بَيْنَ الْعُثْمَانِيِّينَ وَحُلَفَائِهِمْ، وَالْفُرْسِ وَحُلَفَائِهِمْ.
 كَانَ بَنُو كَعْبٍ يَتَوَقَّعُونَ الرَّدَّ مِنَ الْأَمِيرِ ثُوَيْنِي، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ أَنَّ مَوْعِدًا
 لَهُ سَيُعْقَدُ لاجْتِمَاعٍ مَعَ الْمُسْتَرِ لَا تَوْشِ^(٢)، لِذَلِكَ لَمْ يَتَوَقَّعُوا تَحْرُكَهُ إِلَّا بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ
 بِمَدَّةٍ، فَبَاغَتْهُمْ الْأَمِيرِ ثُوَيْنِي فِي مَعْسَكِرِهِمْ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ^(٣).

وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرَكَةُ امْتِدَادًا لِلْحَرْبِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ مَمْلَكَةِ الْمُنْتَفِقِ وَالدَّوْلَةِ الْفَارْسِيَّةِ،
 إِلَّا أَنَّهَا اتَّخَذَتْ طَابِعَ الْمَوَاجِهَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَكُونَهَا بَيْنَ جَيْشَيْنِ عَرَبِيَّيْنِ، بَغْضٍ
 النَّظَرِ عَنِ الدَّوَلِ الَّتِي تَقِفُ وَرَاءَ كُلِّ مِنْهُمَا؛ فَعَدَّةٌ أَسْبَابُ اجْتِمَاعَتْ لِتَكُونِ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ
 الطَّرَفَيْنِ، أَوْ أَنَّ الْعَدَاوَةَ السِّيَاسِيَّةَ قَدْ أُوجِبَتْ حَقْدًا بَيْنَهُمَا.

(١) حَاكِمُ دَوْلَةِ بَنِي كَعْبٍ.

(٢) الْمَقِيمُ الْبَرِيطَانِيُّ فِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ الْعِرَاقِيَّةِ.

(٣) «يَقُولُ أَحَدُ الْمُؤَرِّخِينَ لِتِلْكَ الْفَتْرَةِ فِي وَصْفِ الْخَطَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الْأَمِيرُ ثُوَيْنِي لِلْقَضَاءِ عَلَى مَعْسَكِرِ بَنِي كَعْبٍ:
 وَقَدْ شَهِدَ «لَا تَوْشِ» وَ«هَارْفُورْدُ جُونز» مِنْ مَقِيمِيَّةِ الْبَصْرَةِ، حَادِثَةً غَرِيبَةً مِنْ هَذِهِ الْحَمَلَةِ، وَكَانَ الْأَوَّلُ فِي طَرِيقِهِ
 لِأُورُوبَا مَرُورًا بِبَغْدَادٍ وَحُلُبٍ، فَرُتِبَ لِقَاءٌ مَعَ الشَّيْخِ ثُوَيْنِي الَّذِي كَانَ مَعْسَكَرَهُ عَلَى الضَّفَّةِ الْيَمْنَى لِشَطِّ الْعَرَبِ
 فَوْقَ الْبَصْرَةِ. وَعَقِبَ انْتِهَاءِ الزِّيَارَةِ، أَمَرَ ثُوَيْنِي رَجَالَهُ -وَكَانَ عَدَدُهُمْ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ أَلْفٍ وَأَلْفٍ وَمِئَتَيْ رَجُلٍ- بِعُبُورِ
 النِّهْرِ الْكَبِيرِ سَبَاحَةً إِلَى الضَّفَّةِ الْأُخْرَى، وَخِلَالَ اللَّيْلِ وَالصُّبْحِ التَّالِي، كَانَ رَجَالُ الْمُنْتَفِقِ قَدْ سَارُوا مَسَافَةً
 تَتَجَاوَزُ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ مِيلًا فِي الْأَرْضِ، إِلَى جَانِبِ عُبُورِهِمْ خَلِيجَيْنِ كَبِيرَيْنِ، وَفِي التَّاسِعَةِ مِنْ مَسَاءِ الْيَوْمِ
 التَّالِي، اسْتَطَاعُوا أَنْ يَبَاغِتُوا الْعَدُوَّ فِي مَعْسَكِرِهِ، وَيَبِيدُوا رَجَالَهُ عَنْ آخِرِهِمْ، وَكَانَ بَنُو كَعْبٍ عَلَى عِلْمٍ بِمَوْعِدِ
 ثُوَيْنِي مَعَ مُسْتَرِ لَا تَوْشِ، وَعَلَى هَذَا لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَبَاغِتُوهُمْ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ». انْظُرْ: جُونز لُورِيمِر
 J.G.Lorimer، دَلِيلُ الْخَلِيجِ: الْقِسْمُ التَّارِيخِيُّ، ج ٤، ص ١٨٨٣.

واستناداً إلى قصيدة نظمها الشاعر عثمان بن سند لمناسبة انتصار الأمير
ثويني على بني كعب، نستطيع الوقوف على بعض أحداث هذه المعركة، حيث نعت
ابن سند أمراء بني كعب بالطيش والتهور، حين أساءوا التقدير بزجهم بأنفسهم
وقومهم في حرب كانت خاسرة، بينما استرسل الشاعر في وصف جسارة الأمير
ثويني وجيشه أمام بني كعب، قال:

أَرَادَتْ بَنُو كَعْبٍ هَوَانًا لِأَهْلِهَا
وَقَدْ كَلَحَتْ عَنْ عَضْلِ أَنْيَابِهَا الْحَرْبُ
وَمَا بَلَغُوا فِيهَا الْمُرَادَ لِأَنَّهُ
لِقَاطِنِهَا دِرْعٌ وَعَنْ ضِدِّهَا عَضْبُ
فَارَاؤُهُ هُنَّ الْبُرُوقُ لَوَامِعًا
وَلَوْ أَنَّهَا فِي قَلِّ أَعْدَائِهَا شُهْبُ
كَمَا أَنَّ مَجْدًا عَمَدَتُهُ جُدُودُهُ
سَمَاءٌ لَهَا أَوْتَادُ سُودِدِهِ قُطْبُ^(١)

وتفسح بعض القصائد التي نظمها ابن سند في هذا الموضوع، المجال للتأويل
في حقيقة تجرد ابن سند وموضوعيته في تناوله للأحداث التاريخية وتدوينها،
وربما أقحم آراءه الشخصية والدينية في بعض ما نظم من تاريخ؛ إذ يعرف عنه
التزامه الديني الشديد^(٢).

(١) عثمان بن سند، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٢١٣.

(٢) ينتمي عثمان بن سند إلى أسرة تعنى بالعلوم الشرعية، وكان والده إماماً لمسجد قرية الدشت في جزيرة فَيْلَكا (الكويت)، مسقط رأسه، فتلقى تعليمه الديني على والده أولاً، ثم تابع ذلك في عدد من المدن العربية على يد عدد من علماء عصره، ثم عمل معلماً بمدارس البصرة، ومستشاراً وكاتباً ومؤرخاً لوالي بغداد داود باشا، وتأثر بالطريقة النقشبندية، وألف في شيخها خالد النقشبندى كتاباً أسماه «أصفي الموارد في أحوال الشيخ خالد». انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٢، ص ٧١٥.

ولعلَّ الطابع الدينيّ الذي تميّز به ترك أثره جليّاً في قصائده، ومن ذلك نظمته الكثير من القصائد الدينيّة في المديح النبويّ والمناسبات الدينيّة، أو تلك المنظومات الشرعيّة، نحو «بهجة البصر» وهي في مصطلح الحديث النبويّ. وله قصيدة أخرى نظمها في مدح الأمير ثويني لمناسبة انتصاره على قوَّات بني كعب، يقول في مطلعها مصوراً الخسارة التي لحقت بمعسكرهم يوم هاجمه الأمير ثويني وجيشه، ومشيراً إلى بسالة الطرف المهاجم وجسارته:

هُمُ اللَّبَّاءُ مُسْتَنْصِرِينَ بِرِجْلِهِمْ
فَكَانُوا بُغَاثًا خَرَّ مِنْ فَوْقِهَا صَقْرٌ
لَقُوا فِتْيَةً هَزُّوا الْقَنَا بِأَكْفِهِمْ
فَكَادَ بِذَاكَ الْهَزِّ يَزْهُو وَيَخْضَرُ
وَهُمْ أَصْلَتُوا الْبَيْضَ الرَّقَاقَ كَأَنَّهَا
بُرُوقٌ لَهَا تَأْمُورُ مَنْ حَارَبُوا قَطْرُ^(١)

يشير إلى أنَّ بني كعب تجمَّعوا لشنِّ هجوم على معسكر الأمير ثويني، مستنصرين بالأرض التي سيخوضون المعركة عليها؛ إذ إنَّ عدوَّهم سيضطرُّ إلى السير أيّاماً للوصول إلى معسكرهم، حيث يفصلُ بين المعسكرين خليجان كبيران، ولا بدَّ من الالتفاف حولهما سيراً على الأقدام. بيدَ أنَّ الأمير باغتهم بجيشه وانقضَّ عليهم كما الصقر على فريسته، حين أعطى الأمر لجيشه بقطع الخليجين سباحةً، والتسلُّ إلى معسكر بني كعب، فتَمَّ لهم الأمر بذلك قبل مغيب شمس اليوم الثاني لسيرهم. ويسوق الشاعر الأحداث بأسلوب فنيٍّ حين يشبِّه السيوف

(١) عثمان بن سند، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٢١٤. [البُغَاثُ: طائرٌ صغير الحجم، طويل العنق، بطيء الطيران، أَبْغَثُ اللونِ كلون الرمل. والجمع: بُغَاثٌ وَبُغَاثٌ. وفي المثل: «إِنَّ الْبُغَاثَ بَارِضُنَا يَسْتَنْسِرُ»، يُسَاقُ لِلضَّعِيفِ يَفْوَى وَيَسْتَبِدُّ إِذَا وَاتَتْهُ الظُّرُوفُ، أي مَنْ جَاوَرَنَا عَزَّ بَنَا. الْقَطْرُ: المطر. انظر: قاموس المعاني. التَّأْمُرُ في القاموس الطَّبِّي: غِلَافٌ يَحِيطُ بِالْقَلْبِ، وَيَتكوَّنُ مِنْ جَزَائِنٍ: كَيْسٍ لِيَفِيٍّ، وَغِشَاءٍ مَصْلِيٍّ يُغَلِّفُ الْكَيْسَ اللَّيْفِيَّ، فَضْلاً عَنْ طَبَقَةٍ مَصْلِيَّةٍ تَغْطِي سَطْحَ الْقَلْبِ]. انظر: موقع الطَّبِّي، مصطلحات طبيّة.

التي تلمع في أيدي جنود الأمير بالبروق التي تروّع القلوب، فيتساقط الأعداء أمام ضرباتها كالمطر الذي لا سبيل له إلا السقوط من السماء إلى الأرض.

ونستطيع أن نسترجع نقطة كنّا قد أشرناها في أثناء الحديث عن الأسباب الفكرية لمعركتي الفضلية وأبي حلاّنة، والتي أشار إليها ابن سند في قصائد نظمها في مديح الأمير ثويني وإخوته، بعد انتصاراتهم على الفرس في البصرة ونواحيها.

ويشير الشاعر عثمان بن سند إلى غضبان ابن محمّد الكعبيّ حاكم دولة بني كعب، فيقول:

فَأَصْبَحَ غَضْبَانُ الرُّوَافِضِ كَاسِمِهِ
وَلَا أَسَدٌ بِيَضُّ لَدَيْهِ وَلَا سُمْرُ
وَمَا لِبَنِي كَعْبٍ وَخَرِبَ فَوَارِسِ
سُيُوفٌ إِذَا قَدُّوا.. لُيُوثٌ إِذَا كَرُّوا^(١)

إنّ إفصاح الشاعر ابن سند عن رأيه بالعلاقة التي جمعت بني كعب والفرس، وإشهاره هذا الرأي أمام الأمير ثويني وجماعته، ثم ترجيحه الأسباب الفكرية على الأسباب السياسية، يرجّح موافقة الأمير على آراء ابن سند ومعتقداته، ولربّما كان ابن سند يستمدُّ هذه الجرأة في الطرح من الأمير نفسه، أو من حاشيته والموالين له.

ولعل هذا الأمر يعدُّ مأخذاً على تجرد وموضوعية ابن سند في تناوله للأحداث التاريخية والسياسية وقتئذٍ.

(١) عثمان بن سند، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٢١٤.

ويتابع عثمان بن سند مدحه لحكام مملكة المنتفق وحاميتها، ويذكر في المقابل عدم قدرة بني كعب على الوقوف في وجه هؤلاء السادة المتمرسين بالحرب، وينتهي من تعداد المكارم إلى توثيق أسماء إخوة الأمير ثويني بن عبدالله: حبيب، ناصر، مغماس، صقر، فيقول:

ثُوَيْنِي حَبِيبٌ نَاصِرٌ وَمُغَامِسٌ
جَمِيعُهُمْ أُسْدٌ، وَصَالِحُهُمْ صَقْرٌ
هُمْ النَّفَرُ الْأَخْيَارُ وَالسَّادَةُ الْأَلَى
إِذَا سَالَمُوا سَرُّوا، وَإِنْ حَارَبُوا ضَرُّوا
وَإِنْ فَاحَرُوا فَاقُوا وَإِنْ سَابَقُوا شَاؤُوا
وَإِنْ طَاعَنُوا أَزْدُوا، وَإِنْ نَسَكُوا بَرُّوا^(١)

ويُسهبُ في إشادته بانتصاراتهم، ويتخلل ذلك مديح لهم بأوصافٍ بالغ في إلزام نفسه إيّاها، فاستحضر من عمق العريّة مفرداتٍ تدلُّ على مدى تعمُّقه في بحرّها، ودرايته بقاموسها، كأن يستعمل «مَسَامِيحَ، جَحَاجِيحَ، بَهَالِيلَ، شَنَاخِيحَ، صَهَامِيمَ»، وهي كلمات مَوَاتٍ، وَغَدَتٌ بَعِيدَةٌ عن الاستعمال منذ زمن طويل، فقال:

مَصَابِيحُ إِنْ يَهْدُوا، مَسَامِيحُ إِنْ جَدُّوا
جَحَاجِيحُ^(٢) إِنْ سَامُوا، مَصَالِيْتُ^(٣) إِنْ جَرُّوا

(١) عثمان بن سند، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٢١٤.

(٢) الجَحَاجِيحُ: جَحَجَحَ: جَحَجَحَ: بَقْلَةٌ تُنْبِتُ نَبْتَهُ الْجَزْرَ، وكثيرٌ من العرب من يُسميها الحِنْزَابَ. والجَحَجَحَ: السَّيِّدُ السَّمْحَ، وقيل: الكريم، ولا تُوصَفُ به المرأة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٧٧.

(٣) مَصَالِيْتُ: أَصْلَتَ الشَّيْءَ: أَبْرَزَهُ، يُقَالُ: أَصْلَتَ السَّيْفَ، أَي جَرَّدَهُ مِنْ غِمْدِهِ. إِنصَلَتَ: بَرَزَ وَظَهَرَ. انظر: المعجم الوسيط، ص ٥١٩.

بِهَالِيلٍ^(١) نَالُوا مِنْ نِزَارٍ وَغَالِبٍ
 شَنَاخِيْبٍ^(٢) مَجِدٍ دُونَهَا النَّسْرُ وَالْغَفْرُ
 صَهَامِيْمٌ^(٣) أَسْمَاهُمْ لُؤْيٍ وَهَاشِمٌ
 عُلاً لَوْ سَمَاهَا الْبَدْرُ لَمْ يُخَسَفِ الْبَدْرُ^(٤)

ألزم قصيدته ألفاظاً قديمة رغم عدم حاجته إلى ذلك، فقد سارت قصيدته بشكل واضح اللفظ بسيط التراكيب منذ مطلعها، على أن هذه البساطة لم تضعف من قوّة الغرض الذي نظمت فيه، بل كانت وافية الشروط شكلاً ومضموناً.

يؤرّخ ابن سند لفترة سياسية مهمّة من تاريخ شبه الجزيرة العربيّة. ومن الواضح موقفه الموالي لحكّام مملكة المنتفق، إلّا أنّه كرّس جلّ اهتمامه للأمير ثويني وانتصاراته، والحرص على تدوين تاريخ مشرّف له، من غير أن يبدي أيّ سلبات في حكمه؛ فلم يورد الأحداث بين الأمير ثويني والدولة السعوديّة، والتي تناولها المؤرّخون لنجد، كخالد الفرّج في كتابه «الخبر والعيان في تاريخ نجد»^(٥)، بل اقتصر على تدوين ما يفيد ممدوحه الأمير.

(١) بهاليل: والبّهلول: العزيز الجامع لكل خير. والبّهلول: الحييّ الكريم. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٧٠.

(٢) الشَّنْخُوبُ والشَّنْخُوبَةُ والشَّنْخَابُ أَعْلَى الْجَبَلِ، وَشَنَاخِيْبُ الْجِبَالِ رُؤُوسُهَا، وَاجِدَتْهَا شَنْخُوبَةٌ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص ١٤٣.

(٣) الصَّهْمِيْمُ: السَّيِّدُ الشَّرِيفُ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْ الْإِيْلِ الْكَرِيمِ. وَالصَّهْمِيْمُ مِنَ الرِّجَالِ: الشَّجَاعُ الَّذِي لَا يَتْنِيهِ شَيْءٌ عَمَّا يَرِيدُ وَيَهْوَى. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٢٩٩.

(٤) عثمان بن سند، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٢١٤. [الغفر: منزل للقمر، ثلاثة أنجم صغار في برج السنبلة، وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر].

(٥) وقف خالد الفرّج موقعاً مغايراً لموقف الشاعر ابن سند، فكتب في حقّ الأمير ثويني ما نصّه: «وثويني على علّاته نصف متحصّر، فهو لا يخلو من طباع البدو في معاملته للولاة؛ فتراه تارة يخضع وينقاد، وتارة يعصي، وأخرى يتقلّب، والولاة يحاربونه مرّة، ويُدَارُونَهُ أُخْرَى». ويعود هذا الموقف الذي بناه الفرّج من الأمير ثويني إلى الولاء الذي يربطه بحكّام الدولة السعوديّة؛ حيث أنّه مقيم على أرضها في تلك الفترة، بينما كان ولاء عثمان بن سند لمملكة المنتفق التي كان يقيم في حدودها، وتربطه بحكامها علاقة وطيدة. وقال أيضاً: «وهكذا نرى ثويني يتقلّب مع الدهر، ويلجأ إلى أعدائه، ولا يبالى أن يقلب لهم ظهر المِجَنِّ، ويخلق من أصدقائه أعداء؛ لأنّه لا يخلو من طباع البدو، وهم غالباً ليسوا بأهل سياسة، ولا يحسبون للمستقبل حساباً». انظر: خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٢٠٤.

ولمَّا قُتِلَ الأميرُ ثُوينِي قالَ الفرجُ في ذلك: «ونزلَ ثُوينِي على ماءٍ يسمَّى الشبَّاك في قرى بني خالد، فكفى الله المؤمنين القتال، إذ قُتِلَ ثُوينِي في معسكره، ولم تنفعه قُوَّاته، قتله عبد اسمه «طَعِيس» بحرية، لموجدةٍ عليه في نفسه، في غُرَّة المحرَّم سنة ١٧٩٧م، فتخاذل جنود ثُوينِي بعد قتله، وتفرَّقوا سبأً، وتبعهم أهل نجد يقتلون وينهبون إلى حدود العراق، وعادت إمارة المنتفق إلى حمود بن ثامر ثانية»^(١).

بينما حزن الشاعر عثمان بن سند على قتله حزناً عظيماً، ونظم فيه رثائية عصماء، أسبغ عليه فيها صفات الكرم والمروءة، وأشار إلى اسم قاتله قائلاً:

أَمِيرًا فَقَدْنَاهُ، فَمَاتَ النَّدَى بِهِ
فَمَا هُوَ إِلَّا الرُّوحُ وَالنَّائِلُ الْجِسْمُ
فَشَلَّتْ يَمِينٌ مِنْ طَعِيسٍ سَطَّتْ بِمَنْ
تَأْتَفُ طُلَابَ الْجَدَا بَعْدَهُ الْيُثْمُ^(٢)

يرى ابن سند أنَّ موت الأمير هو موتٌ لفضائل الخير والسخاء والكرم التي تمثَّلت في روح الأمير، وما جسدهُ إلا أعطيةٌ كرَّمت بها الروح على الأرض، ثمَّ يدعو على قاتله طَعِيسَ بشلل يده التي أزهدت روح الأمير، وأنَّ فقده أيتَمَّ طُلَّاب الحاجات والفقراء وأصبح ملازماً لهم.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الشاعر خالد الفرج الذي عُرف عنه ولعه بالتأريخ ثمَّ النظم، لم يتعرَّض لمملكة المنتفق في ما وصلنا من شعره، بيد أنَّ موقفه السلبيَّ من أميرها ثُوينِي الشببييَّ بدا جلياً في نثره؛ إذ صرَّح بذلك في أكثر من مكان، مخالفاً بذلك ابن سند الموالي لأمراء مملكة المنتفق. ويعود سبب الاختلاف في المواقف

(١) خالد محمَّد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) عثمان بن سند، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، ص ٢١٩. [النَّدَى: الجود والسخاء والخير. والجمع أنداء وأندية. تأتَّف المكان أو به: لزمه فلم يُغادره. تأتَّف القوم الشيء: اجتمعوا حوله. تأتَّف القوم على الأمر: تعاونوا عليه. الجدَا: العطاء، المطر].

بينهما إلى ولاء كلٍّ منهما لأمراء البلاد التي يقيمَان فيها. ولعلَّه أولى القضايا السياسية المعاصرة له كلُّ اهتمامه، ومن ذلك ملحمة الشعريَّة التي وقف فيها على بدايات نشوء الحركة الوهابيَّة في نجد، ومن ثمَّ تخليده مآثر آل سعود، غير مغفل المعارك التي جرت بين حكام الدولة السعوديَّة والمتمرِّدين عليهم من نجد.

ثانيًا: نشأة الدعوة الوهابيَّة، ومواقف الشعراء الكويتيَّين منها

هي دعوة التوحيد^(١) التي جاء بها الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب إلى شبه الجزيرة العربيَّة، وتعتبر من أبرز الأحداث التي أثَّرت في شبه الجزيرة، وأدَّت إلى تغييرات فكريَّة جذريَّة آنذاك ولاحقًا جعلت الناس ينقسمون كل بحسب التزامه أو توسُّطه أو مغالاته. وقد لاقى ابن عبد الوهَّاب عداءً شديدًا من أمير الرياض حينئذٍ دَهَّام بن دُوَّاس^(٢)، بيد أنَّ الأمير محمَّد بن سعود^(٣) كان أوَّل المناصرين لدعوة التوحيد، ومن المدافعين عنها.

لهذا يستوقفنا الشاعر خالد الفرَج يتتبع تاريخيًّا في قصيدة دعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب منذ بدايتها إلى مُعاداتها فانتصارها، فيقول مؤيِّدًا:

إِمَامٌ أَتَى مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ مُسَلَّسٍ
تَوَارَثَهُ عَنْ جَدِّهِ الْإِبْنُ وَالْأَبُ

(١) «الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، والتمسُّك بسُنَّة النبي محمَّد صَلَّى الله عليه وسلَّم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الشريعة بين الناس». انظر: الحسين بن غُثَام، تاريخ نجد، ط٢، بيروت: دار الشروق، ١٩٩٤، ص ٨٨.

(٢) دَهَّام بن دُوَّاس، أمير الرياض، قاوم آل سعود مقاومة عنيفة، وطالت الحرب بينهم حوالي ثلاثين عامًا، انتهت بفرار دَهَّام سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م. انظر: خالد محمَّد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٠.

(٣) محمَّد بن سعود بن محمَّد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم المبردي (١١٠٤ - ١١٧٩هـ / ١٦٩٢ - ١٧٦٥م)، مؤسِّس الدولة السعوديَّة الأولى. يقسم المؤرِّخون فترة حكم الأمير محمَّد بن سعود مرحلتين: الأولى منذ توليه حكم الدرعيَّة عام ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م، إلى عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، وهي السنة التي وصل فيها الشيخ محمَّد ابن عبد الوهَّاب إلى الدرعيَّة. والثانية هي مرحلة الإمامة، وتبدأ منذ عقد اتفاق الدرعيَّة عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، بين الأمير وابن عبد الوهَّاب، واستمرَّت إلى وفاة الأمير عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٣٨.

فَوَالِدُهُ قَاضِي الْعُيَيْنَةِ عِلْمُهُ
 غَزِيرٌ، لَهُ رَأْيٌ ابْنِ حَنْبَلٍ مَذْهَبُ
 غَذَا بِلُبَّانِ الْعِلْمِ طِفْلاً وَيَافِعاً
 وَأَضْبَحَ فِي أَثْوَابِهِ يَتَقَلَّبُ^(١)

بدأ بنشأة صاحب الدعوة الوهابية، وكيف أن علمه المكتسب لم يكن فجائياً ولا بعيداً عن طبيعة العائلة المثقفة. فوالده كان قاضياً على المذهب الحنفي. ومن هنا بدأت النشأة الدعوية التي هيأته لبدء رحلة الدعوة في شبه الجزيرة العربية، «فهاجر إلى حُرَيْمَلَاءَ^(٢) وأخذ يجهر بها، وينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال، لكن والده منعه من ذلك خوفاً من ثورة عارمة، فاتجه في هذه الفترة إلى التأليف والتحصيل، وألف كتابه «التوحيد»، حتى إذا توفي والده سنة ١٧٤٠ أعلن دعوته مجدداً، لكنه ما لبث أن قرّر أن حُرَيْمَلَاءَ لا تصلح لنشر الدعوة، لعدم استتباب الأمن فيها لانقسام أهلها وانقسام الحكم فيها»^(٣). ويذكر خالد الفرج الصّدّ الذي تعرّض له الداعية في بداية دعوته، والضلال الذي كان يعيشه أهل البادية آنذاك:

أَتَى الشَّيْخُ وَالْإِمَامُ يَمْلَأُ صَدْرَهُ
 عَلَى حِينٍ أَنَّ النَّاسَ لِلْغَيِّ أَقْرَبُ
 فَنَادَى فَصَمُّوا عَنْ سَمَاعِ نِدَائِهِ
 وَأَقْصَوْهُ عَنْهُمْ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ^(٤)

(١) مجلة الكويت، ١٩٢٩، ٢م، ج٧، ص ٣١١.

(٢) حُرَيْمَلَاءَ: مدينة تقع شمال غربي مدينة الرياض، وتبعد عنها حوالي خمسين ميلاً، وهي مدينة زراعية، تحيط بها الجبال من جميع الجهات.

(٣) محمد بن عبدالله السلّمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، ص ٢٥. [نسخة إلكترونية].

(٤) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٣٩.

وفي هذا المعنى، بل أكثر تفصيلاً منه، يشرح الشاعر عبد الجليل الطبطبائي الحالة الدينيّة والاجتماعيّة لمجتمع البادية إبّان دعوة ابن عبد الوهّاب:

وَقَدْ طَمَّ أَكْنَافَ الدِّيَارِ وَعَمَّهَا
فُسُوقٌ وَعِضْيَانٌ وَهَتْكَ المَحَارِمُ
وَلَمْ تَلْقَ عَنْ بَادِي المَنَاصِرِ نَاهِيًا
وَلَا أَمِيرًا بِالعُرْفِ بَيْنَ العَوَالِمِ
فَجَرَّدَ عَضَبَ العِزِّ إِذْ أَوْضَحَ الهُدَى
بِآيَاتِ حَقِّ اللُّضَالِ صَوَارِمِ^(١)

كان الداعية صاحب فكر سياسيّ واع؛ إذ أدرك أنّ الدعم من الوجهاء هو من الأسباب القويّة لنجاح الدعوة التي ترمي إلى توحيد بلاد نجد تحت قيادة واحدة. فلجأ إلى العيّنة مسقط رأسه، فاستقبله حاكمها وقتئذ عثمان بن حمد بن مَعْمَر، فشرح له حقيقة دعوته القائمة على دعائم الكتاب والسنة، وأنّ غايته تعليم الناس أصول دينهم، وبشّره بالسداد والتوفيق وزعامة نجد إن نصر كلمة التوحيد وأعلاها، وتحت هذه المغريات قبل الحاكم أن يكون أحد رجالات الدعوة.

يشير الطبطبائي إلى معاناة ابن عبد الوهّاب في بداية دعوته، إذ لم يجد أحداً له ناصرًا من أبناء قومه في بداية الأمر، بل إنّه جبه وطرد من الأماكن التي حاول أن ينشر الدعوة فيها، بيد أنّ ذلك لم يشته عمّا خرج من أجله، فاستمرّ في الدعوة وجاهد فيها جهاد الأبطال، غير مكترث لأعدائه، فقال:

لَقَدْ قَامَ يَدْعُو لِلْمُهِمِّنِ وَحْدَهُ
فَرِيدًا طَرِيدًا مَا لَهُ مِنْ مُسَالِمِ
وَجَاهِدَ لِلرَّحْمَنِ حَقَّ جِهَادِهِ
وَفِي اللّهِ لَمْ تَأْخُذْهُ لَوْمَةٌ لِإِيْمِ^(٢)

(١) عبد الجليل الطبطبائي، روض الخِلِّ والخليل، ص ٢٤.

(٢) عبد الجليل الطبطبائي، روض الخِلِّ والخليل، ص ٢٤.

كَثُرَ المناهضون للدعوة وَعَلَا صَوْتُهُمْ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ حَاكِمُ الْأَحْسَاءِ سُلَيْمَانُ
ابن مُحَمَّد بن عُرَيْرِ الحميديّ الذي وجد الكثير من المؤيدين للوقوف في وجه
الدعوة، وسعى يوغر صدور زعماء القبائل على ابن عبد الوهّاب. ومن أبرز
الذين انضموا إلى دعوة الحميديّ، حاكمُ العُيينة الذي تخلّى عن مناصرة ابن
عبد الوهّاب تحت تهديدات الحميديّ له، وتخلّيه دفع الداعية إلى الهجرة، وفي
ذلك يقول خالد الفرّج:

لَقَدْ خَسِرْتُ فِيهِ الْعُيَيْنَةَ مُنْقِذًا
وَأَبْعَادُهُ وَالْجَهْلُ بِالْعَقْلِ يَلْعَبُ
وَلَوْ أَنَّ عُثْمَانَ الْأَمِيرَ أَجَارَهُ
لَاخَ لَهُ بِالْعِزِّ وَالسَّعْدِ كَوُكْبُ
وَلَكِنَّهُ أَرْضَى الْحَمِيدِيَّ صَاغِرًا
وَأَصْبَحَ مِنْ خَوْفٍ بِهِ يَتَذَبَذَبُ^(١)

وهكذا يبدو انتصار خالد الفرّج لابن عبد الوهّاب ودعوته، وقد سميت لاحقاً
بالدعوة الوهّابية، أو الحركة الوهّابية. ثمّ يصف الفرّج الرحلة الثانية للداعية الذي
لم يكن أمامه إلاّ البحث عن داعم آخر لدعوته، وتوجّه من العُيينة إلى الدرعية^(٢)
التي يحكمها الأمير مُحَمَّد بن سعود، ونزل ضيفاً على عبدالله بن سُويلم، وابن
عمّه أحمد بن سُويلم، وقد كانا من تلاميذ الشيخ في أثناء مقامه بالعُيينة، فخاف

(١) خالد مُحَمَّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٣٩.

(٢) تقع في الشمال الغربيّ لمدينة الرياض، جنوبيّ مدينة حُرَيْمَلاء. كانت عاصمة الدولة السعودية الأولى قبل
أن يهدمها العثمانيّ إبراهيم باشا عام ١٨١٨م بعد معركة ضارية مع أهلها. تلعب الدرعية دوراً محورياً
في التاريخ السياسيّ للمملكة العربيّة السعوديّة كونها تمثّل عاصمة الدولة السعوديّة الأولى. ويبرز دورها
السياسيّ والدعويّ جليّاً على مستوى المملكة بما أرسنه من دعائم للدولة وأسس للعقيدة منذ نشأتها. وقد
أدّى اندثار عمران الدرعية عند بدايات القرن التاسع عشر إلى جعلها مهجورة في معظم أجزائها، وخصوصاً
ما يتعلّق منها بالأحياء التاريخيّة كحيّ الطريف الذي يتميّز بنسيج عمرانيّ متفرّد. انظر: موقع الدرعية.

ابن سُوَيْلَمٍ على نفسه من الأمير مُحَمَّد بن سعود، لاعتقاده أَنَّهُ قد يُوْذِيهِ^(١)، لكنَّ ابن عبد الوهَّاب أَصرَّ على الدخول عليه لدعوته. وفي تفاصيل ذلك يقول الفرّج:

وَأَوَاهُ فِي الدَّرْعِيَّةِ الْبَطْلُ الَّذِي
تَلَقَّاهُ بِالْإِجْلَالِ وَهُوَ يُرَحَّبُ
مُحَمَّدُ أَصْلُ الْمَجْدِ فِي آلِ مُقَرِّنٍ
بِهِ اشْتَدَّ لِلشَّيْخِ الْمُبْجَلِ مَنْحِبُ
وَبَايَعَهُ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ وَالْهُدَى
كَمَا بَايَعَتْ فِي وَقْدِهَا مِنْ قَبْلُ يَنْثَرِبُ
هُنَالِكَ عَضُّ الْإِضْبَاعِ ابْنَ مَعْمَرٍ
وَأَصْبَحَ يَنْعَى نَفْسَهُ وَيُؤْنَبُ
وَهَيْهَاتَ أَنْ يَنْثِي مَشِيئَةَ رَبِّهِ
بِأَحْكَامِهِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْمُسَبِّبُ^(٢)

فاستجاب الأمير مُحَمَّد بن سعود الدعوة، وبايع ابن عبد الوهَّاب. ولعلنا نجد أَنَّ مديح الشاعر للأمير نابعٌ من خصلة واحدة تتلخَّص في مناصرة الأخير لدعوة التوحيد، ورأينا الشاعر قد تهجَّم من قبلُ على ابن مَعْمَر لانقلابه على الدعوة وخوفه من الحميديِّ حاكم الأحساء. ويشير الشاعر إلى ندم ابن مَعْمَر بعد خبر مبايعة مُحَمَّد بن سعود، والذي بدأ يلاحظ أَنَّ أتباع الدعوة يزدادون يوماً بعد يوم، ففوّت عليه فرصة حلفٍ قويٍّ في شبه الجزيرة.

يتابع خالد الفرّج توصيف الأحداث، فيستعمل العموم في توثيقه، غير معنيٍّ بالتفاصيل الدقيقة التي يسردها المؤرِّخون في نشرهم، فيقول:

(١) عُثْمَان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص ٤١.

(٢) خالد مُحَمَّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٤٠.

فَعَادَ عَلَى الدَّرْعِيَّةِ الْخَيْرُ وَالْغِنَى
وَحُقَّ لِأَهْلِيهَا بِأَنْ يَتَغَلَّبُوا^(١)
وَشَقَّ السَّرَايَا بِالسَّرَايَا مُغِيرَةً
لِأَهْلِ الْعَمَى فِي دُورِهِمْ تَتَعَقَّبُ
وَقَامَ لَهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِصَارِمٍ
يُتَمِّمُ فَتْحًا^(٢) مَدَّهُ قَبْلَهُ الْآبُ^(٣)

يربط الشاعر الخير والغنى اللذين حلّا بالدرعية بمؤازرة أهلها للدعوة، ولعلّ الشاعر هنا يرمي إلى حصول انقلاب جذري في حياة سكّانها ومعتقداتهم. ومن هذه القرية المتواضعة بدأت الجيوش تُجهّز نفسها لمحاربة مَنْ تصدّوا لدعوة التوحيد، وذلك بعد عامين من وصول الشيخ إليها.

وعرّج الشاعر في أبياته على عبدالعزيز بن محمّد بن سعود^(٤) الذي سار على درب والده في تأييد الدعوة، بل إنّه خاض عدّة معارك لنصرتها، ومن ذلك مواجهته لأمير الرياض دهّام بن دؤاس، وتكبيده خسائر فادحة، قال:

وَوَلَّى دَهَامٌ لَمْ يُفِذْهُ دِفَاعُهُ
وَلَا مَكْرُهُ أَوْ غَدْرُهُ وَالتَّقَلُّبُ
وَجَاءَ سُعُودٌ^(٥) بَعْدَهُ بِجُمُوعِهِ
وَلَمْ يَبْقَ لِلضَّدِّ الْمُشْتَتِّ مَهْرَبٌ^(٦)

(١) في الأصل (فعاد لأهل الدرعية). انظر: الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٧٩.

(٢) في إشارة من الفرّج إلى إعلان الجهاد من عبدالعزيز بن محمّد بن سعود، مع محمّد بن عبدالوهاب، في مواجهة معارضي الدعوة.

(٣) خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٤٠.

(٤) عبدالعزيز بن محمّد بن سعود بن محمّد بن مرخان بن إبراهيم المريدي (١١٣٣-١٢١٨هـ / ١٧٢٠-١٨٠٣م)، تولى حكم الدولة بعد وفاة والده عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م، وقاد أكثر الغزوات في عهد أبيه، وحقق الكثير من الانتصارات. قتل في مسجد الطريف بالدرعية. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٢٧.

(٥) سعود بن عبدالعزيز بن محمّد بن سعود، كان القائد في حياة أبيه، ملقبًا بالكبير، والفاتح. تولى الحكم بعد اغتيال أبيه عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م، وهو المساهم الأبرز في مدّ سلطة آل سعود من الرّبع الخالي إلى الشام، ومن الخليج إلى البحر الأحمر، توفي عام ١٢٢٩هـ / ١٨١٣م. انظر: خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٠.

(٦) خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٤٠. [خفّف الشاعر حركة الهاء في «دهام» لإقامة الوزن الشعريّ].

نلاحظ تلك الإشارات إلى الأحداث عند الفرج، حيث انتهج التحقيق الدقيق وكتابة التاريخ على قدر ما انتهج النظم في سبيل المدح والإشادة، مختصراً زمنًا طويلاً من الكفاح بهذه الأبيات، ومشيراً إلى بدايات تمكُّن آل سعود من السيطرة على الحكم، إذ إنَّ سعود بن عبدالعزيز بن محمَّد قد أخضع الجزيرة كاملة بعد هذه المعارك، واعتمد في ذلك على القوَّة بعد أن لم ينفع اللين مع أهلها، فقال خاتماً:

فَأَخْضَعَ أَكْنَافَ الْجَزِيرَةِ كُلَّهَا
وَدَانَ لَهُ بِالسَّيْفِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ
وَلَاخَتْ نُجُومُ الْمَجْدِ وَسُطَّ سَمَائِهِ
لَا لَ سُّعُودٍ بِالسَّعَادَةِ تُثَقِّبُ^(١)

هي ملحمة بدايات نشوء الدولة السعودية وعلاقتها بالدعوة الوهابية، استطاع الفرج فيها أن يقرن المجد الذي وصلت إليه الدولة السعودية بتأييدهم لدعوة ابن عبد الوهاب. ولأنَّ الدين يُعتبر الراية المثلى آنذاك لحشد قاعدة شعبية في مواجهة أيِّ معادٍ لأنصار الراية، فإنَّ الواقع السياسيَّ يحيلنا إلى احتمال أن تكون مناصرة الدعوة محاولة من ابن سعود لضَمَّ جيشٍ عقائديٍّ إلى جيشه، لبسط السيطرة على شبه الجزيرة. وما الحروب والمعارك التي دارت بين بعض الإخوان الوهابيين وحكَّام الدولة السعودية إلَّا محاولات وهابية لاستعادة حُكم يرونها في الأصل لهم، بحجَّة أنَّهم كانوا سبباً رئيساً في النصر من وجهة نظرهم.

أيَّد الشاعر الفرج الدعوة الوهابية ومدح مؤسَّسها، وضمَّن ملحمة البائية ذلك. ومثله صرَّح عبدالجليل الطبطبائي بتأييده الدعوة وأثنى خيراً على إمامها، حيث قال:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ بِالصَّفْحِ وَالرِّضَا
وَبِالْخَيْرِ مَنْ قَدْ كَانَ أَصْدَقَ قَائِمٍ

(١) خالد محمَّد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٤٠.

بِنُصْرَةِ دِينَ الْمُصْطَفَى وَظَهْرِهِ
هُوَ الْحَبْرُ ذُو الْأَفْضَالِ حَاوِي الْمَكَارِمِ
هُوَ الْوَرَعُ الْأَوَّاهُ شَيْخِي مُحَمَّدٌ
هُوَ الْقَانِتُ السَّجَّادُ فِي جُنْحِ فَاحِمٍ^(١)

ويرحبُّ الشاعرُ بالدعوة الوهابية، ويعترفُ بمؤسَّسها شيخاً له، على الرغم من الفترة الزمنية التي تفصل بينهما. ويركِّزُ مدحه في الجانب العقائدي الديني عند الممدوح، ويرى في الدعوة الجديدة نصرة للدين الإسلامي الذي بدأ يفقد استقامته في بعض بوادي شبه الجزيرة العربية.

وفي مقابل إشادة بعض الشعراء الكويتيين بالدعوة الوهابية ومؤسَّسها، نجد آخرين عاصروا نشوءها، وحاربوها وأعلنوا عداوتهم لها، بل حرَّضوا على ضرورة محاربتها والتصدي لها. ومن ذلك ما نجده في بعض قصائد عثمان بن سَند، وقد أشار إلى مدى الحقد الذي يُضمِّره -شخصياً- لأتباع الدعوة الوهابية؛ ولعلَّه كان متأثراً بأستاذه الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز^(٢) الذي يعدُّ من «ألدِّ أعداء الدَّعوة الوهابية»^(٣).

ومن شواهد عدا ابن سَند للوهابيين، تحريضه إبراهيم باشا^(٤) عليهم في عام ١٨١٨م، -حين حاصرت القوَّات المصرية بقيادة إبراهيم باشا، قوَّات الإخوان في الدرعية- وذلك في رسالة وجَّهها إليه اشتملت على نصائح ومصالح متعدِّدة، منها قوله:

(١) عبد الجليل الطيباني، روض الخُلِّ والخليل، ص ٢٣.
(٢) محمد بن عبدالله بن فيروز، عالم الأحساء وفتيها، وهو أوَّل من ولي القضاء في الكويت. توفِّي في مدينة البصرة العراقية عام ١٢١٦هـ / ١٨٠١م. انظر: موقع تاريخ الكويت.
(٣) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص ٢٩١.
(٤) إبراهيم باشا: قائد عسكري مصري، والابن الأكبر لمحمد علي باشا. يعتبر المؤسَّس الفعلي للجيش المصري، وحرص على تنفيذ سياسة أبيه في بناء الجيش بالاستعانة بالخبرة الأوروبية. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ١٧.

وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ وَاحِدًا تَسْتَطِيعُهُ

إِذَا خُبْتُ الْآبَاءَ لَمْ يَطِبِ الْوُلْدُ^(١)

ولعلَّ موقف ابن سند جاء من كونه عاصر غزوات الإخوان الوهابيين على أطراف الكويت، فذلك أرسخ في نفسه حقداً على أتباعها. ويقول الباحث الدكتور خليفة الوقيان: «يبدو أنَّ بعض علماء الكويت كانوا متأثرين بأعداء الدعوة الوهابية أكثر من تأثرهم بدُعائها»^(٢)، وإنَّنا إذ وجدنا الدكتور الوقيان يضيف شاهداً على عدااء بعض الشعراء الكويتيين للوهابية، فقد وقفنا على شواهد أخرى للفرج والطببائي تدلُّ على تأييد قسم من شعراء الكويت لهذه الدعوة الجديدة، حيث رأوا فيها طريق الحقِّ للخلاص من ظلام الجهل والعصبية القبلية، ومحاولات السيطرة المستمرة من أقوام على آخرين.

ثالثاً: قيام الدولة السعودية ومحاربة الإخوان المتمردين عليها

يضعنا الشاعر خالد الفرج أمام الحالة السياسية المزرية لشبه الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حين قال: «هي حالة الفوضى والاضطراب والقلق والفتن، ولا تكاد تجد أميراً في نجد يحكم بلدين متجاورتين، هذا إذا لم يكن في البلدة الواحدة عدَّة أمراء، يتنازعون السُّلطة والهيمنة على الشؤون، والناس ما بينهم أحزاب؛ لكلِّ أمير أو متغلب حزبه. وتنشأ من تنازع السلطات كثرة الفتن والاضطرابات التي لا تقف تحت حصر، فتسيل الدماء الغزيرة في سبيل مطامع أولئك المتنازعين، وتترتب على تلك الدماء دماء أغزر، تهدرها ثارات المقتولين، وهكذا لكلِّ دم ثائر، وكلُّ ثائر مقود»^(٣).

(١) خليفة الوقيان، الثقافة في الكويت: بواكير واتجاهات وريادات، ص ٢٢٦.

(٢) خليفة الوقيان، الثقافة في الكويت: بواكير واتجاهات وريادات، ص ٢٢٧.

(٣) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١٤٨.

ويعود الشاعر الفرج ليؤكد منشوره نظماً، فيحلم بوحدة عربيّة في شبه الجزيرة، ينضوي كلّ ملوكها تحت لواء واحد، وتكون كلمتهم واحدة، فيقول:

مَنْ لِي بِبِسْمَرِكٍ يَضُمُّ صُفُوفَهُ
وَعَلَيْهِ تَجْمَعُ نَفْسَهَا أَشْتَاتُهُ
فَيُعِيدُ مِنْ هَذَا الْمَمَالِكِ وَحْدَةً
وَالْعِلْمُ تَخْفِقُ فَوْقَهَا رَايَاتُهُ^(١)

ويُشدّد على حالة التفرُّق التي سادت شبه الجزيرة العربية آنذاك، وتنازع زعماء العشائر والقبائل في لقب الملك أو الأمير، تنازعاً جعل كلّ زعيم قبيلة ينصب نفسه ملكاً على قومه، غير مبالٍ بوحدة عربيّة يستطيعون من خلالها لمّ شملهم، وتحقيق استقرارهم، ومجابهة الغرب في قوّته، فيقول أيضاً:

هَذَا بِلَادُ الْعُزْبِ فِي ضَعْفِهَا
لَا يَغْطِفُ الْجَارُ عَلَى جِيرَتِهِ
فِي كُلِّ شِبْرِ دَوْلَةٍ تَأْجُهَا
كَصَاحِبِ التَّمْثِيلِ فِي جَوْقَتِهِ^(٢)

ومن الإشارات المهمّة التي تخصّ هذا الموضوع، إشارة الشاعر نفسه إلى كثرة الأمراء والملوك في هذه الفترة التاريخيّة في شبه الجزيرة، إذ قال:

عَلَى كُلِّ شِبْرِ أَمِيرٍ لَّهُ
مَوَاكِبُ أَوْ لَقَبٌ مُفْتَخَرُ
وَمَاذَا يُفِيدُ أَمِيرُ بِلَادٍ
ضَعِيفُ الْقَوَى وَقَلِيلُ النَّفَرِ

(١) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٢.

(٢) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٧.

مُلُوكُ الطَّوَائِفِ بَيْنَ الْخِلَافِ

تَفَانُوا وَبَادُوا فَهَلْ مِنْ أَتْر؟^(١)

الحقيقة أنَّ هذا الوصف لحالة شبه الجزيرة، كان قبل أن يتقلد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود مقاليد الحكم بشكلٍ رسميٍّ، وقبل إرضاخه لأعدائه المنشقين عنه، أو الآخرين الطامعين في حكمه.

في خضمِّ هذا التفرُّق والتشرذم، لم يغفل الفرَجُ التفاصيلَ السياسيَّةَ لمحاولات توحيد شبه الجزيرة العربيَّة تحت راية ملك واحد. وكانت البداية من محاولات عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود بسط سيطرته على شبه الجزيرة واستعادة مجد آبائه الأولين، فخاض معارك كثيرة مع المنافسين له على الحكم، كعبدالعزيز بن الرشيد والموالين له من بعض القبائل النجدية. إلى انتصار الملك على مناوئيه ودخوله الرياض، أشار الفرَجُ بقوله:

فَاتَى الْأَسْوَدُ إِلَى الرِّيَاضِ يَقُودُهُمْ

عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ الْمَضْغُولُ

فَأَذَاقَ عَجْلَانَ^(٢) الْهَلَكَ وَلَوْ دَرَى

مَاذَا لِفَضْلٍ أَنَّهُ مَغْرُورُ

تَعَبَ ابْنُ مُتَعَبٍ^(٣) فِي جَنَى أَمَالِهِ

إِنَّ الْأَمَانِي شَأْنُهَا التَّضْلِيلُ

ثُمَّ اسْتَجَاشَ التُّرُكَ^(٤) حِينَ أَضَلَّهُمْ

لِجُيُوشِهِمْ وَسَطَ الْقَصِيمِ فُلُولُ

(١) خالد محمد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ٨٩.

(٢) عجلان بن محمد العجلان، أمير الرياض من قبل ابن رشيد. كان قائد جيش ابن رشيد في أثناء المواجهات الحربية مع الملك عبدالعزيز آل سعود لاسترجاع الرياض. قتل على يد الأمير عبدالله بن جلوي عام ١٩٠٢ في خلال معركة فتح الرياض. انظر: موقع المعرفة.

(٣) عبدالعزيز بن متعب بن رشيد.

(٤) القوَّات العثمانية التي قَدِمَتْ لمساندة عبدالعزيز ابن رشيد، فتكبَّدت خسارة فادحة في القصيم على يد الملك عبدالعزيز ومواليه. انظر: موقع العجمان.

حَتَّى قَضَى بِيَدِ الْإِمَامِ^(١)، وَكُلُّ مَنْ

قَتَلَ الْبَرِيءَ فَإِنَّهُ مَقْتُولٌ^(٢)

تؤكد المصادر التاريخية رواية ما ذهب إليه الفرّج في شعره، إذ كتب الزّركلي ما نصّه: «توطّد سلطانُ عبدُ العزيز في ما بين الرياض والرّبع الخالي جنوباً، في أقلّ من ستّة أشهر، واتّجه نحو الشمال عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م. في ذلك الوقت، كان عبدالعزيز بن رشيد يفاوض الأتراك في إمكان مساعدته لاستعادة مدينة الرياض، ثمّ عاد إلى عاصمته حائل، وأعدّ جيشاً من قبائل شَمَّر، زحفَ به نحو الرياض في العام نفسه، لذلك أرسل عبدالعزيز لوالده في الكويت طالباً قدومه، وعند وصول الإمام عبدالرحمن لمدينته، بعد غياب دام أحد عشر عاماً، أصرّ بأن تكون الإمارة لابنه عبدالعزيز. يدلُّ هذا الموقف على تقدير الأب لبطولة الابن وقوّة عزمه، وقدرته على المضي قدماً نحو تحقيق أهدافه، فتّمّت البيعة الأولى لعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م»^(٣).

وتابع الشعراء الكويتيون الأحداث التي تجري في شبه الجزيرة إبّان استقرار حكم عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعناية بالغة، وحرص شديد، متناولين المعارك التي خاضها الملك في مواجهات حركات تمرد بعض الإخوان بين عامي (١٩٢٦- ١٩٢٩م)، والتي كانت تهدف إلى الانقلاب على حكمه، لكنّه استطاع قمع الكثير منها. ويعدُّ الشاعرُ والمؤرّخُ الكويتيُّ عبدالعزيز الرشيد من المعاصرين لأحداثها، والموثّقين المعتمدين في تدوين ما جرى فيها. وعن طبيعة التمرد الذي حصل من بعض الإخوان على الملك عبدالعزيز، أو عمليّات الانشقاق عن الولاء له، على الرغم

(١) لقبُ كان يطلق على الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن في تلك الفترة، والمقصود به إمام المسلمين، بمرتبة الملك آنذاك.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ٧٤-٧٥.

(٣) خير الدين الزّركلي، شبه الجزيرة العربيّة في عهد الملك عبدالعزيز، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩م، ج١، ص ٦١.

من أن كثيراً من المعارك جمعتهم تحت لواء واحد، كتب الرشيد مؤرخاً: «أثار بعض المشاغبين من الإخوان حركةً عدائيةً في فيافي نجد وقفارها على جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، وعلى سكان المدن والقرى من أهل نجد الفضلاء، لم يقصدوا من ورائها استرجاع حق ولا ردع باطل كما يدعون، بل غرضهم الوحيد الذي رفرفت رايته في كل شبر من تلك الأصقاع؛ استبدالهم الشقاوة بالسعادة، والشدة بالرخاء، والراحة بالعناء، وإبرازهم ما يضمرونه من بغض وعداء للحق وأهله، شأن من لا ينظرون إلى عواقب ما يأتونه من منكرات، وشأن من لا يعقلون ويفقهون»^(١).

كانت الانشقاقات التي قام بها بعض الإخوان عن الملك عبدالعزيز آل سعود، تحت قيادة: سلطان بن بجاد، وفيصل الدويش، وضيدان بن حثلين، قال الفرج:

وَلَمْ يَكْ سُلْطَانُ رِئِيسَ عُتَيْبَةٍ
فَأَنْتَ لَهُ دُونِ الْأَنَامِ الْمُرْتَبِ
وَهَذَا ابْنُ سُلْطَانِ الدُّوَيْشِ وَلَمْ يَطْلُ
لَهُ أَمْدٌ حَتَّى عَلَى الْبَالِ يَغْرُبُ
وَمَا كَانَ ضَيْدَانُ لِيَخْلُصَ سِرُّهُ
وَفِيهِ مِنَ الْأَحْسَاءِ نَارٌ تَلْهَبُ^(٢)

ورفض هؤلاء القتال في صف الملك عبدالعزيز، بل آثروا التمرد على حكمه، وإعلان الجهاد عليه. وأوضح الشاعر الفرج السبب الذي دفعهم إلى هذا التمرد في ملحمة البائية، وعزاه إلى شعورهم بالقوة والظفر بعد الانتصارات التي حققوها مع الملك عبدالعزيز، ورغبتهم في الاستئثار بالحكم في نجد، إذ كانوا يعتقدون أنهم سبب اتساع نفوذ دولة آل سعود، فقال الفرج مفنداً مزاعمهم:

(١) مجلة الكويت، ١٩٢٩، ٢، ج ١، ص ١٠٥.
(٢) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١٠٨.

وَمَا ضَرَبُوا إِلَّا بِيُفْنَاكَ مَضْرِبًا
وَمَا نَصَرُوا إِلَّا وَسَعْدُكَ يَغْلِبُ
فَغَرَّهُمُ النَّصْرُ الَّذِي بِكَ أَخْرَزُوا
وَأَطَعَتْهُمْ النُّعْمَى الَّتِي مِنْكَ تُكَسِبُ^(١)

وأشار الشاعر عبدالعزيز الرشيد إلى سبب آخر مرتبطٍ بفرض المتمردين لسياسة الملك عبدالعزيز في حكمه، فقال: «أنكر بعض قصيري النظر من الإخوان على جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود أموراً أحدثها في مُلكه، تقتضي المصلحة السياسية والاجتماعية إحداثها، ولا ينافي الدين منها شيئاً»^(٢).

وربط الرشيد سبب التمرد بمنهج الإخوان وآرائهم الدينية في شأن التعامل مع الأجانب، إذ أثارت دعوات الملك عبدالعزيز بن سعود إلى التحضر حفيظة بعض الإخوان الذين اعتبروا الأمر آنذاك عولمة -كما نفهمها اليوم- للبادية. قال:

قَالَ الْعُدَاةُ بِأَنْكُكُمْ فِي غَفْلَةٍ
مِمَّا بِهِ تَرْقَى الْبِلَادُ إِلَى الْعُلَا
وَبِأَنْكُكُمْ أَهْمَلْتُمْ تَثْقِيفَ مَنْ
حَمَلُوا لَكُمْ أَعْلَى الْمَوَدَّةِ وَالْوَلَا
قَالُوا وَقَالُوا كُلُّ مَا أَوْحَى لَهُمْ
حَسَدُ أَصَابِ مِنَ الْجَمِيعِ الْمَقْتَلَا
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الْمَوَانِعَ لَانْتَنُوا
وَالْكُلُّ يُبْدِي عُذْرَكُمْ مُتَنَصِّلَا
وَكَذَلِكَ لَوْ عَلِمُوا بِمَا تَنْوُونُهُ
لِلْمُسْلِمِينَ لَمَا غَدُوا لَكَ غَدَلَا^(٣)

(١) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١٠٨.

(٢) مجلة الكويت، ١٩٢٩، م، ٢، ج، ١، ص ٢٩.

(٣) م، ن، ١٩٢٩، م، ٢، ج، ٧، ص ٣١٨. [استعمل الشاعر همزة الوصل بدلاً من همزة القطع في «ولو أنهم» لإقامة الوزن الشعري].

ولمّا دعا الملك عبدالعزيز إلى اجتماع يضمّ زعماء المتمرّدين عليه كي يقف على مطالبهم، ويختاروا لهم ملكاً يجمع أبناء نجد على قلب رجل واحد، نظم خالد الفرّج هذه الحادثة في ملحّمته البائيّة، فأشاد بحلم الملك في عرضه التّحّي أمام المجتمعين، فقال:

وَلَمَّا تَمَادَوْا فِي الضَّلَالِ دَعَوْتَهُمْ
وَهَيْهَاتَ أَنْ يَلْقَى الْعَدَالَةَ مُذْنِبٌ
لِمُؤْتَمَرٍ يَخْوِي الْقَبَائِلَ كُلَّهَا
تَنَحَّيْتُ فِيهِ كِي يُشِيرُوا وَيُنْصِبُوا
فَلَبَّاکَ فِيهِ الْمُخْلِصُونَ جَمِيعُهُمْ
يَضِيقُ بِهِمْ سَهْلٌ مِنَ الْأَرْضِ مُرْحَبٌ
وَهَبَّكَ تَرَكْتَ الْحُكْمَ أَنْتَ فَمَنْ لَهُمْ
سِوَاكَ مَلِيكَ فِي الْقُلُوبِ مُحَبَّبٌ؟^(١)

وفي العام نفسه ١٩٢٩، نظم الفرّج قصيدة نشرها في مجلّة الكويت، توجّه بها إلى الملك عبدالعزيز آل سعود، يبايعه عن نفسه وعن العرب في الخليج العربيّ، ويمدح حنكته وحُسن سياسته، ويرى فيه رجل المرحلة، والأصلح للحكم. ويقول عبدالعزيز الرشيد في تقديمه للقصيدة المذكورة: «هي القصيدة العصماء التي جادت بها قريحة الشاعر المفلّق الفاضل خالد محمّد آل فرّج بمناسبة طلب جلاله الملك عبدالعزيز آل سعود من زعماء الإخوان والنجديين وغيرهم في أن يختاروا لهم من يقوم بمهام الملّك، ويبايعوا من يرتضونه لإدارة دفتّه، وإعطائه إيّاهم الحرّيّة التامّة في إبداء رأيهم في ذلك:

إِيَّاكَ نَخْتَارُ فَأَحْمِ الْبَيْتَ وَالْحَرَمَا
وَحُذْ لِنَضْرِكَ مِنَّا الْعَهْدَ وَالْقَسَمَا

(١) خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١١٢.



وَلَمْ شَعْتَ بَنِي عَدْنَانَ كُلَّهُمْ

يَا بَانِي الرُّكْنِ شَيْدُ فَوْقَهُ الْأُطْمَا»^(١)

يشدُّ الفرَج على ضرورة تحقيق الحلم الذي يطمح إليه الملك عبدالعزيز آل سعود بتوحيد أرجاء شبه الجزيرة العربية لتكون مملكة واحدة، وضمَّ الحجاز إلى مملكته إذ كانت تحت سلطة الشريف حسين. ويشيد الفرَج أيضاً بصنائع الملك الذي بدأ بتشديد الأركان الأساسية لقيام المملكة الجديدة، وبياعه حتى النصر وإقامة الحصون فوق الأركان التي بناها.

وبعد هذه الإغراءات التي قدّمها الملك عبدالعزيز لمعارضيه، لم يبقَ إلّا الحسمُ العسكري سبيلاً لتوطيد الأمن والاستقرار. وقد تطرّق الفرَجُ إلى أبرز المعارك التي دارت بين المعارضين والموالين للملك عبدالعزيز، والتي كانت أولها معركة «السَّيْلَة»^(٢)، فكتب عنها وعن انتصار الملك فيها على أعدائه، محاولاً الوقوف على السبب الذي كان شرارة الحرب بين الطرفين، فقال:

وَلَمْ يَكْفِهِمْ قَتْلُ الْأَجَانِبِ غِيْلَةً

فَقَدْ قَتَلُوا أَهْلَ الْقَصِيمِ وَسَلَبُوا

هُنَالِكَ فَاضَ السَّيْلُ وَالْحِلْمُ غَرَّهُمْ

وَفِي مِثْلِ هَذَا الْفَتْكِ كَالْحِلْمِ طَيِّبٌ^(٣)

يرى الفرَج أن سبب المعركة هو اعتداء المتمرّدين الإخوان على عدد من العمّال الأجانب لأسباب تتعلّق بمنهجهم، كما أنّهم قتلوا طائفة من العرب من أهل مدينة «بَرِيْدَة» التابعة لمنطقة القصيم، وما دفعهم إلى ذلك هو أنّهم أمنوا العقوبة بعد

(١) خالد محمّد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ٧٨. [الأُطم: الحصون].

(٢) تقع روضة السَّيْلَة في محافظة الرُّلُفي في إقليم نجد في المملكة العربية السعودية، وتعتبر من أشهر رياض الخزامى البرية وأكبرها في نجد وشبه الجزيرة العربية والوطن العربي. انظر: ويكيبيديا.

(٣) خالد محمّد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١١٣.



أَن غَرَّهم حِلْمُ الملك وصبره، بيدَ أَنَّهُم وقعوا في شرِّ أعمالهم. وعن حِلْمِ الملك وأحداث المعركة، يقول عبدالعزيز الرشيد: «كُلُّ هذا وَجَلَّلتُهُ يُحاول رَدَّهُم إلى الحقِّ بالحجَّة وإرجاعهم إلى الصواب بالبرهان، ويقابل قسوتهم باللين، وجهلهم بالتعقُّل... فاستصدر جلالته لهذه الغاية فتاوى شرعيَّة من علماء نجد الأفاضل، تنصُّ على جواز ما أنكروه... ولمَّا لم ينفع هذا الأمر معهم دعا الملك لاجتماع حضره مناديب عن الإخوان، وبعد اعتراض سُلطان بن بَجاد لطائفة -منهم جماعة من بريدة- وقتلهم، اشتدَّ التوتُّر بين الطرفين... فالتقى الطرفان في فيافي «السَّيْلة» يوم التاسع عشر من شَوَّال ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م، وما هي إلاَّ ساعة وأختها حتَّى ولَّى الإخوان الأدبار»^(١). ويصف الفرَجُ الهزيمة، فيقول:

وَيَا لَكَ مِنْ صُبْحٍ رَأَتْ فِيهِ شَمْسُهُ
وَقَدْ طَلَعَتْ، سَهْلًا مِنْ الدِّمِّ يُخْضِبُ
عَلَى سَبِيلَةِ الزُّلْفِي أَفَاقَ طُغَاتِهِمْ
وَلَيْسَ لَهُمْ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ مَهْرَبٌ^(٢)

لم يكن الانتصار في معركة السيلة خاتمة القتال بين الطرفين، إذ يشير الفرَجُ إلى «وقعة رَضَى»^(٣) التي دارت رحاها بين المتمرِّدين على حكم الملك عبدالعزيز، وبعض القبائل الموالية له، ومنها قبيلة العوازم، إذ يقصدهم في مطلع أبياته حين يسميهم «آل عطا» نسبة إلى جدِّهم الأكبر، فيقول:

وَإِنْ أَنْسَ لِلتَّارِيخِ لَنْ أَنْسَى مَوْقِفًا
لِآلِ عَطَا فِي صِدْقِهِمْ إِذْ تَصَلَّبُوا^(٤)

(١) مجلَّة الكويت، ١٩٢٩، ٢، ج ٢، ص ٢٧-٢٩.

(٢) خالد محمَّد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١١٣.

(٣) رَضَى: موقع ماء في وادي المياه شمال الأحساء. انظر: خالد محمَّد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١١٦.

(٤) خالد محمَّد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١٠٨.

وَأَنَّهُم أَحَقُّوا بِالطَّرْفِ الْآخِرِ هَزِيمَةً نَكَرَاءَ، فَيَقُولُ:

فَأَرْضَاهُمُ الْقَوْمَ الْمَيَامِينَ فِي رِضَى
بِضَرْبَةٍ مِّنَ الْحَقِّ يَرْضَى وَيَغْضَبُ
فَوَلُّوا وَلَمْ يُلُّوْا، فَلَا الْإِبْنَ مُنْقِذُ
أَبَاءَ وَلَا يُلْوِي عَلَى ابْنِهِ الْأَبُ^(١)

ويستأنف الفرَجُ ملحمة بسرد المعارك الطاحنة وصولاً إلى وقعة «القاعية»^(٢)،
بتفاصيلها الدقيقة، نكتفي منها بالشاهد التاريخي:
فَخَابَ لَدَى الْقَاعِيَةِ الْفَدْمُ خَيْبَةً
بِخُفْيِ حُنَيْنٍ عَادَ، بَلْ هُوَ أَخِيْبُ^(٣)

ثمَّ وقعة «النقاير»^(٤) التي كان طرفها الأساسي قبيلة العوازم أيضاً، ليتابعوا
انتصارهم للملك عبدالعزيز آل سعود، ويقضوا على ما تبقى من فلول المتمردين
على حكمه، فكانت آخر جولة لهم عليهم، وتمَّ القضاء عليهم بالفعل. قال الفرَجُ:
وَمَا كَادَ يَلْقَى فِي النَّقَايِرِ جَمْعَهُمْ

إِذَا هُوَ مِنْ أَيْدِي الْعَوَازِمِ يُغْطَبُ^(٥)

(١) خالد محمد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١١٦. [استعمل الشاعر همزة القطع مكان همزة الوصل في «الابن، ابنه» لإقامة الوزن الشعري، علماً أنَّ الوزن قائمٌ من دونها في الأولى].

(٢) القاعية: نسبة إلى ماء بَنَجْد، وهي من القرى الجنوبية في المملكة العربية السعودية. تبعد عن مدينة بريدة ٣١٠ كلم تقريباً. انظر: موقع القصيم.

(٣) خالد محمد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١١٨. [الفَدْمُ: ثقل الفهم الغيبي. خُفِيَ حُنَيْنٌ: إشارة إلى المثل المشهور «عاد بخفي حنين»، ويستعمل في سياق الخسارة والحقق].

(٤) النَّقَايِر (نَقِير، النَّقِيرَة) ماءان متقاربان على حدود دولة الكويت مع المملكة العربية السعودية. نقير: مورد ماء على طرف منطقة السَّوْدَة في المملكة العربية السعودية، وعلى أرضه دارت معركة «نَقِير» المشهورة، وهي آخر معركة جرت بين قبائل بادية شبه الجزيرة العربية، ويفصل بينها وبين وقعة «رَضَى» سِتَّة وسبعون يوماً، بحسب ما رواه المعاصرون لتلك المعارك. انظر: منتدى هوازن: «وقعة النقاير».

(٥) خالد محمد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١١٩.

ولعلَّ الشعر الكويتيَّ السياسيَّ المرتبط بهذه المرحلة المهمَّة من تاريخ شبه الجزيرة العربيَّة قد انطوى على توجُّهات الشاعر وميوله إلى طرف من المتنازعين على حساب الطرف الآخر، وذلك من حقِّ كلِّ شاعر، وليس في قصائد الشاعر الفرج وحده على سبيل المثال. فكما كان حول الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن شعراء هم قوَّامُ الإعلام آنذاك، فقد كان للمناوئين له شعراء يقلبون الحقَّ لهم، ويجعلون المعركة في ميزانهم بطريقة أو أخرى. فنلاحظ أنَّ الفرج لا يغفل أيَّ حدث منها، ويجعل الحقَّ دائماً للملك، وكأنَّه شاعر بلاطه، لا موثِّق الأحداث التاريخيَّة ومدوِّنها. ويعترف الشاعر بهذا الأمر في أكثر من مكان ومناسبة، كقوله مخاطباً الملك عبدالعزيز:

وَحُذِّ عَلَيْنَا عُهُودًا لَا نَخِيسُ بِهَا
أَوْ نَنْتَنِي أَسْفًا عَنْهَا وَلَا نَدَمًا
أَنَا نُوَالِي الَّذِي وَالَيْتَهُ كَرَمًا
كَمَا نُعَادِي الَّذِي عَادَيْتَ مُنْتَقَمًا^(١)

يفسِّرُ قُرْبُ الشاعر الفرج من بلاط آل سعود انضواءه تحت لواء طرف في مواجهة طرف آخر. وبعض نماذجه الشعريَّة تفتح المجال لتأويل كونه متقلِّب الولاء، يبدو ذلك واضحاً في مقابل موقفه المؤيِّد للملك عبدالعزيز في مواجهته الإخوان المعادين له، وذمُّ الشاعر لهم في أكثر من مناسبة وقصيدة، فإنَّه كان قد مدحهم قبل أن ينشُقُّوا عن صفِّ الملك عبدالعزيز، بل فخر بقوَّتهم وعددهم، فقال:

وَلَدَيْكَ لِإِخْوَانٍ مَنْ لَا يَنْتَنِي
وَكَأَنَّ فِي الرَّجُلَيْنِ مِنْهُ شُكُولُ
بِعَزَائِمٍ دَعَمَتْ عَلَى إِيمَانِهِمْ
يَرْتَدُّ عَنْهَا الضُّدُّ وَهُوَ كَلِيلُ

(١) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ٨٠.

لَمْ يَجْمَعْ الْجَبَّارُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
إِلَّا لِيَهْلِكَ مُعْتَدٍ وَضَالِلٌ
ضَمَّتْ جُمُوعُهُمُ الْعَظِيمَةَ كَثْرَةً
مَا ضَمَّهُ فِي جَانِبَيْهِ الْفِيلُ^(١)

يبدو الفكر الدينيُّ الراسخ، والتأثرُ الواضح بالدعوة الوهابية، واضحين في هذا المقطع الشعريُّ للفرج؛ فالضَّالُّون الذين قصدهم الشاعر هنا، هم البعيدون عن طريق الدين القويم، وليس عن طريق الخير والحق، لأنَّه كان بإمكانه أن يكتفي بقوله «المعتدين»، ليدلَّ بها على العدوِّ الذي غلب الشرُّ عنده على الخير، وانتهج سبيل الباطل بعيداً عن سبيل الحق، إلَّا أنَّه قيَّدها بالضلالة التي تشير إلى الضلالة الروحية عن الدين. وللفرج نماذج كثيرة تؤكِّد التزامه الديني، وبناءه لأيِّ رأي بحسب قرب المقصود من الدين أو بُعده عنه.

نظم الشعراء الكويتيون الكثير في انتصارات الملك عبدالعزيز، وتوحيد شبه الجزيرة العربية، واستقرار المملكة العربية السعودية. فالشاعر محمود الأيوبي أفردَ ديواناً شعرياً كاملاً لمدائح الملك عبدالعزيز، أسماه «ديوان الملاحم»^(٢)، وثقَّ فيه هذه المعارك، وأشاد بالانتصارات التي حقَّقتها الملك على المتمردين، وعدَّد خصاله وحكمته وحنكته السياسية والحربية.

(١) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ٧٧. [شُكُل: قُيُود. شَكَل الدَّابَّةَ بِالشَّكَالِ: شَدَّ قَوَائِمَهَا بِالوُثَاقِ، رَبَطَهَا، عَقَلَهَا].

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ديوان الملاحم العربية، المملكة العربية السعودية: دَارَةُ الملك عبدالعزيز [ضمن منشوراتها لمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية]، ١٩٩٩. [يضمُّ سبْعاً وعشرين قصيدة مطوَّلة في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود وولديه سعود وفيصل، وبعض رجال دولته الذين وقفوا معه في توحيد الدولة السعودية. وتعود أهمية هذا الديوان إلى أنَّه مديح واكب فيه الشاعر صراعات الأسرة السعودية مع أعدائها في تلك الفترة التي قاد فيها الملك عبدالعزيز آل سعود جيوشه لتوطيد حكمه والقضاء على الخارجين على سلطة الدولة الناشئة].

كان لنجاح الملك أثرٌ بالغ في شعراء تلك المرحلة، فتابعوا كلَّ فتحٍ أو صلحٍ بين ملوك دول الخليج العربيِّ وأمرائها. بيد أنَّ الشعراء الذين تناولوا هذه الأحداث معدودون، وقد تركوا إرثاً شعرياً غنياً بالدلالات العظيمة على مكانة الشعر الكويتيِّ، وأهميَّة الشاعر الكويتيِّ في توثيق الأحداث، وفي ثقافته السياسيَّة والدينيَّة، إذ يستند الشاعر في نظمه إلى حقائق تاريخيَّة واقعيَّة يذكر فيها الزمان والمكان بدقَّة، فضلاً عن الأسماء الحقيقيَّة التي صاحبته، وثمَّة الحدث التاريخيِّ الحقيقيِّ، وكلُّ ذلك مغلفٌ بإطار فنيٍّ يمنحه جاذبيَّة وقرباً من ذهن المتلقِّي.

لم يكن التمرُّد الداخليُّ في نجدٍ هو الخطر الوحيد الذي هدَّد استقرار المُلك لعبدالعزیز آل سعود، بل إنَّ أطماعاً أخرى، خارج إطار نجد، بدأت بالتكشُّف حين بدأت انتصارات الملك عبدالعزيز ترسم ملامح الدولة الجديدة، والانتصارات التي أراد الملك توحيد شبه الجزيرة من خلالها. ومن هنا نشأ الخلاف بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين الذي كان ملكاً على مكَّة والحجاز آنذاك.

رابعاً: علاقة آل سعود بالشريف حسين

كانت العلاقة بين ملك نجدٍ والرياض عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وشريف مكَّة والحجاز حسين بن علي الهاشمي، متوتِّرةً وقتئذٍ، ولعلَّ السبب رغبة كلِّ منهما في الاستئثار بلقب ملك العرب، والذي يرى أنَّه أجدر به من سواه. ولم يترك خالد الفرج العلاقة بلا توصيف، بل كان يؤيِّد الملك عبدالعزيز -كما تشيرُ قصائده- ويتعرَّض للشريف حسين، فأشاد في إحداها بالملك عبدالعزيز، ووجد في مراسلات «حُسين، مَكْمَاهُون» بين عامي (١٩١٥-١٩١٦م)، سبباً للتهجُّم على الشريف حسين وأبنائه، فقال:

جَعَلَ الْجَبَانَ وَمَا يَلِيهَا مَسْرَحًا
لِمَطَامِعِ مِنْهَا الْبَلَاءِ يَهْوُلُ
أَغْرَاهُ مَخْمَاهُونَ فِي أُسْلُوبِهِ
حُلُمٌ رَأَهُ وَإِنَّهُ لَجَمِيلٌ
إِنَّ الْحُسَيْنَ، وَمِثْلُهُ أَبْنَاؤُهُ
خَطَرٌ عَلَى الْمَجْدِ التَّلِيدِ وَبَيْلٌ
لُورَنْسُ^(١) بَيْنَهُمْ مَلِيكَ أَمْرٍ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا النَّجَاجُ وَالْإِحْلِيلُ^(٢)

رَكَزَ الفرج على التَّحَكُّمِ البريطانيِّ في جزءٍ من القرار العربيِّ آنذاك، والمتمثِّلُ في تصرفات الشريف حسين وأبنائه، بل رأى أنَّ تعامله مع البريطانيين كفيلاً بأن يُضيع مجد العرب التليد، وبخاصَّةٍ حين كان الضابط البريطانيُّ توماس لورنس صاحب قرارٍ في ظلِّ مملكة الشريف حسين.

ثُمَّ تَوَجَّهَ الفرجُ إلى الملك عبدالعزيز آل سعود، حاثًّا إيَّاه على عدم السكوت، وضرورة التصديِّ بقوةٍ لأيِّ حركةٍ قد تُهدِّد عرش مملكته، وبخاصَّةٍ أنَّه على رأس جيشٍ قويٍّ التسليح والعقيدة، ومتوحِّد الرَّايَّة تحت شعار الإسلام، فقال:

فَيْمَ السُّكُوتُ؟ وَسَيْفٌ هَدِيكَ مُضَلَّتْ
وَشِعَارُهُ التَّسْبِيحُ وَالتَّهْلِيلُ
وَلِوَاؤُكَ الْمَنْصُورُ فَوْقَ قَنَاتِهِ
وَلَهُ الْمُهَيِّمِينَ نَاصِرٌ وَكَفِيلُ^(٣)

(١) توماس إدوارد لورنس (١٨٨٨ - ١٩٣٥) ضابط بريطانيٌّ، اشتهر بدوره في مساعدة القوَّات العربيَّة في أثناء الثورة العربيَّة عام ١٩١٦ في مواجهة الإمبراطوريَّة العثمانيَّة، من طريق انخراطه في حياة الثوَّار العرب، وعُرف وقتها بلورنس العرب. لاحقاً كتب لورنس سيرته الذاتِيَّة في كتاب عنوانه: «أعمدة الحكمة السبعة». قال فيه ونستون تشرشل: «لن يظهر له مثيل مهما كانت الحاجة ماسَّة». انظر: توماس لورنس، أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة: محمَّد نجَّار، الطبعة العربيَّة الأولى، عمَّان: دار الأهلِيَّة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ص ٥.

(٢) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ٧٦.

(٣) خالد محمَّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ٧٧.

قُوبِلَتِ الْخَلَافَاتُ الَّتِي امْتَدَّتْ عَلَى رُقْعَةِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْدَعَوَاتِ إِلَى التَّصَالِحِ، فَأَحْدَثَتْ جَوْاً سِيَاسِيًّا مُتَوَازِيًّا بَيْنَ الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ. مِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْخَلَافَاتِ، تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الشَّرِيفِ حُسَيْنٍ وَأَبْنَائِهِ مِنْ جِهَةٍ، وَالْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمُؤَالِيهِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ، إِلَى أَنْ تَدَخَّلَتْ بَرِيطَانِيَا لِعَقْدِ مُؤْتَمَرِ صَلَاحٍ وَاتِّفَاقٍ يَضُمُّ الطَّرَفَيْنِ، عَلَّ الْوَفَاقَ يَعُودَ بَيْنَهُمَا إِلَى سَابِقِ عَهْدِهِ. وَتَمَّ عَقْدُ الْمُؤْتَمَرِ فِي الْكُوَيْتِ عَامَ ١٩٢٣، وَيَقُولُ خَالِدُ الْفَرَجُ فِي مَجْرِيَّاتِ الْمُؤْتَمَرِ:

مَا أَبَ مِنْ جَزَعٍ وَلَا مِنْ ذِلَّةٍ
لَكِنَّهُ لِاتِّفَاقٍ يَمِيلُ
وَلَقَدْ تَنَازَلَ حِينَ مَدَّ أَكْفَهُ
بِوَدَادِهِ، إِنَّ الْكِرَامَ ثَقِيلُ
وَأَقَامَ مُؤْتَمَرَ الْكُوَيْتِ لِكَيْ يَرَى
هَلْ لِلْهُدَى بَيْنَ الْغُرُورِ سَبِيلُ
فَرَأَى الْمَطَامِعَ كَأَسْهَاءِ مَمْلُوءَةٍ
بِالضُّغْطِ مِنْ نَفْخِ الْعَدُوِّ تَسِيلُ^(١)

وَاضِحٌ مِنْ تَوْثِيقِ الْفَرَجِ أَنَّ الْمُؤْتَمَرَ بَاءَ بِالْفَشْلِ، وَيُلْقِي الشَّاعِرُ بِأَسْبَابِ فَشْلِهِ عَلَى الشَّرِيفِ حُسَيْنٍ؛ فَبَيْنَمَا شَدَّدَ الْفَرَجُ عَلَى حُضُورِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُؤْتَمَرَ الْمَذْكُورَ، وَرَغْبَتِهِ الْمُسَبِّقَةَ فِي الْمَصَالِحَةِ مَعَ كُلِّ أَطْرَافِ النِّزَاعِ، وَرَغْبَتِهِ عَنِ الْحَرْبِ وَالْإِقْتِتَالِ، أَشَارَ إِلَى عَدَمِ خُرُوجِ الْمُؤْتَمَرِ بِنَتَائِجٍ إِيجَابِيَّةٍ، بَلْ بَقِيَ الْحَالُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، هَذَا إِنْ لَمْ يَزِدِ الْعَدَاوَةَ عِدَاوَةً.

(١) خَالِدُ مُحَمَّدٌ الْفَرَجُ، الْخَبَرُ وَالْعَيَانُ فِي تَارِيخِ نَجْدٍ، ص ٧٥. [اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ هَمْزَةَ الْقَطْعِ مَكَانَ هَمْزَةِ الْوَصْلِ فِي «الْإِتِّفَاقِ» لِإِقَامَةِ الْوِزْنِ الشَّعْرِيِّ].

بعد وفاة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام ١٩٥٣م، وتقلد ابنه سعود بن عبدالعزيز^(١) الحكم ملكاً على المملكة العربية السعودية، ثم عقد الصلح بينه وبين الشريف حسين في الأردن في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٥٤م. فلا نعجب إذا رأينا قصيدة للفرج في مدح الشريف حسين، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من نظم الفرج بحسب ولاء الطرف الآخر لآل سعود أو عدائه لهم، قال:

هَذَا سَعُودٌ وَالْحُسَيْنُ تَبَارَكَا
فَهُمَا قِرَانٌ لِلْسُّعُودِ مُوَفَّقُ
قَمَرَانٍ فِي فَلَكِ الْعَلَاءِ تَخَالُذَا
هَذَا سَوَاءٌ، لَا فَوَارِقَ تَفْرِقُ
بِهِمَا نِزَارٌ تَلْتَقِي وَرَبِيعَةٌ
وِكَلَاهُمَا بَعْلَا الْمَكَارِمِ مُعْرِقُ
رُكْنَانِ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ سَمَا بِهِ
غَرْبُ الْجَزِيرَةِ عَالِيًا وَالْمَشْرِقُ^(٢)

وإذا كان الفرج مُعْتَرِفًا بملكيّة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وحده على شبه الجزيرة العربيّة، يعترف في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز بملكيّين هما: سعود بن عبدالعزيز، والشريف حسين بن علي، في قوله:

مَا التَّاجُ زَيْنَ مَفْرِقًا بِبَهَائِهِ
كَالتَّاجِ زَيْنُهُ سُمُوءًا مَفْرِقُ

(١) سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (١٣١٩ - ١٣٨٨ هـ / ١٩٠٢ - ١٩٦٩م)، تقلد ملكاً على المملكة العربيّة السعوديّة في التاسع من نوفمبر ١٩٥٣ إلى نوفمبر ١٩٦٤. هو الابن الثاني من أبناء الملك عبدالعزيز آل سعود. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٩٠.
(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٩٢.

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ طَابَ وَطِبْتُمَا

عَهْدٌ بِأَسْبَابِ الْإِخَاءِ مُوثَّقٌ^(١)

يبدو جلياً موقف الشاعر الفرّج من الخلاف بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين، وأنّه كان في صفّ الملك، ومن المؤيدين له في توسيع مملكته على حساب مملكة الشريف حسين، بيد أنّ مدحه للشريف حسين لاحقاً واعترافه بملكيّته يربط ولائه بحسب الوضع السياسي. والجانب المهم أيضاً هو التوثيق التاريخي والسياسي لأحداث الخلاف بين الطرفين، وانتهائه بالتصالح والوفاق.

ولم تكن مطامع الشريف حسين بالملك الخطر الوحيد الذي أرقّ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، فقد أثارت الدولة الجديدة القويّة حقّد البعض خارج إطار شبه الجزيرة العربيّة، وهذا ما سنقف على تفاصيله في تناول أبرز الأحداث التي دارت بين مصر والحجاز والدولة العثمانيّة من وجهة نظر الشعراء الكويتيّين.

خامساً: الخلافات بين مصر والحجاز والدولة العثمانيّة

في فترة الخلافات النجديّة والحجازيّة تلك، كان الشاعر الكويتي غير غافل عن القضايا العربيّة الأخرى في البلدان العربيّة خارج جغرافيا شبه الجزيرة، فتابع الأحداث المصريّة بعد جلاء القوّات الفرنسيّة عن مصر، إبّان قيام محاولات حثيثة من الساسة والراغبين في السلطة لزعامة مصر، والتخلص ممّا لحق بهم جرّاء الحملة الفرنسيّة التي دخلتها بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م، يقول الفرّج:

وَفِي مِصْرٍ مِنْ بَعْدِ الْفَرَنْسِيِّ نَزْعَةٌ

تَهْبُ وَبَعْدَ الذَّلِّ لِعِزٍّ تَطْلُبُ

(١) خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ١٩٢.



تَجِيْشُ بِهَا لِلْإِنْقِلَابِ مَرَا جِلُّ
وَتُوْقِدُهَا نِيْرَانُ نَفْسٍ تَلْهَبُ^(١)

وتمّت هذه الزعامة للمماليك حينئذٍ، إلى أن ظهر عليهم عام ١٨٠٥م والي الدولة العثمانية في مصر محمد علي باشا الذي جمع حكام المماليك وقتلهم في ما يسمى تاريخياً «مذبحة القلعة»، وإليها أشار خالد الفرج في قوله:

أَتَاهَا فَأَصْلَاهَا الْخِديوي مُحَمَّدُ^(٢)

بِبُخْرَانٍ حُمَى مَأْوَاهَا يَتَصَبَّبُ
فَأَزْدَى الْمَمَالِيكُ الْمُلُوكَ بِفَتْكَةٍ
وَوَظَلَّ بِأَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ يَلْعَبُ^(٣)

ولمّا رأى محمد علي تمكّنه من ضبط مصر، حدّثته نفسه بالاستقلال عن الدولة العثمانية، ليصير حاكماً لمصر بدلاً من أن يكون والياً عليها يُعَيَّنُهُ ويعزله السلطان العثماني، فتمرّد على السلطان وأوامره، كما يقول الفرج:

يُرَاوِغُ سُلْطَانَ الْبِلَادِ بِمَكْرِهِ
كَمَا رَاوِغَ الصَّيَّادَ بِالْمَكْرِ نَعْلَبُ
وَمَا عَادَ وَالِي مِصْرَ فِي مِصْرَ عَامِلًا
يُزَالُ بِفَرْمَانِ الْمَلِكِ وَيُنْصَبُ^(٤)

وحدّثته نفسه أيضاً بتأسيس مملكة مصرية إسلامية تقوم على أطلال المملكة العثمانية الواهية، فأخذ يُعدُّ للأمر عدّته. لذا زاد قلق الدولة العثمانية، لأنّ دولة

(١) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٢. [استعمل الشاعر همزة القطع مكان همزة الوصل في «للانقلاب» لإقامة الوزن الشعري].

(٢) يقصد به والي محمد علي باشا.

(٣) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٢. [بُخْرَان: تغيّر مفاجئ يحدث لمريض الحمى الحادة، يصحبه عرق غزير وانخفاض سريع في درجة الحرارة. انظر: قاموس المعاني].

(٤) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٢.



إسلاميَّة تنهض في نجد، وأخرى تحاول الظهور في مصر، «فهنالك خطر لا يقلُّ
-عن مجاورة آل سعود- أهميَّة، وهو توطد مركز محمَّد علي في مصر، وظهور
نيَّاته ومطامحه في مُقدِّمات أعماله»^(١). وفي ذلك قال الفرغ:

فَفِي مِصْرَ قَامَ الْأَرْزُوطُ^(٢) بِدَوْلَةٍ
وَمِنْ نَجْدٍ قَامَتْ دَوْلَةٌ تَتَاهَبُ^(٣)

إنَّ الدولة الدينيَّة التي بدأت بالظهور في شبه الجزيرة العربيَّة، شكَّلت تهديدًا
وخطرًا حقيقيًّا على الدولة العثمانيَّة التي كانت ترى وجودها خلافة إسلاميَّة في
الوطن العربيَّ. «فالسُّلطان محمود»^(٤)، بعد أن تربَّع على العرش، رأى مملكته مهدَّدة
من جميع جوانبها،... فدولة آل سعود العربيَّة على قِلَّتِها وبُعدها، أهمَّتته أكثر من
سواها، فهناك شبح الخلافة العربيَّة ماثلٌ يهدِّدُ مركز الخلافة الكبرى»^(٥).

بدأ السُّلطان العثمانيُّ بالتخطيط للتخلُّص من الدولتين بطريقة سياسيَّة لا
يكون للدولة العثمانيَّة فيها إلَّا الانتصار. ويبدو هنا الشاعر الفرغ محنَّكًا سياسيًّا
في تصويره للسياسة التي تقوم عليها الدولة العثمانيَّة، أو السياسة التي تعتمدُها
الدول العظمى بشكل عامٍّ، إذ قال:

وَفَرَّقْ تَسُدْ، عِنْدَ السِّيَاسَةِ حِكْمَةً
تُرَاعَى، وَضَرْبُ الضَّدِّ بِالضَّدِّ أَصُوبُ
وَمَا خَسِرَ الضَّدَّانِ فَهُوَ غَنِيمَةٌ
وَقَدْ ضَرَبُوا نَجْدًا بِمِصْرَ وَحَزَبُوا

(١) خالد محمَّد الفرغ، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨١.

(٢) لقبٌ كان يطلق على محمَّد علي باشا.

(٣) خالد محمَّد الفرغ، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٢.

(٤) السُّلطان محمود خان الثاني ابن السُّلطان عبد الحميد الأوَّل (١٧٨٥ - ١٨٣٩م). السُّلطان الثَّلاثون
للدولة العثمانيَّة.

(٥) خالد محمَّد الفرغ، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨١.

وَلَمْ يَخْشَ نَجْدًا عَاهِلُ التُّرْكِ وَحَدَهُ

فَإِنْ جَوَّارَ الْأَرْضِ فِي مِصْرَ أَرْعَبُ^(١)

يشير الشاعر إلى سياسة اتبعتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هي «فَرَّقْ تَسُدَّ» المصطلح السياسي العسكري الاقتصادي، ويعني تفريق قوَّة الخصم الكبيرة إلى أجزاء لتصبح أقلَّ قوَّة، أو خلق فتن داخلية في الدولة المراد محاربتها، وتفكيك الروابط الاجتماعية بين الطوائف فيها، تفكيكاً يسهِّل السيطرة عليها في ما بعد. بيدَ أنَّ الفرج يرى في سياسة «ضرب الضدِّ بال ضدِّ» أكثرَ فعَّاليةً من الأولى، ومثَّل لذلك بقيام الدولة العثمانية باختلاق فتنة بين نجد ومصر، كي يتصادم الطرفان في معركة يكونُ الفائزُ الوحيدُ فيها الدولة العثمانية التي تخشى قيام الخلافة الإسلامية في نجد على أيدي أتباع محمد بن عبد الوهاب، أو في مصر على يد محمد علي.

ومن هذه السياسة الاستعمارية «فَرَّقْ تَسُدَّ» نستطردُّ إلى وصف الشاعر الأيُّوبيِّ لها في فضحه جرائم المستعمر الأجنبيِّ، إذ قال:

ضُمُّوا الصُّفُوفَ فُرَادَى فِي الْوَعَى وَثْنَى

حَذَارِ فِي الْغَرْبِ لِلتَّفْرِيقِ إِيْوَانُ

هِيَ السِّيَاسَةُ إِلَّا أَنَّ مَبْدَأَهَا

فَرَّقْ تَسُدَّ وَلَهَا جَنْ وَجِيَّتَانُ^(٢)

بيدَ أنَّ الأيُّوبيَّ أكَّدَ الوعي العربيَّ في مواجهة هذه السياسة الاستعمارية، وبخاصَّةٍ بعدما بدأت ملامح الوحدة العربية تظهر جليَّة، فقال:

(١) خالد محمد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٣.

(٢) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٢١١.

سِيَّاسَتُهُمْ دَرَسْنَاهَا فَصَارَتْ
بِیَوْمٍ وَثُوبِنَا رَأًیَا سَقِیْمَا
فَلَمْ تَظْفَرْ بِنَا فَرَّقَ تَسُدُّ قَدْ
عَرَفْنَا شَخْلَهَا الشُّكْلَ الشَّتِیْمَا^(١)

وبالعودة إلى الشاعر خالد الفرج، فإنه قرن المواجهات الحربيّة العربيّة العريّة
بالسياسة والدّین، حتّى في حديثه عن الحملة التي شنّها محمّد علي باشا على
نجد في تلك الفترة، والتي كانت بتحريض عثمانيّ بغية إجهاض الدولة السعوديّة؛
النّدّ الأقوى لدولة الخلافة العثمانيّة، وكيف أنّ هذا التحريض وجد قبولاً في نفس
محمّد علي باشا:

وَقَدْ صَادَفَتْ دَعْوَى فَرُوقَ هَوَى لَهَا
بِقَلْبِ الْخِديوي وَهُوَ يَقْظَانُ يَرْقُبُ
فَرَّاحَ لِإِنْقَازِ الْجَبَّازِ بِزَعْمِهِ
وَبِأَسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُحَرِّبُ
وَمَقْصِدُهُ كَفُ الْخَلِيفَةِ بُرْهَةً
وَفِي نَجْدِ الْجَيْشِ الْجَدِيدِ يُجَرِّبُ^(٢)

لاقت الأوامر العسكريّة التي أصدرها السلطان العثمانيّ إجابةً وقبولاً من
واليه على مصر محمّد علي باشا، فبدأ بتجهيز جيشه لمهاجمة دولة آل سعود في
نجد، واعتمد في حشده للجيش على أنّ النفير للحرب واجبٌ جهاديٌّ أمر به أمير
المؤمنين (السلطان العثمانيّ)، بغية القضاء على أعداء الخلافة الإسلاميّة في نجد.
الحقيقة أنّ محمّد علي وجد في هذا الهجوم فرصة مناسبة لتحقيق
غايته: الأولى إظهار الولاء للسلطان العثمانيّ ريثما يشدّد عوده ليصبح جاهزاً

(١) خالد محمّد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٣٣٨.

(٢) خالد محمّد الفرج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٣. [فَرُوقُ: من أسماء إسطنبول عاصمة العثمانيّين].

للاشفاق عنه ثمّ الانقلاب عليه. والثانية اختبار قوّة جيشه بزجّه في المعركة أمام السعوديين في نجد.

أرسل محمّد علي باشا حملة عسكريّة إلى بلاد نجد، بقيادة ابنه الشابّ طُوسُون، فلم ينجح في مهمّته هذه، وذلك استدعى من والده تزويده بإمدادات عسكريّة بقيادة ابنه الأكبر إبراهيم باشا، في أسطول عظيم العدد والعتاد. في وصف هذه الحادثة قال الفرّج:

وَقَدْ وَقَفْتُ نَجْدًا (طُوسُون) وَقَفَّةً
وَكَادَتْ عَلَيْهِ الدَّائِرَاتُ تَدْوِلِبُ
فَجَهَّزَ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا وَجَيْشَهُ
كَسَلْسِلَةٍ مَوْضُولَةٍ حِينَ تُسْحَبُ
سَحَائِبَ نُهُمٍ وَالْمَدَافِعُ رَغْدَهَا
وَنِيرَانُهَا وَسَطَ الْفَضَا تَتَلَهَّبُ
بِجَيْشٍ كَقَطْرِ الْمُرْنِ عَدَاً وَكَثْرَةً
إِذَا زَالَ مِنْهُ صَيِّبٌ جَاءَ صَيِّبٌ^(١)

وصف الشاعر جيش محمّد علي الذي جهّزه تحت قيادة ابنه إبراهيم، فأَنصف عدوّه ومدح قوّته ووفرة تسليحه. لكن يجب إدراك أنّ هذا الإنصاف الذي يأتي به الشاعر تبريرٌ للهزيمة التي لحقت بالنجديّين، وتوضيح للأسباب التي أدّت إلى عدم القدرة على ردّ جيش محمّد علي، رغم أنّ المجاهدين النجديّين لم يدّخروا جهداً في التصديّ لهم، لكنّ قوّة التسليح والمدافع الجديدة على أهل نجد، أدّت إلى الهزيمة وهدم الدّرعيّة. ويشرح الفرّج الأسباب المباشرة للخسارة، والتي تتعلّق بالعتاد فقط، فيقول:

(١) خالد محمّد الفرّج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٣.

بِهَا اضْطَدَمَتْ أَسَادُ نَجْدٍ فَأُتْخِنَتْ
فَكُلُّ سِنَانٍ أَوْ فِرْنِدٍ مُخَضَّبٍ
وَلَكِنَّهُمْ فِي أَلْسِنِ النَّارِ عُرِّلُ
وَهَلْ يَتَّقِي نَارَ الْقَنَابِلِ أَعْضَبُ؟
هُمْ جَاهَدُوا حَقَّ الْجِهَادِ بِعَزْمِهِمْ
وَمَا اسْتَسْلَمُوا حَتَّى أَبَادُوا وَأَعْطَبُوا
لَقَدْ لَاقَتْ الدَّرْعِيَّةُ الْهَدمَ وَالْفَنَاءَ
وَلَكِنَّهَا قَامَتْ بِمَا كَانَ يُوجِبُ^(١)

يجعل الشاعر السبب الوحيد لهزيمة النجديين أمام قوَّات إبراهيم باشا العتاد العسكري الحديث الذي يفتقد مثله نظراؤهم، ولم تكن خسارتهم لفتور في عزيمتهم أو جبن من مقاتليهم، فقد قاتلوا وجاهدوا وقتلوا من المعتدين وأُتْخِنُوا فيهم.

اعتبر الفرَجُ أنَّ الهجومَ العسكريَّةَ التي قام بها إبراهيم باشا على نجد، بعيدة عن أخلاق المسلمين، وهدمه لقرية الدرعية عملٌ ينافي القيم الإسلامية؛ بل يزيد على ذلك بأن يجعل السبب المباشر لهذه الحملة نقمةٌ محمَّد علي باشا ومواليه على أهل نجد، وانتقامه منهم بسبب تديُّنهم وزيادة تقواهم، فيقول في ذلك:

فَوَا عَجَبًا هُمْ مُسْلِمُونَ وَقَدْ أَتَوْا
بِمَا لَيْسَ يَأْتِي الْكَافِرُ الْمُتَعَصِّبُ
وَهُمْ نَقَمُوا مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَقَاهُمْ
فَلِمَ دَمَّرُوا لَمَّا تَوَلَّوْا وَخَرَّبُوا؟^(٢)

فإذا كان سبب هجمة محمَّد علي على أهل نجد واحتلاله للدرعية رغبةً منه في القضاء على طلائع دولة الخلافة التي بدأ يقوم بها أتباع الحركة الوهابية،

(١) خالد محمَّد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٣-٨٤.

(٢) خالد محمَّد الفرَج، الخبر والعيان في تاريخ نجد، ص ٨٤.

فلم لم يتخلّق بأخلاق المسلمين حين دخل الدرعيّة؟ ولم هدمها؟ أسئلة يستتكر بها خالد الفرّج تصرّف قوَّات محمّد علي في نجد، ويستغرب هذا العداء من مُسلمٍ تجاه أخيه المسلم.

نظم خالد الفرّج الأحداث التاريخيّة للوقائع الحربيّة بتفاصيلها أحياناً، وبإشارات أحياناً أخرى، فجاء شعره السياسيّ مباشراً صريحاً واضح المفردات وسهل التراكيب، وقليل الصور الفنيّة، على الرغم من احتواء قصائده السياسيّة على صورٍ فنيّةٍ ملتصقة بالواقع بعيدة عن الخيال؛ سبب ذلك أنّه كان مؤرّخاً للأحداث يُعنى بمضمون النصّ أكثر من عنايته بشكله الخارجيّ، ويهتمّ بتوثيق الخبر كشاهدٍ عيانٍ عليه أكثر من اهتمامه ببهرجة الخبر والتعليق عليه، إلّا أنّ رأيه الشخصيّ كان واضحاً في كلّ ما نظمته ووثّقه. وسنعرض في ما يلي الخلافات الداخليّة في مملكة البحرين من وجهة نظر الشعراء الكويتيّين.

سادساً: الخلافات الداخليّة في مملكة البحرين

يستوقفنا الشاعر عبد الجليل الطبطبائي، أيّام إقامته في مدينة الرُّبارة على ساحل قطر، وهجرته منها بعد ذلك إلى البحرين قبل أن يحلّ الكويت داراً ومقاماً، وقد تناول جانباً من الخلافات والمواجهات الحربيّة بين القبائل خارج الكويت، كان قد عاصرها آنذاك في البحرين، وعلى امتداد شبه الجزيرة العربيّة وخليجها، حيث كانت غزوات القبائل المتبادلة سمةً بارزةً في حياة البادية حتّى وقت متأخّر، فأوجدت خلافات سياسيّة وسياديّة، تحوّلت إلى معارك وحروب في بعض الأحيان.

ترك الطبطبائيّ نتاجاً شعريّاً يوثّق بعض هذه الخلافات التي عاصرها في مستهلّ شبابه، فنظّم أبرز الأحداث الأليمة التي ألّمت بالبحرين آنذاك، كالغزو الذي شنّه «سلطان بن سعيد البوسعيدي» حاكم مسقط وإمام عُمان، على البحرين عام ١٨٠٠م، فحاصرها ثمّ دخلها وترك فيها بعض جنده وعاد إلى عُمان. «ولمّا رأى

الخليفيُّون تحصَّن السيِّد سعيد في القلعة أيسوا من استرجاع البحرين، فارتحلوا بعائلاتهم وأتباعهم إلى الزُّبارة، ليتَّسع لهم مجال الفكر والعمل^(١). في هذه الأثناء كان الشاعر الطبَّيَّائي في رحلة إلى البصرة ليقضي بعض أمور تجارته، بينما بقي أهله في الزُّبارة بانتظار عودته، فكتب من مكان وجوده في البصرة يشرح أشواقه ويصف هذه الواقعة قائلاً:

هَوَايَ زُبَارِيٌّ وَلَسْتُ بِكَاتِمٍ
هَوَايَ، وَلَا مُصْغٍ لِإِلَاحٍ وَعَائِبٍ
أَتَوَقُّ إِذَا هَبَّ الْجَنُوبُ لِأَنَّنِي
أَشْمُ الْغَوَالِي مِنْ مَهَبِّ الْجَنَائِبِ
نَأَتْ دَارُ مَنْ أَهْوَى وَعَزَّ مَزَارُهَا
وَمِنْ دُونِهَا قَدْ حَالَ قَرْعُ الْكَتَائِبِ
وَسُدَّ طَرِيقُ الْقُرْبِ مِنْهَا بِخَمْسَةِ
وَحَمْسَيْنِ جُلَى مِنْ عِظَامِ الْمَرَاجِبِ
مِلاءٌ جُمُوعًا لِلْعِدَا، كُلُّ جَحْفَلٍ
يَسُدُّ الرُّوَاسِي مِنْ زُبَيْرِ الْمَقَانِبِ^(٢)

يبوح الشاعر بمكانة الزُّبارة في قلبه ووجدانه، ويتشوّق إلى أهله، ثمَّ يصف الحصار الخانق الذي كان قوامه خمساً وخمسين سفينة عظيمة، محمَّلة بعدد كبير من المقاتلين العُمانيين لبسط سيطرة إمام عُمان على البحرين.

لم يجد شيوخ آل خليفة طريقاً للخلاص إلا بطلب المساعدة من عبدالعزيز ابن محمَّد بن سعود في نجد، فتَمَّ لهم ذلك عام ١٨٠١م عندما «جمع لهم ابن

(١) محمَّد علي التاجر، عقد الال في تاريخ أوال، البحرين: مؤسسة الأيَّام للصحافة والطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٤، ص ١٠٦.

(٢) عبدالجليل الطبَّيَّائي، روض الخلل والخليل، ص ١٨. [الجلَّى: الأمر الشديد والخطب العظيم. ملاء: جمع ملآن، والملآن: الممتلئ والمكتظ. المقانب: جمع المقنب بكسر الميم، جماعة من الخيل تجتمع للغارة. وجماعة الفرسان، والذئاب الضارية]. انظر: المعجم الوسيط، ص ٨٢٢. وانظر: قاموس المعاني.

سعود جيشاً عظيماً وسيّره بقيادة سُليمان بن سيف بن طُوق، فوصل الجيش إلى الرُّبارة وعبروا منها إلى البحرين، فقاتلوا حامية السيّد سلطان وقتلوا منهم قريباً من مائتي مقاتل^(١). فاستعاد البحرينيون مملكتهم مجدداً، إلّا أن ظروفًا سياسية دعت سليمان بن سيف للتوجه إلى البحرين داعياً أمراءها إلى مقابلة الملك سعود ابن عبدالعزيز، فشدُّوا مطايا الرحال إليها، وكان بصحبته عدد من الوجهاء، منهم عبدالجليل الطبطبائي. ولدى وصولهم أمر الملك باعتقال الأميرين سلمان وعبدالله، وأطلق سراح الباقيين، وذلك في عام ١٨١٠م.

عثرنا على قصيدة للشاعر الطبطبائي مدح فيها الملك سعود بن عبدالعزيز في لقائه إيَّاه في الدرعية، نظمها في الفترة التي كان فيها الشيخان معتقلين في الدرعية، قال منها:

فَلَوْ ضَاعَ جِلْسٌ فِي الْفَلَا مِنْ مُسَالِمٍ
أَتَاهُ بِهِ مِنْ غَابِ ضَارِي الضَّرَاغِمِ
فَيَرْحَلُ مِنْ أَقْصَى تِهَامَةٍ^(٢) رَاكِبٌ
إِلَى الْخَطِّ^(٣) لَا يَخْشَى مَكَايِدَ غَاشِمٍ
لَقَدْ عَمَرَ الدُّنْيَا وَأَثَرَ غَيْرَهَا
فَقَارَ بِكِلْتَا الضَّرْتَيْنِ الْبَوَاسِمِ
حَرِيصٌ عَلَى إِغْلَاءِ أَمْرِ إِلَهِنَا
بِإِظْهَارِ دَيْنِ الْأَبْطَحِيِّ^(٤) ابْنِ هَاشِمٍ

(١) محمد علي التاجر، عقد اللال في تاريخ أوّال، ص ١٠٧.

(٢) تِهَامَةٌ: أرض منخفضة بين ساحل البحر والجبال في الحجاز واليمن، والجمع: تَهَائِمٌ، والنسبة إلى تِهَامَةٍ: تِهَامِيٌّ، وَتِهَامٍ. انظر: قاموس المعاني.

(٣) الْخَطُّ: ذكرها ياقوت الحموي في معجمه: «الخطُ بفتح أوّله، وتشديد الطاء، في كتاب العين: أرض تنسب إليها الرماح الخطيّة، فإذا جعلت النسبة اسماً لازماً، قُلْتُ: خطيّة، ولم تذكر الرماح، وهو خط عُمان، وقال أبو منصور: وذلك السيف كله يسمّى الخطُّ، ومن قرى الخطِّ القُطَيْفُ والعَقِيرُ وقَطْرُ، قُلْتُ أَنَا: وجميع هذا في سيف البحرين، وعُمان، وهي مواضع كانت تجلب إليها الرماح القنّاء من الهند، فتقوم فيه، وتباع على العرب. انظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط٣، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ج٣، ص ٣٨٤.

(٤) الْأَبْطَحِيُّ: من كنى النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، نسبة إلى بطحاء مكة.

إِلَى أَنْ أَبَادَ اللَّهُ كُلَّ مُعَانِدٍ

وَمَزَّقَ شَمْلَ الْبَاطِلِ الْمُتَرَاكِمِ^(١)

وبحسب تعليق ورد على هذه القصيدة في ديوان الشاعر، نفهم أنه قد نظمها مرغماً، إذ ألح عليه بذلك سليمان بن سيف إبان وجوده في البحرين، وذلك بدلاً من قصيدة وردت إلى الأخير تتضمن مدحاً لآل سعود وذمّاً لبعض وجهاء الزبير، بيد أنها كانت مكسورة الوزن في بعض مواضعها، فطلب سليمان إلى الطبطبائي إقامة وزنها، ليرسلها إلى الملك سعود في الدرعية، لكنه رفض ذلك لأن القصيدة تتضمن هجاءً لبعض أصحابه، وأرسل بدلاً منها القصيدة المذكورة.

وما يرجح هذه الرواية، هو أنه كيف للشاعر الطبطبائي البحرانيّ الولاء والإقامة، والذي تربطه بآل خليفة علاقات الودّ والمحبة، والذي أثر الذهاب معهم إلى الدرعية مكان إقامة الملك سعود، أن يمدح الحملة العسكرية التي سارت إلى البحرين بقيادة سليمان بن سيف لإخضاع البحرين وتخيير أهلها بين دفع الخراج أو الحرب؟ هذا الأمر يرجح أن قصيدة المدح التي نظمها الشاعر لم تكن حقيقة المعاني، بل لم تتجاوز النظم في مقام الرهبة من الملك، وإظهار الولاء والطاعة له.

وبعد أن استقرّ الحكم في البحرين لشيوخ آل خليفة، بدأت الخلافات الداخلية في المملكة تتسع، وبخاصة بين بعض أمراء الأسرة الحاكمة، وكان أشدها في «معركة ساجّة» عام ١٨٤٢م نسبةً إلى الماء الذي وقعت بالقرب منه، فرحل الطبطبائي عن المملكة إلى الدمام، وسجّل هذه الواقعة في قصيدة مطلعها:

لِفُرْقَةِ الْقَوْمِ جَرَى الْقِتَالُ

وَعَمَّ فِي النَّاسِ لَهَا وَبَالُ

(١) عبد الجليل الطبطبائي، روض الخلل والخليل، ص ٢٣. [الحلّس: كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرّجل والقَتَب والسَّرج. والحلّس ما يُبسَط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٩٤].

شَقَّ عَصَا قَبِيلَةٍ يُضِيرُهَا
 لَا ضَرَرَ كَمِثْلِهِ يُقَالُ
 وَعَثْرَةُ الرَّجُلِ لَهَا إِقَالَةٌ
 وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ فَلَا تُقَالُ
 انْظُرْ إِلَى الْبَحْرَيْنِ إِذْ فِيهَا جَرَى
 مِنْ فِتْنَةٍ هُدَّتْ بِهَا أَوَالُ
 فِي الْفِتْنَتَيْنِ أَهْرَقَتْ دِمَاءً
 لَيْسَ لَهَا فِي أَمْرِهِمْ مَجَالٌ^(١)

يرى الطببائيُّ أنَّ أساس هذا الخلاف هو اختلاف في الرأي بين طرفي النزاع، قَسَمَ القبيلة الواحدة قسمين، ولا مصاب أعظم ممَّا يُفَرِّقُ أبناء القوم الواحد. ويسير الطببائيُّ على نهج النُّظَام المؤرِّخين لهذه المعركة بقوله:

وَمِنْ فَسَادِ الرَّأْيِ قَدْ تَفَرَّقُوا
 وَاخْتَلَفُوا لِذَلِكَ سَاءَ حَالُ
 بِبَعْضِ مَا جَرَى أَتَى تَارِيخُهُ:
 بِوَقْعَةِ الْبَحْرَيْنِ ذَابَ مَقَالٌ^(٢)

أقام الشاعر في الزُّبَارَةِ زمناً طويلاً وبنى فيها مسجداً، لكنَّه اضطرَّ إلى حَمَلِ عصا الترحال مجدداً؛ فطبيعة الخلافات القبليَّة والسياديَّة لم تترك بقعةً من شبه الجزيرة العربيَّة إلَّا وجدت فيها. ثمَّ هاجر إلى الكويت حيث وجد بلداً آمناً مستقراً هادئاً، وقد عرفت الكويت منزلة هذا الشاعر ووضعت في مكانه الصحيح، فاستقبله يوم قدومه إليها حكامُها وأشرفُها وأهلُوها استقبالاً جعله يستبشر من هذه النقلة خيراً، فأقام فيها حتَّى وفاته.

(١) عبد الجليل الطببائي، ديوان السيّد عبد الجليل الطببائي، ص ١٩. [أَوَال: اسم جزيرة البحرين قديماً].

(٢) عبد الجليل الطببائي، ديوان السيّد عبد الجليل الطببائي، ص ١٩.

ولم يغفل الشاعر خالد الفرج أهمَّ الوقائع الحربيَّة في تاريخ البحرين، إذ تضمَّنت إشاراتٍ إلى بعضها قصيدته التي ألَّهاها عام ١٩٢٦م لمناسبة بناء الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة قصرًا في إحدى ضواحي المنامة، ومن تلك الوقائع موقعة «قَرْقَز»^(١)، حيث يقول:

وَبِیَوْمِ قَرْقَزٍ أَثْبَتُوا لَكَ أَنَّهُمْ
أَخْفَادُ صُلْبِ أَوْلَیِّكَ الْأَجْدَادِ
فَبَنَوْا عَلَى الْبَحْرَيْنِ مَجْدًا شَامِحًا
مُتَوَاصِلًا مِنْ مَبْدَأِ لِمُعَادِ^(٢)

واقعة قرقز هي الثالثة والأخيرة في سلسلة الغزو العُمانيَّ لجزيرة البحرين إبَّان حكم دولة آل خليفة. «ففي سنة ١٨٢٨م، أي بعد مرور سنتين على قتل رحمة ابن جابر الجلاهمة»^(٣)، توجه ابنه بشر إلى مسقط لإغراء حاكمها السيد سعيد ابن سلطان بمهاجمة البحرين، وإشهار الحرب على شيوخ آل خليفة انتقاماً لأبيه، متخذاً امتناع حكومة البحرين عن دفع الخراج المقرَّر الذي صار عليه الصلح بعد واقعة سترة، وسيلة لإيغار صدر السيد سعيد... وحينئذٍ شمرت الحرب عن ساعدها وأبرزت نابها ومخْلِبيها، وبدأت المهاجمات وازدحمت سفن آل بوسعيد عند رأس (قرقز)، وصدرت الأوامر للعساكر بالنزول، فنزلت الكتائب يتلو بعضها بعضاً، بمحلٍّ يقال له (الجفير)، فلما توسَّطوا ساحة (برِّ الجفير) واتَّسع المجال للحرب

(١) قرقز: منطقة ساحليَّة، تُطلق على قسم من الساحل الممتدَّ من المنطقة ما بعد الجفير إلى جهة الجنوب، وهي مجموعة من النخل وبعض الأراضي غير الزراعية. وهي إحدى المناطق التي اندثرت الآن من على خارطة البحرين، ولم تعد تذكر. انظر: ملتقى البحرين، القرى البحرانيَّة المندثرة.

(٢) مجلة الكويت، ١٩٢٩، م٢، ج١، ص ٥٠٠.

(٣) رحمة بن جابر بن عذبي الجلهميَّ العتبي (١٧٥٧-١٨٢٦) ولد في الكويت، وهو شيخ الجلاهمة من العتوب، جعله الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد أميراً على الدَّمَّام، فبنى قلعتها عام ١٨٠٩. حكم الدَّمَّام وبعض قرى شمال قطر، وكان محارباً للعتوب ولآل خليفة حكام البحرين. وهو قرصان بحريٌّ انتحر في إحدى المعارك مع آل خليفة بقيادة الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة، والشيخ أحمد بن سلمان. انظر: ويكيبيديا.

والطعن والضرب، ورأى الشيخ خليفة أنَّ ساعة الإنجاز قد دنت، والفرصة قد سنحت إليهم، أشرك بقيَّة جنوده الكامنين خلف الأسوار، وفي البساتين، بالهجوم على الأعداء والانتصاف منهم، فخرجوا من مكانهم مثل الصقور، وانقضُّوا على آل بوسعيد انقضاض البواشق على الحمام، وجوَّدوا فيهم الضرب بالحسام الصمصام»^(١).

على الرغم من مرور مائةٍ وعامين على موقعة قزقرز البحرانيَّة، أثر الشاعر الفرج استحضارها في تمجيده البحرين وتاريخها، وهو لم يكن من المعاصرين لأحداثها، إلَّا أنَّه اعتمد على التاريخ والتراث وثقافته السياسيَّة التي برزت في الكثير من متون قصائده السياسيَّة.

ومن الأحداث السياسيَّة التي نظمها الفرج، توثيقه زيارة الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة للملك عبدالعزيز آل سعود في مدينة الظُهران في المملكة العربيَّة السعوديَّة عام ١٩٤٠م، والذي كان اجتماعاً للصلح بين الطرفين، فرفع إليهما الشاعر قصيدة ترحيب يستبشر فيها بهذا اللقاء لتوثيق عرى الوحدة بينهما، قال:

أَلِ السُّعُودِ بِجَنْبِ آلِ خَلِيفَةٍ
أَيَّدِي الْعَلَاءِ تَصَافَحَتْ بِسُرُورِ
أَزْكَأَنَّ مَجْدِ الْعُرْبِ مَنَبْعُ عَزِّهِمْ
أَسْمَاؤُهُمْ تُغْنِي عَنِ التَّفْسِيرِ
أَجْزِيرَةَ الْعُرْبِ إِبْشِيرِي وَتَفْأَلِي
إِنَّ الْأَمَانِي عُلِّقَتْ بِجَدِيرِ^(٢)

المكانة التي احتلَّتها البحرين لدى شعراء الكويت تأتت من جانبين: أوَّلهما الرحلات المتبادلة بين البحرانيين والكويتيين، فأوجدت علاقات مودَّة بين الطرفين.

(١) محمَّد علي التاجر، عقد اللال في تاريخ أوَّل، ص ١١٦-١١٩.
(٢) عواطف خليفة العذبي الصُّباح، الشعر الكويتي الحديث، ص ٢٥٥-٢٥٦.

وثانيهما الأحداث السياسيّة الكثيرة التي مرّت بها البحرين منذ تاريخ نشأتها إلى استقرارها، فلم يدّخر الشعراء جهداً في توصيف الحالة السياسيّة التي تعيشها البحرين، غير مخفين ميولهم وودّهم نحوها.

لاحظنا في ما سبق من مباحث، انكّاء الشعراء الكويتيّين على غرض المدح في كثير من القضايا السياسيّة التي وقعت خارج إطار دولة الكويت، ولعلّ ذلك كان ضرورياً؛ إذ إنّ الممدوح يحمل في أغلب الأحيان صفّة سياسيّة مرموقة. ووجدنا مناسباً أن نقف على حقيقة هذا الغرض الشعريّ، من حيث صدقه وعفويّة نازله، أو تكسّبه واصطناعه. وسنقف فيما يلي على واقع المديح السياسيّ الكويتيّ خارج دولة الكويت، ومدى مصداقيّة هذا الغرض وواقعيّته، ومدى تسخير الشعراء إيّاه لمصالحهم الشخصيّة.

سابعاً: شعراء المديح السياسيّ بين الواقعيّة والتكسّب

كنا قد رأينا تضمين أغلب الشعراء الكويتيّين شكواهم في قصائدهم المرفوعة إلى أمير البلاد، وعلّلنا ذلك بأنّه أمرٌ طبيعيٌّ في العادة، إذ الأمير هو المتحكّم في أمر البلاد، والقادر على فضّ كلّ نزاع وإنصاف كلّ مظلوم. كما مرّ معنا أنّ الشاعر لم يقتصر على رفع شكواه إلى أمير البلاد فقط، بل تعدّى ذلك ليضعها في قصائد المدح السياسيّ أو الثناء أو الترحيب بشخصيّة عربيّة مشهورة؛ كالنعالبيّ مثلاً، وقد أوضحنا كيف أنّ جميع القصائد التي نُظمت احتفاءً بزيارة الأخير الكويت، تضمّنت الشكوى من الأحوال السياسيّة بعامّة، سواء أكانت ذات الشأن الكويتيّ المحليّ الوطنيّ، أم ذات الشأن العربيّ القوميّ.

كان التقرب من بلاط الحكم السمة الأبرز في أغلب قصائد المدح السياسيّة، وقد ترك الشعراء الكويتيّون الكثير من المدائح في الحكام العرب، وبعض الشخصيات السياسيّة البارزة. وارتبط هذا الغرض بالمناسبات السياسيّة أو الحربيّة؛ فمن

تهنئة بولاية، إلى إشادة بنصر، إلى احتفاء بمناسبة وطنية. وقد تنوّعت بواعث الشعراء على النظم في هذا المضمار، فمن شاعر مدح تكسُّباً لنيل حاجة، إلى آخر نظم شكراً وثناءً على حاجة نالها من الممدوح من دون أن يستجديها منه، إلى آخر كان صاحب قضية، فنظم إشادة بالقضية أو انتصاراً لكل من يقف إزاءها موقفاً مشرفاً. وكل ذلك سيتمّ تناوله للدراسة في هذا المبحث.

واللافت للانتباه في هذا الغرض، لازمة الشكوى التي لا تكاد تتفصل عنه إلا نادراً، إذ وجد الشاعر في قصيدة المدح السياسية وسيلة مثالية لإيصال صوته وألمه ومعاناته، فحملها شكواه من واقعه المرير أو حنقه على قضية معينة. وقد وجدنا نتاجاً شعرياً غزيراً لدى الشعراء الكويتيين يتضمّن المداخل السياسية، وتنوّعت هذه المداخل بين مديح البلاط السعوديّ بعامة، والملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بخاصة، وبين مديح الحكّام العرب خارج نطاق المملكة السعودية، كالعراق ومصر والبحرين. وسنقف على نماذج من هذا وذاك في ما يلي.

أ - مداخل البلاط السعوديّ

لعلّ أبرز نماذج هذا الغرض تبدو في القصائد التي نظمها كل من محمود الأيوبي وخالد الفرّج في آل سعود ملوك نجد، وقد شكّلت معظمها دعوة قومية إلى توحيد شبه الجزيرة العربية وما جاورها، بل توحيد العالم العربيّ في دولة واحدة تكون قادرة على التخلص من الاستعمار وتبعاته. ومن أمثلة ما نظمه الأيوبي في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود، قوله:

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ «الْمَلِكِ» مِنِّي نَشَائِدُ
مُدَبَّجَةٌ فِي طَيِّهَا الْحُبُّ يَنْدَسُ
لِلِ السُّعُودِ الصَّالِحِينَ قَصَائِدِي
أَدَبُجُهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الرَّمْسُ^(١)

(١) نورية الرومي، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعري، ص ٢١٦.

يحرص الشاعر على إظهار الولاء للملك عبدالعزيز أولاً، ثم لآل السعود ثانياً، ويشير بوضوح إلى أن قصائده لا تتضمن إلا الحب الخالص لشخص الملك، ويؤكد ديمومة نظمه في هذا الغرض الخالص للمدح إلى أن يغيبه الرمس عن الحياة الدنيا. ويشير الأيُّوبيُّ في قصيدة أخرى إلى اللقب الذي اشتهر به الملك عبدالعزيز، وهو ملك العرب، إبان الخلاف بينه وبين الشريف حسين بن علي على أحقية كلٍّ منهما في المُلك، فانحاز الأيُّوبيُّ إلى صفِّ الملك عبدالعزيز ووصفه بأبي العروبة، وليس العرب فقط، حيث قال:

إِنَّ الْعُرُوبَةَ لَا تَغْيَا عَزَائِمُهَا
إِذْ إِنَّهَا اتَّخَذَتْ عَبْدَ الْعَزِيزِ أَبَا^(١)

كما أكد أيضاً أن مدائحه في الملك عبدالعزيز بعيدة عن أيِّ تكسُّب أو استجداءٍ لمصلحة شخصية، بل نابعة من حُبِّه المتأصل، فضلاً عن استحقاق الملك لهذا المديح، وأنَّ المطمع الوحيد للشاعر هو تخليد اسمه في سفر التاريخ بمدحه الملك. وشددَ على أنَّ ممدوحه هو أمل الأمة العربيَّة في توحيدها ولمَّ شملها، فقال:

حَنَانِيكَ لَمْ أَقْصِدْ عَلَى رَغْمِ حَاجَتِي
نَوَالاً وَلَوْ أَنَّ النُّوَالَ سَخَائِحُ
وَلَسْتُ كَمَنْ يَرْجُو عَلَى الشَّعْرِ حَاجَةً
إِذَا دَفَعْتَنِي لِلْكَرَامِ الْمَدَائِحُ
وَلَكِنْ حُبًّا قَدْ تَغْلَغَلَ فِي الْحَشَا
وَإِنِّي كَمَاءِ الْمُزْنِ بِالشَّعْرِ سَائِحُ
فَحُبُّكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ رَجَاءُ مَنْ
لَهُ فِي سِجِلَاتِ الْخُلُودِ مَصَالِحُ

(١) نورية الرومي، محمود شوقي الأيُّوبي: حياته وتراثه الشعريُّ، ص ٣٥٥.

أُنَاغِي بِكَ الْأَمَالَ؛ أَمَالَ أُمُتِي

وَأَسْكُبُهَا شِعْرًا نُجَى وَأَطَارُحُ^(١)

حاول الأيُّوبِيُّ إثبات صدق مشاعره تجاه الملك، وتأكيد بُعد مديحه عن طلب النوال والأعطيات الماديّة، بيد أن تشديده على هذه النقطة لم يكن في صالحه، إذ إنّه أظهر للملك حاجته إلى النوال، وفضلاً عن إشارته إلى كرم الملك في عطاياه، ثمّ ذهب إلى أن الحبّ والولاء هما ما دفعاه إلى المدح.

تجدر الإشارة إلى أن الأيُّوبِيَّ سافر إلى إندونيسيا بتكليف من الملك عبدالعزيز آل سعود، وعمل في الدعوة الإسلاميّة، ونشر الثقافة العربيّة، وامتحن التدريس في مدرسة الإرشاد بمدينة «سورابايا»، وكان يتقاضى راتباً شهريّاً من الحكومة السعوديّة في فترة إقامته هناك. لكنّ تقلُّب الأوضاع بقطع راتبه دعاه إلى النظم بعكس ما كان ينادي به، إذ قال:

أَجِنُّ وَلَا أَبْغِي سِوَى ظَهْرِ نَاقَةٍ

تُبَلِّغُنِي سُؤْلِي لِأَكْرَمِ وَاهِبِ

إِلَى حَارِسِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَمَنْ بِهِ

وَيَنْبُوعُ شِعْرِي لَيْسَ فِيهِ بِنَاضِبِ^(٢)

إنّ إيراد الشاعر للتركيب (أكرم واهب) إشارة غير مباشرة إلى أمله في إعادة الصلّة. وقوله: (وينبوع شعري ليس فيه بناضب) يحتمل أمرين: الأوّل أن الشاعر يحاول تذكير الملك بالمدائح الكثيرة التي سبق أن نظمها في شخصه وانتصاراته، علّها تكون شفيعة له في إعادة الصلّة. والثاني أن الشاعر يتوقّع عدم إعادة الصلّة بعد انقطاعها، ولعلّ ذلك بعد انقطاع سبب العطاء. بيد أنّه يعدّ الملك بالألّا ينقطع

(١) نوريّة الرومي، محمود شوقي الأيُّوبي: حياته وتراثه الشعريّ، ص ٣٤٢. [الصحيح: «نَعْلٌ»، وتغلغل غير موجودة في اللسان؛ ويظل الوزن قائماً].

(٢) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ١١٩.

عن مديحه، حتَّى بعد انقطاع الراتب، وفي ما نظمته دليل على ذلك. هذا يشير إلى أنَّ الراتب كان لقاء عملٍ يقوم به المبعوث الأيوبيُّ على أكمل وجه، وليس عطاءً على شعر، أو صلة لقربه من البلاط الحاكم.

وممَّن مدحَ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، الشاعرُ خالد الفرج الذي قضى فترة من حياته قريباً من بلاط هذا الملك، نظمَ في أثنائها ملحمةً في سيرته، وسطرَّ الكثير من القصائد المدحِيَّة في إنجازاته وانتصاراته. ولاحظنا من قُبَل أنَّ المناسبة والأحداث السياسيَّة، هي التي دفعت الشاعر إلى نظم مدائحه. هذا أولاً، والأمرُ الآخر إثبات ولائه السياسيِّ للأسرة الحاكمة. ومن مدائح الفرج للملك، قوله:

إِلَى مَجْدِكَ الْعَلِيَاءُ تُغْرَى وَتُنْسَبُ
وَفِي ذِكْرِكَ التَّارِيخُ يُمْلَى وَيُخْتَبُ
وَفِي عَذْلِكَ الشَّرْعُ الشَّرِيفُ مُمَثَّلُ
وَفِي حُكْمِكَ الْأَمْثَالُ تُنَلَى وَتُضْرَبُ^(١)

على الرغم من أنَّ خالد الفرج مدحَ آل سعود في غرِّ قصائده، قد يُؤخذ عليه قدحه، في الفترة نفسها، بملوك شبه الجزيرة العربيَّة، فلم يستثن أحداً، ويمكن أن يُفسَّرَ ذلك بالروح الثائرة التي تحلَّى بها، والحدة في الطرح والعرض، حتَّى ألجأه إلى هذا النظم، قال:

فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مَلِيكَ قَائِمُ
شُغِلْتُ دَقَائِقُهُ بِأَخْرِ طَالِبِ^(٢)

والراجع أنَّ الشاعر نقدَ الحالة السياسيَّة المتردِّية لنجدٍ في تلك الفترة، لتكون مفردة (مليك) التي استعملها في نقده، غير متجاوزة أن تكون رمزاً لظاهرة التسلُّط،

(١) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١١٧.

(٢) مجلة البعثة، السنة الثامنة، ١٩٥٤، العدد ٥، ص ٤٥٦.

وسعي زعماء شبه الجزيرة العربيّة لتكوين دولٍ خاصّةٍ بهم تحت هذا المسمّى، ولم يقصد بذلك الملك عبدالعزيز شخصيّاً، أو غيره من ملوك شبه الجزيرة العربيّة وأمرائها الرسميّين. وتخريجُ الشاعر هذا من النقد الصريح يكمن في رأي الشاعر نفسه، وذلك في توصيفه للحالة السياسيّة والدينيّة في نجد في أكثر من مكان.

ولم يكن خالد الفرج والأيوبيّ وحدهما المدّاحين لآل سعود، إلّا أنّهما كانا من المكثّرين في هذا المجال؛ فشعراء آخرون معاصرون لهما نظموا المدائح في آل سعود وانتصاراتهم، وأشادوا بسعيهم الدؤوب لتوحيد شبه الجزيرة، ومنهم الشاعر عبدالعزيز الرشيد، بُعيد انتصار الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود على الإخوان، فنشر مطوّلة منها:

هَذَا الْجِجَارُ وَمَا بِهِ مِنْ نَهْضَةٍ
أَفْسَى بِهَا خَيْرُ الْجِجَارِ مُؤَصَّلَا
هُوَ شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَى إِخْلَاصِكُمْ
يَجْتَنُّ مِنْ نَفْسِ الْحَسُودِ الْمَقُولَا^(١)

إذ إنّ الشاعر يستعمل الواقع المستقرّ الآمن في شبه الجزيرة العربيّة، وما بها من رخاء في ظلّ الملك الممدوح، شاهداً على إخلاص الملك وحرصه على التطوير والتحضّر والارتقاء بالدولة السعوديّة الجديدة إلى مصافّ الدول المتقدّمة.

ومثله الشاعر فهد العسكر الذي أفرد في الملك عبدالعزيز قصيدة مدح، أشاد فيها ببطولاته وانتصاراته على أعدائه، وأظهر ولاءه واعترافه به ملكاً على الدولة السعوديّة رغم أنف الحاقدين، بعد أن وحد قبائلها، ووطّد الأمن والاستقرار فيها، فوصفه بأسد الجزيرة، ومعروف أنّ من ألقاب الأسد تسميته بملك الغابة، فاستعار الشاعر الاسم الأصل للدلالة على اللقب، فقال:

(١) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربيّ في الكويت، ص ٦٥.



أَسَدَ الْجَزِيرَةِ أَيُّهَا الْمَقْدَامُ مِنْنِي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ^(١)

هذا مع ضرورة التنبيه على أنَّ الشاعر العسكر لم يكن من شعراء البلاط السعودي، بل نظم مدائحه فرحاً بوحدة شبه الجزيرة، واعترافاً بأحقية الملك عبدالعزيز آل سعود بالحكم.

ومن الملاحظ في هذه المدائح السياسية عدم استطاعة بعض الشعراء التخلي عن إدراج عنصر الشكوى فيها، رغم المفترض أن تكون خالصة للمدح. من ذلك القصيدة التي نظمها الشاعر عبدالعزيز الرشيد في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود، ونشرها في مجلة الكويت عام ١٩٢٩م بعد أن مضى على نظمه لها خمس سنوات، وقد قدّم لها الشاعر بقوله: «هذه قصيدة قدّمها صاحب هذه المجلة إلى جلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود في عاصمة ملكه الرياض من نحو خمس سنين تقريباً. مطلعها:

هَلْ لِدَاعِي الْإِصْلَاحِ شَهْمٌ مُجِيبٌ
أَمْ لِدَاءِ الْفَسَادِ ثَمٌّ طَبِيبٌ؟
هَلْ حَكِيمٌ يَرُدُّ كُلَّ اغْتِلَالٍ
وَلَهُ فِي الْقَضَاءِ رَأْيٌ مَهْيَبٌ؟^(٢)

هذا الأسلوب الاستنكاري الذي افتتح به الشاعر قصيدته، يشير إلى الأوضاع السياسية المتردية في شبه الجزيرة العربية آنذاك، حيث بات الإصلاح حلمًا، وأصبح الفساد داءً متفشياً، وعزّ الدواء والحكيم، ولا سيّد في القوم يجتمع الكلُّ تحت إمرته مهابةً وإجلالاً.

(١) نورية صالح الرومي، شعر فهد العسكر: دراسة نقدية وتحليلية، ص ١٣٧.

(٢) مجلة الكويت، ١٩٢٩، العدد ٥، م ٢، ج ٥، ص ١٥٣.



وقابلت هذا الوصف المفعم بالمفردات السلبية (داعي الإصلاح، داء الفساد، كلُّ اعتلال) مفرداتٌ إيجابيةً نسبها الشاعر إلى ممدوحه (شهم مجيب، طبيب، حكيم، رأي مهيب). والشاهد يكمن في انعكاس الواقع السياسي على قصيدته، وعدم قدرته على تجاهله، بل إنَّه التزم قضايا الوطن والأمة، حتَّى في المقامات التي لا تتطلَّب إلا المدح بأجود ما يكون، من دون اللجوء إلى المفردات السلبية.

تجدر الإشارة إلى أنَّ قصائد المدح لم تكن محصورة في شخص الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن، وإن كانت نظمت فيه أكثر ممَّا في غيره. فبعض الشعراء نظموا مدائح بعيداً عن شخصه، لكنَّها لم تخرج من إطار البلاط السعودي، ونُظمت بمنأى عن أيِّ نوالٍ قد يرتجيه الشاعر من ممدوحه، بل كانت نابعة من الروح القومية، وخالصة لتمجيد الممدوح. ونعرض أنموذجاً واحداً من النماذج الخالدة في ذلك، ما نظمه الشاعر فهد العسكر في مدح الأمير سعود بن عبدالعزيز لمناسبة تقلده منصب وليِّ العهد لملك السعودية عام ١٩٣١م، فقال:

قِفْ هُنَى مَمْلَكَةِ السُّعُودِ

بِأَمِيرِهَا شَبَلِ الْأُسُودِ

لَيْتَ الْوَعَى الْقَرْمِ الْجَلُودِ

وَإِذَا النُّدَى أَعْنَى سُعُودِ^(١)

يهنئ الشاعرُ المملكة السعودية بوليِّ عهدها الجديد، ويسبغ عليه صفات البطولة التي يتحلَّى بها الملك، فيجعله الشبل الذي سيكون ملكاً مكان أبيه لاحقاً. ونلاحظُ عناية الشاعر بالموسيقى الخارجية لأبياته؛ إذ أكسبها التصريح في البيتين إيقاعاً مميزاً، فعمد المطرب عبداللطيف الكويتي إلى تلحينها وغنائها عام ١٩٣٨م.

(١) نورية صالح الرومي، شعر فهد العسكر: دراسة نقدية وتحليلية، ص ١٣٧. [خَفَّفَ الشاعر همزة الفعل (هنئ) لإقامة الوزن الشعري].

تنوّع المدح السياسي المرتبط بالبلاط السعودي، بين القصائد الخالصة للمدح والتي تعتمد على الواقعيّة والتوثيق لمعارك الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، فأعطى صفة القصائد التي تناولت أمجاده واقعيّة قلّ ما تجنح إلى الخيال، وبين القصائد التي تتدرج ضمن المديح التكبُّبي، وحيث طلب أصحابها الأعطية جهراً وبشكل مباشر، أو أشاروا إلى رغبتهم في الحصول عليها.

يمكننا القول إنّ الأحداث السياسيّة الجمّة التي شهدتها شبه الجزيرة العربيّة آنذاك، صرفت اهتمام الشعراء عن غيرها إليها، ولو أردنا تتبّع مدائح الشعراء الكويتيّين في البلاط السعودي، وبخاصّة في شخص الملك عبدالعزيز آل سعود، عند الفرج والأيوبيّ، لاحتاج الأمر إلى دراسة خاصّة بكلّ منهما، فكلاهما نظم ديواناً في مدح الملك المذكور، فجاء الأوّل معنوناً «الخبر والعيان في تاريخ نجد»، وجاء الثاني معنوناً «ديوان الملاحم العربيّة».

ب - المدائح السياسيّة خارج البلاط السعودي

عثرنا على قصائد في المديح السياسيّة تعود إلى بواكير الشعر العربيّ الفصيح في دولة الكويت، صاحبها الشاعر عثمان بن سند الذي مدح الوالي داود باشا عندما تقلّد الحكم على بغداد والبصرة، فأرسل إليه بقصيدة تهنئة تشيد بنصره على أعدائه، وتأييد السلطان والناس له، ويناشده العناية بأمر البصرة، وإقامة العدل فيها، فيقول:

وَبَلَدَتِي نَخَرْتُ مِنْ طَرَفِ ذِي مُقْلَةٍ
صَبَا لَهُ الْمُدْرِكَانِ الطَّرْفُ وَالْأُذُنُ
إِلَى فَوَاضِلٍ مِنْ عَدْلٍ يُنْظَمُهَا
فِي نَخْرَهَا الْأَبْيَضَانِ السَّيْفُ وَالْمَنْ^(١)

(١) عثمان بن سند، ديوان الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الصحاب، ط١، القاهرة: دار الأفاق العربيّة، ٢٠٠٧، ص ٢٦.

لكنَّ عادة الشعراء في مدح الولاة والملوك، لا تخلو من طلب التقرب من بلاط
أولي الجاه والسلطان، وفي ذلك نظم ابن سند قصيدة وجَّهها إلى ممدوحه المذكور
أنفًا، داود باشا، منها:

صَلُّوا صَبَّحَكُمْ إِنَّ الْهَوَى قَاتِلٌ لَهُ
وَمُنُّوا عَلَيْهِ بِالْوِصَالِ لَكُمْ مَنَّا
وَأَسْقُوهُ مِنْ صَهْبَاءٍ تَفْرِيبُكُمْ لَهُ
مُثَلَّثَةٌ تَحْكِي مَذَاقَتَهَا مَنَّا
وَمُنُّوا بِتَخْلِيمٍ لَهُ حَالَةَ الرِّضَا
لِيَرْجِعَ بِالْمَنِّ الَّذِي لَمْ يَشُبْ مَنَّا^(١)

أمل الشاعر أن يدنيه السلطان داود باشا من بلاطه ويجعله من المقربين؛ يعبر
عن ذلك في أبياته الثلاثة التي تناولت هذه الفكرة الوحيدة، بيد أنه يأتي بالمعنى
ضمن لوحة فنيَّة في الشكل الخارجي. أتى بالمفردة «مَنَّا» محملاً إيَّها ثلاثة معانٍ
مختلفة، فجاءت في البيت الأوَّل «مُنُّوا... مَنَّا» أي أعطوا أو أحسنوا أو أنعموا، وكلُّ
ما يُنعمُ به. وجاءت في البيت الثاني «مَنَّا» أي المَنُّ، وهي مادة صمغيَّة حلوة المذاق
يفرزها شجر الأثل، وقد كانت طعاماً لبني إسرائيل في العهود القديمة. وجاءت في
البيت الثالث «مَنَّا» بمعنى تعداد الفضائل والتذكير بها مراراً بعد منحها، أي فخر
بنعمته عليه حتَّى كدَّرها وأفسدها، وذكر نعمه عليه تقريراً وإيذاءً.

هذا التدوير الإبداعيُّ في الألفاظ ومعانيها، يجسِّدُ قاعدة مناسبة المقال
للمقام؛ فلا يُخاطَبُ الملوك والولاة بما يُخاطَبُ به العامة، وبخاصَّة في الشعر، إذ

(١) عثمان بن سند، ديوان الصارم القرضاب في نحر من سبِّ أكارم الصحاب، ص ٣٧.

كثُرَ هي القصائد التي تُلقى على مسامع هؤلاء الملوك، وكثيرون هم الشعراء الذي يسعون للقرب والحظوة من خلال المدح، لذلك كان على الشاعر أن يأتي بتراكيب تعلق بالنفوس، وتطرب لها الأذن.

وبعد ابن سند، أصرَّ عدد من الشعراء على تأكيد خلوص قصائدهم للمدح، بعيداً عن طلب حاجة أو نوال، ولعلَّ إصرارهم على نفي التهمة عن أنفسهم، يعطينا فكرة عن طبيعة نظرة المجتمع آنذاك لشعراء السلاطين، أو مدّاح الملوك والأمراء؛ فلو لم يكن الشاعر متَّهماً بتكسُّبه لما لجأ إلى دفع التهمة عن نفسه، وتبرئة شعره منها. ومن هؤلاء الشعراء خالد الفرج الذي كان مقرَّباً من بلاط الملوك والأمراء وأصحاب السُّلطة والجاه، وذلك في قصيدة نظمها في مدح أحد ملوك البحرين أوائل القرن العشرين، فقال:

مَدَحْتُكُمْ فِي خَالِدَاتِ الْقَصَائِدِ
أَمْجَدُ ذِكْرِي وَاجِدٌ بَعْدَ وَاجِدٍ
رَجَاءُ رِضَاكُمْ لَا رَجَاءَ نَوَالِكُمْ
لَأَنَّ الرِّضَا عِنْدِي أَجَلُ الْفَوَائِدِ^(١)

الفرج هنا يشرح حاله وحال غيره من الشعراء غير المتكسِّبين بشعرهم، فلا ينظمون مدائحهم رغبةً في نيل الأعطيات، ولا يرتجون مقابلًا ماديًا لقاء قصائدهم، فيكونون بذلك تجار أدب لا أكثر، بل إنَّهم نظموا من يستحقُّ المدح في نظرهم. لكنَّ هذا لا ينفي أن يكون للشاعر مآرب شخصيّة من وراء مديحه، فلا قصيدة تنظم دون باعث، سواء أكان ابتغاء قضاء حاجة، أم ردَّ مظلمة، أم ارتقاء اجتماعيًا في قومهم.

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٢٠.

ومن الأمثلة على المدح السياسيِّ أيضًا، ما امتدح به الشاعر عبدالله زكريّا الأنصاري الشيخَ صقر بن سلطان القاسمي حاكم إمارة الشَّارِقَة، عام ١٩٥٤، وأسبغ عليه من صفات المحبَّة والصدق والنقاء وخلود الذكر في القلب وفي الشعر، فأقسم الشاعر في بيتين للتشديد على صدق ما يمتدح به، ثمَّ شرح مكانة القاسميِّ في نفسه، فقال:

حَلَفْتُ بِرَبِّ اللَّيْلِ وَالصُّبْحِ وَالْعَصْرِ
وَرَبِّ السَّجَايَا الْغُرِّ وَالصَّدُوقِ وَالطُّهْرِ
وَرَبِّ الْقَصِيدِ السَّائِرَاتِ عَلَى الْمَدَى
يُرَدِّدُهَا الشَّادِي إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ
بِأَنَّكَ لَمْ تَبْرَحْ خَيَالًا مُحَلَّقًا
يُرْفَرِفُ فِي جَوْ مِنْ الْحُبِّ وَالشُّعْرِ^(١)

نظَّم الشعراء الكويتيون في خمسينيَّات القرن العشرين قصائد مدح سياسيَّة جاءت خالصة لمناسبة الإشادة ببطولة أو تحقيق نصرٍ على المستعمر الأجنبيِّ، وتجلَّى ذلك أكثر ما يكون في ما نُظِمَ في مدح الرئيس المصريِّ جمال عبدالناصر. من ذلك ما نظمهُ الأيُّوبِيُّ ممتدِّحًا له بصفات الإقدام والبطولة والقيادة، ومشيدًا بالنصر الذي حقَّقه على المستعمرين في حرب العدوان الثلاثيِّ على مصر عام ١٩٥٦، وأنَّه بهذا النصر وضع حدًّا لغرور الدول الأجنبيَّة المتغطرسَة، ودَحَرها إلى بلدانها خاسرة مغلوبة، قال:

جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ الْمُتَوَثَّبِ
تَهْفُؤُ الْقُلُوبِ بِمَشْرِقٍ أَوْ مَغْرِبِ

(١) مؤسَّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريِّ، ديوان عبدالله زكريّا الأنصاري، ص ١٧٥.

بَطَلَ الْبُطُولَاتِ الْعَظِيمَةَ حَوْلَهُ
يَلْتَفُّ كُلُّ مُجَاهِدٍ حُرّاً أَبِي
سَكَبَ الْخُلُودُ بِذِكْرِهِ أَنْفَاسَهُ
شِعْراً مِنْ الْغَيْبِ الْجَمِيلِ الطَّيِّبِ
بِكَ يَا جَمَالَ الْغَاصِبُونَ تَقَوَّضَتْ
أَبْرَاجُهُمْ يَوْمَ الْكِفَاحِ الْمُرْعَبِ^(١)

ربط الشاعر المدح بمناسبة الانتصار على المستعمر الأجنبي، واعتبره نصراً للعرب جميعاً، بل اعتبر جمال عبدالناصر ظاهرة أولى من أمارات الوحدة العربية، وشكلاً جديداً من أشكال الأمجاد العربية الماضية. ويوضح الشاعر أنَّ صفات الإقدام التي تحلّى بها ممدوحه هي التي أيقظت قريحة الشعر في نفسه.

كما نجد هذا الغرض المدحيّ في القصائد التي أشاد بها الشعراء بالرئيس السوريّ شكري القوّتلي، علماً أنَّ إمكانية التكبُّب بمثل قصائد كهذه يعدُّ من المحال، حيث لا صلة أو قرابة بين المادحين والممدوح، وهي لا تتعدّى أن تكون قصائد ثناء إزاء موقف مشرّف للشخصيّة الممدوحة، وبخاصّة إن صدر هذا المدح من شاعر عُرِف بتكبُّبه في وطنه، أو بطلبه المعونة، كالشاعر صقر الشبيب الذي قال في مدح القوّتلي عام ١٩٥٨ إبّان وحدة الجمهوريتين، السوريّة والمصريّة:

فَلِشُّكْرِي خَيْرُ شُكْرِ مِثْلُهُ
لِجَمَالِ مُغْتَلِي الْقَدْرِ الْأَبِي^(٢)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٩.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٦٨.

ونجد أيضاً شعراء يدرجون في قصائدهم الشكوى من الأوضاع السياسية والاجتماعية المزرية في الوطن العربي، ويضمّنون قصائدهم مفردات تضحّ بالسلبية والتشاؤم، في حين أنّ المفترض بالشاعر ألاّ يلجأ إليها ليناسب مقاله مقام الحدث، وأن يحاول في نظمه - على قدر الإمكان - استعمال المفردات الإيجابية التي تناسب سياق المدح، ومقام الممدوح، وطبيعة المناسبة. مثال ذلك القصيدة التي ألّفها محمود الأيوبي لمناسبة مبايعة فيصل الأول بن حسين الهاشمي ملكاً على العراق عام ١٩٢١، وذلك في احتفال أقامه مُتصرّف البصرة، فقال:

أَنَشَقَى وَالْعِبَادُ مُنْعَمُونَ
وَنَحْكُمُ وَالْبَرِيَّةُ حَاجِمُونَ
فَمَا لِلظَّالِمِينَ بِنَا نَصِيبُ
فَإِنَّا فَوْقَ أَيْدِي الظَّالِمِينَ^(١)

هذا المقطع البسيط من قصيدة يُفترض أن تكون خالصة للتهنئة والمدح، مراعية للمقام الذي نظمت فيه. شكلها الخارجي أولاً يوحي بالهم الذي يؤرّق الشاعر، (أنشقى، حاكمونا، للظالمين، الظالمينا)، ومضمونها يتناسب مع الحالة السياسية المشتّتة لشبه الجزيرة العربية إبّان حكم الملك فيصل الأول.

وجدنا من قصائد المدح أنّ أغلب القصائد التي نظمت لمدح شخصيات سياسية بارزة خارج إطار دولة الكويت، قد عُنيت أكثر ما عُنيت بحكام شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، لما كان له من أثرٍ في توحيد الممالك والقبائل التي سيطرت عليها النزاعات والخلافات

(١) أحمد الشرباصي، أيام الكويت، ط١، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٣، ص ٢١٧.

لفترة طويلة، فضلاً عن أنَّ الشعراء الكويتيين يعتبرون جزءاً من قوم شبه الجزيرة العربية، فكانوا ينظمون في مدح ملوكها وأمرائها وأبرز شخصياتها مدحاً لا يقلُّ صدقاً عن المدائح الوطنية المحلية.

لذلك جاءت أنَّ قصائد البلاط الحاكم مرتبطة بحكام شبه الجزيرة العربية، بينما القصائد التي نظمت انتصاراً لقضية سياسية معينة، والتركيز على بطل هذه القضية، جاءت أكثر صدقاً وعفويةً، لانتفاء المنفعة بين المادح والمدوح، كالشعراء الذين نظموا تمجيداً للرئيس المصري جمال عبدالناصر، أو الرئيس السوري شكري القوتلي على سبيل المثال، بل نابعة من موقفٍ تجاه القضية العربية، استحقَّ المدوحون الثناء عليه من وجهة نظر الشاعر.

عرضنا نماذج تصوّر جزءاً من الحال العربية الممزقة منذ القرن الثامن عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين، والصراعات العربية العربية على الحكم، والرغبة في الاتّساع والاستحواذ على أكبر قدر ممكن من البلاد، فاستتجنا أنَّ الشاعر خالد الفرّج ينظم الأحداث السياسية بأسلوبه التسجيليّ التقريريّ الذي يثقله الحرص على تسجيل المناسبة أكثر من حرصه على الإتيان بالمحسنات البديعية من صور وتشبيهات، فكان ناظماً موثقاً للأحداث في غالبية شعره القوميّ.

وبالاستناد إلى النماذج الشعرية للشاعر خالد الفرّج، رأيناه أكثر نتائجاً من شعر معاصريه في بعض القضايا، لأنّه أكثر شعراء الكويت اعتناءً بنظم الأحداث السياسية. وقد تتقلّ الفرّج بهمة القوميّ بين أغلب الدول العربية، الخليجية منها بخاصّة، ليسجّل ويتابع وينظم الأحداث السياسية، ساعده في ذلك مكانته الاجتماعية المرموقة في بلاط آل سعود حكّام المملكة العربية السعودية، والتي حوّلتها الاطلاع على أدقّ التفاصيل لبعض القضايا السياسية آنذاك.

أمّا عبدالجليل الطبّيبائي فقد اكتفى بتسجيل حادثة خلافٍ في الأسرة البحرانيّة الحاكمّة آنذاك، ولم يتطرّق إلى حادثة سواها، فكان نظمته نابعاً من تجربة شخصيّة عاشها وعانها، غير مهتمّ بالتوثيق والتأريخ كالشاعر الفرج. وثمة بعض الحالات الفرديّة لشعراء تعرّضوا للخلافات العربيّة، وذلك في ثانيا نداءاتهم المتكرّرة للعرب لتحقيق الوحدة ولمّ الشمل، فسوّروا حالة التفرّق والتشرذم التي عاناها أبناء شبه الجزيرة العربيّة قبل استقرار الحكم لآل سعود.

وفي كلّ ما سبق، لم نتعرّض لما نظمته الشعراء الكويتيّون خارج إطار الوطن العربيّ، ولهذا ستقتصر الدراسة في الفصل الثالث على نتاج الشعراء الكويتيّين الذين استطاعوا الخروج من البوتقة العربيّة، والانطلاق إلى الآفاق العالميّة، ليقفوا على أبرز القضايا السياسيّة في الغرب، ويتناولوا الأحداث الحربيّة الدامية بين الدول الغربيّة، ويفضحوا الأساليب السياسيّة الماكرة التي تتّبعها بعض دول الغرب للوصول إلى غاياتها الاستعماريّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ أعتى أنواع النزاع السياسيّ العسكريّ وصراع تقاسم الدول وإعادة تشكيل الإمبراطوريّات العظمى، كان في النصف الأوّل من القرن العشرين، فتناول أحداثها عدد من الشعراء الكويتيّين المعاصرين لها، وهذا ما سنقف عنده الآن بالتفصيل.

الفصل الثالث

القضايا السياسية العالمية في الشعر العربي في الكويت

استطاع كثير من الشعراء العرب نقل الهم العربي والقضايا السياسية العربية إلى شعوب العالم ومشاركتهم إيّاها، حين انتقلوا بلغة القصيدة العربية إلى العالمية، فترجموا الكثير من أعمالهم الشعرية إلى لغات العالم الرئيسة؛ كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والهندية والروسية. تمّ ذلك في سبيل شدّ أواصر اللحمة الحوارية الثقافية بين دول العالم والعالم العربي، وإنشاء جسور ثقافية بالشعر والأدب، للتواصل مع الآخر الغربي. وإذا لم تُسَعِف الحضارة رواد الشعر في الكويت للانتقال بنصوصهم إلى اللغة العالمية آنذاك، فقد أضعفتهم المضامين والأغراض السياسية لتحقيق هذه الغاية، وإن كانت على مستوى المتلقي العربي فقط، كما أنها أظهرت مدى الوعي العربي إزاء القضايا السياسية الجوهرية في العالم آنذاك.

وقد أسهم وعي هؤلاء الشعراء في نشر الوعي السياسي في المجتمع الكويتي، من خلال إطلاع جمهور المتلقين على حقيقة ما يجري في أنحاء العالم من صراعات سياسية؛ وتأثير هذه الصراعات في العالم العربي، وتأثيرها به أيضاً. وقد وُفّق الشعراء في هذه الخطوة الإعلامية، حين ركّز قسمٌ منهم على ما تضمّنته القضايا العالمية من مظاهر ومفاهيم تحريرية تجسّد الهم الإنساني المشترك بين شعوب العالم أجمع، بينما بنى قسمٌ آخر مواقفهم إزاء هذه القضايا بحسب علاقة البلد صاحب القضية بالمؤامرات التي تُحاك معاداة للبلاد العربية.

إنّ خروج الشاعر من حدود الجغرافيا العربية، واعتناؤه بالقضايا الإنسانية أينما وجدت، وعدم اقتصره على الواقع السياسي العربي، يرتقي بشعره إلى

الإنسانية فضلاً عن العالمية، ليكون -عند المقارنة بالآداب العالمية- أدباً عالمياً. وعالمية الشعر تتحقق حين يتجاوز الشاعر به حدود الإقليمية، ويتخطى عنصريّة التحيز إلى العرق أو الدين، ويخرج به من دائرته الضيقة. وإنّ ما يحدث بين الآداب من تقارب ثقافيّ، رؤية وأداءً، يكون بدافع من تبادل التأثير والتأثر اللذين يعتبران دليلاً نشاط وحيويّة، وابتكار وانفتاح؛ إذ يفتح الطريق أمام الشعراء والمتلقين لمعيشة تجارب جديدة، بروية متطورة وتصور واعٍ.

وليس معنى العالمية والتفوق أن ينفصل العمل الأدبي عن خصائص بيئته، ويسمو فوق مشاكلها، ويحلّق بعيداً عن آفاقها، بل أن يكون متّصلاً بهذه البيئة ومرتبّطاً بقضاياها، حتّى في أثناء تناوله قضايا أجنبيّة. وبذلك تكون قضايا بيئة الشاعر هي الأساس لتحديد موقفه من القضايا العالمية، وتجبره على تناول قضية ما بإيجابية وإنسانية، وأخرى بسلبية وعدوانية.

وفي بداية القرن العشرين، كان الشعر يشكّل جزءاً من الإعلام الحيّ للمتلقين المثقّفين من العرب، ينقلُ ناظمه الأحداث العالمية ويحيط بها، ثمّ يليقها أمام جماهير المستمعين في المناسبات الوطنية والدينيّة، والاحتفالات العامّة والخاصّة، أو ينشرها في المجلّات العربيّة التي كانت تلاقي إقبالاً كبيراً من القراء آنذاك؛ لقلّتها، وجدّيّة مواضيعها الهادفة. وعلى الرغم من المقالات السياسيّة التحليليّة المصوّرة للأحوال السياسيّة في العالم آنذاك، يظلُّ للشعر وقع خاصّ في الأذن العربيّة، ومن هنا تميّز الشعراء في تناولهم للأحداث؛ فمنهم من كتب تعبيراً عن رأيه الشخصي، ومنهم من كتب لإلقاء الضوء على قضايا عالميّة بشكل موضوعيّ تجريديّ.

ستضمّ الدراسة أبرز القضايا السياسيّة العالميّة التي نظم فيها الشعراء الكويتيّون؛ بدءاً من الحرب العالميّة الثانية ووقّعها في النفس العربيّة، وتباين مواقف الشعراء إزاءها، فكان منهم المعارضون لجريمة الحرب المنهجية أينما وجدت، وكان منهم المؤيّدون لها، بل إنّنا نجد قسماً متشقّياً من الغرب بما حدث فيه من اقتتال

وتصارع بين القوى العظمى في العالم. ومن ثمّ سنعرض مواقف بعض الشعراء من السياسة الغربيّة في تلك الفترة، كموقف خالد الفرّج من الولايات المتّحدة الأمريكيّة. ثمّ تناول آراء بعض الشعراء الكويتيّين في أهمّ المؤسّسات السياسيّة الدوليّة؛ كمجلس الأمن، ومنظمة حقوق الإنسان، وهيئة الأمم المتّحدة، وسواها. هذا فضلاً عن مواقفهم من أبرز الأحزاب السياسيّة العالميّة آنذاك، ومناصرتهم لقضايا التحرّر أينما وجدت. ويحيلنا هذا إلى استعراض أحداث الثورة الإندونيسيّة على المحتلّ الهولنديّ، كما صوّرها الشاعر الأيوبيّ.

تكرار أسماء أبرز الشخصيّات السياسيّة العالميّة ذات القرار المؤثّر في قضايا النزاع، وأسماء عدد من الدول الأجنبيّة، والمدن والجزر وأبرز الأماكن ذات الدلالة التاريخيّة أو الحربيّة، وسَمَ شعر هذه المرحلة، فكان من المناسب أن تتّم دراستها، والوقوف على دور الشاعر الكويتيّ في توظيفها بحسب ما يقتضيه غرضه. ويمكننا البدء بالحرب العالميّة الثانية في عيون الشعراء الكويتيّين.

أولاً: الحرب العالميّة الثانية في عيون الشعراء الكويتيّين

هي النزاع المسلّح الذي عصّف بالعالم بين عامي (١٩٣٩-١٩٤٥م)، حين انقسمت معظم دوله معسكرين: الحلفاء، والمحور. «ولقد نشبت الحرب لعدّة أسباب أبرزها صعود الفاشيّة في ألمانيا وإيطاليا وغيرها، وأدّت عند انتهائها إلى تبدّلات جذريّة في أنحاء مختلفة من العالم»^(١). تُعدّ هذه الحرب مفصلاً مهمّاً في مسار التاريخ، وما زال العالم يستذكر آثارها إلى يومنا هذا.

لعلّ من المنصف البدء بدراستها من وجهة نظر الشعراء الكويتيّين، وكيفيّة تناولهم لها بعموميّتها أو بتفاصيلها، وإظهار مواقفهم الشخصيّة إزاءها، سواء أكانوا مؤيدين دول الحلفاء، أم مؤيدين دول المحور، أم مؤيدين الطرف الأضعف في الحرب، كما هي حال العاطفة الإنسانيّة الرّؤوم. كلّ ذلك سيّتضح في نماذج شعريّة لشعراء معاصرين لهذه الحرب، كخالد الفرّج، وصقر الشبيب، وفهد العسكر،

(١) عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج٢، ص ٢٠١.

ومحمود الأيوبي، وبذلك نستطيع دراسة التوجُّه السياسي لكلٍّ منهم، ونتطرَّق أحياناً إلى المقارنة بين آرائهم في أطراف النزاع.

أ - الحرب العالمية الثانية في شعر خالد الفرج

يستوقفنا النموذج الأوَّل للشاعر الفرج الذي خاطب فيه القائد العسكريَّ الأمريكيَّ «ماك آرثر»^(١)، ينتقد سياسته الاستعماريَّة في المشرق العربيَّ، ويرى أنَّ العدائيَّة والهمجيَّة اللتين كابدهُما الشرق تحت وطأة انتدابه الاستعماريَّ، هما حقدٌ دفينٌ في نفس «ماك آرثر» منذ هزيمته في معركة «باتان»^(٢)، ليشأّر لهذه

(١) دوجلاس ماك آرثر Douglas.Mac.Arthur (١٨٨٠ - ١٩٦٤) قائد عسكريٍّ أمريكيٍّ، تخرَّج في الأكاديميَّة العسكريَّة في نيويورك عام ١٩٠٣، وانضمَّ إلى هيئة الأركان العامَّة التابعة لإدارة الحرب في واشنطن عام ١٩١٣. عمل مستشاراً عسكرياً للكونولت في الفلبين بين عامي ١٩٣٥ - ١٩٤١. أصبح مديراً للأكاديميَّة العسكريَّة في وست بوينت عام ١٩١٩، ثمَّ عُيِّن رئيساً لهيئة الأركان في الجيش الأمريكيَّ عام ١٩٣٠. أصبح رئيس أركان جيش الولايات المتَّحدة عام ١٩٣٠. عُيِّن قائداً للقوَّات الأمريكيَّة في الشرق الأقصى عام ١٩٤١. قاد قوَّات الدفاع عن الفلبين، وقاد الحرب البحريَّة على اليابان، وحقق انتصارات كبيرة. وبعد ضرب اليابان بالقنابل النوويَّة في أغسطس ١٩٤٥ واستسلامها، عُيِّن حاكماً عسكرياً لليابان ١٩٤٥ - ١٩٥١، ثمَّ لعب دوراً بارزاً في الحرب الكوريَّة ١٩٥١. وتوفيَّ عام ١٩٦٤. شُيِّد له نصب تذكاريٌّ، ومتحف يُعرض فيه تاريخه العسكريُّ. اشتهر بمقولته: «في الحرب لا بديل من النصر»، وكان واحداً من خمسة أشخاص فقط في التاريخ الأمريكيَّ ممَّن رُفِّعوا إلى مرتبة جنرال جيش. انظر: الموسوعة العربيَّة الإلكترونيَّة.

(٢) باتان Bataan Peninsula: «تبرز شبه جزيرة باتان في الفلبين على شكل نتوء في خليج (مانيل) على الساحل الجنوبيِّ الغربيِّ لجزيرة (لوزون) أكبر جزر الفلبين. وقد صمدت القوَّات الأمريكيَّة والفلبينيَّة فوق شبه جزيرة (باتان) أكثر من ثلاثة أشهر في مواجهة القوَّات اليابانيَّة المتقدِّمة، إبَّان الحرب العالميَّة الثانية. وفي أواخر شهر ديسمبر عام ١٩٤١، تمكَّن الجنرال (دوجلاس ماك آرثر) من الانسحاب بقوَّاته المشتتة إلى داخل هذه المنطقة الجبلية. وبعد أن استقرَّت القوَّات الأمريكيَّة والفلبينيَّة في شبه الجزيرة، وجد الجنود القوَّات اليابانيَّة تحاصرهم، بحيث لا يمكن أن تصل أيُّ مساعدة. وحينما تمكنت القوَّات اليابانيَّة من اختراق خطوطهم انسحب الأمريكيُّون والفلبينيُّون إلى أقصى طرف شبه جزيرة باتان. وطلب إلى (ماك آرثر) أن يسافر إلى أستراليا، وحلَّ محله في القيادة (جوناثان م. وانرايت). تولَّى قيادة القوَّات الأمريكيَّة والفلبينيَّة في شبه جزيرة باتان (إدوارد ب. كنج)، واستسلم (كنج) لليابانيِّين في التاسع من إبريل ١٩٤٢، وأسر اليابانيُّون حوالي خمسة وسبعين ألف أمريكيٍّ وفلبينيٍّ. وفرَّ بعض الجنود إلى قلعة (كورييجدور) في خليج (مانيل). وصمد المدافعون في (كورييجدور) أمام اليابانيِّين حتَّى السادس من مايو ١٩٤٢. وفي عام ١٩٥٤ أصدر رئيس جمهوريَّة الفلبين (رامون ماجسيسي) أمراً بأن تكون المناطق التي دارت فيها المعارك في (باتان) و(كورييجدور) مزاراً مقدَّساً». انظر: كلمات دار المعرفة.

الخسارة التي أنزلت من قدره أمام المسؤولين الأمريكيين، قال الفرّج:
 قَسَوْتُ عَلَى الشُّرْقِ يَا (أَرْثُرُ)
 بِحَقِّدِ الْجَبَانَ الَّذِي يَثْأُرُ
 فَهَلْ أَثْبَتْتُ وَلَكِنْ فَارَزْتُ
 (بِبَاتَانِ) وَالْهَوْلُ مُسْتَشْزِرُ
 فَارَزْتُ عَلَى زُورْقٍ مُسْرِعٍ
 يَمُرُّ بِهِ الْمَوْجُ، مَا يَشْعُرُ^(١)

يحمل الخطاب صفة الخصوصية، ويقترب من كونه رسالة شخصية يرسلها الفرّج إلى ماك آرثر، بيد أن المضامين اتخذت صفة العموم، وكأن ماك آرثر هو شخص الغرب، بينما الشاعر صوّت الوطن العربي الجريح. ويهزأ من جرأة ماك آرثر على الشرق في حين أنه دُحر أمام قوّات الفلبين إثر هزيمة نكراء تعرّض لها هو وجيشه، فيتعرّض الفرّج لتفاصيل الخسارة ببيت واحد، حين يصوّر عملية فرار ماك آرثر من شبه جزيرة باتان، على متن زورق راح قائده يشقّ عباب المحيط جُبناً ورهبةً من أهوال المعركة، وكأن الشاعر ينقل بالتفصيل ما رأت عيناه.

يُلاحظ استعمال الشاعر المفردة «مُسْتَشْزِرُ» للدلالة على ضراوة المعركة، و«الشَّرْرُ: الشَّدَّةُ والصُّعُوبَةُ فِي الْأَمْرِ، وَتَشَرَّرَ الرَّجُلُ: تَهَيَّأَ لِلْقِتَالِ»^(٢). هذه المفردة المغرقة في الثقل والغرابة تتوافق مع السياق العامّ للمضمون المستهجن والمثقل بالوحشية والدّمار. ولعلّ ما يسرده الشاعر بعد ذلك من تذكير لماك آرثر بالمجازر التي ارتكبها في اليابان -حين لجأت الولايات المتحدة الأمريكيّة إلى الأسلحة

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، م ٨، ص ٧٣. [مادة شَرَّرَ].

المحرّمة دولياً، فألقت قنبلتين ذريّتين على مدينتي «هيروشيما»^(١) و«ناغازاكي»^(٢)، قضتا على معظم الحياة فيهما- تأكيدُ الدلالة التي حملتها هذه المفردة، إذ يقول:

وَلَمَّا رَمِيَتْ عَلَى الْأَمْنِيْنَ
قَنَابِلَ ذَرِّيَّةٍ تَسْعُرُ
مَيَّاتُ الْأُلُوفِ مِنَ الْأَمْنَاتِ
وَأَطْفَالُهُنَّ بِهَا دُمُورُوا
قَتَلَتِ الصَّغِيرَ وَسُمَّتِ الْكَبِيرَ
هَوَانًا بِهِ أَنْتُمْ أَجْدَرُ^(٣)

يلقي الفرّج بالمسؤوليّة على ماك آرثر، بصفته القائد الأعلى لقوّات التحالف في الحرب العالميّة الثانية، وصاحب القرار في استعمال هذا السلاح الفتاك لإخضاع اليابان، وتلافي الهزيمة التي كادت أن تلحق بالولايات المتّحدة. ويُعتبر مصطلح «القنبلة الذريّة» مصطلحاً حديثاً في العلوم العسكريّة في زمن القصيدة،

(١) هيروشيما، مدينة وميناء في اليابان، تقع في الطرف الجنوبيّ لهونشو كبرى الجزر اليابانيّة، تطلُّ على خليج داخليّ بالقرب من أحد الأنهار الصغيرة، إطلالاً جعلها مرفأً طبيعياً. يُطلق الاسم على المقاطعة التي بها المدينة. كانت حتّى الحرب العالميّة الثانية من المراكز الاقتصادية المهمّة، وشمل نشاطها عدّة صناعات تقليديّة وحديثة. برز اسم هيروشيما في السادس من أغسطس ١٩٤٥م قبيل نهاية الحرب العالميّة الثانية؛ إذ كانت هدف أول قنبلة ذريّة في التاريخ، ألقتها طائرة أمريكيّة حربيّة من طراز (سوبر فورترس)، كانت تطير على ارتفاع كبير بواسطة مظلة على قلب المدينة، فشمل التدمير أكثر من نصفها، وأصبحت المناطق المحيطة بها بأضرار جسيمة. وقُدِّر عدد ضحايا قنبلة هيروشيما كما يلي: (٧٨،١٥٠) بثمانية وسبعين ألفاً ومئة وخمسين قتيلاً، و(٣٧،٤٢٥) سبعة وثلاثين ألفاً وأربعمئة وخمسة وعشرين مصاباً، و(١٣،٠٠٠) ثلاثة عشر ألف مفقود، وأضيفت إلى هذه الأرقام الوفيات التي حدثت نتيجة للإشعاع الذريّ بعد ذلك. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٧، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) ناغازاكي: مدينة تقع على الساحل الجنوبيّ الغربيّ لجزيرة كيوشو اليابانيّة، عاصمة محافظة ناغازاكي وأكبر مدنها. كانت ضحيّة القنبلة الذريّة الثانية من الولايات المتّحدة الأمريكيّة في التاسع من أغسطس ١٩٤٥م، وذلك بعد أيّام من إلقاء القنبلة الأولى على هيروشيما. سبّبت حالة الدمار الشامل التي أصابت المدينتين، والخسائر الماديّة والبشريّة الفادحة، إجبار اليابان على قبول شروط الحلفاء، وإعلان الاستسلام في الحرب. وتجدر الإشارة إلى أنّ القنبلة الذريّة على هيروشيما كانت من اليورانيوم، بينما كانت القنبلة الذريّة على ناغازاكي من نظائر اليورانيوم، لذلك كانت أقلّ ضرراً من سابقتها. انظر: ويكيبيديا.

(٣) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٦.

بُعِيد الحرب العالميّة الثانية، واستعماله دليل على نموّ الوعي السياسيّ للشاعر
الفرج آنذاك.

وهو يلجأ أيضاً إلى الناحية الإنسانيّة في تصويره للخسائر التي تكبّدها
اليابان جرّاء الهجمة الذريّة، فيلقي الضوء على الأعداد الهائلة للقتلى المدنيين،
مركّزاً على النساء والأطفال؛ إذ إنّ للحرب قواعد وقوانين كما للسّلم، وضرب
الأمنين نساءً أو أطفالاً أو شيوخاً يقلب الانتصارَ خسارةً أمام الرأي الدوليّ العامّ.
وفي ذلك يقول:

فَصِرْتُ صَغِيرًا بِمَا قَدْ عَمِلْتُ
وَحَضُمْتُكَ فِي نُبُلِهِ أَكْبَرُ
أَرَاكَ عَدُوَّكَ نُبُلَ الْقِتَالِ
وَنُبُلَ الْهَزِيمَةِ لَا يُنْكَرُ^(١)

يبدو أنّ موقف الفرّج من أطراف النزاع في الحرب العالميّة الثانية بدأ
يتّضح شيئاً فشيئاً؛ فانتقاده الشديد لاستعمال هذا السلاح المحرّم لا يخرج من
نطاق الإنسانيّة، إذ يتناول قضية شعب لا يربط بينه وبين الشاعر إلاّ الإنسانيّة.
ولعلّ القواسم المشتركة بين الطرفين تبدو معدومة من وجهة نظر أولى، إلاّ
أنّ هذا الاحتمال يبقى رهين النماذج الشعريّة التي يضعها الفرّج بين أيدينا،
لنستطيع من خلالها الحكم على توجّه الشاعر وميوله، وسبب نصرته للشعب
اليابانيّ المستسلم للهزيمة.

حجم الدمار في اليابان، ودخول العالم مرحلة جديدة من التسليح، أثارا
مشاعر الفرّج؛ فطبيعة الحرب بين الدول العظمى لا تخلو من القتل والدمار
والمجازر وأشباهاها، لكنّ هذه المجزرة قد تعدّتها، وتخطّت الولايات المتّحدة بها أبرز

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٦..

مجرمي الحروب في العالم، من الإمبراطور الروماني نيرون^(١) قديماً إلى الأحدث منه مثل بِنِيْتُو مُوسْلِينِي^(٢) وأدولف هتلر:

فَظَائِعُ نَيْرُونُ لَمْ يَأْتِهَا

وَلَا مُوسْلِينِي وَلَا هِتلَرُ^(٣)

والنتيجة التي سيحصدها ماك آرثر والولايات المتحدة الأمريكية من هذا الفعل، سوى بذر النعمة عليهما في نفوس الأجيال القادمة التي ستتذكر على الدوام هذه الجريمة في حق الإنسانية، فيقول:

زَرَعْتَ لِقَوْمِكَ بُغْضَ الْقُرُونِ

يُورِثُهُ الْأَصْغَرُ الْأَكْبَرُ^(٤)

تترجّح قصائد الفرّج بين النظم العلميّ (الموضوعيّ) والشعر؛ فإن طغى توثيقه وتأريخه للأحداث ونقلها كما وقعت بعيداً عن التصوير الفنيّ والإبداعيّ، فذلك يجعل قصائده أقرب إلى النظم التاريخيّ ممّا إلى الشعر. بينما تناوله للواقع الإنسانيّ، واتّساعه في الأغراض والمضامين ليصل إلى العالميّة، يجعلان قصائده

(١) نيرون Neron (٣٧-٦٨ م) إمبراطور روما في الفترة (٥٤-٦٨ م)، اتّبع في بداية حكمه نصائح معلمه الفيلسوف الرواقيّ الشهير Seneca، ثمّ طغى، فأجبر معلمه على الانتحار بقطع أحد شرايينه، وقتل أمّه، وقتل زوجته أوكتافيا، وأحرق روما، واتّهم المسيحيّين بحرقها، وفي النهاية انتحر. انظر: إمام عبدالفتاح إمام، الطاغية: دراسة فلسفيّة لصور من الاستبداد السياسيّ، ط١، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٧٨، ص ١٠٦.

(٢) بِنِيْتُو أندريا موسليني Benito. Andrea. Mussolini (١٨٨٣-١٩٤٥) مؤسس الحركة الفاشيّة ورئيس وزراء إيطاليا في الفترة (١٩٢٢-١٩٤٥). ينتمي إلى أب اشتراكيّ من الطبقة العاملة. نادى بالانحياز إلى الحلفاء في أثناء الحرب العالميّة الأولى، لكي تأخذ إيطاليا مكانها بين الدول العظمى آنذاك. اتّبع سياسة خارجيّة ذكيّة، تحوّلت إلى سياسة استعماريّة توسعيّة في أثناء الثلاثينيّات سبّبت له المتاعب، كحملة الحبشة، وتأييده لفرانكو في الحرب الأهليّة الإسبانيّة، ومحالفته لهتلر في الحرب العالميّة الثانية التي لم يدخلها إلّا بعد هزيمة فرنسا، فجعل النصر الألمانيّ حتميّاً. وفي عام ١٩٤٥ م قبضت عليه المقاومة الشعبيّة الإيطاليّة وأعدمته. انظر: عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٦، ص ٤٧٠.

(٣) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٦.

(٤) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٦.

في قلب الشعر. ومن خلال هذا النموذج الشعري، والذي يليه، يمكننا تصنيف شعره نظماً تاريخياً، وشعرًا إنسانياً.

على سبيل المثال، عندما يتناول الفرّج القوّة التدميريّة العالية للقنابل الذريّة، يبرز اهتمامه بتصوير الشكل الخارجيّ لآليّة انفجارها، فيعرض هذا المنظر المفزع، مستفثًا بالغيمة التي تنبعث من مكان انفجارها، وتسمى «غيمة الفطر»^(١)، والقاعدة التدميريّة التي تخلفها لمساحات شاسعة على الأرض، فيقول:

وَعَمَامَةٌ ذَرِيَّةٌ
قَلَبَتْ مِنَ الْأَرْضِ الْأَدِيمَا
تَرَكَتْ مَدَائِنَ عَامِرًا
تِ فِي أَهَالِيهَا هَشِيمًا
لَمْ تُبْقِ لَا طِفْلًا وَلَا
أُمًّا وَلَا شَيْخًا عَمِيمًا
وَيُلُ الْوُحُوشِ الْقَازِفِي
نَ بِهَا الصَّبَايَا وَالْحَرِيمَا^(٢)

رغم اللغة البسيطة الواضحة التي ينظم بها الشاعر هذا الحدث العظيم، تتطلّب منه طبيعة الفئة المتلقية إيصال الفكرة بأبسط ما يمكن من ألفاظ، وبأسهل ما يستطيع من تراكيب. إنّ ولعه بالتاريخ وتدوينه يجبرانه على اعتماد هذا الأسلوب من النظم؛ فقصائده هادفةٌ وذات أبعاد سياسيّة سامية، يرمي بها إلى

(١) مصطلح يطلق على السحابة النوويّة التي تتشكّل لحظة الانفجار، والتي ترتفع إلى طبقات الجوّ العليا بسرعة لا تقلّ عن درجة حرارتها التي تصل حدّ الانصهار.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٥٧.

تنقيف المجتمع الكويتي بالثقافة السياسية العالمية. فالشاعر يجمع في هذا المقطع الأحوال التي خلقتها القنبلة الذرية في البنتين: التحتية والسكانية، مركزاً كذلك على الناحية الإنسانية المستثيرة للعواطف، والتي تعتبر من أفظع الجرائم وأبشعها في التاريخ البشري، بقتل النساء والأطفال والشيخو الأمنين.

ويزداد موقف الشاعر الفرج المنحاز إلى اليابانيين وضوحاً، من حزنه على الدمار في بلدهم، فيتقدم بالعزاء من اليابانيين، ويستذكر نصرهم على الروس في موقعة «توشима»^(١)، وهو بذلك يواسيهم ويشد من أزهرهم، ويحاول أن يحيي العزيمة في نفوسهم، بأن الحرب سجال، وأن خسارتهم في الحرب العالمية لم تكن عن ضعفٍ منهم، بل إنهم كانوا أجدر بالنصر من الجيش الأمريكي، لولا استعمال الأخير للأسلحة المحرمة دولياً، فيقول:

يَا يَوْمَ تَوْشِيمَا عَزَا
ءٌ مِنْ رَزَايَا هِيرُوشِيمَا
تَاللهِ! لَوْلَاهَا لَأَضُ
بَحْ نَصْرُكُمْ نَصْرًا عَظِيمًا
حَطْمْتُمْ وَأُسْطُولُهُ
وَسَفِينُهُ صَارَتْ حَطِيمًا
وَعَدْتُ أَبَابِيلَ الْوَعَى
تَنْقُضُ فَوْقَهُمْ رُجُومًا^(٢)

ويشير إلى نقطة مهمة في هذه الأبيات؛ فرقة «الكاميكاز» اليابانية الانتحارية؛ وفيها كان الطيارون اليابانيون يَصْدُمون سفن الحلفاء عمداً بطائراتهم المحملة

(١) توشيشيما: الموقعة البحرية التي حطم اليابان فيها الأسطول الروسي عام ١٩٠٤، وبها انتصروا انتصارهم العظيم. انظر: خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٥٧.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٥٧.

بالمُتفجّرات، فيُدْمَرُونَ وَيُعْطِبُونَ العشرات من السُّفن الحربيّة الأمريكيّة. ويشبّهم الشاعر بطيور الأبايل التي أُرسلت لحماية الكعبة بأمر إلهيٍّ، حين حاول أبرهة الحبشيّ غزوها وتدميرها، وفي ذلك تضمين للمعنى من النصّ القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^(١).

ويستمرُّ الشاعر في موساة اليابانيّين، ويبشّرهم بالنصر ولو بعد حين، مشيداً بنزاهتهم في الحرب، وحكمتهم في التسليم، وأنّ الدمار والخسائر لن تزيدهم إلّا إصراراً على النصر، ويتملّكهم للعلم والحضارة لا خوف عليهم، إذ سيشيدون ما أرمسته الحرب، ويعودون مجدداً دولة لها شأنها ومكانتها في العالم، لأنّ السلاح الأساسيّ يكمن في العلوم، فقال:

صَبْرًا فَإِنَّ الدُّهْرَ هَـ
 إِذَا لِأَعَادِي لَنْ يَدُومَا
 أَبْدَيْتُمْ وَحَرْبًا كَرِيْـ
 مًا ثُمَّ تَسْلِيْمًا كَرِيْمًا
 وَالرُّوْحَ بَاقِيَةً وَإِنْ
 هُمْ أَتَلَفُوا هَٰذِي الْجُسُومَا
 لَنْ يُنْقِصُوا مِنْ أُمَّةٍ
 عَلِيَاءَ تَخْتَرْنَ الْعُلُومَا^(٢)

على الرغم من الإنسانيّة التي تغلّف النماذجين السابقين للشاعر في تناوله للحرب العالميّة الثانية، وموقفه الواضح مع اليابانيّين من أعدائهم الحلفاء، وبخاصّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، لم يتطرّق إلى الأسباب المباشرة التي دعت به إلى اتّخاذ

(١) سورة الفيل، ١٠٥/٥.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٥٨.

هذا الموقف عدا الأسباب الإنسانية، كما لم يحدّد موقفه العامّ، أي مع دول المحور، معادية دول الحلفاء، بل قصّره على اليابان وأمريكا؛ وتخريج ذلك هو أنّ الأولى هي المتضرّر الأكبر، والثانية هي صاحبة الضربة الذريّة القاضية.

لم يأت الشاعر على ذكر القائد الألمانيّ «أدولف هتلر» صراحةً إلّا في معرض قياس الإجرام الأمريكيّ إلى المجرمين العالميّين، حين عدّ هتلر منهم. إلّا أنّ ما يثير الدهشة، ويوضّح أسباب وقوف الفرّج إلى جانب اليابان بخاصّة ودول المحور بعامة، تلك القصيدة التي نظمها في رثاء هتلر؛ فيقف محلّلاً سياسيّاً، فضلاً عن كونه شاعراً ومؤرّخاً، ليتوجّه إلى هتلر منتقداً خطّته العسكرية في الحرب العالميّة الثانية، والتي اعتبرت، في ما بعد، السبب المباشر لهزيمة ألمانيا النازيّة، وانهيار إمبراطوريّتها. وعلى الرغم من أنّ الشاعر لم يصرح باسم هتلر في متن قصيدته، عَنَوْنَهَا «هتلر»، كما أنّ السّياق التاريخيّ الذي يرويّه، يتوافق مع ما أوردته المصادر التاريخيّة التي وثّقت الحرب العالميّة الثانية، فيقول:

عَلامَ فَتَحَتِ الْجَبْهَتَيْنِ عِنَادًا

وَأَعْدَاكَ كَادُوا يَسْلَسُونَ قِيَادًا^(١)

نبرة العتاب المحبّب بلهجةٍ لا تخلو من الودّ المبطن بين المعاتب والمعاتب، تقترب من الملامة أكثر ممّا إلى النقد. هكذا افتتح الفرّج قصيدته؛ إذ يلوم هتلر على مواجهته لعدوّين في آن واحد، وأنّه كان بمنأى عن هذه المواجهة، وبخاصّة أنّ انتصاراته كانت تتوالى يوماً بعد يوم، وأنّ دلالات التسليم بالانتصارات الألمانيّة قد بدت واقعاً على أرض المعركة، حيث لجأت بعض الدول إلى عقد الهدنة مع دول المحور بعد أن أقرّت بعجزها عن التصديّ. ليس من الحصافة فتح جبهتين في آن

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٥.

واحد، ولعلَّ أعظم سببٍ لهزيمة الألمان في الحرب هو افتتاح جبهة الشرق مع العدو روسيا، فأهلكهم الصقيع، فيما جبهة الغرب مع الأوروبيين مشتعلة.

والشاعر يعزو سبب فتح الجبهتين إلى اضطرابات نفسيّة أصيب بها هتلر بعد نشوة الانتصارات المتتالية على دول الحلفاء، واتّسع رقعة الأراضي المسيطر عليها، كلُّ ذلك نمّى لديه غريزة حبّ التملك، والرغبة في إرضاخ العالم لسلطته النازيّة. يقول:

فَهَلَّا أَذْبَبْتَ الثَّلْجَ مِنْ طَبْعِ مَارِدٍ
تَحَدَاكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَكَأَدَا
هُوَ الثَّلْجُ لَا ثَلْجٌ يَجِيءُ بِهِ الشِّتَا
بِسَيْبِيرِيَا أَوْ فِي لِنَيْنِ غِرَادَا
سَكِرَتْ بِخَمْرِ النُّصْرِ وَالنُّصْرُ مُسْكِرٌ
بِهِ يَفْقِدُ الْمَرْءُ الرِّزِينَ رَشَادَا^(١)

هذه الرغبة الاستحواذيّة التي تسيطر على هتلر، شكّلت بداخله مارداً كان يحكم ويأمر بالنيابة عنه، فالشاعر يجزم أنّ سبب هزيمة القوّات الألمانيّة لم يكن قساوة البرد الروسيّ والثلوج السيبيريّة وحدها، مع أنّها كانت تعيق حركة الجنود الألمان غير المتمرّسين على هذه الأجواء القارسة، بل إنّ الثلج الحقيقيّ كان ذلك الذي يستتر فيه مارد الجشع وجنون العظمة، فأفقد هتلر صوابه وسداد رأيه، وجعله ينجرّف مع التيار الذي أجراه له الحلفاء في خطّة مأكرةٍ لإلحاق الهزيمة به وبقوّاته. ثمّ يقول له:

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٥. [سبيريا: هي الجزء الشرقيّ والشمال الشرقيّ من روسيا. تمتدّ غرباً من جبال الأورال حتّى المحيط الهادي شرقاً، ومن المحيط المتجمّد الشماليّ حتّى حدود كازاخستان ومنغوليا والصين جنوباً، وتمثّل ٧٧٪ من مساحة روسيا. لينينغراد: سانت بطرسبرغ حالياً، مدينة روسيّة تقع في شمال غرب روسيا في دلتا نهر نيفا، شرق خليج فنلندا، في بحر البلطيق. وتعتبر أحد أكبر مراكز أوروبا الثقافيّة. انظر: موقع المعرفة].

لَقَدْ جِئْتُ عَنْ رَأْيٍ لِبِسْمَرْكَ صَائِبٍ
فَخِبتُ، كَمَا غَلِيَوْمٌ^(١) قَبْلَكَ حَادَا
وَمِنْ قَبْلُ نَابِلِيُونٌ قَدْ جَاءَ فَاتِحًا
عَتِيًّا، وَلَكِنْ بِالْهَزِيمَةِ عَادَا^(٢)

يلوم الشاعر هتَلَر على عدم انصياعه لأراء بسمرك، ويشبه موقفه هذا بموقف الإمبراطور الألماني غليوم الثاني، إذ رفض الأخذ بنصائح مستشاره بسمارك، والذي أكد لنا أن غليوم المقصود هو غليوم الثاني، أن فترة حكمه قد شهدت نزاعاً بينه وبين مستشاره السياسي بسمارك، الأمر الذي أدى بالأخير إلى تقديم استقالته من منصبه بناءً على رغبة الإمبراطور^(٣).

(١) فريدريك فيلهلم Friedrich Wilhelm (١٨٥٩ - ١٩٤١م)، لقبه غليوم الثاني Guillaume II، ملكُ بروسيا وآخر أباطرة ألمانيا في الفترة (١٨٨٨ - ١٩١٨م). خَلَفَ أباهُ في الحكم عام ١٨٨٨م، وكان يميل إلى التفرد في الحكم، تفرّداً دفعه لإقالة مستشاره بسمارك من منصبه. وفي عام ١٨٩٠م، اتّبع سياسةً اتّسمت بالتوسّع التجاري والاستعماري، وحقق تقدُّماً صناعياً واقتصادياً أقلق بريطانيا. وفي عام ١٨٩٨م، عمل على تعزيز الأسطول الألماني، وتقوية الجيش، واتّبع سياسة تسليح واسعة، استعداداً لدخول مواجهة مع الدول الاستعماريّة الأخرى، وقد أدّت سياسته هذه إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى. بدأ يتخلّى عن كثير من صلاحيّاته للعسكريّين، وبحلول عام ١٩١٦م أصبحت سُلطاته رمزيّة، وفي عام ١٩١٨م هُزمت ألمانيا، وطالبَ الحلفاء بعزل غليوم الثاني من منصبه كشرطٍ لإتمام الصلح مع ألمانيا. وفي عام ١٩١٩م غادر غليوم الثاني ألمانيا، ولجأ إلى هولندا التي رفضت تسليمه للحلفاء كمجرم حرب، وأقام فيها حتّى وفاته. كتبَ مذكراته في منفاه بهولندا، وصرف جميع وقته في الكتابة والبحث، ونُشرت هذه المذكرات في أمريكا عام ١٩٢٢م، وترجمت لاحقاً إلى اللغة العربيّة. انظر: الموسوعة العربيّة، م ١٤، ص ١٤. [نسخة إلكترونيّة].

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٥.

(٣) بعد تقلّد غليوم الثاني العرش، بدأت الخلافات السياسيّة بينه وبين المستشار الألمانيّ بسمارك تظهرُ على السطح، حينما حاول الإمبراطور أن يُساعد العمّال الألمان، فرفض بسمارك ذلك، وخطّط لإلغاء مبدأ حقّ الانتخاب العام، وتعديل دستور الرايخ أيضاً، مع المجازفة بنشوب حرب أهليّة. وقد أشار الإمبراطور في مذكراته إلى هذه الفترة بقوله: «كان العمل صعباً، بل شاقاً، مع رجل سياسيّ كبسمارك الذي بلغ من العمر عتياً، وحدث صراعٌ بين مستشارٍ عجوز وإمبراطور شابٍّ، وقُطعت العلاقات بيني وبين المستشار». واتّخذ الإمبراطور الشابّ قراراً بعزل بسمارك الذي قدّم استقالته عام ١٨٩٠م، وقبلها الإمبراطور، وعيّن مكانه الجنرال فون كابريفي Von Caprivi، بعد أن قدّر الخدمات الكبيرة التي قدّمها بسمارك للحكومة الألمانيّة. انظر: الموسوعة العربيّة، ج ١٤، ص ١٤.

إنَّ التحوُّلَ عن مبدأ توازن القوى إلى مبدأ السيطرة الكاملة والحرب الشاملة، كان المفصل الذي هبط بألمانيا من قَمَّةِ النصر إلى هاوية الهزيمة، وبهتلر من قائد له ثقله السياسي والعسكري في العالم إلى متخفٍّ متكرِّرٍ طريدٍ مجهول المكان والمصير. ويقوم هذا المبدأ على أنَّ «نظام العلاقات الدوليَّة مبنيٌّ على أساس أنَّ حفظ السَّلام الدوليَّ يشترط عدم رجحان كَفَّةِ دولةٍ أو تحالفٍ دوليٍّ على كَفَّةِ الدول أو التحالفات الأخرى المقابلة؛ لأنَّ ذلك يُغري بالهيمنة والعدوان، ومن ثَمَّ فإنَّ التوازن في القوى يضمن عدم الإخلال بالوضع الدوليِّ الراهن، وتوزيع النفوذ بالتراضي بين الدول المعنية»^(١).

إلى هذا المبدأ يشير الفرع في استحضاره لرمز ألمانيٍّ لا يقلُّ أهميَّةً عن هتلر في تاريخ ألمانيا، بل إنَّه كان أكثر دهاءً وفطنةً من القادة السياسيين المعاصرين له، وهو «بسمارك» الذي إبَّان سعيه لتوحيد ألمانيا، رأى أنَّ العقبة التي تعترض طريقه هي النمسا، فتطلَّع إلى عزلها دوليًّا، وتقريب روسيا وإيطاليا وبريطانيا وفرنسا بوعودٍ لم تتحقَّق يوماً. وبعد ذلك، ورَّط بسماركُ النمسا في حربٍ قصيرةٍ ساحقة انتهت بانتصاره، لكنَّه لم يستغلَّ انتصاره من أجل الوصول إلى الأراضي النمساويَّة، بل لتتخلَّى النمسا عن نفوذها في ألمانيا، وتعترف بتوحيد دول شمال ألمانيا بقيادة بروسيا.

إذاً، هذا هو المبدأ الذي عبَّر عنه الفرع في قصيدته؛ إذ كان يجب على هتلر الاكتفاء بالتحريض والاستقلال، والحفاظ على توازن القوى بين الدول العظمى، من دون أن يسعى إلى المغامرة بافتعال حروبٍ مع الدول المجاورة، أو غير المجاورة، بغية توسيع ملكه، أو إنشاء إمبراطوريَّته الخاصَّة به. وفي الشرك نفسه الذي وقع فيه هتلر، كان نابليون قد علق به قبلاً؛ «إذ كان طموحه توحيد أوروبا تحت قيادته، وكانت وسيلته الرئيسة في ذلك القوَّة العسكريَّة. وعلى الرغم من عبقرِيَّته المشهورة

(١) عبد الوهَّاب الكيَّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٧٩٧.

في هذا المجال، ذاق الأمرين في احتلال شبه جزيرة إيبيريا ١٨٠٧م، والحملة الروسية ١٨١٢م^(١)، وذلك في سبيل تحقيق حلمه بتأسيس إمبراطورية فرنسية ذات رقعة جغرافية شاسعة، إلا أنه انقلب على عقبيه خائباً، إذ حاد عن المبدأ السياسي والقانون السيادي الذي سار عليه بسمارك.

ولم يكن العامل النفسي السبب الوحيد لخسارة الألمان، لكنه كان الباعث على اتخاذ هتلر القرارات الخاطئة، ومنها:

فَكَارَبْتُ شَعْبًا لِلْقِتَالِ مُمَارِسًا
يَفُوقُ سِوَاهُ عُدَّةً وَعَتَادًا
وَحَالَفْتُ شَعْبًا كَالنَّعَامَةِ قَلْبُهُ
يَطِيرُ فُؤَادًا فِي الْوَعَى فَفُؤَادًا
فَذَاكَ غَدَاً غَلًّا يَعْوُظُكَ قَيْدُهُ
وَهَذَا غَدَاً كَلًّا لِسَيْرِكَ أَذَا^(٢)

يرى الفرع أن أهم عناصر التفوق العسكري تعتمد على قوة الحليف أو ضعفه؛ فحين استغنى هتلر عن الدول القوية، بل جعلها طرفاً في الحرب، حالف في المقابل دولاً لا خبرة لها في الحروب والمعارك، وجيوشها غير متمرسّة بالقتال، على عكس جيوش الحلفاء، المدربة بشكل جيد للخوض في معارك إقليمية. فوقع هتلر بين نارين: أولاهما قوة الحلفاء الذين أصبحوا قيئاً يؤذي الجيش النازي من دون أن يستطيعوا الخلاص منه، وثانيهما ضعف حلفاء هتلر، وعدم تمرّسهم بالبرودة السيبيرية، فأنقلوا كاهله وأجهدوه وعوّقوا مسيره.

(١) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٦، ص ٥٣٨.
(٢) خالد محمد الفرع، ديوان خالد الفرع، ص ١٤٥. [الغل: طوق من حديد أو جلد، يُجعل في عنق الأسير أو المجرم، أو في أيديهما، والجمع: أغلال. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٧٩. أد الشيء حمله: أثقله وأجهد، أو حناه من ثقله. انظر: م، ن، ج ١١، ص ٥].

ويتوافق ما نظمه الشاعر الفرّج مع التاريخ السياسي؛ «فقد شهدت الحرب تحوُّلاً مُهمّاً في الثاني والعشرين من يونيو ١٩٤١م حين بدأ الألمان غزو الاتحاد السوفييتي، مدعومين بقوَّات إيطاليّة وهنغاريّة وسلوفاكيّة وفنلنديّة. ومع ديسمبر ١٩٤١ كان الألمان قد دَمَّروا جانباً مُهمّاً من القوَّات السوفييتيّة، وسيطروا على أرجاء واسعةٍ من القسم الأوروبيّ من الاتحاد السوفييتي. غير أنّ طبيعة الشتاء القاسي أسهمت في تخفيف حِدَّة الاندفاع الألمانيّ، كما نجح هجوم مُعاكسٍ شَنَّه السوفييت في إزالة الخطر عن العاصمة موسكو»^(١).

يتَّضح موقف الشاعر الفرّج من الحرب العالميّة الثانية، بوقوفه إزاء حلف هتلر في مواجهة دول الحلفاء المعادية له. فإن لم يكن الفرّج مؤيِّداً لهتلر محبّةً له وولاءاً، -وهذا احتمال مُستبعد- فهو بالتأكيد نتاجُ قاسمٍ مشتركٍ بين هتلر والعرب، تَمَثَّل في العدوَّ المشترك كفرنسا وبريطانيا وأمريكا، عملاً بالمثل القائل «عدُوّ عدوك صديقك». ويتجلّى حزنُ الشاعر على فقدان هتلر، على الرغم من عتابه عليه، في قوله مودّعاً:

وَدَاعَا فَمَا لِلْيَوْمِ بَعْدَكَ مَوْقِعُ

وَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَفْعَلْ هُنَاكَ سَدَادَا

فَقَدْنَا بِكَ الرُّكْنَ الرُّكْنَيْنِ عَلَى الْعِدَا

وَحَطَّمْتَ أَمَالَنَا وَمُرَادَا^(٢)

هي الآمال بالانتقام من الصهاينة ومن شايعة من الدول الغربيّة، إذ كانت هذه الدول هي العصبة المستعمرة لمعظم الدول العربيّة في تلك الفترة، وكانت هزيمتها - كما يرى الفرّج - ستجثُّ الوجود الاستعماريّ من الوطن العربيّ. ويبدو أنّه تغافل عن فرضية استعمارٍ ألمانيٍّ بدلاً من الأوروبيّ المنهزم، في حال أن تحقّقت تلك الآمال.

(١) عبد الوهَّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٥.

وفي المقابل، هو اليأس من الحكام العرب لعجزهم عن تحرير فلسطين، وقصر يدهم عن محاسبة اليهود، ومن ورائهم أمريكا وحلفاؤها. وغير بعيد عن الشاعر خالد الفرج هذا التصوير للتخاذل العربي إزاء فلسطين؛ إذ إنه كان ذا فكرٍ إصلاحِيٍّ نقديٍّ بعيدٍ عن المحاباة في القضايا العربيّة القوميّة.

إنَّ ربط القضايا العالميّة بالقضايا العربيّة هي السمة الأبرزُ للشعر الذي تناول الأحداث السياسيّة العالميّة، والحرّيّة بخاصّة؛ ونجده عند الشاعر خالد الفرج، إذ يعقد مقارنة بين الأجنبيّ وقوّته العسكريّة وتطوّره العلميّ، والعربيّ بوهنه وجهله وتخلّفه. بل إنَّ الشاعر عقدَ هذه المقارنة بشكل صريح في قصيدته «الغرب والشرق»^(١)، فاستنبت مفرداته العسكريّة من الحروب الأجنبيّة، بدءًا من السيارة والبوارج الحرّيّة والغوّاصات والطائرات، إلى تطوّره العلميّ الذي بدأ بالتّفكير في استطلاع الفضاء الخارجيّ بحثًا عن الحياة هناك، فقال:

يَسْتَجْمِعُ الْغَرْبُ قُوَاهُ لِكَيْ
يَسْتَعْبِدَ الْعَالَمَ فِي صَوْلَتِهِ
فَطَوَّقَ الْأَرْضَ بِقُضْبَانِهِ
وَقَرَّبَ النَّائِي بِسَيَّارَتِهِ
طَبَّقَ سَطْحَ الْبَحْرِ أُسْطُوْلُهُ
وَأَمْتَلَكَ الْقَعْرَ بِغَوَّاصَتِهِ
وَذَلَّلَ الرِّيْحَ بِطَيَّارَةٍ
وَأَسْتَنْزَلَ الْأَعْصَمَ مِنْ قُنَّتِهِ
وَعَاصَ فِي الْعِلْمِ وَأَسْرَارِهِ
فَاسْتَخْرَجَ الْمَكْنُونِ مِنْ عِلَّتِهِ

(١) أُلْقِيَتْ فِي حَفْلَةِ النَادِي الْأَدَبِيِّ فِي الْكُوَيْتِ احْتِفَاءً بِالشَّاعِرِ سَنَةِ ١٩٢٧.

وَلَمْ تَفِ الْأَرْضُ بِأَطْمَاعِهِ

حَتَّى غَرَا الْأَفْلَاكُ فِي فِكْرَتِهِ^(١)

وهو يقارن كل هذا العتاد المتطور بحال العرب المبكي، وأنى لهم النصر على

الغرب وهم يرتعون في الجهل، والغرب ينعم في العلوم؟ فقال:

أَيَّنَ يَفِرُّ الشَّرْقُ مِنْ بَطْشِهِ؟

وَكَيْفَ يُنْجِي النَّفْسَ مِنْ رَبَقَتِهِ؟

لَا الْجَوُّ يُنْجِيهِ وَأَنْبَى لَهُ

وَهُوَ بَطِيءُ السَّيْرِ فِي مَشِيَّتِهِ^(٢)

يركّز الشاعر على ضرورة اتّخاذ العلوم الحديثة وسيلة للنصر والرفعة

والارتقاء، ويعزو الضعف العربيّ إلى عدم الاهتمام بالعلوم التي ارتقى بها الغرب،

إذ مكّنته من امتلاك أسباب القوّة والسرعة والحدّاث. ولم يكن الفرج وحيداً في

عقد المقارنة بين الشرق والغرب، ولا الوحيد الذي تعرّض لأحداث الحرب العالميّة

الثانية، بيد أنّه كان الأغزر نتائجاً وتناولاً في هذا الجانب.

ب - الحرب العالميّة الثانية في شعر صقر الشبيب

تستوقفنا قصيدة الشاعر صقر الشبيب في أحداث الحرب، يشير في

مطلعها إلى أنّه نظمها بعد انتهاء الحرب، إذ يقول:

أَسِئَّةَ أَعْوَامٍ تَدُومِينَ يَا حَرْبُ

وَأَكْلُكَ أَجْسَادُ الْبَرِيَّةِ وَالشَّرْبُ؟^(٣)

يبدأ المطلع بانتهاء الأعوام الستّة التي استغرقتها الحرب بين دول الحلفاء

ودول المحور. ومن البيت الأوّل للقصيدة تأسرنا الصورة الفنيّة في وصف الحرب:

(١) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٦.

(٢) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٦.

(٣) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٢.

فلم يكن الشبيب مؤرخاً سياسياً كما كان الفرّج، لكنّه كان شاعراً اجتماعيّ الأغراض، بيدَ أنّ بعض نماذجه الشعريّة تشير إلى ثقافة سياسيّة امتلك منها الكثير، ولعلّ كفّ بصره، وعزلته جرّاء ذلك، كانا السبب الرئيس لنموّ ثقافته في كثير من المجالات. فالشبيب عاشَ وحيداً أعزّب في بيته، ولهذا كان جلُّ اهتمامه منصباً على مطالعة الأدب ومتابعة الأخبار السياسيّة. في هذا قال أحمد البشر الرومي: «فإذا فتحَ الراديو على غير الإذاعة العراقيّة، فإنّه يبحث عن حديثٍ أدبيٍّ أو أخبار فقط»^(١).

وتشير بعض نماذجه إلى هذه الثقافة السياسيّة، مع أنّها كانت على درجة أدنى من ثقافة الشاعر خالد الفرّج لعدّة أسباب: أوّلها أنّه شاعر كفيف البصر، لا تسعفه حواسّه على السفر والترحال والتنقّل، ولا على القراءة والمتابعة، بيدَ أنّه كان متابعاً للأحداث ممّا يسمعه في الإذاعة. والثاني عنايته بالشعر والأدب أكثر من عنايته بالتاريخ والسياسة، إذ إنّّه كان يحفظ أكثر من ثلاثين ألف بيت شعر، وله عنايةٌ بمتابعة كلّ مؤلّفٍ أدبيٍّ جديد.

وتتّضح شاعريّة الشبيب منذ البداية، حين يشبّه الحرب بالأكل النّهم الذي يتغذّى على الأجساد، ويشرب الدماء بلا ارتواء، وهذا ما يجعل الفارق يتّضح في طريقة التناول بين هذين الشاعرين منذ البداية، ويؤكد ما ذهبنا إليه من قبل، من تفريق بين النظم والشعر. ويصف الشبيب أهوال الحرب فيقول:

وَفِي بَعْضِ عَامٍ مِنْكَ مَا يُورِثُ الْفَتَى
سَامَتْهُ مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ لُبٌّ
وَلَسْتُ أَرَى أَنَّ الْوَرَى كُلُّهُمْ غَدَوَا
مَجَانِينَ، لَكِنْ شَاءَ بَسْطَتِكَ الرَّبُّ^(٢)

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣١.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٢.

نتبين حجم الدمار الهائل والمجازر المفزعة، فإنَّ بعض عام من هذه الأعوام
السَّنة، كفيْل بأنَّ يُفَقِّدَ العاقل عقله، لكنَّ الجنون لم يتمكَّن من كلِّ البشر، بل كان
لأمرٍ قضاه الله سبحانه وتعالى وأرادَه لتلك البلاد. ولعلَّ التصريح بأنَّ الحرب لم
تكن إلاَّ إرادةً سماويَّة، إشارة خفيَّة إلى ما جاء بعده، حين يقول:

مَصَائِبُ هَذِي الْحَرْبِ لِلْغَرْبِ عِبْرَةٌ

سَمَاوِيَّةٌ إِنْ كَانَ يَعْتَبِرُ الْغَرْبُ^(١)

من هنا يبدأ الموقف العامُّ للشاعر الشبيب بالوضوح، ويمكن التماس شيءٍ من
التَّشْفِيٍّ من صُنَاعِ الحرب في «الغرب»، والخراب الكبير الذي يحصل في بلادهم.
وإنَّه في تسميته «الغرب» عمومًا، يحيرُ القارئ في الوقوف مع هذا الفريق أو
الفريق الآخر المضادَّ، كما فعل الفرّج من قبل، بيد أنَّه بالمصطلح نفسه يُبعد فكرة
انتصاره لأحد الطرفين.

وتبدو حقيقةً مشاعر تشفٍّ الشاعر تجاه أطراف النزاع بشكل أوضح،
عندما يشدّد على أنَّ جميع الأطراف المشاركة في الحرب العالميَّة الثانية خاسرون،
فالدمار لحق بالمنتصرين قبل المهزومين، وكلُّ هذا الدمار هو عقاب الله لهم في
الحياة الدنيا، ويبقى عقاب الآخرة أمرًا غيبًا. قال:

فَإِنْ تَجَزَّعُوا أَوْ تَصْبِرُوا فَعِقَابُكُمْ

شَهْدَانَاهُ فِي الْأُولَى وَأُخْرَاكُمْ غَيْبٌ^(٢)

وإنَّ حكمنا على أنَّ المقصودين بالجمع هم جميع الأطراف الغربيَّة المتنازعة، أي
الغرب، جاء من تصريح الشاعر بذلك في أكثر من مكان، إذ قال موضِّحًا موقفه من الغرب:

يُعَانِي الْغَرْبُ مَا تَنْبُو الْجَنُوبُ

بِهِ وَوَلِيْدُهُ مِنْهُ يَشِيْبُ

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٢.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٣.

حُرُوبٌ خَاضَهَا فَسَلُّوهُ مَاذَا

بِهِ تَرَكْتُ مِنَ الْأَثَرِ الْحُرُوبِ؟^(١)

فهو يرى في الحرب عبرةً لجميع أطراف النزاع، ويؤكد حيادَهُ فيها، ويرى أنَّ ظلم الغرب هو السبب الرئيس الذي جرَّ عليه الحرب، قال:

إِذَا ظَلَمَ الْإِنْسَانُ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ:

تَوَقَّعْ جَزَاءً سَيَفُتْ عَنْكَ لَا يَنْبُو

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الظُّلْمِ سَاءَ مَغَبَّةً

فَحَزْبُهُمْ هَذَا لِظُلْمِهِمْ غِبُّ^(٢)

هي حياديَّة بسبب، حياديَّة سلبية لا إيجابيّة؛ فالغرب الذي يقف الشاعر منه موقف الناصح المتشفي، ذو باع طويل في الظلم والتعسف. ويرى الشاعر أنَّ الذي حلَّ به، هو جزاءٌ إلهيٌّ، وعقابٌ سماويٌّ على هذه المظالم، عملاً بالقول: «الجزاءُ من جنس العمل»، والقول: «كما تُدين تُدان». وفي المعنى نفسه قال في مكان آخر:

فَجَوْرُ الْعَرَبِ جَرُّ عَلَيْهِ مَا قَدْ

أَبَادَتْ قَلْبَهُ مِنْهُ النُّدُوبُ^(٣)

يمكننا ملاحظة الصبغة الدينيَّة في نظم الشبيب، وربطه بين الغرض السياسي والغرض الديني، ولعلَّ أفكاره الدينيَّة ومعتقداته كانت السبب في جنوحه إلى العوالم الغيبيَّة، وعدم اكتفائه بنظم الحدث وتوصيفه كما فعل الفرج من قبل. ويتجلَّى ذلك في اعتقاده أنَّ الحرب جزاءٌ إلهيٌّ، يُعاقبُ اللهُ به المسيء في الحياة الدنيا، ويثيبُ المحسن في المقابل، قال:

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٤٠.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٢. [غِبُّ الشَّيْءِ: عَاقِبَتُهُ، آخِرُهُ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٥].

(٣) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٤٠.

وَمَا تَفَعَّلُهُ تَلْقَ اللَّهُ يَجْزِي

بِهِ وَفَقًّا يُعَاقِبُ أَوْ يُثْنِبُ^(١)

ويأتي الشاعر على ذكر هذا العمل الذي استحقَّ الجزاء، وهذا الدين المعلق في عنق الغرب، فيقول:

فَلَمْ يَفْنَعُوا إِلَّا بِكَوْنِ جَمِيعِنَا

مَمَالِيكَ إِنْ يُدْعَوُا إِلَى خِدْمَةٍ لَبُّوا

وَكُلُّ ثَرَاءٍ عِنْدَنَا، وَهُوَ حَسْبَمَا

يَشَاءُ تَعْدِيهِمْ، لِأَيْدِيهِمْ نَهْبٌ

وَلَا ذَنْبَ إِلَّا الضُّعْفُ وَالشَّاةُ لَمْ تَكُنْ

لِيَأْكُلَهَا لَوْ خَافَ سَطَوَتَهَا الذَّنْبُ^(٢)

يُحِيلُ الشبيب القضية العالمية إلى القضية العربية، ويطبِّق الضعف العربي على بعض تفاصيل هذه القضية؛ فيربط الاستعمار الأجنبي للبلاد العربية وضعفها مع وفرة خيراتها - حين يشبَّهها بالشاة - ويشبَّه الغرب بالذئب، بالسبب المباشر لوقوع الحرب العالمية الثانية، وهو بهذا تصوُّر أقرب إلى التصوير الفني، والاعتماد على الإرث الديني أكثر من استناده إلى الحقائق التاريخية المعتمدة على الوثائق والبراهين. وفي هذه النقطة يبدو الاختلاف في تناول أسباب هذه الحرب بين الفرع والشبيب، مع اتِّفاقهما على ربط الحرب بالقضية العربية. ويتابع الشبيب في الفكرة نفسها:

وَتَبَّتْمْ عَلَيْنَا ظَالِمِينَ لِيُضْعِفَنَا

فَمَاذَا عَلَيْنَاكُمْ جَرَّةً ذَلِكَ الْوُثْبُ

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٤٢.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٣.

لِمَنْ بَعْدَكُمْ يَأْتِي، سَتَبْقَوْنَ عِبْرَةً

تُجَدِّدُ ذِكْرَهَا الْأَحَادِيثُ وَالْكَتُبُ^(١)

يرى الشاعر أنَّ استعمار الغرب لمعظم البلدان العربيَّة، كان سبباً رئيساً لما حصل في الغرب من دمار، ويشدّد على هذا السبب في قوله:

أَسْأَلُوا أَمْسِ أَدْمُغَنَا اغْتِدَاءً

فَسَالِ الْيَوْمَ دَمْعُهُمُ الصَّبِيبُ^(٢)

كما يتفق الشاعران على حضور الوعي العربيّ أمام دهاء السياسة الأجنبيَّة، في السيطرة الاستعماريَّة على الدول المراد إنقاذها، لكنَّ الحقيقة هي الاستيلاء عليها. فدعوات الإحياء والإنقاذ التي ندّد بها الفرّج، والمتناقضات بين العرض والغرض، وبين العنوان وال متن، يشدّد عليها الشبيب وينتقدها بشكل لا يقلُّ عنفاً عمّا وُجدَ عند مُعاصِرِه الفرّج. وهذا يؤكّد وحدة المنبع التوعويّ السياسيّ لكلّ منهما، على الرغم من تعدّد مشارب الثقافة السياسيَّة المكتسبة عندهما. يقول الشبيب في ذلك:

لَاخِيَاءُكُمْ جِئْنَا يَقُولُ كَذُوبُهُمْ

وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِمَاتَتْنَا إِرْبُ

فَأَفْعَالُهُمْ فِينَا يُنَافِيْنَ قَوْلُهُمْ

كَمَا يَتَنَافَى الْبُغْضُ لِلشَّيْءِ وَالْحُبُّ^(٣)

كما يؤكّد الفكرة نفسها في مكان آخر، حيث يقول:

على ظُلْمِنَا مِنْ سَاسَةِ الْغَرْبِ لَا أَرَى

سِوَى مُقَدِّمِ طَوْعِ الْهَوَى بَطْلٍ نَدْبِ

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٤١.

(٣) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٣.

وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ نُصَدِّقَ أَنََّّهُمْ

لَنَا أَضِدْقَاءُ مُخْلِصُونَ بِلَا رَيْبٍ^(١)

أمّا عن ضراوة المعارك في أثناء الحرب، وتطور التّسليح العسكريّ لدى الأطراف المتنازعة، فيتطرّق الشّبيب إلى وصفهما بطريقة فنيّة قريبة من الرمز، بعيدة عن المباشرة التي كانت عند معاصره الفرج، فيقول:

تَسْنَى لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ مَا بِمِثْلِهِ

يُلِمُّ بِغَيْرِ الْمُؤْمِنِ التَّيَّةَ وَالْعُجْبَ

فَاطَّعَتْهُمْ قُورَاتُهُمْ فَأَنْتَنْتَ عَلَى

طُغَاتِهِمْ مِنْهَا جَهَنَّمُ تَنْصَبُ

طَعَتْ حَرْبُهُمْ طُغْيَانَهُمْ فَرَمَتْهُمْ

بِنَارٍ أَبَادَتْ جُلَّهُمْ وَهِيَ لَا تَخْبُو

وَأَوْدَتْ بِمَا قَدْ أَتَلُّوا مِنْ ثَرَائِهِمْ

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ يَابِسٌ لَا وَلَا رَطْبٌ

كَذَلِكَ يَلْقَى مَنْ مِنَ النَّاسِ قَصْدُهُ

بِقُوَّتِهِ اسْتِعْبَادُهُ النَّاسَ وَالسَّلْبُ^(٢)

يرى الشاعر جميع أطراف النزاع طغاة متجبرين ومستحقّين لما أصابهم من دمار وقتل، حين انشأ الطغاة على الطغاة لتكون النتيجة ناراً وحميماً، وكأنّ جهنّم قد فتحت أبوابها لتسكب بعضاً منها على تلك الأرض، فأبادت أعداداً كثيرة من ساكنيها. ولعلّ هذا التشبيه ينطبق على الواقع التاريخيّ للهجوم الذريّ الأمريكيّ على اليابان؛ ترجّح ذلك إشارة الشّبيب إلى أنّ الهجوم لم يبق رطباً ولا يابساً، وانعدمت الحياة في المناطق المنكوبة به، فذلك كلّ عقاب لهم على نظرتهم الاستعباديّة للأضعف منهم تسليحاً وقوّة.

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشّبيب، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشّبيب، ص ١٢٣.

ظَنَّ بسبب هذا الموقف أَنَّ البعض سيعتب عليه لموقفه المتشقي من الطرفين،
لكنَّه يشدّد على أَنَّ ذلك لن يمنعه من إبداء رأيه في الحرب. ويستأنف فضحه
للأطراف المتنازعة، فيقول:

عَلَى الظَّالِمَاتِ الْجَائِرَاتِ نُفُوسُكُمْ

إِذَا كَانَ عَثْبٌ فَلْيَقْعْ ذَلِكَ الْعَثْبُ^(١)

الشبيب هنا يبتعد عن الفرج في موقفه الإنساني إزاء معاناة الشعب الياباني،
فلم يأتِ على ذكر المأساة اليابانية صراحةً، بل ربّما يراه مُستحقاً ما جرى له
في الحرب؛ إذ إنَّه مشمولٌ بمصطلح «الغرب»، ولا تخفى نقمة الشاعر على كلِّ
الأطراف المتنازعة، وأنَّ بعضهم انتقم من بعض، فكان أخذُ الحقِّ العربيِّ منهم
إلهيًّا، فرمى الله بعضهم بكيد بعضٍ، ليُخرجَ العربَ من بينهم سالمين.

ويتوجَّه الشاعر في جزء كبير من قصيدته إلى العرب، وكأنَّه يحاول أن يعطيهم
درساً وعبرةً، فيضرب الحرب العالمية الثانية مثلاً على هذا الدرس، ويحضُّهم على
الاستعانة بالعلوم الحديثة، والاعتماد عليها كأساسٍ لبناء الحضارة، لكي يستطيعوا
مجاراة التطوُّر الغربيِّ من باب تطبيق مبدأ توازن القوى. ويرى أنَّ حرص الغرب
على العلوم الحديثة ساعده على اختراع القنابل الذريَّة والصواريخ وسائر الأسلحة
الفتَّاكة، فيقول موجَّهاً كلامه إلى العرب، حاضاً إيَّاهم على اكتساب العلوم النافعة:

وَلْتُنُوا جَمِيعاً بِالْعُلُومِ وَإِنْ جَنَّتْ

عَلَى الْعَرَبِ مَا مِنْهُ بِهِ انْقِصَمَ الصُّلْبُ

فَلَمْ تَنْكُبِ الْعَرَبُ الْعُلُومَ وَإِنَّمَا

نَوَاصِبُهُ الطُّغْيَانُ وَالنَّيْهُ وَالشُّغْبُ^(٢)

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٣.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٦. [شَغِبَ في القوم: هَيَّجَ الشَّرُّ والفتنة والاضطراب بينهم.
انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٩٦].

يحدّر العرب من مغبّة الخوف من تعلّم العلوم الحديثة المتعلّقة بالتطوّر التّقنيّ والمهنّي والعسكريّ، وألّا يكون الدمار الذي خلفته الأسلحة المتطوّرة في الحرب العالمية الثانية ذريعةً تردّدهم عن التفكير في تعلّم وسائل صناعة هذه الأسلحة؛ فالعلوم لم تكن سبب الحرب، ولا سيّما الانتصار أو الانكسار، بل إنّ الأسباب تكمن في أعمال المتحاربين التعسفيّة والاستعماريّة، وطغيانهم في البلاد العربيّة.

وكتخريج للأثر السلبيّ، بل الإجراميّ، للعلوم التي أنتجت الأسلحة الفتّاكة، يرى الشبيب أنّ بعض الفئات في الغرب قد أساءت استعمال هذه العلوم بشكلها الذي يفترض أن تكون عليه، بل جعلت منها وسيلةً لصناعة أدوات قتل جماعيّ، وسلك أقصر الطرق لإنهاء أيّ حربٍ بانتصار كاسح. وهذا ما قلبَ نعمة العلوم في الغرب نقمةً، نتيجة سوء استعمالها، وفي ذلك يقول الشبيب:

كَمَا نِعْمَةُ الْغَرْبِ انْتُنَتْ وَهِيَ نِقْمَةٌ

بِهَا مِنْهُ هَيْلَ اللَّبِّ وَأَنْخَلَعَ الْقَلْبُ^(١)

يدعو العرب إلى التطوّر علميًّا، وإنّ كلّهم ذلك الأموال الطائلة، فالنتيجة التي سيحصلون عليها من رفعة وقوّة وحضارة، تستحقّ هذا البذل، بل إنّ العلوم هي الوسيلة المثلى للدفاع عن النفس، وإرهاب كلّ من توسوس له نفسه بالاستعمار والغزو، فيقول في ذلك:

وَلَا تَبْخُلُوا بِالْمَالِ عِنْدَ شِرَائِكُمْ

مِنْ الْعِلْمِ مَا خَصْبًا يَعُودُ بِهِ الْجَدْبُ

لِتَحْيُوا حَيَاةَ صَفْوِهَا مَا بِهِ قَذَى

وَيُضْبِحَ أَمْنًا مِنْ أَعَادِكُمُ الرُّعْبُ^(٢)

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٧.

(٢) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٦.

وتبدو حصافة الشاعر الشبيب، وَحِدَّة ذكائه، ووعيه السياسي، في رؤيته
ببصيرته لا ببصره، حين يتناول نقطة جوهرية تتبَّأ بالمستقبل؛ إذ يخشى أن تُوجَّه
كُلُّ العلوم الحديثة في العالم لتصنيع الأسلحة النووية المدمِّرة، تحت ذريعة الدفاع
عن النفس، فيقول:

وَهَلْ لَبَسَتْ أَثْوَابَ نَعْمَاءِ أُمَّةٍ
فَدَامَ لَهَا مِنْهَا إِذَا ظَلَمْتَ ثَوْبُ؟
وَمَا نَزَعَهَا أَخْشَى فَحَسْبُ وَإِنَّمَا
أَخَافُ انْقِلَابًا كُلُّ أَسْيَافِهِ قُضْبُ^(١)

تلك الأثواب هي أثواب العلم والعلوم؛ فهو لا يخشى على الشعوب من العري
جهلاً إذا ما خُلعت أثواب العلم عنهم، على قدر ما يخشى انقلاب مفاهيم العلوم من
استعمالاتها النافعة البناءة إلى الهدامة. ولعلَّ في هذه الإشارة قراءة لما كان عليه
تعريف مفهوم «انتشار الأسلحة النووية» لاحقاً، وهو: «تعبير مستجدٌ نَتَجَّ من ازدياد
عدد الدول القادرة تكنولوجياً على إنتاج الأسلحة النووية، الأمر الذي أثار مشكلة
السيطرة على ما من شأنه تهديد مستقبل البشرية. وقد التزمت بعض الدول
المالكة للأسلحة النووية، وهي: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي
وبريطانيا، بعدم تسريب ونقل التكنولوجيا النووية، كما التزمت مائة دولة أخرى
بعدم تطويرها، بموجب اتفاقية الحدِّ من انتشارها، الموقعَة عام ١٩٦٨م، والتي
رفضت كُلُّ من فرنسا والصين توقيعها. إِلَّا أَنَّ الولايات المتحدة أسهمت بوسائل
ملتوية، وبأساليب متعدِّدة، في مساعدة إسرائيل في برنامجها النووي. كما ساعدت

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ١٢٦.

إيران في الحصول على المواد المشعة من خلال المفاعلات الذرية الضرورية للتطوير النووي. وعلى الرغم من الجهود التي تبذل أحياناً لمنع انتشار الأسلحة النووية فإنّ عدد الدول المالكة لها يزداد بالتدريج، وقد أثّرت في الآونة الأخيرة إمكانية حيازة منظمات ثورية أو إرهابية لهذا النوع من الأسلحة»^(١).

لاحظنا موقف الشاعر الشبيب المتشفي من جميع الأطراف المتنازعة في الحرب، فتميّز بذلك عن الشاعر الفرج الذي وقف مع طرف ضدّ آخر، واتفق الاثنان على ربطهما موقفيهما من الحرب بموقف الغرب من القضايا العربية السياسية بعامّة، وفلسطين بخاصّة. وسنتناول فيما يلي موقف الشاعر فهد العسكر من الحرب آنذاك، ومقارنة آرائه بمعاصريه الفرج والشبيب.

ج - الحرب العالمية الثانية في شعر فهد العسكر

تعرّض الشاعر فهد العسكر لأحداث الحرب في إحدى قصائده، قارن فيها بين القوّة العسكرية للجيوش الأجنبية وضعف الجيوش العربية ووهنها. وتجدر الإشارة إلى أنّ ديوان فهد العسكر لم يحفل -مقارنة بدواوين غيره من الشعراء الكويتيين المعاصرين له- بعدد كبير من القصائد ذات الطابع القومي، ولعلّ ذلك يعود إلى ضياع أغلب شعره، وممّا قاله:

يَا بَنِي الْعُرْبِ، إِنَّمَا الضُّعْفُ عَارٌ
إِي وَرَبِّي سَلُّوا الشُّعُوبَ الْقَوِيَّةَ
كَمْ ضَعِيفٍ بَكَى وَنَادَى فَرَاخَتْ
لِبُكَاهُ تَقْهُقُهُ الْمِدْفَعِيَّةُ

(١) عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٣٤٥-٣٤٦.

لُغَةُ النَّارِ وَالْحَدِيدِ هِيَ الْفُضْ
حَى وَحَظُّ الضَّعِيفِ فِيهَا الْمَنِيَّةُ
هَآ هِيَ الْحَرْبُ أَشْعَلُوهَا فَرُحَمًا
كَ إِلَهِي بِالْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ^(١)

ويتوافق العسكر هنا مع المعنى الذي نظمته من قبل الشاعر إيليا أبو ماضي،
في تشديده على لغة النار والحديد، وتفوقها على اللغة الفصحى في بعض الأماكن،
حيث قال:

لُغَةُ الْفُؤَادِ هَاضَتْ لُغَتِي
لَا يَعْيشُ الشَّدُوْ فِي بَحْرِ اضْطِحَابِ^(٢)

يسلك العسكر طريقاً مغايراً للتي سلكها الفرج والشبيب؛ إذ لا يرى الحرب إلا
دليلاً على قوّة وإرادة الأطراف المتنازعة التي تطمح إلى التحرّر والدفاع عن النفس
بالقوّة العسكرية، لا بالحوار والخطب والاستجداءات التي يعتبرها لغة لا تصلح
لاستعادة الحقّ واسترداد الأوطان، بل إنّ اللغة الفصيحة هي لغة المدافع والأسلحة
المتطورة التي يتحاور بها الغرب.

ويبدو العسكر أكثر إيجابية من سابقه في حديثه عن الحرب، إذ يرى اندلاع
الحرب يكمن في حميّة المقاتلين وإبائهم ممّن فضّلوا الموت على حياة الذلّ تحت
الاستعمار، فجاءت الحرب تحقيقاً لأحلامهم بالاستقلال، فقال:

غَيْرُنَا حَقَّقَ الْأَمَانِي وَبَثَّنَا
لَمْ نَحَقِّقْ لَنَا وَلَا أُمْنِيَّةُ
فَمِنْ الْغَبْنِ أَنْ نَعِيشَ عَبِيدًا
أَيِّنَ ذَاكَ الْإِبَاءُ؟ أَيِّنَ الْحَمِيَّةُ؟^(٣)

(١) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١١٣.

(٢) إيليا أبو ماضي، إيليا أبو ماضي: الأعمال الشعرية الكاملة، ط ٨، [جمع الشعر وقُدّم له: عبدالكريم الأشتري،
الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٨، ص ٨٩٤. [هاض الشيء هيضاً:
كسره. انظر: قاموس المعاني].

(٣) عبدالله زكريّا الأنصاري، فهد العسكر: حياته وشعره، ص ١١٣.

يدعو الشاعرُ العربَ إلى النهوض عسكرياً لاستعادة الحقوق المغتصبة، ويشددُ على المعنى الذي استغلَّه معاصره الفرج، «ما أخذ بالقوَّة لا يستردُّ إلَّا بالقوَّة». وتتميّز أبياته السابقة بصيحات الاستنهاض والحثُّ على الحرب، فيعمد إلى استفزاز المشاعر العربيَّة بتساؤله عن إباء العرب وحميَّتهم.

يتميّز موقف العسكر عن سابقيه في إدماجه الإيجابية والسلبية للقوَّة العسكريَّة؛ فتارةً تُقهقه المدفعيةُ على دُعر الأطفال والنساء وبكائهم، وتلك صورةٌ شديدة السواد والحزن تشرح واقع الحرب الأليم، ومعاناة المدنيين منها. وتارةً أخرى يحسدُ الغربُ على قوَّته العسكريَّة التي يفرض بها سيطرته على الدول الأقلَّ تسليحاً، فيتمنَّى الشاعرُ لو أنَّ للعرب هذه القدرة على التسلُّح، كي يستعيدوا بها أراضيمهم المغتصبة، ويدافعوا عن أنفسهم وأوطانهم.

د - الحرب العالميَّة الثانية في شعر محمود شوقي الأيوبي

عاصر الشاعر الأيوبيُّ أحداث الحرب العالميَّة الثانية، وكان من الأدباء المثقَّفين في الكويت، ومن المطلَّعين على أخبار الحرب بشكلٍ مستمرٍّ؛ إذ إنَّه كان مقرَّباً من بلاط الحكم السعوديِّ في النصف الأوَّل من القرن العشرين، ومبتعثاً المملكة السعوديَّة إلى إندونيسيا في مهمَّة رسميَّة، للعمل في الدَّعوة الإسلاميَّة ونشر الثقافة العربيَّة.

ولم يكن موقف الأيوبيِّ من الحرب يختلف كثيراً عن موقف معاصره الشبيب؛ رأى الغربَ بعامَّةٍ مُذنباً، فلم يستثنِ أحداً من أطراف النزاع آنذاك، إذ الخاسر والمنتصر كلاهما جَلَبَا لشعبيهما الدمار والخراب، فكان الشاعر يصبُّ حقه وغضبه على الغرب جميعاً، لما اقترفته أيدي بعضهم من جرائم في المنطقة العربيَّة. قال في ذلك:

تَعَالِبُ الْغَرْبُ بَاتَتْ فِي مَارِبِهَا

خَسْرَانَةً لَمْ يُفِدْ مِنْهَا تَفَانِيَهَا^(١)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٤١٤.

وقوله في أخرى مشدداً على شمل الغرب جميعاً في النعت:

تَبَّتْ أَيْادِي وَحُوشِ الْغَرْبِ وَيَحَهُمُ

فَمَا لَهُمْ عِنْدَ رَبِّ النَّاسِ غَفْرَانُ^(١)

تبدو الصبغة الدينيّة واضحةً في هذا البيت، حيث يرجو الشاعر عقاباً إلهياً للغربيين المستعمرين، ويكاد يجزم بأنّ الله لن يغفر لهم ما اقترفوه من مجازر وجرائم بحقّ الشعوب العربيّة. وتبدو هذه الصبغة أوضح في قصيدته «صُراخ الأحرار» التي نظمها عام ١٩٤٨م، أي بعد نهاية الحرب العالميّة بثلاث سنوات، فقال:

لَقَدْ ثَلَّ الْإِلَهُ عُرُوشَ ظُلْمٍ

وَبَاتَ حُمَاتُهَا هَلْكَى جُثُومًا^(٢)

يرى أنّ انهيار عروش الظلم في الغرب تمّ بقدرة إلهيّة، وهو بذلك يركّز على الجانب الدينيّ، ولا يتطرق -من الناحية التوثيقية التاريخيّة- إلى أحداث الحرب طوال سنوات اندلاعها. بيد أنّ السؤال الذي يطرح، ما هي العروش التي قصدها الشاعر؟ ومن هم الظالمون؟ ويُسعِفنا تاريخ الحرب في تفسير موقف الشاعر؛ ففي الحرب العالميّة الثانية تلقى هتلر وحلفاؤه خسارة جسيمة أدّت إلى انهيار الإمبراطوريّة الألمانيّة النازيّة، وعلى إثرها اختفى هتلر، وانهار عرشه الذي بناه بالقوّة العسكريّة.

ولعلّ ما يؤكّد أنّ الشاعر قصدَ بعرشِ الظلم عرشَ هتلر، هو ما نظمه في قصيدة أخرى ناعثاً هتلر بالمارد، إذ يأتي به مثلاً على عدم دوام الظلم والتكبر، موجّهاً خطابه إلى الاحتلال الهولنديّ لإندونيسيا، علّه يعتبر من خاتمة هتلر من قبل. فإنّ الكبر والجبروت اللذين يتّصف بهما الهولنديّون المستعمرون، ويتغطرسون من خلالهما، زائلمان لا محالة، وفي زوالهما عن هتلر أكبر عبرة. قال الأيوبيّ في ذلك:

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٠٧.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٢٨.

أَلَا تَرَى مَارِدَ الْجِرْمَانِ قَدْ نُزِعَتْ

مِنْ حَيِّهِ كُلُّ رُوحٍ مِلَّوْهَا الْبَطْرُ^(١)

نلاحظ أنَّ الشاعر يستعمل المصطلحات الإنجليزِيَّة فيُعَرِّبُها بلفظها الأصلي، بدلاً من استعمال لفظها الذي تكتب به في العربيَّة، فهو يستعمل «الجرمان» أي Germany» بدلاً من «ألمانيا» أو «الألمان»، إلَّا أنَّه آثر اللفظ الأجنبيَّ غير المعرَّب على الآخر المعرَّب.

وفي ما يخصُّ موضوعنا، نستطيع أن نتبيَّن موقف الشاعر من أطراف الحرب العالميَّة الثانية، حيث بدا موقفه المعادي واضحاً من ألمانيا النازِيَّة، لكنَّ ما لم يتَّضح بعدُ هل كان هذا الموقف من هتلر -في المقابل- تأييداً لأطراف النزاع الأخرى المنتصرة عليه؟

ويشير الشاعر إلى حجم الخراب الهائل الذي لحق بالدول المتنازعة بُعيد الحرب، ويعودُ للتأكيد أنَّ ما أصاب هذه البلاد جزاءً من الله على ما اقترفته أيديهم من ظلم في الدول العربيَّة، فغدت الدول الغربيَّة تضرب بعضها بعضاً، كما الأفعى التي تعضُّ نفسها في الموضع الذي أصيبت به. فقال:

فَتِلْكَ دِيَارُهُمْ خَوِيَتْ تُحَاكِي

بُعَيْدَ الْحَرْبِ مَدِينٌ أَوْ سَدُومًا

زَقَا بُومُ الْخَرَابِ عَلَى جِمَاهُمْ

فَبَاثُوا لَا يَرُدُّونَ الْحُلُومًا

أَرَاهُمْ عَذْلَهُ الْجَبَّارُ صُبْحًا

وَأَضْحَوْا يَمْضَغُونَ لَهُمْ لُحُومًا^(٢)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٢٨.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٢٨. [مَدِينٌ وَسَدُومٌ: من القبائل العربيَّة القديمة البائدة].

والشاعر بذلك لا يستثي أي دولة من الدول الغربية، ولا يقصر الخراب على ألمانيا النازية فقط، فالأطراف المنتصرة كانت ذات ضررٍ على الدول العربية أكثر ممّا على الأطراف المهزومة، وكثيرةٌ هي النماذج التي تؤكد عدم تأييد الشاعر لفرنسا وبريطانيا، ومن ذلك قوله:

يَا وَيْحَ إِنْكِلتِرَا هَذَا اللّهِيبُ عَلَا
وَسَوْفَ يَزْخَرُ فِي أَرْجَائِهَا الشُّرُورُ^(١)

وقوله مهدداً فرنسا بالثورات العربية التي ستطيح الكيان الاستعماري الغربي في دول المشرق العربي:

خُذِي فَرَنْسَا صَوَارِيخَ الْوُثُوبِ فَقَدْ
تَصَدَّعَتْ لِمَنَى اسْتِعْمَارِكَ الْجُدُرُ^(٢)

وقوله مستهزئاً بالقوتين الإنجليزية والفرنسية أمام القوة العربية، إذا ما اتحد العرب صفّاً واحداً لمجابهتهما:

فَمَا لِلْإِنْكِلِيزِ وَلَا فَرَنْسَا
مَكَانٌ بَيْنَ أَدْعَالِ الْأُسُودِ^(٣)

ويُتضح موقف الأيوبي من الغرب، في تعجبه من الغربيين الذين يدعون الحضارة والتطور، ومواكبة العلوم الحديثة، ثم يقتتلون بهذه الوحشية، ويسأل مستكراً أن تكون حضارتهم تحضهم على القتل وسفك الدماء، فيقول:

أَيْنَ الْحَضَارَةُ؟ بَلْ أَيْنَ الرُّقْيُ؟ وَهَلْ
سَفَكَ الدِّمَاءَ بِعُرْفِ الْغَرْبِ عِرْفَانُ؟^(٤)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٢٨.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١١٧.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٠٨.

(٤) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٠٦.

وقوله في قصيدة أُخرى، منتقداً الغربيين، ومستغرباً بسؤال استنكاريٍّ أيضاً
لجوء الغرب إلى هذه الهمجيّة في الحروب، بدلاً من الحوار الذي يحضُّ عليه العلم
في جامعاتهم المرموقة، كجامعة كامبريدج في بريطانيا:

أَيْنَ الْعُقُولُ الَّتِي رَاضَتْ ثَقَافَتَهَا

كَمُبْرِجٍ لَمْ تُغْنِهَا الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ؟^(١)

وكثيرة هي الأماكن التي تعرّض فيها الشاعر للدول الغربيّة المستعمرة للوطن
العربيّ، وبذلك يمكننا أن نلاحظ عدم انحياز الشاعر إلى طرف دون آخر، بل إنّ
موقفه من الحرب العالميّة الثانية كان مشابهاً لموقف الشاعر الشبيب، فكلاهما
يرى الغرب مستحقّاً ما جرى له من دمار وخراب، وأنّ هذا الخراب هو انتقام إلهيّ
لاعتدائهم على الأراضي العربيّة، وإقامة مستوطنات استعماريّة فيها.

بيد أنّ إحجام الشاعر عن ذكر اليابان، واكتفاءه بالتشفي من خسائر الألمان،
فضلاً عن الخراب الذي حلّ في الدول الغربيّة، وخصوصاً في إنجلترا وفرنسا،
يجعلُ موقفه إزاء اليابان محيراً، فلا يمكننا الحكم على سلبية موقفه متذرّعين
بعدم تعرّضه لليابان في قصيدته، لأنّ للشاعر ارتباطات عاطفيّة وثيقة بدول شرق
آسيا، نتيجة إقامته في إندونيسيا في تلك الفترة، وهذا يرجّح تضامنه معها.

اتّضحت لنا مواقف كلّ من الفرج والشبيب والعسكر والأيوبيّ من الدول
المتنازعة في الحرب العالميّة الثانية، ونوجز الاختلاف بينهم في نقطتين:

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٢٢٨. وردت في الأصل «كمبريدج» وتمّ هنا حذف الدال لإقامة وزن بحر البسيط. [جامعة كامبريدج University of Cambridge تعتبر الجامعة الأعرق على مستوى العالم في مجال العلوم الطبيعيّة والرياضيّات والفيزياء. تقع في كامبريدج في المملكة المتّحدة. تأسست عام ١٢٠٩م، وهي عضو في مجموعة راسل للجامعات، وعضو في رابطة الجامعات البحثيّة الأوروبيّة. حصلت الجامعة على تسع وثمانين جائزة نوبل، وذلك أكثر من أيّة جامعة أخرى في العالم].

١ - بدا الفرّج أكثرهم عناية بالتفاصيل التاريخية والأحداث الحربيّة؛ إذ ينقل أحداث المعركة بما يشبه الصورة المرئيّة ليقرب للمتلقّي حقيقة الكارثة التي حلّت باليابان، ويظهر بالأدلّة مخاطر انتشار السلاح النوويّ واستعماله في الحروب. بينما بدا الشيب والأيوبيّ أقلّ اهتماماً بالتفاصيل الدقيقة للأحداث، فاستطردا إلى أنّ الحرب عقاب إلهيّ لجميع الأطراف، وجنحا نحو الفكر الدينيّ، وابتعدا عن التوثيق التاريخيّ في أكثر من مكان. وحصر فهد العسكر اهتمامه في دور العتاد العسكريّ في كسب الحرب وإعادة الحقوق المغتصبة، متوازياً مع الشيب والأيوبيّ في اقتضاب تناول الأحداث.

٢ - معتدلّ موقف الشاعر خالد الفرّج إزاء دول الحلفاء ودول المحور؛ إذ بنى موقفه على أساسين: أوّلهما إنسانيّ نتيجة الدمار الذي لحق باليابان، والقتل العشوائيّ للمدنيّين من أطفال ونساء وشيوخ. وثانيهما العدوّ المشترك بين هتلر والعرب، حيث كانت دول الحلفاء تتخذ من الوطن العربيّ مستعمراتٍ لتوسيع إمبراطوريّاتها الاستيطانيّة، وفي خسارتها نصرٌ للعرب وإعادة لحقوقهم. بينما جاء موقف الشاعرين الشيب والأيوبيّ سياسيّاً يختصر مقولة «اضرب عدوّك بعدوّك» من غير أن يُظهرا انتصارهما لأيّ طرفٍ على الآخر، اللهمّ إلّا الفائدة العربيّة من اقتتالهما. أمّا العسكر فانتهج سياسة النأي بالنفس عن نصرّة طرف على آخر، بل نظر إلى الحرب نظرة العازم عليها المتجهّز لها، وحثّ العرب على ضرورة امتلاك أسلحة فتّاقة كتلك التي يتقاتل بها الغربيّون، إذ لا يفلّ الحديد إلّا الحديد عند الحديث عن تحرير الأراضي المحتلّة وطرد المستعمرين والوقوف أمّة عربيّة لها مركزها ومكانتها بين الأمم.

تباينت مواقف الشعراء من الحرب العالميّة الثانية، بيد أن مرجعيّتهم الثقافيّة السياسيّة جعلتهم يلتقون في أكثر من نقطة، بحيث تشكّل نقاط الالتقاء هذه قاعدة لمواقفهم، ومن ذلك:

١ - بناء الموقف من الغرب بحسب تأثيره في القضايا العربيّة وعلاقته السياسيّة بها.

٢ - استحضار القضايا العربيّة في سياق القضايا العالميّة، وإنشاء نوع من التمازج والتشارك بينهما.

٣ - نمو الوعي السياسيّ في معرفة النّيّات الاستعماريّة الأجنبيّة الحقيقيّة التي تناقض ما تنادي به، والذي يعكس صورة الوعي العامّ في الكويت آنذاك.

٤ - عقد المقارنة بين القوّة العسكريّة الأجنبيّة، وضعف الجيوش العربيّة. وتأتي نتيجة المقارنة في حثّ الشعوب العربيّة على اكتساب العلوم الحديثة التي من شأنها الارتقاء بهم إلى مصافّ هذه الدول المتطوّرة، عسكرياً وعلمياً.

لم تكن الحرب العالميّة الثانية المنبع الوحيد الذي استقى منه الشعراء الكويتيّون مادّتهم النقديّة، لكنهم ظلّوا يدورون في فلك النّيّات الاستعماريّة الأجنبيّة، والسياسة القائمة على المتناقضات، المتمثّلة في الدول الأجنبيّة التي ترى نفسها وصيّة على المظلومين في العالم، بينما هي في حقيقة الأمر لا تطبّق هذه العدالة على نفسها، بل لا تطبّقها على كلّ من يواليها ويحالفها. وللوقوف على السياسة الاستعماريّة التي تقوم عليها الدول الأجنبيّة، نأخذ رأي الشاعر خالد الفرّج إزاء السياسة الأمريكيّة.

ثانياً: موقف خالد الفرّج إزاء سياسة الولايات المتحدة الأمريكية

ينبغي في البداية، توضيح نقطة مهمّة وأساسيّة أسهمت في نشوء هذا المبحث، وهي أنّ الولايات المتحدة الأمريكيّة لم تكن ذات وجودٍ استعماريٍّ فعليٍّ في البلاد العربيّة في تلك الفترة، أي الفترة التي شهدت تقسيم جزء كبير من الوطن العربيّ بين بعض الدول الغربيّة الاستعماريّة، والتي فرضت انتدابها بموجب هذا التقسيم. كما أنّها لم تكن على احتكاكٍ مباشرٍ بالعرب في الجانب العسكريّ، بيدَ أنّ النقمة العربيّة على سياستها جاءت من مخالفة أفعالها لما وثّقته في قوانين حقوق الإنسان، والتعارض بين مبادئها التي تتنادي فيها بالحرّيّة والعدالة، في حين أنّها انتهكت هذه القوانين انتهاكاً صارخاً في أكثر من مكان وزمان.

ولذا، فإنّ النقد المباشر لسياسة الولايات المتحدة لم يكن بسبب أعمالها الاستعماريّة في الوطن العربيّ، بل كان جرّاء دعمها لحلفائها من الدول الاستعماريّة، وتشجيعها على الاستعمار والاستيطان في المنطقة العربيّة. ويبدو أنّ مكانة الولايات المتحدة التي تلعب دور الوصيّ على دول العالم، والمرجعيّة الأولى للسياسات الإقليميّة، قديمةٌ وغير حديثة وتعود إلى انتصارها الهمجّيّ على اليابان في الحرب العالميّة الثانية، بحيث زرعت في نفوس أعدائها الرعب والمهابة من دخول حربٍ أمامها، فضلاً عن طرحها فكرة إنشاء مجموعة من الهيئات الدوليّة السياسيّة والإنسانيّة، فحوّلها هذا لتكون مقرّاً ومرجعاً لأيّ قرارٍ إقليمي.

يعتمد الشاعر خالد الفرّج على البراهين والأدلّة، ويستشهد على التاريخ بالتاريخ الأقدم منه، لإثبات وجهة نظره المعادية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكيّة، ويحتج بالقياس؛ واقعاً بواقع وحرباً بحرب. تسعفه مرجعيّته الثقافيّة الغنيّة، وذاكرته السياسيّة الفتيّة، في استحضار التاريخ الأسود للولايات المتحدة

التي أسهمت في استعمار معظم البلاد العربيّة، وإن كان بشكلٍ غير مباشر. وتساعد مكانته وقربه من الأسر الحاكمة، وشغفه بالتاريخ وتدوينه، على الإمام بالمواقف السياسيّة المتناقضة للولايات المتّحدة، وكشف مكرها السياسيّ بافعالها أسباباً تخوّلها التدخّل في شؤون الدول الأخرى، لتأتي النتائج صورة معكوسة عمّا صرّحت به، وتعتبر الخسائر التي تكبّدها جرّاء مقاومة حركات التحرّر لوجودها، نتيجةً حتميّة لهذه التدخّلات التعسّفيّة.

رأينا قبلاً رثاء الشاعر الفرّج لهتلر، وعتبه عليه لتسرّعه في اتّخاذ قرارات خاطئة حاسمة أودت بحياته في نهاية المطاف. وما يفيدنا في هذا الشأن هو لومُ الشاعر القائد هتلر على إفساحه المجال لأمريكا لدخول الحرب العالميّة الثانية إلى جانب الحلفاء، وهي حتّى تلك اللحظة لم تكن قد دخلتها بعدُ كدّ قويٍّ أمام دول المحور العظمى، كالاتّحاد السوفييتيّ وألمانيا الاتّحاديّة. قال الفرّج:

وَأَوْسَعْتَ لِلصِّلِ الْخَبِيثِ مَجَالَهُ
فَصَالَ بِمَيِّدَانِ الْحَقُودِ وَنَادَا
هُمُ نَقَمُوا مِنْكَ التَّعِدِّيَّ وَأَنْكَرُوا
وَمَا اخْتَرَمُوا لِلوَادِعِينَ حَيَادَا^(١)

يقصد الشاعر بالصِّلِ الخبيث الولايات المتّحدة الأمريكيّة لأنّها دخلت الحرب متأخّرة، ويرى أنّ سبب دخولها كان بدافع النقمة على القائد هتلر، ووضع حدّ لانتهاكاته المتكرّرة لحقوق الإنسان، واعتدائه المنهجية على كلّ دولة تقع ضمن مرمى مدافعه؛ فما إنّ يُنهي معركةً، أو يسيطر على دولة، حتّى يُسيّر جيشه الجرّار

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٥. [الصِّلُ: حيّةٌ من أخبث الحيّات، تتميزُ بعُنقها العريض الذي ينتفخ عند الغضب. ويُقال: هو صلُّ أצלّال: إذا كان داهيةً خبيثاً. نَادَ نَوْدًا، وَنَوَادًا، وَنَوْدَانًا: تمايل من النعاس. نَادَ فُلَانٌ: حَرَّكَ رَأْسَهُ وَكَتَفَيْهِ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٢٧٤. وانظر: قاموس المعاني].

إلى أخرى. ولعلَّ هذا هو السبب غير المباشر لدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء. أمَّا السببُ المباشر فكان الوقوف إلى جانب بريطانيا التي أوشكت على الاستسلام والهزيمة، وذلك عام ١٩٤١، «فالولايات المتحدة حاولت الحفاظ على موقفها المحايد، غير أنَّها اتَّخذت قرارًا يمنع بريطانيا من الانهيار في مطلع العام ١٩٤١، عندما أقرَّ الكونغرس الأمريكي مساعدات الإعارة والتأجير»^(١).

ويبدو الشاعر هنا أشدَّ حنقًا على سياسة الولايات المتحدة المتشدِّقة بالإنسانيَّة، والتي تعتبرها الدافع الأوَّل لدخول الحرب بجانب أيِّ طرفٍ، مع أنَّ جنودها لم يضعوا الإنسانيَّة نصب أعينهم، عندما ألْقوا القنابل الذريَّة على الأمنين في اليابان عام ١٩٤٥. فيقول:

وَقَدْ حَلَّلُوا مَا حَرَّمُوا مِنْ جَرَائِمٍ
وَكُلُّ بِأَنْوَاعِ النُّكَالِ تَمَادَى
عَلَى الْمُدُنِ قَدْ أَلْقَوْا قَنَابِلَ ذَرَّةٍ
بِهَا تَرَكُّوا تِلْكَ الْبِلَادَ رَمَادًا^(٢)

ويؤكد الفكرة نفسها في مكان آخر حيث يقول:

لِمَ حَرَّمُوا الْمِخْرُوبَ وَالـ
غَازَاتِ أَجْمَعَ وَالسُّمُومَ؟
وَرَمَوْا أَنْسَا أَمِنِي
نَ قَنَابِلَ انْقَضَتْ جَحِيمًا؟^(٣)

يستهجن الفرَجُ هذه السياسة، ويرى الذَّنْبَ الأمريكيَّ في اليابان أقبح من العُذْرِ في تدخلهم في مواجهة هتلر، وأنَّه لا شيء يمكن أن يعادل الدمار

(١) عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٢) خالد محمد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٤٥.

(٣) خالد محمد الفرَج، ديوان خالد الفرَج، ص ١٥٧.

الذي خلفته القنابل الذريّة. ويُسائل نفسه بحيرةٍ عن تحليلهم استعمال الغازات السامّة والمكروبات وسائر الأسلحة الكيميائيّة المحرّمة دوليّاً، في حين يبيحون لأنفسهم استعمالها. ويبدو دفاع الشاعر عن هتلر دفاعاً عن الصديق المقرب من الأمّة العربيّة والإسلاميّة، بيد أن السبب الحقيقيّ الباعث على هذا الدفاع يكمن في قوله:

وَصَالُوا عَلَيْنَا بِالْيَهُودِ فَسَلَطُوا
 حِلَابًا عَلَيْنَا اسْتَأْسَدَتْ تَتَعَادَى
 فَعَاثُوا بِنَا أَضْعَافَ مَا عِنْتُ فِيهِمْ
 وَأَفْنَوْا نُفُوسًا أَزْهَقْتَ وَبِلَادَا
 هُمْ شَرُّدُونَا مِنْ فِلَسْطِينِ عَنُوءَ
 وَبَطْشِكَ فِيهِمْ كَانَ مِنْكَ ذِيَادَا^(١)

القوميّة العربيّة تتجلى لدى الفرّج بأبهى صورها وأعظمها وأشدّها وفاءً في الأبيات السّابقة، حيث لم تكن فلسطين غائبة عن ذهنه حتّى في سياق نظمه عن القضايا العالميّة، بل إنّه حدّد موقفه إزاء أيّ دولة أجنبيّة، بحسب درجة قربها من الكيان الصهيونيّ المغتصب لفلسطين، أو بُعدها عنه، وتدخلها المباشر أو غير المباشر في سبيل تحقيق الحلم اليهوديّ بالوطن المزعوم. وهنا يشكو الشاعر مساوئ الأمريكيّان للقائد هتلر؛ إذ هم السبب الرئيس لاحتلال اليهود لفلسطين وما المجازر التي ارتكبتها هتلر إلّا نزرٌ قليل مقارنةً بما ارتكبه حلفاء الأمريكيّان وعملاؤهم في القدس ونواحيها، ولا يلومه على ما يفعله بهم، بل يرى ذلك دفاعاً عن النفس، ودّوداً عن الحمى والسيادة.

ومن أبرز مظاهر المقارنة بين ما تدّعيه السياسة الأمريكيّة وتفعل نقيضه، استحضار الفرّج للحرب الكوريّة (١٩٥٠-١٩٥٣م)، «وتعرف أيضاً باسم حرب التحرير الوطنيّة الكوريّة؛ وهي الحرب التي اندلعت عام ١٩٥٠م بين قوّات جمهوريّة

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٥.

كوريا الشعبية الديمقراطية (كوريا الشماليّة)، وجمهورية كوريا (كوريا الجنوبيّة). ثمّ ما لبثت أن تدخلت قوَّات الولايات المتَّحدة وعدد من الدول، تحت غطاء «الأمم المتَّحدة»، لمصلحة الجنوبيّين، في حين حصل الشماليُّون على دعم بعض المتطوِّعين من جمهورية الصين الشعبيّة. وقد كانت هذه الحرب من أوائل الحروب المحدودة التي شهدها العالم بعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية، وعكست طبيعة الصراع الدوليّ في تلك الفترة»^(١).

يقف الفرّج مدافعاً عن مبدأ الحرّيّة والكيان الواحد للوطن والدولة أينما وجد، فينتقد الولايات المتَّحدة لاعتراضها طريق الوحدة بين الكوريتين، حين «عارض الأمريكيُّون توجُّه البلاد نحو الوحدة، وازداد تعنُّتهم عندما انُخبت اللجنة الشعبيّة المؤقَّتة لكوريا الشماليّة برئاسة (كيم إيل سونغ) في فبراير ١٩٤٦م»^(٢). إلّا أنّ وأد هذه الوحدة المبكِّرة كان سبباً في استمرار التوتر بين شطري البلاد، «ثمّ إلى مواجهات استدعت مجلس الأمن أن يعقد جلسة في الخامس والعشرين من مايو ١٩٥٠م، وصدر القرار بإدانة كوريا الشماليّة، منادياً بانسحاب القوَّات الشماليّة من المناطق الجنوبيّة، كما قرَّر مجلس الدفاع الأميركيّ الأعلى التدرُّج إلى جانب كوريا الجنوبيّة، وسُرعان ما بدأت القوَّات الأمريكيّة بالتدفُّق إلى البلاد»^(٣).

خالد الفرّج بصفته شاعراً ملماً بالتاريخ السياسيّ العالميّ، يحتجُّ بالتاريخ على الواقع، ويستدعي هذا القرار المجحف الذي اتَّخذه مجلس الأمن بقيادة الولايات المتَّحدة الأمريكيّة، حين آثرت الحرب على السعي لتوحيد البلدين، فيقول:

قَالُوا اغْتَدَى الْكُورِيُّ لِمَ
مَا شَاءَ أَنْ يَتَوَحَّدَا

(١) عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج٢، ص ٢١٢.

(٢) عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج٢، ص ٢١٢.

(٣) عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج٢، ص ٢١٢.

مَنْعُوا الشَّقِيقَ شَقِيقَهُ

كَئِنْ لَا يَمُدُّ لَهُ يَدًا^(١)

ويرى أن سبب حؤول الولايات المتحدة دون توحد الكوريين هو سياستها القائمة على التقسيم، وخشيتها من ميلاد دولة قويّة منافسة لها في شرق آسيا، فما كان منها إلا الانتصار لشطر على الآخر، لإجهاض الوحدة، والتي ما زالت مجهزة حتى يومنا هذا. شبح الوحدة هذا أرقّ الرئيس الأمريكي هاري ترومان^(٢)، فلم يجد حلاً إلا بالقضاء المبرم على هذه الوحدة، فكان قرار الأمريكيين في التدخل وبالأعلى عليهم، فيقول الفرّج في ذلك:

وَلِذَاكَ قَدْ أَرْغَى (تُرُو

مَانُ) النَّزِيَهُ وَأَزْبَدَا

فَأَثَارَهَا حُمُرَاءُ تَرُ

مِي بِاللَّهْيَبِ وَبِالرُّدَى

حُمُرَاءُ تَارِيخُ (الْأَمَا

رِك) صَارَ مِنْهَا أَسْوَدَا^(٣)

(١) خالد محمد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٦٦. وانظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وأثاره، ص

٦١-٦٢. وانظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٢١.

(٢) هاري ترومان Harry.S.Truman (١٨٨٤-١٩٧٢م) الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في مدينة ميسوري، وأصبح نائباً عنها في مجلس الشيوخ عام ١٩٣٤م. اختاره الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت لمنصب نيابة الرئاسة الأمريكية عام ١٩٤٤، وخلفه رئيساً في العام التالي، من دون أن يكون له خبرة في اتخاذ القرارات القوميّة والدوليّة. أيد فكرة الأمم المتحدة في استعمال القنبلة الذريّة على اليابان في صيف عام ١٩٤٥م. أقحم بلاده في النزاع الكوري، وأقصى الجنرال ماك آرثر القائد العام في الشرق الأقصى عام ١٩٥١م. لعب دوراً في تأييد الحركة الصهيونيّة، وفي دعم قيام إسرائيل بكل الوسائل، وكان أوّل من اعترف بها. وقد وصف في مذكراته طبيعة الضغط الصهيوني على البيت الأبيض في عهده. انظر: عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسية، ج ٧، ص ٧٢٤.

(٣) خالد محمد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٦٦. وانظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وأثاره، ص

٦١-٦٢. وانظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٢١.

كما يستحضر الخسارة التي تكبدها الأمريكان في كوريا، حين وقف الجيش الأمريكي مع كوريا الجنوبية في مواجهة كوريا الشمالية، لكنه تلقى خسارة لا تقل عن تلك التي مُنيت بها الكوريتان. ويستكر هذا التناقض في السياسة الأمريكية؛ فكيف تتدخل أمريكا في الكوريتين بغية إنقاذهما من الانجراف إلى حرب طاحنة تدمرهما، في حين كان تدخلها عسكرياً، بل سبباً في جزء كبير من الدمار الذي خلفته الحرب؟ فأني إنقاذ هذا؟ يقول:

وَلَكِنْ فِي كُورِيَا مِنْكُمْ
دَمَارًا إِلَى رَبِّهِ يَجَازُ
أَتُنْقِذُهَا بِالدَّمَارِ الْمُحِيقِ؟
وَلَمْ يَبْقَ بَيْتٌ وَلَا مَثَرٌ؟
فَلَوْنُ الدَّمَاءِ وَلَوْنُ الْحَرِيقِ
كَلَّوْنُ مَبَادِيهِمْ أَخْمَرُ^(١)

وأشار أيضاً إلى هذا التدخل المجحف في كوريا، في حديثه عن تدخلها المشابه مع فرنسا في مواجهة دولة فيتنام^(٢)، واستعمل في ذلك الأسئلة الاستكارية التي تنحصر الإجابة عنها في السياسة الاستعمارية الأمريكية. فقال:

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٤٦.
(٢) أمام الهزائم المتلاحقة للجيش الفرنسي، غيرت فرنسا خططها في الحرب، وأعلنت استقلال كل من: لاوس وكمبوديا وفيتنام، وعُينت على الأخيرة «باو داي» إمبراطوراً فيتنامياً؛ لمواجهة الفيتناميين بحكومة وجيش فيتناميين، وبذلك أصبحت الحرب أهلية ذات طابع دولي، مكنت فرنسا من طلب المساعدة العسكرية من الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تنظر بقلق إلى تصاعد المد الشيوعي في منطقة الهند الصينية، وبخاصة عند إعلان الحرب الكورية ١٩٥٠-١٩٥٣. وهكذا بدأت المساعدات العسكرية والمالية الأمريكية تأخذ طريقها إلى فيتنام شيئاً فشيئاً بشكل بطيء في البداية، إلى أن أصبحت أمريكا تفكر في الحلول مكان فرنسا. انظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٤، ص ٦٦٣.

وَكُورِيَا لِمَ حُلْتُمْ دُونَ وَحْدَتِهَا؟

وَلِمَ أَعَنْتُمْ فَرَنْسَا ضِدَّ فِتْمِينِ؟^(١)

كان التدخل التعسفي الذي انتهجته أمريكا في شؤون الدول الأخرى، مرتعاً خصباً للنقد من الشاعر الفرّج، فحرص على التقيب عن مثالب السياسة الأمريكية، وشدد على استحضار تدخلاتها في الدول غير العربية، كالتدخل الأمريكي في الصين، وفي كوريا، وفي فيتنام، وفي صف بريطانيا في مواجهة دول المحور في الحرب العالمية الثانية، وذلك ليؤكد أنّ سياستها طبعٌ خبيثٌ فيها، عانته دول كثيرة في الغرب قبل الشرق.

إنّ في قصائد الفرّج دعوة صريحة لدول الأحلاف، وبخاصّة أمريكا، كي يتركوا دول العالم تنظّم شؤونها بنفسها بعيداً عن وصايتهم التي لا تجلب إلا التفرقة والخراب، والأجدر بهم الاهتمام بشؤونهم الداخلية فقط. فقال منتقداً ومستهجئاً:

وَقَدْ تَعَامَتْ عَنِ الشَّمْسِ التي بَرَعَتْ

لِوَأَقِيعٍ وَاقِيعٍ فِي دَوْلَةِ الصَّيْنِ

مَا شَأْنُكُمْ بَيْنَ قَوْمٍ، لَا أَبَا لَكُمْ؛

اسْتَبْدَلُوا حُكْمَ بَكَيْنٍ بِبِنْكِينِ؟^(٢)

يذهب بنا إلى الحرب اليابانية الصينية (١٨٩٤ - ١٨٩٥م) التي أسهمت في ظهور اليابان كقوة عالمية رئيسة مقابل هزيمة الصين وانكسارها، وهذا شجّع

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٨٩. [فيت مين Vi\T.Minh، اختصاراً لـ «اتحاد استقلال فيتنام». تشكّل هذا الاتحاد عام ١٩٤١، بهدف السعي لاستقلال فيتنام عن فرنسا. وتعتبر فيت مين تحالفاً للمجموعات الشيوعية والقومية التي عارضت الفرنسيين واليابانيين في أثناء الحرب العالمية الثانية. وعزمت فيت مين على مقاومة الحكم الفرنسي في الحرب الهندو صينية الفرنسية (١٩٤٦ - ١٩٥٤). انظر: ويكيبيديا.]

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٨٩. [نانكين: تكتب باللغة الصينية Nanjing أو Nandjin، وأحياناً Nanking. مدينة في وسط شرق الصين، وهي عاصمة مقاطعة جيانغسو Jiangsu، تقع في دلتا نهر اليانغتسي. كانت عاصمة الصين حتّى عام ١٤٥٠، ثمّ بين عامي ١٩٢٨ - ١٩٤٩. انظر: الموسوعة العربية الإلكترونية].

القوى الغربيَّة على بسط المزيد من نفوذها في البلاد. وتعتبر هذه الحرب حرباً إقليميَّّة، ومن مقدِّمات الحرب العالميَّة الثانية، نشبت بين الطرفين بسبب سياسة التوسُّع اليابانيَّة في الصين. أمَّا تدخُّل أمريكا في الصين، فكان استعداداً من دول الحلفاء -بعد هزيمة اليابان في الحرب العالميَّة الثانية- لطرد اليابانيِّين من الصين، إلَّا أنَّ الحرب اليابانيَّة الصينيَّة انتهت بانتهاء هذه الحرب^(١).

وتُعتبر الشؤون السياسيَّة الداخليَّة للدول الأخرى حُرمة سياديَّة لا يجوز مساسها، وما دامت أمريكا لم تتعرَّض لهجوم من إحدى هذه الدول، فإنَّ تدخُّلها في شؤون سواها هو احتلالٌ بمباركة دوليَّة وبصبغة إنسانيَّة، لكنَّه بعيدٌ عن المنطق السياسيِّ الذي تتشدَّق به. وما صيحات الإنقاذ الأمريكيَّة التي تسبق كلَّ حرب تخوضها، إلَّا طبولٌ تُقرعُ لحربٍ طاحنة، فهذا السلوك يجعل أعمالها بعيدة كلَّ البعد عن السلام الذي تحاول نُصرته أينما وجد.

فإذا كانت أمريكا مشرِّعة القوانين الإنسانيَّة، وضابطة المعاهدات السلميَّة، وحاضنة الحوارات العالميَّة، وصاحبة القول الفصل في مجلس الأمن الدوليِّ وغيره من الهيئات السياسيَّة الدوليَّة، وكانت أفعالها الاستعماريَّة والتقسيميَّة تخالفُ منطلقاتها النظريَّة، فأَيُّ حقٍّ يمكن أن تنصف به الدول المستعمَرة؟ وفاقد الشيء لا يعطيه؛ فهي تحلُّ لنفسها ما تحرِّمه على غيرها.

وأسهب الشاعر الفرُج في فضح الأطماع الاستعماريَّة الأمريكيَّة على مستوى العالم، فرأى أنَّ أساس المكر السياسيِّ الأمريكيِّ قائم على المنفعة الماديَّة، وضرب على ذلك مثلاً استعمارها الاقتصاديَّ للهند والصِّين، فقال:

أَزْهَقَهُ الْعَرَبُ بِوَيْلَاتِهِ
وَاسْتَنْزَفَ الْقَيْرَاطُ مِنْ ثَرَوَتِهِ

(١) عبد الوهَّاب الكيَّالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ١٩٥-١٩٧.

وَكُلُّ شَرْقِيٍّ عَلَى وَجْهِهَا
يُحِسُّ بِالْآلَامِ فِي بُقْعَتِهِ
فَالْهِنْدُ قَدْ ضَجَّتْ مَلَايِينُهَا
مِنْ امْتِصَاصِ الْغَرْبِ مَعَ قَسْوَتِهِ
وَالصِّينُ -مَعَ تَخْدِيرِ أَغْصَابِهَا-
أَلَمَهَا الْمُؤْتَصُّ فِي عَضَّتِهِ^(١)

تتضح هنا مزاجية الشاعر بين النظم التاريخي في الإلمام بالأحداث السياسية، والشعر العربي في صوره وتشبيهاته الفنية الإبداعية؛ فيستحضر أسماء الدول التي كانت مطمعا للاستعمار الأوروبي، ويدخل في أحداث ما جرى عنصر التشبيه والتصوير الفني، لتأتي الحادثة التاريخية ممزوجة بروعة الشعر.

كما تناول الشاعر أبرز الرموز التاريخية التي تتغنى بها أمريكا، ومن ذلك تعرضه بالنقد لتمثال الحرية^(٢) الذي يحمل مشعلاً عند مدخل مدينة نيويورك، ويشير إلى أنه هدية إلى أمريكا من دولة عرفت بالافتراء وسلب الحريات، فيرى أن المشعل في كف التمثال سبب احتراق العالم في الحرب العالمية الثانية، فيقول:

أُهِدِي لَهُمْ ذَلِكَ التَّمْثَالَ مِنْ بَلَدٍ
بِهِ الْأَبَاطِيلُ مِنْ زُورٍ وَبُهْتَانٍ
فِيهِ لِحَرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ قَدْ نَصَبُوا
تَمَثَالَ إِفْكٍ حَشَوُهُ رُوحُ طُغْيَانٍ

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٧.

(٢) تمثال الحرية: عمل فني نحتي، أهدته فرنسا للولايات المتحدة الأمريكية في الثامن والعشرين من أكتوبر ١٨٨٦م، بمناسبة الذكرى المئوية للثورة الأمريكية (١٧٧٥-١٧٨٣م). ومنذ ذلك الحين، استقر التمثال بموقعه المطل على خليج نيويورك في ولاية نيويورك الأمريكية، ليكون في استقبال كل زائر البلاد، سواء أكانوا سائحين، أم مهاجرين. قام بتصميمه فريدريك بارتولدي، بينما صمم هيكله غوستاف إيفل. انظر: ويكيبيديا.

ذَا مِشْغَلٌ أَخْرَقَ الدُّنْيَا وَمَا وَسَعَتْ

بِشَرِّ مَا صَنَعَتْهُ كَفُّ إِنْسَانٍ^(١)

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فالفرج لم يكتفِ بفضح السياسة الخارجية
لأمريكا، بل تعدّاها إلى نقد سياستها الداخلية، مشدّداً على الناحية الاجتماعية
الإنسانية، وذلك في نقد التفرقة العنصرية التي سادت الولايات المتحدة آنذاك،
«والتفرقة العنصرية تقوم على ادّعاء أنّ شعباً من الشعوب، أو قوماً من الأقوام،
أو جنساً من الأجناس البشرية، أو قبيلة من القبائل، أو عشيرة من العشائر،
أو مجموعة من الناس، تتميز في صفاتها الجسميّة والعقليّة عمّا عداها، وأنّها
لذلك صاحبة الفضل في بناء الحضارة الإنسانية والمدنيّة، ومؤهلة من أجل هذا
السبب للقيادة والإمارة على الآخرين»^(٢). فيطالب الشاعر الأمريكيّ بأن ينظروا
في حال مجتمعمهم المتردّي، القائم على التمييز والفصل العنصريّ على أساس
العرق، «وتقسيم الناس إلى طبقتين: فوقيّة متفوّقة، وسفليّة جاهلة، ومنح الأجناس
المتفوّقة امتيازات ماديّة ومعنويّة يحجبها عن الأجناس الدنيا»^(٣)، يقول:

وَبِأَمْرِي كَا زُنُوجُ

عُنُقَاء أَمْ رَقِيْقٌ^(٤)

هذا النقد الإنسانيّ من جهة، والداحض للادّعاءات الأمريكيّة بسعيها إلى
المساواة، ونُصرة المظالم أينما وجدوا من جهة ثانية، يؤكّد الرسالة الإنسانية
السامية لدى الشاعر خالد الفرّج. فقد دان السياسة العنصريّة لأمريكا، وأورد
برهاناً جديداً على مدى بُعدها عن العدالة والمساواة، لكنّه يأسى لحال هؤلاء

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٩٠.

(٢) محمّد البهي، التفرقة العنصريّة والإسلام، ط١، مصر: مكتبة وهبة، ١٩٧٩، ص ٣.

(٣) عبدالوهاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٧٨٨.

(٤) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٦٤.

الزنج المعلقين بين العبودية والحرية، فيراهم أحراراً مقيدين قسراً وظلماً. والدليل على السمة الإنسانية في شعر الفرج، رفقه بالزنج المستضعفين الذين بدأت معاناتهم في دولة جنوب أفريقيا إبّان الاستعمار الأوروبي لها في بداية القرن العشرين، ثمَّ سنَّ قانونٍ كان الأكثر إجحافاً في حقِّ الإنسان، على يد رئيس الحزب الوطني في دولة جنوب أفريقيا «دانيال فرانسوا مالان»^(١)، فقال مستحضراً هذا القانون:

ثُمَّ قَانُونٌ مَالَا

نَ فَرِيْقٌ وَفَرِيْقٌ^(٢)

ففي العام ١٩٤٨م نجح الحزب الوطني في جنوب أفريقيا في الانتخابات الرئاسية، ضمن شعارين كانا مثلاً لأسوأ نظام عنصري عرفه تاريخ البشرية؛ حيث طرح زعيم الحزب دانيال مالان أُسسَ النظام العنصري، والموجه بالدرجة الأولى إلى المواطنين الأصليين من السود، ضمَّنَ الشعار الأول: (الزنجي في مكانه المناسب)، بينما جاء الشعار الثاني موجّهاً إلى الهنود والملونين معاً: (ليرحل الهنود عن البلاد)^(٣).

هل كان ربطُ الشاعر قضيةَ الزنج في أفريقيا بالزنج في أمريكا من باب التذكير بالعدل والمساواة فقط، أو كان لاستحضار قانون مالان في سياق البرهنة على المتناقضات والأضداد في سياسة أمريكا، هدف آخر؟ وإنّا باستحضار قانون مالان، وملابسات الحال السياسية آنذاك، وأسلوب الحكم القائم على أساس

(١) دانيال فرانسوا مالان Daniel.François.Malan (١٨٧٥-١٩٥٤م)، هولندي الأصل، رئيس «الحزب الوطني» في دولة جنوب أفريقيا، وصاحب قانون التمييز العنصري بالفرقة على أساس العرق واللون، ليقسم المجتمع فريقيْن: الأول من البيض الأوروبيين المستعمرين، والثاني من الأفارقة السود والهنود المستوطنين. انظر: إبراهيم عبدالفتاح خليفة، التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، ط١، [منشورات كتب سياسية]، لا مك، ١٩٦٤، ص ٩. [نسخة مصورة].

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٦٤.

(٣) إبراهيم عبدالفتاح خليفة، التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، ص ١١.

عنصريّ، مع حفاظه على البصمة الإيجابية لاستقطاب الموالين لسياسة الفصل، نجد أنّ الشعار الذي أطلقه الحزب لنفسه ينطوي على المتناقضات نفسها التي تضمّنتها سياسة الولايات المتّحدة؛ أوضحها إبراهيم عبدالفتاح في قوله: «وللحزب المتّحد سياستان متناقضتان، يربطهما شعار بّراق واحد، هو شعار (التفرقة العنصريّة مع العدل) ويعتقد الحزب بوجود التقبّل الواقعيّ للمتناقضات القائمة، والتهيئة التقدّميّة للأحداث الجديدة، والمواجهة الحاسمة للأمور»^(١).

إنّ استحضار قانون مالان في سياق نقد التمييز العنصريّ في أمريكا، إشارة إلى أنّ الشاعر يرفض كلّ عملٍ يعتدي على الإنسان بعامّةٍ، ويغتصب حقّه في الحياة الكريمة. ولأنّ العام ١٩٤٨م من أهمّ الأعوام بالنسبة إلى الجنوب أفريقيّين، إذ شهد ولادة نظام التفرقة العنصريّة في جنوب أفريقيا، فقد كان أيضًا تاريخًا محفورًا في الذاكرة الفلسطينية، إذ هُجّر فيه آلاف الفلسطينيين من منازلهم بغير وجه حقّ. ففي كلتا الحالتين، خلق الدهاء الأمريكيّ الظروف الملائمة لممارسة التمييز والتفرقة العنصريّة بحقّ الشعوب والسكّان الأصليّين، فلم تنتقدها أمريكا، بل غضّت النظر عنها، ولعلّ تاريخها الحافل بهذا النوع من القهر الإنسانيّ والتقسيم العرقيّ، قد منعها من نصرّة هذين الشعبين المظلومين.

كلّ هذه المقارنات التي عقدها الشاعر الفرّج في البرهنة على مكر السياسة الأمريكيّان، جاءت لغرضٍ وحيد هو إثبات كذب ادعاءات الأمريكيّان نصرّة القضيّة الفلسطينية، في حين أنّ تاريخها الأسود من قبلُ يؤكّد هذا المكر والخداع، وبخاصّة أنّها الداعم الأوّل لليهود في إقامة وطنهم المزعوم. فيخلص الشاعر إلى المقارنة بين كلّ ما سبق -من تضادّ المواقف الأمريكيّة الداعية إلى الحرّيّة والعدالة والمساواة، والمتذرّعة بإنقاذ الشعوب من مستتقع الظلم والقمع والاستبداد-

(١) إبراهيم عبدالفتاح خليفة، التفرقة العنصريّة في جنوب أفريقيا، ص ١٤ - ١٥.

والقضية الفلسطينية التي تعتبر جرح الوطن العربي النازف؛ فكلُّ قضيةٍ عربيّةٍ أو عالميّةٍ، وكلُّ دعوةٍ إلى الحرّيةِ، وكلُّ مأساةٍ إنسانيّةٍ، تتكأ الجرح الفلسطينيّ في ضمير كلِّ عربيٍّ، وتعيده إلى ذلك التاريخ الأسود في سفر الأُمّة العربيّة. فقال الفرّج في ذلك:

وَفِلَسْطِينُ تُعَانِي
مِنْهُمْ مَا لَا تُطِيقُ
سَلِّطُوا أَنْجَسَ شَعْبٍ
لِلدَّمِ الزَّاكِي يُرِيقُ
شَرُّدُوا الْأَخْيَاءَ مِنْهُمْ
وَبِهِمْ غَصَّ الطَّرِيقُ
ثُمَّ قَالُوا: الْعَالَمُ الْخُرُ
رُ عَلَى النَّاسِ شَفِيقٌ^(١)

يجزم الفرّج أنّ أمريكا هي الراعي الرسمي للعدوان الصهيونيّ على فلسطين، فيصوّر مساندتها للعدوّ الذي احتلّ أرضاً ليست أرضه، ونهب ثروات ليست ملكه، وشردّ أهلها عام ١٩٤٨م، من غير أن يتّضح للشاعر أيُّ دافعٍ منطقيٍّ يقنعه بسبب هذه المساندة، سوى الطبيعة الاستعماريّة لأمريكا، وتدخلها الدائم في شؤون الشعوب، من غير أيّ حسيب أو رقيب، فقال:

عَرَفْنَا مَا النَّوَامِيْسُ
وَأَشْيَا غَيْرَ مَحْسُوسَةٍ
سَوَى إِخْيَاءِ أَفْرِيكََا
لِإِسْرَائِيلِهَا السُّوسَةِ^(٢)

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٦٤.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٧٥. انظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربيّ في الكويت، ص ١٢٣.

يتّضح لنا من هذين البيتين سبب الموقف النقديّ للشاعر الفرّج إزاء سياسة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، رغم أنّها لم تكن ذات تأثير مباشر في العالم العربيّ كما كان حال فرنسا أو إنجلترا أو إيطاليا أو البرتغال أو إسبانيا، بيد أنّها كانت الداعمة الأقوى للصهاينة اليهود المحتلّين لفلسطين، بل إنّ الشاعر ينسب إسرائيل إلى أمريكا، وكأنّه يشير إلى أنّ الاحتلال الإسرائيليّ هو جزءٌ من الاحتلال الأمريكيّ، أو أنّ هذه هي طريقة الأمريكان في الاحتلال على عكس الطرق المباشرة التي تنتهجها الدول المستعمرة الأخرى.

لا يطمح الفرّج إلى العالميّة باستحضار قضاياها في شعره، لكنّه كان يستغلّ ثقافته التاريخيّة والسياسيّة في إلقاء الضوء على الآخر الأجنبيّ، والإحاطة بواقعه السياسيّ الخارجيّ والداخليّ، فضلاً عن طبيعة القضايا التي كان يتناولها، والمنطوية على قدرٍ كبيرٍ من الأهميّة، إذ تُعتبر بمجملها قضايا مفصليّة في تاريخ الأمم في العالم. تجدر الإشارة إلى أنّ نقد المطامع الاستعماريّة لم يكن محصوراً في سياسة دولة معيّنة فقط، بل تعدّى ذلك عند بعض الشعراء الكويتيّين إلى الهيئات السياسيّة الدوليّة، ولجان حقوق الإنسان، والمنظّمات السياسيّة التي تدّعي مؤازرتها للمظلومين في العالم. وسنقف على أبرز هذه الهيئات والمؤسّسات التي تعرّضت للنقد من الشعراء الكويتيّين، والوقوف على مدى نموّ وعيهم السياسيّ لما دار في كواليس هذه الهيئات من مؤامراتٍ حيكت على العالم العربيّ.

ثالثاً: انتقاد الشعراء الكويتيّين للهيئات والمؤسّسات السياسيّة الدوليّة

تناول الشعراء الكويتيّون بالنقد أبرز الهيئات والمؤسّسات السياسيّة الدوليّة، وبيّنوا دورها في دعم الاستعمار الذي عانى منه العالم بعامّة، والوطن العربيّ بخاصّة، فانقدوا انحيازها إلى جانب اليهود في المقام الأوّل على الفلسطينيين، واستهجنوا مخالفة شعاراتها الرنانة لقراراتها المخيّبة للأمال.

يشير الشاعر الفرّج إلى مؤامرات المجتمع الدوليّ المبكّرة التي تعود إلى بداية الانتداب البريطانيّ على فلسطين، حين «صادق مجلس عصبة الأمم على صكّ الانتداب في الرابع والعشرين من تمّوز- يوليو ١٩٢٢م، ووضع موضع التنفيذ في التاسع والعشرين من أيلول- سبتمبر ١٩٢٣م. تألّف الصكّ من مقدّمة وثمانية وعشرين مادّة. اختصّت المواد (٢، ٤، ٦، ٧، ١١، ٢٢) بإنشاء الوطن القوميّ اليهوديّ، أمّا المواد (١، ٣، ١٧، ٢١) فقد تناولت المصالح البريطانيّة، وأعطت دولة الانتداب السلطة التامّة في التشريع والإدارة. وامتنع صكّ الانتداب عن الإشارة صراحة إلى الفلسطينيين كشعب، أو ذكر حقوقهم في تقرير المصير، بينما اشتمل على النصّ الكامل لوعد بلفور، وأكد التزام سلطة الانتداب رعاية مشروع إقامة وطن قوميّ لليهود ودعمه»^(١). فقال ناقدًا عصبة الأمم في قصيدة نظمها عام ١٩٢٩:

يَا عُصْبَةَ الْأُمَمِ اكْشِفِي
عَنَّا قَنَاعَكَ وَالْوَصِيدُ
فَالسَّيْلُ قَدْ بَلَغَ الرُّبَى
مِنْ ذِي الْمَطَامِعِ أَوْ يَزِيدُ
قُومِي بِتَخْرِيرِ الْمَمَا
لِكَ قَبْلَ تَخْرِيرِ الْعَبِيدُ
مَنْ كَانَ يَغْبِثُ بِالْعُھُو
دِ فَكَيْفَ يَحْتَرِمُ الْوُعُودُ؟^(٢)

طالب أعضاؤها بالكشف عن نيّاتهم الحقيقيّة التي يخفونها خلف الوعود البرّاقة التي أغرقوا الشعوب العربيّة بها، واستبعاده تحقيق الوعود الأجنبيّة للعرب؛ إذ إنهم لم يحفظوا العهود الموثّقة بينهم، فكيف سينفذون وعودهم بإعادة الحقّ العربيّ المسلوب؟.

(١) انظر: بديل، الموقع الفلسطينيّ لمصادرة حقوق المواطنة واللاجئين.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٥٦. انظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وآثاره، ص ٢٩.

ويستدعي الفرَجُ مسألةَ مهمّةٍ في تفضيده المزاعم الأوروبيّة برعاية السلم والسلام، إذ يرى أنّ إعتاق الدول العربيّة من عبوديّتها، وتحريرها من هوانها تحت نيّر الاستعمار، أولى من تحرير البشر أفراداً من عبوديّتهم لأفراد آخرين، فالممالك أولى بالتحرير. والفرج بذلك يستذكر مؤتمر العبوديّة؛ ففي «عام ١٩٠٦م عَقَدَت عُصبة الأمم مؤتمر العبوديّة الدوليّ، حيث قُرِّرَ منع تجارة العبيد وإلغاء العبوديّة بمختلف أشكالها، وتأكّدت هذه القرارات بالإعلان العالميّ لحقوق الإنسان»^(١).

نلاحظ اهتمام الفرج بالمقارنة حدثاً بحدث، واستناده إلى القياس في الإدلاء برأيه وحجّته، وعنايته بالتفاصيل الدقيقة للأحداث، ومن ذلك قصيدته «ميثاق السّلام» التي نظمها بُعيد عقد مؤتمر السلام في العاصمة الفرنسيّة باريس، فيقول في مقدّماتها: «في يوم السابع والعشرين من تمّوز سنة ١٩٢٨م الساعة الثالثة والدقيقة الخمسين بعد الظهر، اجتمع مندوبو أربع عشرة دولة من كُبريات دول العالم في قاعة الساعة الشهيرة في باريس، حول مائدة على شكل حذاء الفرس، ووقّعوا ميثاق السلام، فدوّت المدافع ورنّت النواقيس وأقيمت الصلوات»^(٢). وقال في توصيفه لأحداث الجلسة:

أَزَفَتْ بِبَارِيسَ الْجَمِيلَةِ سَاعَةٌ
لَكَ وَسَطَقَاعَتِهَا هَنَا دَقَاقُ
دَارَتْ عَلَى نَعْلِ الْحِصَانِ جَهَابُ
وَلَدَيْهِمُ الْأَقْلَامُ وَالْأَوْرَاقُ
هُمْ وَقَّعُوا وَلَعَلَّهُمْ لَمْ يَفْطَنُوا
أَنَّ الْحِذَاءَ بِوَقْعِهِ خَرَّاقُ

(١) عبدالله يوسف سهر، «العبوديّة القديمة والاستعباد الجديد... هل من علاقة!»، جريدة الوطن الكويتيّة، ٢٠-٨-٢٠١١.

(٢) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٥١.

لِلْهَزْلَةِ وَلُغْبَةِ لَاعِبٍ
جُلَّى بِهَا الزُّعْمَاءُ وَالْحُذَّاقُ
أَتَرَاهُمْ حَلَمُوا بِحَرْبٍ فَازَتْأَوْ
تَفْسِيرُهُ بِالْعَكْسِ حِينَ أَفَاقُوا^(١)

يصف الفرّج الجلسة بشيء من التهكّم والسخرية، معتمداً على الكوميديا السوداء في نقل أحداث ما دار فيها، ومركّزاً على استحضار الأقلام والأوراق، في إشارة إلى أنّ كلّ هذا لا يتجاوز أن يكون حبراً على ورق، وبعيداً كلّ البعد عن الواقع السياسيّ على أرض الواقع. وما هي إلاّ لعبة سياسية أطرافها الدول الاستعماريّة ذوات المطامع الاستيطانيّة في الدول العربيّة، في سعيها إلى تقسيم الوطن العربيّ وتقاسم ثرواته وخياراته بين عصبتهم. وفي تهكّم بشكل فنيّ مبدع، يتناول الشاعر الشعر الذي أُطلق على هذا المؤتمر «السلام»، وكيف أنّه ينافي تماماً النتائج التي خرج بها المجتمعون، في تأكيد منه لنظريّة المتناقضات السياسيّة في أوروبا، ويرى أنّ التفسير الوحيد المنطقيّ لهذه التسمية، أن يكون المجتمعون قد حلموا بالحرب ليلاً، فارتأوا تفسيرها بالسلام نهاراً، عملاً بأسلوب بعض مفسري الأحلام؛ إذ يفسّرون الموت بالحياة الطويلة.

بل إنّ الشاعر لم يعد مؤمناً بمبدأ السّلم من أساسه، بعد ما عانتها البلاد العربيّة من الدعوات الكاذبة إلى هذا المبدأ المتخيّل، ويشدّد على نقده لتسمية المؤتمر بهذا الاسم، ووسّم الميثاق بهذا الشعر، فيقول:

يَا سَلْمُ هَلْ لَكَ فِي الْوُجُودِ حَقِيقَةٌ
حَتَّى يُسَطَّرَ بِاسْمِكَ الْمِثْثَاقُ؟
بِاللَّهِ قُلْ لِي أَيْنَ كُنْتَ مُذِ اعْتَدَى

قَابِلُ حِينَ جَرَى الدَّمُ الْمُهْرَاقُ^(٢)

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٥١.

(٢) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٥١.

حتَّى أَنَّ هَذَا المِيثَاقَ جَاءَ مَبْهَمَ المَعَالِمِ، غَيْرَ وَاضِحِ الصِّيَاغَةِ، اعْتَمَدَ فِيهِ
أَصْحَابُ القَرَارِ عَلَى اللُّغَةِ المَحَاضِيَةِ لِلْحَقِيقَةِ، الغَامِضَةِ بَيْنَ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ، فَبَاتَ
أَشْبَهَ بِالطَّلَاسِمِ السَّحَرِيَّةِ، أَوْ مَخْطُوطِ بَرِيْشَةٍ مُشْعَوِذٍ لَا يَتَقَنَّ إِلَّا السَّحَرُ وَحَرْفُ
الحَقَائِقِ، فيقولُ الفَرَجُ:

كَتَبُوا لَكَ المِيثَاقَ طِلْسَمًا كَمَا

لِلْبَحْتِ خُطٌّ، وَجَمَجَمَ الطُّرَاقُ^(١)

ويسخر من منظِّمة حقوق الإنسان والدول الكبرى التي تجتمع لتقرير حقوق
هذا الإنسان، مسائلًا إيَّاهَا عن الإنسان الذي قصدوه في منظِّمتهم؛ فهل هو
العربيُّ والغربيُّ، أَوْ حَكَّرُ عَلَى الغربيِّ الأجنبيِّ فقط؟ ولماذا تُقَرُّ هذه الحقوق
المزعومة للإنسان في بلاد الغرب، وساسته أبعد ما يكونون عن احترام حقوقه، مع
أَنَّ كُلَّ أُمَّمٍ العَالَمِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ متساوية في انتمائها إلى مفهوم الإنسان، وأَلَّا يَكُونَ
تمييز بين من يستحقُّ اللقبَ لينال حقوقه، وآخرين محرومين إيَّاه؟ فيقول:

مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ قُلْ لِي؟

ثُمَّ مَا تِلْكَ الحُقُوقُ؟

وَلِمَاذَا قَرَّرُوهُهَا

وَبِهَآ مِنْهُمْ خُرُوقُ؟

أُمِّ الدُّنْيَا تَوَافَتْ

لَمْ تَمَيِّزْهُمْ خُرُوقُ^(٢)

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٥٢. [الطَّلْسَمُ في علم السحر: خطوط وأعداد يزعم كاتبها أَنَّهُ يربط بها روحانيَّات الكواكب العلويَّة بالطبائع السفليَّة، لجلب محبوب أَوْ دفع أذى. انظر: المعجم الوسيط، ص ٥٦٢. جَمَجَمَ فلانٌ: لم يُبَيِّنْ كلامه، ويقال: جَمَجَمَ كلامه. وَجَمَجَمَ الشيءَ في صدره: أخفاه ولم يُبَيِّده. الطُّرَاقُ جمع طارق. امْرَأَةٌ طَارِقَةٌ: مُنْجِمَةٌ بِالْحَصَى. انظر: قاموس المعاني].

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٦٤. انظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٢١.

ويخاطب الشاعر خالد الفرّج مجلس الأمن و«هيئة الأمم المتحدة» في العام ١٩٤٧م، سائلاً عن وجه العدالة في تقسيم فلسطين، وعن مفهوم الأمن الذي تدّعيه هذه الهيئة الدوليّة، فلعلّ مفهومه عند الغرب هو التقتيل والإجرام، ومساعدة الظالم على المظلوم، فيقول في ذلك:

يَا مَجْلِسَ الْأَمْنِ، بَلْ يَا هَيْئَةَ الْأُمَمِ
مَاذَا التَّلَاعُبُ فِي الْأَلْفَاظِ وَالْكَلِمِ؟
هَلِ الْعَدَالَةُ سَلَبُ الْمَرْءِ مَوْطِنَهُ؟
وَالْأَمْنُ هَلْ هُوَ فِي التَّقْتِيلِ وَالنَّقَمِ؟^(١)

تجدر الإشارة إلى أنّ الحرب العالميّة الثانية وما خلفته من دمار في العالم، كانت سبباً في إنشاء هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، والتي شكّلت بموجب ميثاق الأمم المتحدة^(٢)، ستّة أجهزة رئيسة للأمم المتحدة هي: الجمعية العامّة، مجلس الأمن، المجلس الاقتصادي والاجتماعي، مجلس الوصاية، محكمة العدل الدوليّة، الأمانة العامّة. «ووضع الميثاق المسؤوليّة عن حفظ السلم والأمن الدوليّين على عاتق مجلس الأمن، وللمجلس أن يجتمع كلّما ظهر تهديد للسلم. وبناءً على الميثاق، تهدف الأمم المتحدة إلى تحقيق أربعة مقاصد، هي: حفظ السلم والأمن الدوليّين، وإنماء العلاقات الوديّة بين الأمم، والتعاون على حلّ المشاكل الدوليّة وتعزيز احترام حقوق الإنسان، والعمل كجهة مرجعيّة لتنسيق أعمال الأمم. ويلتزم جميع الأعضاء في الأمم المتحدة قرارات مجلس الأمن. وبينما تُقدّم أجهزة الأمم المتحدة الأخرى التوصيات إلى الدول الأعضاء، ينفرد مجلس الأمن بسلطة اتّخاذ قرارات تُلزم الدول الأعضاء بتنفيذها بموجب الميثاق»^(٣).

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٥٩.

(٢) وقّع ميثاق الأمم المتحدة في السادس والعشرين من حزيران- يونيه ١٩٤٥م، في سان فرانسيسكو، في أثناء ختام مؤتمر الأمم المتحدة الخاصّ بنظام الهيئة الدوليّة، وأصبح نافذاً في الرابع والعشرين من تشرين الأوّل- أكتوبر ١٩٤٥م. ويُعتبر النظام الأساسي لمحكمة العدل الدوليّة جزءاً مُتممًا للميثاق. انظر: الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة، ميثاق الأمم المتحدة، مذكرة تمهيدية.

(٣) انظر: الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة، مجلس الأمن، التعريف بالمجلس.

وشدّد الشاعر عبدالله زكريّا الأنصاري على فشل مجلس الأمن في وضع حدٍّ للانتهاكات الاستيطانيّة في فلسطين، فوجّه قصيدته «قَد سَيَّمْنَا وَمَلَّلْنَا» إلى مجلس الأمن، منتقداً سياسته القائمة على الأضداد، قال:

مَجْلِسُ الْأَمْنِ! وَلِمَ أَسْمَعْتَنَا
مِنْ ضُرُوبِ الرُّؤْرِ فِي التَّحْكِيمِ فَنَّا؟
مَجْلِسُ الْأَمْنِ! وَمَا الدُّنْيَا سِوَى
لَعِبٍ، هَلَّا جَعَلْتَ الْخَوْفَ أَمْنًا
لَا أَرَى قَضْرَكَ هَذَا أَبَدًا
غَيْرَ بَيْتٍ شَيْدٍ لِأَحْرَارٍ سَجْنًا^(١)

ركّز على الأضداد في شكل «مجلس الأمن» ومضمونه، وشعاره الذي يزيّنه الأمن، كإشارة إلى المبادئ التي ينطلق منها، وعنوانٍ للأسس التي يقوم عليها، بينما أفعاله وقراراته بعيدة كلّ البعد عن الأمن والاستقرار، ومتّصلة بالخوف والقمع والاضطهاد.

لكنّ الشاعر الفرج لا يضع كلّ اللوم على أعضاء مجلس الأمن، بل يرى العرب سبباً في تمادي مجلس الأمن، إذ يضعون أنفسهم في هذه المواقف المستجلبة للرحمة والشفقة، فيتوجّه إليهم بخطابه، ويسألهم التقليل من الاحتجاج في كلّ موقف إلى مجلس الأمن، وكأنّهم القتلُ يشكو مظلّمته إلى قاتله، ومجلس الأمن لن يُصيخَ سَمْعُهُ إلّا إلى أصوات المدافع والبنادق التي وحدها تعيد الحقّ إلى أهله، فقال:

يَا قَوْمَنَا قَلِّلُوا، لَا دَرَّ دُرُّكُمْ
مِنْ اخْتِجَاجِ الْحَبَارَى لِلشَّوَاهِينِ

(١) مجلّة البعثة، السنة الثالثة، ١٩٤٩، العدد ١، ص ١٣.

فَمَجْلِسُ الْأَمْنِ أَعْمَى لَا تُنَبِّهُهُ

إِلَّا الْمَدَافِعُ لَا فَتَوَى الْقَوَانِينُ^(١)

فما شكواهم إلى المجلس بمختلفةٍ عن شكوى طائر الحبارى إلى صائده الجارح الشاهين. والأجدر بهم أن يتعاملوا مع مجلس الأمن كتعاملهم مع الأعمى؛ بأن يجذبوا انتباهه بالدفاع العسكري عن النفس، فصوت المدافع سيضع هذا المجلس أمام الأمر الواقع، ويجعله يتخذ قراراتٍ مسؤولة بحق الشعب الفلسطيني وقضيته المستعصية على الحل.

كما يتناول الفرع في نموذج آخر ميثاق الأطلسي^(٢) الذي هو تصريح مشترك صدر عن كلٍّ من فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، بعد اجتماع في جزيرة نيوفاوندلاند^(٣). فالشاعر يغريه جمال مدينة أتلنتا بقدر ما يسوؤه الميثاق الذي عقد فيها وارتبط باسمها، فيقول:

قَالُوا مَدِينَةُ أَتْلَنْتَا خُرَافِيَّةٌ

فَقُلْتُ مِيثَاقُ الْآتْلَنْتِي هُوَ الْخَرْفُ

قَدْ سَطَرُوا لِلْوَرَى حَبْرًا عَلَى وَرَقٍ

فِيهِ الْجَوَامِعُ إِلَّا الصَّدْقُ وَالشَّرَفُ^(٤)

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٨٩.

(٢) ميثاق الأطلسي: نسبة إلى المحيط الأطلسي، وله قراءات متعددة، منها: الأطلنطي، الأتلنتي. تم توقيع الميثاق في الرابع عشر من آب- أغسطس ١٩٤١م، حين اقترح فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة، وونستون تشرشل رئيس وزراء المملكة المتحدة، مجموعة من المبادئ من أجل التعاون الدولي في حفظ السلام والأمن. والوثيقة التي وقعت في أثناء اجتماعهما على ظهر سفينة صاحب السمو الملكي أمير ويلز، تُعرف باسم ميثاق الأطلسي. انظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٦، ص ٤٩٩.

(٣) نيوفاوندلاند: مقاطعة على ساحل البحر الشرقي لكندا.

(٤) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٦١. انظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرج: حياته وأثاره، ص ٤٤. [استعمل الشاعر همزة الوصل مكان همزة القطع في «الآتلنتي» لإقامة الوزن الشعري. وغلط الشاعر في رفعه الاسم بعد «إلا» وكان يجب نصبه على الاستثناء: الصّدق والشّرّف].

وعن البنود التي نصّ عليها الميثاق، يقول الفرّج:
قَالُوا تُصَانُ حُقُوقُ الْمَرْءِ كَامِلَةً
وَهُمْ بِمِلِّيُونَ مِنْ إِخْوَانِنَا قَذَفُوا
يَا لَيْتَ شِعْرِي! مَنْ الْإِنْسَانُ عِنْدَهُمْ؟
وَمَا الْحُقُوقُ؟ وَهَذَا بَعْضُ مَا اقْتَرَفُوا
يَا قَوْمُ لَا يُنْصِفُ الْإِنْسَانُ ظَالِمَةً
إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ يُنْتَصَفُ^(١)

لا تنتهي الأسئلة المنطقية الاستكبارية التي يطلقها الشاعر الفرّج من خلال نقده للهيئات السياسية الدولية، ولا يفتأ يخلص من دليل على المتناقضات السياسية، إلاّ يسعفه تاريخ الغرب الأسود بدليل آخر أقبح من سابقه. فيسأل بكلّ دهشة عن طبيعة الحقوق التي أقرّها الميثاق، وكيف يتناسب ويتوازي مفهوم حقوق الإنسان في نظرهم مع المليون فلسطيني الذين طردوا من أرضهم ووطنهم، بعد أن أقرّ الغرب فلسطينَ وطناً قومياً لليهود، أم تراهم لا يُدرجون المليون لاجئ تحت بند الإنسان أصلاً؟ وبعد هذه المقارنات بين الشكل الخارجي للمستعمر الأجنبيّ بوجهه الباسم، ومضمونه الاستعماريّ العنصريّ الذي يخفي الحقد والكراهية تحت ابتسامته، يستنتج الشاعر عبرةً يوجّهها إلى قومه العرب، هي أنْ فاقَدَ الشيءَ لا يُعْطِيهِ.

نلاحظُ اهتمام خالد الفرّج بالأحداث السياسية العالمية أكثر من اهتمام معاصريه بها، بل يكادُ يكون منفرداً في عرض التفاصيل الدقيقة لهذه الأحداث. بيدَ أنَّ هذا لا ينفي سمة نموّ الوعي السياسيّ عن الشعراء الكويتيّين المعاصرين له؛ إذ تناولوا بعض القضايا العالمية ولو بشكلٍ مقتضب، ويفسّر ذلك ولعهم بالشعردون ولعهم بالتأريخ والتوثيق. وسنقف على آراء الشعراء الكويتيّين في أبرز الأحزاب السياسية التي كانت صيحةً جديدة في مطلع القرن العشرين.

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٦١. انظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وأثاره، ص ٤٥.

رابعاً: مواقف الشعراء الكويتيين إزاء أبرز الأحزاب السياسية

تضمّنت بعض النماذج الشعرية تصويراً للأحزاب السياسية المنتشرة في النصف الأول من القرن العشرين، كالشيوعية، والاشتراكية، والبعثية. فمن الشعراء من رفض هذه الأحزاب رفضاً قاطعاً متأثراً بالفكر الديني الملتزم، ومن حيث يعتقد أنّ هذه الأحزاب تحلّ مكان العقيدة والولاء كما في الدين الإسلامي. وممن كانوا يؤمنون عميقاً بهذه الفكرة الشاعر يوسف بن عيسى القناعي، إذ قال في أرجوزته الخاصة بهذا الشأن:

اللَّهُ رَبِّي وَالْحَنِيفَةُ دِينِي
هَذَا اغْتِقَادِي مَذْهَبِي وَيَقِينِي
لَسْتُ بِقَوْمِي وَلَا اشْتِرَاكِي
وَلَا شُعُوبِي وَلَا أَفَاكِي
وَمَنْهَجِي قَوْلُ النَّبِيِّ الْأَوْحَدِ
لَا فَرْقَ بَيْنَ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدٍ^(١)

الشاعر القناعي في بيته الأول يتطابق معنوياً مع الشاعر فهد العسكر في قوله:

اللَّهُ رَبِّي وَالْحَنِيفَةُ دِينِي
فِيهِ اغْتِقَادِي رَاسِخٌ وَيَقِينِي^(٢)

يبدو من مضمون الأبيات رفض القناعي المطلق للأحزاب السياسية الجديد بعضها على العالم العربي، كما نلاحظ ربطه بين العقيدة الدينية والأحزاب السياسية على تنوعها، وربط الأخيرة بالإفك والكذب. يشرح موقفه منها، ويؤكد شكّه في مصداقيتها، ويرى أنّ الحزب الوحيد المفترض اتّباعه هو الدين الإسلامي، ويتجلى ذلك في دعائه للشعوب بالهدى بعد ضلالهم، حيث قال:

(١) يوسف بن عيسى القناعي، المنتقطات، ص ٥٠٣.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ٣٧.

وَوَفَّقِ الشُّعُوبَ جَمْعًا لِلْهُدَى

وَحَسْبُنَا اللَّهُ عَلَى مَنْ اغْتَدَا^(١)

وبعد تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي في دمشق، في السابع من نيسان عام ١٩٤٧م، وشعاره الذي اختاره تماشياً مع رغبة الشعوب العربية «أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة»، وأهدافه التي لخصها في «وحدة، حرية، اشتراكية»، لم يَرِ بعض الشعراء الكويتيين في هذا الحزب مظلة حقيقة يمكن أن تجمع العرب تحتها، بل انتقدوا هذا التنظيم الحديث، ومنهم الشاعر القناعي في قوله:

الْبَعْثُ لَا شَكَّ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِكُمْ

أَمَّا فَبَعْثُكُمْ هَذَا خُرَافَاتُ

لَوْ كَانَ حَقًّا لَكَانَ الْعَرْبُ أَجْمَعُهُمْ

فِي وَخْدَةٍ مَا بِهَا زَيْفٌ وَأَفَاتُ^(٢)

عداء الشاعر لهذا الحزب كان نابعاً من التزامه الديني، ورؤيته في كل حزب أو تنظيم خارج نطاق الدين الإسلامي باطلاً، ولعل ما يرجح هذا قوله:

وَلَوْ عَقَلْتُمْ رَجَعْتُمْ فِي تَنَازُعِكُمْ

لِلَّهِ فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ مِشْكَاءُ

تُضِيءُ بِالْحَقِّ أَنَّى كَانَ مَطْلَعُهَا

وَلَا تَقُولُ لَكُمْ لِحَقٍّ أَوْقَاتُ^(٣)

أمّا الشاعر خالد الفرّج فقد تناول المنتمي إلى الحزب الشيوعي بكثيرٍ من السخرية والتهكُّم، غير مستثنٍ أيّ فئة من هذا الحزب الجديد؛ علماً أنّ «كلمة

(١) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٥٠٤.

(٢) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٦١٨.

(٣) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات، ص ٦١٨.

شيوعية لم تظهر إلا في العام ١٨٤٠م في الغرب»^(١)، ثم لحقت بها الأحزاب الأخرى؛ «فقد تأسست معظم الأحزاب الشيوعية العربية في مطلع العشرينيات من القرن العشرين، وتكاد تكون من أقدم التنظيمات في الوطن العربي»^(٢). قال الفرّج:

الشُّيُوعِيُّ لَهْ وَجْهٌ
لَهْ عَرِيضٌ فِي طَوِيلِ
وَلَهْ أَنْفٌ عَظِيمٌ
وَلَهْ أَذَانٌ فِيلِ
وَقَمٌ كَالْكَهْفِ فِيهِ
غُرَزَتْ أَنْيَابُ غُؤُلِ
وَلَهْ عَيْنَانِ تَرْمِي
شَرَرًا فِي قُبْحِ حُؤُلِ^(٣)

بيد أن الشاعر في أبيات لاحقة يرى أن كل من يطلب الحق شيوعي، ولعلّه بذلك يحيلنا إلى النظرة التي ينظرها العامة إلى أعضاء الحزب الشيوعي، وخشيتهم الشيوعي وحذرهم منه، بل وصفه بالغول أمام الرأي العام. وربما قصد الشاعر بذلك النظرة الأمريكية أو الأوروبية إلى الحزب الشيوعي السوفييتي الذي قام على مبادئ الثورة والحرية. قال الفرّج:

ثُمَّ جِسْمٌ إِنَّهُ الشَّيْ
طَانٌ فِي شَكْلِ مُرِيْعِ
لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ
فَهُوَ مَلْعُونُ الْجَمِيعِ

(١) عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٣، ص ٥٣٢.

(٢) عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٣، ص ٢٥٨.

(٣) خالد محمد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٧٠. [غلط الشاعر في البيت الأخير، فلم يستطع قول الصحيح «ترميان»].

فَاسْكُتُوا إِنَّ زَهْزَهَكُمْ
فِي دِمَاءٍ وَدُمُوعٍ
إِنَّ مَنْ يَطْلُبُ حَقًّا
وَاضِحًا فَهُوَ شُيُوعِي^(١)

ويوجّه الشاعر خطابه إلى الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور^(٢)، نافياً تهمة الشيوعية التي نُسبت إلى العرب، وذلك بعد أن أعلن أيزنهاور عن مشروعه لمقاومة الشيوعية في الشرق الأوسط، والذي عُرف باسم مشروع أيزنهاور. ويشير الفرّج إلى أن سبب اتهام العرب بالشيوعية يعود إلى تشابه الأهداف التي ينادي بها الطرفان: العرب والشيوعيون، فالظلم الذي تعرّض له العرب في ظل الاستعمار أنتج شعارات تحرّرية وثورية تطالب بطرد المستعمر وإقامة العدالة، فاتّفقت مع شعارات الحزب الشيوعي. قال الفرّج:

قِيلَ عَنَّا بِالشُّيُوعِيَّةِ
يَا أَغْرَى الْقَوْمِ رُؤُسُ
لَا شُيُوعِيَّةَ وَاللَّهِ
لَدَيْنَا يَا رُؤُسُ
إِنَّمَا بِالظُّلْمِ مِنْهُمْ
طَفَحَتْ مِنَّا الْكُؤُوسُ^(٣)

(١) خالد محمد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٧٠. انظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وأثاره، ص ٢٧.
(٢) دوايت دافيد أيزنهاور Dwight.D.Eisenhower (١٨٩٠-١٩٦٩م) عسكري أمريكي، والرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية، وصل إلى رتبة جنرال في الحرب العالمية الثانية، وكان المسؤول عن عملية احتلال أفريقيا الشمالية عام ١٩٤٣م، واحتلال مقاطعة نورماندي في شمال فرنسا عام ١٩٤٤م، وفي عام ١٩٥٠م عُيّن القائد الأعلى للقوّات الحليفة في أوروبا بعد أن كان قد ترك الجيش، وفي عام ١٩٥٢م انتُخب رئيساً مرشحاً للحزب الجمهوري. استطاع أن يتوصّل إلى حلّ لحرب كوريا، لكنّه واصل سياسة احتواء الاتحاد السوفييتي التي بدأها سلفه هاري ترومان. وبعد حرب ١٩٥٦م بين العرب وإسرائيل وعدوان إنجلترا وفرنسا على مصر، طرح مشروع أيزنهاور كوسيلة لحلّول أمريكا مكان فرنسا وبريطانيا، فرفضه العرب. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٤٣٧.
(٣) خالد محمد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٨٦.

ويضمّن الشاعر الفرج أبياته إشاراتٍ إيحائيةً ورموزًا أحيانًا؛ فهو ليس شيوعيًا فيدافع عن الشيوعية، بل يحاول أن يُظهر حجم العداء الذي تُضمّره دول الحلفاء لكلّ من تسوّّل له نفسه بالثورة أيًّا كان شكلها، أو نوعها، أو مكانها، أو انتماؤها. إلى هذا المعنى يشير في أبيات من قصيدته «الجريمة»:

بِالْأَمْسِ كَانَتْ تَهْمَةُ الزُّنْدَقَةِ
تَبَعَتْ بِالْمَرْءِ إِلَى الْمِشْنَقَةِ
وَجَاءَ هَذَا الْقَرْنُ يَنْغَى عَلَى
النَّازِيَةِ التَّجْدِيفِ وَالْهَرْطَقَةِ
ثُمَّ الشُّيُوعِيَّةِ، يَا وَيْلَ مَنْ
شَعَارُهُ الْمِنْجَلُ وَالْمِطْرَقَةُ
أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ
مِنْ شَرِّ تِلْكَ التُّهَمِ الْمُؤَبِّقَةِ^(١)

العلاقة التي ربطت العرب بالشيوعية الروسية نتجت من رؤية الولايات المتحدة وحلفائها ما عند العرب من عزيمة وإصرار على مقاومة الاحتلال وطرد المستعمر، وارتفاع وتيرة النداءات المطالبة بالحرية والاستقلال، فربطوا هذه الأهداف بالأهداف التي تقوم عليها الشيوعية الروسية، ومعروفة هي حالة العداء بين المحورين. لكنّ الشاعر خالد الفرج ينفي الشيوعية عن نفسه وعن قومه العرب، ويردُّ وحدة المبادئ بينه وبينها إلى تعرُّض الطرفين للظلم المشترك، ذلك أنّ التحرُّر من هذا الظلم فطرة إنسانية لا تحتاج إلى قوانين تشرّعها، ولا مبادئ تسير عليها. ويؤكد محمود الأيوبي فكرة خالد الفرج، أنّ الغرب يتهمون بالشيوعية كلّ شعبٍ يثور طلبًا لحرّيته، فقال:

(١) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٩١.

وإذا بدا حُرُّ يُطالِبُ حَقَّهُ

قَالُوا: شُيُوعِيٌّ بِكُلِّ مَطَافٍ^(١)

يبدو لنا استنكار الشعراء تشويه الغرب لمبادئ الشيوعية التي نادى بها أتباع هذا الحزب لتحقيق المساواة والعدالة في مجتمعاتهم، وهذا الاستنكار يتوافق مع رأي كثير من المطلعين على واقع الشيوعية في الغرب، والذين لهم نظرهم المهمة في هذا المضمار، كالأديب أمين معلوف في قوله: «أعتقد أن القرن المنتهي شهد عقيدتين مدمرتين: الشيوعية ومناهضة الشيوعية، الأولى شوّهت، والحق يُقال، فكرة المساواة، وفكرة التقدم، وفكرة الثورة، ومفاهيم كثيرة أخرى، كان يجدر بها أن تكون محترمة. ولكنَّ محصّلة الثانية أسوأ، فلكنة ما قيل: موسوليني ولا لينين، هتلر ولا ستالين، الاشتراكية القومية ولا الجبهة الوطنية، ترك العالم بأسره ينغمس في الدناءة والهمجية»^(٢).

وليس هذا الموقف الإيجابي للشعراء الكويتيين من مبادئ الحزب الشيوعي بغريب عليهم؛ إذ إنهم أيدوا ثورات التحرر أينما وجدت. فبعد الحرب العالمية الثانية سادت العالم حركات ثورية شعبية أو منظمّة، تطمح إلى الحصول على استقلالها وحرّيتها، فكانت الثورات العربية جزءاً غير منفصل عن هذا التوجّه العالمي. ويشدّد الشاعر الأيوبي على هذا الرأي بتأييده لدعوات التحرر العالميّة، فيقول:

في كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ طَائِفَةٌ

يَدْعُو لِحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ حَادِيهَا

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٩٦.

(٢) أمين معلوف، التائهون، ص ٤٦٦. [أمين معلوف (٢٥ فبراير ١٩٤٩م). كاتب وروائي لبناني. وُلد في لبنان، ويعيش في فرنسا منذ عام ١٩٧٦م. يكتب معلوف بالفرنسية، وله أعمال مترجمة لأكثر من لغة. حصل على جائزة غونكور عام ١٩٩٣م عن روايته «صخرة طانيوس». انظر: موقع المعرفة].

أَنْظُرْ إِلَى الْمَلَأِ الْغَرْبِيِّ كَيْفَ بَدَا
 بَعْدَ الْحُرُوبِ الَّتِي ثَارَتْ عَوَادِيهَا
 تَحَرَّرَتْ أُمَمٌ مِنْ غَاصِبٍ تَرِبَتْ
 يَدَاها؛ وَابْتَدَأَتْ تَبْنِي مَعَالِيهَا
 ذِي إِنْدُنَيْسِيَا وَقَدْ كَانَتْ تُعَبِّدُهَا
 دُؤَيْلَةً كَانَ حَامِيَهَا حَرَامِيَهَا
 وَلِلْفَيْثَنَامِ أَهْوَالٌ تَوْجُّ لَظَى
 عَلَى فَرْنَسَا الَّتِي كَلَّتْ مَوَاضِيَهَا
 كُورِيَا تُثِيرُ بَرَائِكَيْنِ الْجَحِيمِ لَهَا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ دَوِيٌّ لَمْ يَزَلْ فِيهَا
 رَكْبُ التَّحَرُّرِ فِي كُلِّ الْجِهَاتِ لَهُ
 صَوْتُ يُثِيرُ شُعُوبًا مِنْ مَهَاوِيهَا^(١)

بُني موقف الشعراء من الأحزاب السياسية على قاعدتين: أولاهما دينية كما رأيناها عند الشاعر القناعي، وثانيتهما سياسية ثورية كما رأيناها عند الشاعرين الفرج والأيوبي. ورأينا كذلك الشاعر الفرج قد ركز على الحزب الشيوعي، فتناول مكان نشأته في روسيا، وعدد أهدافه القائمة على الحرية والعدالة والاستقلال، وعرض شعار الحزب المتضمن المنجل والمطرقة. بينما اكتفى معاصراه بالإشارة إلى الأحزاب من دون الخوض في تفاصيلها.

ولما بدأت حمى الأحزاب السياسية تجتاح الكويت في الربع الثاني من القرن العشرين، نظم الشاعر عبدالمحسن الرشيد قصيدة عنوانها «صُحْفُ المجاري» ردًّا على ما نشرته صحيفة الطليعة الكويتية من هجاء له تحت اسم مستعار هو «الشاعر

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٤١٤ - ٤١٦.

المتقاعد»، فأغضب الشاعر الرشيد، وجعله يردُّ عليه بقصيدة ضمَّنها شكوكه في أن يكون الهاجي من أتباع الحزب الاشتراكي، ولعلَّه تحرَّى ذلك وأثبتته، فقال:

رَأَيْتُ الْإِشْتِرَاقِيَّيْنَ فِيكُمْ
لَهُمْ فِي الشُّعْبِ قَامَتْ أَلْفُ دَارٍ
أَيَذْعُو لِلسَّارِ أَخْوَثَرَاءِ
مَتَى كَانَ الْيَسَارُ مِنَ الْيَسَارِ
طَلَعْتُمْ فِي طَلِيعَتِكُمْ عَلَيْنَا
كَمَا طَلَعَ الْوَبَاءُ عَلَى الدِّيَارِ
فَمِنْ دَسٍّ وَتَفْرِيقٍ وَشَتْمٍ
أَلَا لَا كُنْتُ يَا صُحْفَ الْمَجَارِي^(١)

بيِّن الشاعر أنَّ توجُّه صحيفة الطليعة كان اشتراكيَّ الأفكار آنذاك، وتجلَّى ذلك في دعواتها المستمرَّة إلى المساواة والعدالة الاجتماعيَّة، وهذا ما نقدته فيها الرشيد، فاستغرب دعوات أغنيائهم المتكرِّرة إلى تحقيق المساواة الاجتماعيَّة بين الأغنياء والفقراء، في حين أنَّهم لا يطبِّقون هذا المبدأ على أنفسهم، فمتى كان اليسارُ أي الغنى، من صفات اليساريِّين في الحزب الاشتراكي؟

إنَّ الأساس الذي قام عليه الحزب الشيوعيُّ في العالم قائمٌ على التحرُّر من الظلم بجميع أشكاله، والدعوة إلى نظام قائم على العدالة الاجتماعيَّة، أو هكذا كان ينظر إليه العربُ ممَّن يعانون ظلم المستعمر وقهره وتسلُّطه. ولعلَّ هذه النظرة بعيدة عن التأثر بالشيوعيَّة كحزب ونظام سياسيٍّ، على قدر ما هي قريبةٌ من كون الحزب الشيوعيُّ يحمل الأفكار عينها التي يحاول العرب تحقيقها بثوراتهم، وهذا يوضِّح لنا أنَّ بعض الشعراء الكويتيِّين يؤيِّدون حركات التحرُّر أينما وجدت، بغضِّ النظر عن الأرض والعرق والمعتقد. هذا ما وجدناه عند الشاعر الأيوبيِّ المناصر لحركة الأحرار في إندونيسيا، وما سنقف عليه في ما يأتي بالتفصيل من قدر الإمكان.

(١) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٥٣ - ٥٤.

خامساً: الثورة الوطنية الإندونيسية في مواجهة الاحتلال الهولندي

هذه الثورة تسمى حرب استقلال إندونيسيا؛ وهي صراع مسلح ونضال دبلوماسي بين إندونيسيا والإمبراطورية الهولندية، علاوة على كونها ثورة اجتماعية داخلية. وقعت هذه الأحداث منذ إعلان إندونيسيا استقلالها عام ١٩٤٥م، حتى انتهت باعتراف هولندا بهذا الاستقلال عام ١٩٤٩م. وهي واحدة من كبرى ثورات التحرر في القرن العشرين، استمر نضال شعبها أكثر من أربع سنوات حفلت بنزاعات متقطعة لكنها كانت مسلحة ودموية، كما شهدت اضطرابات سياسية ووطنية داخل إندونيسيا.

دام الاستعمار الهولندي ثلاثة قرون ونصف القرن، فضاق الشعب ذرعاً بهذا المحتلّ الغاشم، فأعلن ثورته عليه في كلّ الجزر الإندونيسية، وإلى ذلك أشار الأيوبي في قوله:

أَلَا يَكْفِي ثَلَاثَةُ مِنْ قُرُونٍ
وَنِصْفٌ قَدْ حَكَمَتْ بِهَا حُسُومًا
وَهَذَا الْيَوْمُ يَوْمٌ نَابِغِي
بِهِ الْإِنْسَانُ يَسْتَبِقُ النُّجُومًا^(١)

وأشاد بالثورة الإندونيسية في قصيدته «صُراخ الأحرار»^(٢) التي نظمها عام ١٩٤٨م، ودعا العالم إلى إصاخة السمع لهذه الثورة العظيمة التي قامت لدحر المحتلّ الهولنديّ الغاشم، فقال:

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٠. [عامل العدد «ثلاثة» معاملة الممنوع من الصرف بلا مسوغ].
(٢) «للشاعر قصائد كثيرة جداً في الثورة الإندونيسية، تكاد تؤلف ديواناً، وكلّها فقدت ولم يسلم منها إلا هذه القصيدة». انظر: محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٢٨. [هذا ما ورد في مقدّمة القصيدة المذكورة، بيد أننا عثرنا على قصيدتين تتناولان بعض أحداث الثورة الإندونيسية، وإن لم يكن بتفاصيلها المذكورة هنا. انظر: محمود شوقي الأيوبي، المنابر والأقلام، ص ٤١، ٤٨].

تَعَالُوا نَنْظُرِ الدُّنْيَا فَهَٰذَا أَنُّ
 دُونِيسِيَا تَذَرُ الْخَضَمَ الْخَصِيمَا
 تَذُكُ قُبُودَهَا قَبِيدًا فَقَبِيدًا
 لِنَمْسَحَ عَنْ حَقِيقَتِهَا الْهُمُومَا
 وَتَفْخَصَ رَبْعَهَا دَارًا فَدَارًا
 لِنُزِدِي الْخَائِنَ الْوَعْدَ اللَّئِيمَا^(١)

إنَّ كثرة القيود الاستعماريَّة التي كانت ترسف فيها إندونيسيا، أجبرت الأحرار على اتِّباع سياسات عسكريَّة محدَّدة لكسر هذه القيود، فكانت الخطَّة تقوم على ضرب معاقل الهولنديِّين مكانًا تلو الآخر، وتحقيق النصر عليهم بقتالهم فرادى. وتجدر الإشارة إلى أنَّ القوَّات الهولنديَّة لم تتمكَّن من التغلُّب على الإندونيسيين، بيد أنَّها كانت قويَّة بما يكفي للحيلولة دون أن تطرد من البلاد.

يعود بنا الشاعر إلى بدايات انطلاق الثورة الإندونيسية التي شهدت هتافات الأحرار في الميادين والساحات، وارتفاع أصواتهم بنداات الحرِّيَّة وطلب الاستقلال. وتعتبر هذه الخطوة أولى مظاهر كسر الحاجز النفسي الذي أقامه المحتلُّ الهولنديُّ للقضاء على الروح الوطنيَّة لدى الإندونيسيين. بيد أنَّ هذه النداءات كسرت حاجز الخوف هذا، وشجنت أرواحهم بالوطنيَّة الثوريَّة، وغدوا غير آبهين بآلة القمع العسكريَّة الهولنديَّة، فقال الفرَج في وصف ذلك:

سَتَحْيَا حُرَّةً رَغَمَ الْأَعَادِي
 وَحَقُّ لَهَا بِأَنَّ تَرِدَ النَّعِيمَا
 تُنَادِي «مَرْدَكَا» صَوْتًا يُدَوِّي
 بِدُنْيَا النَّاسِ هَدَارًا فَخِيمَا^(٢)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٢٩. [خَفَّفَ الشاعر همزة إندونيسيا بتحويلها إلى همزة وصل لإقامة الوزن الشعري].

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٢٩.

يستعمل الشاعر بعض مفردات اللغة الإندونيسية كما هي في الأصل، ليضفي على النص مزيداً من الواقعية، ويضع المتلقي في قلب الحدث، ويشد انتباه السامع إلى طبيعة النداءات التي صدحت بها حناجر الأحرار إبان إعلان ثورتهم. ومردكاً كلمة إندونيسية تعني حرية، واستعملها الشاعر لما تحمله من جزالة وأثر لا يقل عن أثر نظيرتها في اللغة العربية.

ودعا الشاعر الهولنديين المحتلين إلى الانسحاب والتراجع إلى بلادهم التي قدموا منها، فهي أحق بالإصلاحات التي يدعون القيام بها في مدن إندونيسيا، وبخاصة أن بلادهم قد ذاقوا سموم الحرب العالمية الثانية، وأصبحت محتاجة إلى الإصلاح أكثر من سواها، فقال:

أَفِرْدَوْسَا تُعَبِّدُهُ هُولَنْدَا
وَتِلْكَ الْحَرْبُ غَذَّتْهَا السُّمُومَا؟
«فَنِذِرْلَانْدَ» أَوْلَى أَنْ تُزَاعَى
لِتُصْلِحَ مَا وَهَى وَلِتَسْتَقِيمَا^(١)

نلاحظ تركيز الشاعر الأيوبي على استعمال الألفاظ الأجنبية كما يُنطق بها في لغتها الأصل، من دون أن يلجأ إلى تعريبها باللفظ الذي عرفت به في اللغة العربية، فنيذرلاند تعني الأرض الواطنة، وهي اسم هولندا في اللغة الأجنبية الأصل، وتكتب «Netherlands»، وهو بذلك يمزج اللغتين العربية والغربية في قالب أدبي واحد، ويرى في الشعر غايةً أسمى من التركيز على لغة واحدة، بل إنَّ الهدف والمضمون والغرض أهمُّ من العناية بتهديب الشكل بما يتوافق مع اللغة الفصيحة.

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٢٩. [«نِذِرْلَانْدَ» بالذال المكسورة، هكذا وردت عند الشاعر، بيد أن لفظها وكتابتها في لغتها الأصل يُرَجَّح أن يكون الشاعر قصد بها «نِذِرْلَانْدَ» بالذال المكسورة، ولعلَّ كتابتها بالذال كان تصحيحاً طباعياً].

يلجأ الشاعرُ الأيوبيُّ، مشابَهَةً لأسلوبِ معاصره خالد الفرَج، إلى استحضار التاريخ الأسود لهولندا، ناصحاً إيَّاهَا بالعودة إلى أراضِهَا، وإلاَّ فإنَّهَا سوف تُمنى هزيمةٌ كتلك التي مُنيتَ بها من قِبَلُ أمامِ اليابان، حيث سيطرت على كامل الجزر الإندونيسية في مدَّة قصيرة، فقال:

أَلَا يَكْفِيكَ مَوْعِظَةُ هَوْلَنْدَا
بِأَيَّامِ طَعْمَتِ بِهَ الرُّجُومَا
أَلَا يَكْفِيكَ مَا لَاقَيْتَ يَوْمًا
مِنْ الْجَابَانِ مَا يَرْمِي الْوُجُومَا^(١)

تجدُر الإشارة هنا إلى أنَّ «إندونيسيا وقعت تحت سيطرة الاستعمار الهولندي في القرن السابع عشر، وفي الحرب العالمية الثانية احتلتها اليابان، ولدى انسحاب اليابان منها في آب- أغسطس ١٩٤٥م، عاد الهولنديُّون إليها لظنَّهم أنَّهَا مُلْكٌ لهم بعد انسحاب اليابانيِّين»^(٢). كما نلاحظُ استعمال الشاعر مصطلح «الجابان» بلفظه الإنجليزي بدلاً من اليابان باللفظ المعرَّب، ونرى أنَّه يذكُر الهولنديِّين بالهزيمة التي تعرَّضوا لها على أيدي اليابانيِّين من قبل. وعملاً بأنَّ الجزء من جنس العمل، فإنَّ الكأس الذي سقته هولندا للشعب الإندونيسيَّ عادت إليها لتتجرَّعها على يد اليابانيِّين، فقال:

أَذَقْتُ النَّاسَ فِي الْفِرْدُوسِ جَوْرًا
فَذُقْتُ الْوَيْلَ وَالْكَرْبَ الْجَسِيمَا
فَمَا هَذِي الدَّعَاوَى فِي بِلَادٍ
لَهَا الْأَبْطَالُ يَفْدُونَ الْجَسُومَا^(٣)

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٠.

(٢) عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٣٥٥.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٠. [الفردوس: كناية الشاعر عن إندونيسيا].

وفضلاً عن أبرز أحداث الثورة والشخصيات القيادية فيها، يتناول الأيُّوبيُّ الشخصيات من جانبيين: الشخصيات السياسية المفاوضة التي تدعو إلى الاستقلال من خلال المفاوضات مع هولندا بوساطة الولايات المتحدة الأمريكية، والشخصيات الثورية التي تُقاتل في الميدان في مواجهة المحتل الهولندي. فأما الجانب الأول، فقد مثل له الشاعر بالرئيس الإندونيسي «أحمد سوكارنو»^(١)، مُشيداً بمواقفه البطولية؛ فبعد انسحاب اليابان «قامت مجموعة من الوطنيين بقيادة سوكارنو بتشكيل حكومة وطنية، وإعلان استقلال إندونيسيا، وتمَّ إعلان سوكارنو رئيساً للجمهورية، حيث قاد ثورة تحريرية على الهولنديين حتى عام ١٩٤٩م، حين رضخت هولندا للمطالب الوطنية، وانسحبت من معظم مناطق إندونيسيا معترفةً باستقلالها»^(٢). قال في ذلك:

سُوكَرْنُو أَفَحَمَ الدُّنْيَا جَجَا
وَجَابَهُ فِي مَحَجَّتِهِ الظُّلُومَا
سُوكَرْنُو رُوْحُهُ الْجَبَّارُ لَمَّا
تَصَدَّى قَدْ بَدَأَ الْعَلَمَ الْحَكِيمَا...
سُوكَرْنُو السَّيِّدُ الْمَخْبُوبُ أُخْرَى
لِلْأَسْتِغْمَارِ شَيْطَانَا رَجِيمَا
وَلِلْخُرْيَةِ الْحَمْرَاءِ لَبَى
نِدَاءَ الْحَقِّ لَا يَخْشَى الْجَحِيمَا^(٣)

(١) أحمد سوكارنو (١٩٠١ - ١٩٧٠م) أوَّل رئيس لإندونيسيا بعد استقلالها عن هولندا، ودام حكمه بين العامين ١٩٤٥ - ١٩٦٧م، كان أحد الزعماء الإندونيسيين السبعة الذين شكّلوا الحزب الوطني الإندونيسي في السادس من يوليو ١٩٢٧م، وأدَّى اشتغاله بالحركة السياسية إلى اعتقاله ضمن عدد كبير من الزعماء المسلمين، عندما بدأت هولندا تشدّد قبضتها على الحركات الوطنية. وفي المرّة الثانية التي اعتقل فيها، نفى إلى جزيرة إنديه (Endeh) في المنطقة الشرقية من إندونيسيا، وكان ذلك في فبراير ١٩٣١م. واعتقل مرّة ثالثة عام ١٩٤٩م، وقد نقلتهم هولندا إلى جزيرة سومترا حيث اعتقلوا هناك، وأُطلق سراحه في التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٤٩م، فانتقل من جوكجا إلى جاكرتا العاصمة. انظر: المعرفة، أحمد سوكارنو.

(٢) عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٣) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

ثمَّ يتكلم الشاعر بلسان الرئيس سوكارنو إِبَّان حثِّه الشعب على الثورة لحرر
المستعمر الهولنديّ، ونداءاته المستمرّة للخلاص والاستقلال، وأن يأخذ الشعب
الإنْدونيسيّ العبرة من استقلال جارتِه باكستان التي أصبحت دولة مستقلة عن
الهند عام ١٩٤٧م، فقال:

هَلُمُّوا أَسْمِعُوا الدُّنْيَا دُعَانَا
لِكَي نَدَعَ الْعَدُوَّ بِنَا عَلِيْمًا...
صَبَرْنَاهَا قُرُونًا صَاخِبَاتٍ
إِلَامٌ يُرِيدُنَا الْبَاغِي غَنِيْمًا؟
لَنَا فِي الْأَرْضِ إِخْوَانٌ تَصَدُّوا
لَأَغْوَالِ الرَّدَى مِنْ أَنْ تَسُومَا
بِهِنْدِسْتَانٍ إِعْصَارٌ عَتِيٌّ
يُثِيرُ عَلَى الْعِدَا الرِّيحَ الْعَقِيْمَا^(١)

ويأتي على ذكر محمّد علي جناح؛ أوّل رئيس لدولة باكستان المستقلة، والذي
رأى ضرورة أن يكون لمسلمي الهند وطن قوميّ خاصّ بهم، وذلك بعد المضايقات
التي كانوا يتعرّضون لها من الهندوس آنذاك،^(٢) فقال الأيُّوبيّ:

(١) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٣.
(٢) طالب محمّد علي جناح، في اجتماع العصبة الإسلاميّة الذي عُقد عام ١٩٣٧م، بالاستقلال التامّ للمسلمين
ضمن اتحاد فدراليّ هنديّ إسلاميّ، ثمّ صعد مطالبه في اجتماع للعصبة بلاهور عام ١٩٤٠م، ودعا إلى
تقسيم شبه القارّة الهنديّة إلى كيانين هما: الهند وباكستان، على أن تضمّ الأخيرة كلّ مسلمي الهند، وأرسل
عام ١٩٤٤م رسالة إلى المهاتما غاندي يوضّح له فيها رؤيته لهذه القضية، جاء فيها: «نحن نُصرُّ ونتمسّك بأن
يكون المسلمون والهندوس أُمَّتين كبيرتين، وذلك طبقاً لأيّ تعريف أو معيار للأُمَّة. نحن أُمَّةٌ لمائة مليون مُسلم،
وعلاوة على هذا، نحن أُمَّة ذات أمور متميّزة في الثقافة والحضارة واللغة والأدب والفنّ والهندسة المعماريّة
والأسماء والمصطلحات الخاصّة، والشعور بالقيم والعدل والتاريخ والمكاث والطموح. وباختصار، لنا وجهة
نظرنا المتميّزة عن الحياة، ومن الحياة. ووفقاً لجميع مبادئ القانون الدوليّ، نحن أُمَّة». وقد لقيت هذه الدعوة
قبولاً لدى مسلمي الهند عام ١٩٤٦م، ووافقت عليها بريطانيا. وفي الرابع عشر من أغسطس ١٩٤٧م، أعلن
محمّد علي جناح قيام جمهوريّة باكستان الإسلاميّة، وأصبح أوّل رئيس لهذه الجمهوريّة الوليدة. انظر:
ويكيبيديا.

كَفَّاحَ عَلِيٍّ جَنَاحَ بِنَا حَرِيٍّ
 عَلَى أَنْ نَسْتَهْلَ لَهُ رَقِيمًا
 جِهَادَ صَيَّرَ الشَّرْقِيَّ بَغْتًا
 جَدِيدًا عَانَقَ الْبَغْتِ الْقَدِيمَا
 فَهَبْ بِرُوحِهِ شَرْقًا قَوِيًّا
 وَظَلْ بِعِلْمِهِ عَقْلًا سَلِيمًا
 فَكَيْفَ لِلسَّيِّدِ الْهِنْدِيِّ وَانْظُرْ
 زَعِيمَ الشَّعْبِ مَنْ قَهَرَ الْخُصُومَا^(١)

وقد بدأ الكفاح المسلح في مواجهة الهجمات الهندية على المسلمين في
 كشمير وأطراف باكستان بعيد إعلانها دولة مستقلة؛ ففي السنة الأولى لحكم
 محمد علي جناح ١٩٤٧م اندلعت أول حرب بين الهند وباكستان، في محاولة من
 كلا البلدين لبسط سيطرته على كشمير. وقد بدأت الحرب حينما أعلن حاكم
 كشمير الهندوسي الانضمام إلى الهند لقمع ثورة الأغلبية المسلمة الراغبة في
 الانضمام إلى باكستان، فتدخل الكثير من قبائل قندهار الأفغانية بإيعاز من محمد
 علي لنصرة المسلمين الكشميريين، والوقوف معهم في مطالبهم. فتوجه سوكارنو
 -على لسان الأيوبي- إلى هندستان «باكستان» شارحاً حال المأساة الإندونيسية
 ومطالباً بالنصر والوحدة لطرد المستعمر. يقول الشاعر:

أَهِنْدِسْتَانُ أَخْتُكَ إِنْدُونِيسِيَا
 تُقَاسِي مَا تُقَاسِيَنَّ الْكُلُومَا
 فَشُدِّي أَرْزَهَا فَالْيَوْمَ يَوْمٌ
 يُخَتِّمُ لِلتَّضَامِنِ أَنْ يَدُومَا

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٣.

جَزَائِرُ قَدْ تَكُونُ لَهُمْ قُبُورًا

إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا الظُّلْمَ الْوَحِيْمًا^(١)

ويشير الشاعر إلى أنَّ دعوات سوكارنو لاقَت آذانًا صاغية من الشعوب الإسلامية المجاورة لإندونيسيا، فهَبَّت لنصرة قضيتِها من حيدر أباد إلى دلهي إلى بنجاب إلى أفغانستان، فيقول في ذلك:

إِلَى حَيْدَرِ أَبَادٍ لِرَبْعِ دِلْهِي

إِلَى بَنْجَابِ نَسْتَبِقُ الْخُرُومَا

وَفِي أَفْغَانِنَا الشُّهُمِ ازْتَقَاءُ

عَجِيبُ يُثْلِجُ الْقَلْبَ الْكَالِيمَا

بِهَذَا لِاتِّحَادِ الصَّرْحِ يُبْنَى

لِيُبْرَمَ فِيهِ ذَا الْأَمْرِ الصَّرِيمَا^(٢)

ويشير الشاعر إلى حقيقة الوحدة الإسلامية التي بدأ ينادي بها المسلمون في دول شرق آسيا وأفغانستان وباكستان، وحلمهم بتحقيق هذه الوحدة، فيقول:

جَاشَتْ بِأَفْغَانَ أَزْوَاحُ يُلَوِّعُهَا

شَوْقٌ إِلَى عِرَّةِ الْإِسْلَامِ مُلْتَهَبُ^(٣)

وهو إذ يستحضر ذكر أفغانستان فلأمرين اثنين: الأول حرصه على توثيق الثورة الأفغانية لقيام دولة إسلامية موحدة. والثاني استنارة مشاعر الإندونيسيين وحثهم على النهوض لطرد المستعمر الهولندي من بلادهم، وأن يركبوا ركب التحرر الذي انتهجه أبطال أفغانستان، فقال في ذلك:

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٣-٣٣٤. [جزائر: أي الجزر الإندونيسية، ويبلغ عددها أكثر من ثلاثة آلاف جزيرة، تشكّل جميعها دولة إندونيسيا].

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٦. [استعمل الشاعر همزة القطع مكان همزة الوصل في «بالاتحاد» لإقامة الوزن الشعري].

(٣) محمود شوقي الأيوبي، المنابر والأقلام، ص ٤١.

فَلْتَلْتَحِقْ إِنْدُونِيسِيَا بِالْأَلَى إِنْدَفَعُوا

كَأَنَّهُمْ فِي سَبِيلِ الْمُزْتَقَى شُهَبٌ^(١)

نلاحظ تركيز الشاعر على الجانب الديني على حساب الجانب الثوري التحرري، وبدا هذا الأمر جلياً من خلال عدّة قرائن أشارت إليه، كاستحضاره حركة الانفصال الهندية التي أنتجت دولة باكستان الإسلامية، ثم ثورة أفغانستان التي آزرت حركة الانفصال الهندية، ثم إنَّ الشاعر قرنَ السلاح بالقرآن، الكتاب المقدس، ولعلّه بذلك يشحذ النفوس بدافع ديني بعد أن خشي ضعف الحافز الوطني التحرري. وممّا قاله مخاطباً الشباب الإندونيسيين:

وَنَادِ بِجَاوَا عَرُوسِ الْبِلَادِ

شَبَابًا يَهْنِمُ بِلَيْلٍ عَكِرْ

وَقُلْ لَهُمُ الْمَجْدُ فِي كَفَّنَا

بِجَنْبِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فَتُرْ^(٢)

وبعد ذلك يأتي الشاعر إلى الجانب الثاني من الشخصيات المؤثرة في حرب الاستقلال، أي تلك التي تقاتل في الميدان، والتي تشكل الجبهة العسكرية في المقاومة في موازاة الجبهة السياسية التي كان من شأنها التفاوض لنيل الاستقلال، فقال مشيداً ببطولة قائدها ستومو^(٣):

وَفِي الْمَيْدَانِ أَبْطَالُ شِدَادُ

شَبَابٌ يَثْبَعُونَ لَهُمْ زَعِيمًا

سُتُومُو ذَلِكَ الْأَسَدُ الْمُرْجَى

يَخُوضُ لَطَى الْمَعَارِكِ لَنْ يَخِيَمَا

(١) محمود شوقي الأيوبي، المنابر والأقلام، ص ٤١.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، المنابر والأقلام، ص ٤٨.

(٣) سوتومو معروف أيضاً بـ «تومو بونغ» (١٩٢٠ - ١٩٨١) زعيم عسكري إندونيسي شارك في الثورة الإندونيسية، ولعب دوراً كبيراً في معركة سورابايا عام ١٩٤٥. انظر: ويكيبيديا.

يُكَبِّرُ فِي الْوَعْيِ! اللَّهُ أَكْبَرُ!
فَيَخْطِفُ صَوْتُهُ الْقَلْبَ الْإِثِمَا
يَوْمُ جُيُوشِهِ لِلْهَوْلِ يَسْرِي
وَيَسْبَحُ كَالْعُقَابِ إِذَا أُسِيَمَا^(١)

يشددُ الشاعر على أنَّ قادة الثورة الإندونيسية اعتمدوا الدين وسيلةً لجمع الشعب تحت راية واحدة، جلعوا نداءهم فيها «الله أكبر»، تلك التي تبثُّ الرعب في قلوب الأعداء الهولنديين. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من تمكُّن المستعمرين وقوتهم، لم يستطيعوا السيطرة على القرى والأرياف الإندونيسية. وساعد على نجاح المفاوضات المطالبة بالاستقلال، الضربات الموجعة التي وجهها ستومو وجنوده إلى القوَّات المحتلة، فقوَّت موقف القادة السياسيين برئاسة سوكارنو. وانتهى الأمر بحصول جمهورية إندونيسيا على مكاسب كبيرة من طريق الدبلوماسية الدولية.

الشاعر الأيُّوبي وحده، من دون سائر الشعراء الكويتيين، وقف على تفاصيل حرب الاستقلال الإندونيسية، فكان شاهداً على الفترة الزمنية التي استقلت فيها البلاد، وخلَّد بنظمه أبطال التضحية والشخصيات السياسية التي أسهمت في الحرب لنيل الاستقلال. هذا فضلاً عن مدحه لبعض علماء الدين المؤثرين في أحداث الثورة الإندونيسية، كالزعيم أحمد محمَّد الأنصاري السركتي^(٢)، وذلك في قصيدته «تحية الزعيم»^(٣). كما أنه أرَّخ للحرب التي اندلعت بين المسلمين والهندوس في إقليم الهند، والذي أفضى إلى استقلال المسلمين بوطن قوميٍّ لهم في شرق آسيا في باكستان. فحمل الشعر عند الأيُّوبي رسالة تاريخية سامية تؤرِّخ وتوثِّق أحداثاً كان يجهلها الكثيرون من العرب المعاصرين له؛ لبعدهم عن بؤرة الصراع في آسيا، وانشغالهم بقضايا التحرُّر العربية من الاستعمار آنذاك.

(١) محمود شوقي الأيُّوبي، ألحان الثورة، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٢) أحد زعماء النهضة الإسلامية في إندونيسيا في النصف الأوَّل من القرن العشرين.

(٣) محمود شوقي الأيُّوبي، المنابر والأقلام، ص ٤٨.

لاحظنا في كل ما تناولناه سابقاً من قضايا سياسية عالمية، عناية الشعراء الكويتيين باستدعاء الشخصيات السياسية الأجنبية، فضلاً عن المدن التي ارتبطت أسمائها بأحداث سياسية حربية أو سلمية. ولهذا سيكون مناسباً الآن عرضنا لأبرز هذه الرموز، وأسلوب الشعراء الكويتيين في توظيفها بطرق إيجابية أو سلبية، سواء أكانت شخصيات أم مدناً ودولاً.

سادساً: توظيف الشخصيات والرموز السياسية العالمية في الشعر العربي في الكويت

ارتبط استحضار الشاعر للشخصيات العالمية بعاملين هما: الدور البارز للشخصية في القضايا السياسية العالمية، ومُعاصرتها للحدث السياسي وتأثيرها فيه؛ بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، واستذكار أحدهما يستوجب استدعاء الآخر. بيد أن الشاعر الكويتي استدعى عدداً من الشخصيات من التراث العالمي، منها النائبة الفرنسية «جان دارك»^(١) في القرن الخامس عشر، فقال الأيوبي:

قَسَمًا بِجَانِ دَارِكِ الْعُرُوبَةِ إِنَّنَا
بِنَا بِمَا قُمْتُمْ وَلَنْ نَتَرَدَّدًا^(٢)

وقد وظّف الشعراء الكويتيون الشخصيات السياسية في قصائدهم في محورين: الشخصيات السلبية، والشخصيات الإيجابية.

أ - الشخصيات السلبية

تنوّعت هذه الشخصيات السلبية وتعدّدت دلالاتها، فاقترنت تارة بالتخاذل والمكر، وتارة أخرى اتّصفت بالوطنية والقومية، وأسست مبادئ سياسية لا يخيب من انتهجها، ويبوء بالخسارة كل من حادّ عنها. ويصادفنا الكثير من هذه الشخصيات السلبية التي ارتبطت حيناً بالحروب والدمار والقتل والمجازر، وأحياناً بالمكر السياسي، ومن ذلك قول خالد الفرج:

(١) جان دارك (Jeanne d'Arc ١٤١٢-١٤٣١)، نائبة فرنسية، جَبَهَتْ الاحتلال الإنجليزي لفرنسا، فتمّ أسرها وإعدامها، واعتُبرت رمزاً وطنياً وقومياً للفرنسيين. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ٢١.
(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٤٢.

قَسَوْتُ عَلَى الشَّرْقِ يَا آرْتُرُ

بِحِفْدِ الْجَبَانِ الَّذِي يَثَارُ^(١)

وشخصية «ماك آرثر» ترتبط بالفترة التي عُيِّنَ فيها قائداً عاماً للقوات الأمريكية في الشرق الأقصى، واستحضرها جاء نيابةً عن الولايات المتحدة بغية فضح تاريخها العسكري القائم على المكر والخداع السياسيين.

وأدرج الشعراء الكويتيون الشخصيات السياسية في قصائدهم على أربعة أوجه: الرباعية أي أن يوظف الشاعر أربع شخصيات عالمية في بيت شعري واحد، والثلاثية أي أن يوظف الشاعر ثلاث شخصيات عالمية اشتهرت بالقتل والإجرام أو المكر السياسي، والثنائية في أن يوظف الشاعر شخصيتين سياسيتين، والمفردة أي الاكتفاء بشخصية واحدة في البيت الواحد.

ويحضرنا مثال على توظيف رباعيٍ للشخصيات السياسية العالمية، في بيت شعري نظمهُ عبدالمحسن الرشيد إبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، جمع فيه بين الأمريكي جون فوستر دالاس^(٢)، والفرنسي غي مولييه^(٣)، والبريطاني

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٤٦.

(٢) جون فوستر دالاس John.Foster.Dulles (١٨٨٨-١٩٥٩م)، وزير الخارجية في عهد الرئيس دوايت أيزنهاور ١٩٥٣ - ١٩٥٩م. كان شخصية بارزة في أوائل الحرب الباردة، واتخذ موقفاً عدائياً من الشيوعية في جميع أنحاء العالم. قامت سياسته الخارجية على عدم الاعتراف بحق الدول الأخرى في عدم الانحياز، وعلى السير بالحرب الباردة حتى الاقتراب من اشتعال نار الحرب. سحب وعد حكومته بتمويل مشروع السد العالي، وحذت حذوه الحكومة البريطانية، وكان ذلك بعد عقد جمهورية مصر صفقة شراء الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا، وتأميمها لقنال السويس، فكانت أزمة التأميم التي لم تستقم سياسته فيها على نحو واضح. ولكن يحمده له رفض اعتماد القوة، وإنكاره على فرنسا وبريطانيا وإسرائيل اعتمادها في معركة بورسعيد. انظر: ويكيبيديا.

(٣) غي مولييه Guy.Mollet (١٩٠٥-١٩٧٥م)، سياسي فرنسي، تزعم الاتجاهات الاشتراكية اليمينية، وأصبح رئيساً للوزارة الفرنسية (١٩٥٦-١٩٥٧م)، ثم نائباً لرئيس الوزراء. حارب ثورة الجزائر، وتواطأ مع إسرائيل وبريطانيا في شن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م. عمل من أجل فكرة توحيد أوروبا، ووقع عام ١٩٥٧م اتفاقيات روما التي أنشأت السوق الأوروبية المشتركة. ساعد في عملية تسلم ديغول للسلطة (١٩٥٨-١٩٥٩م)، وشارك في أول حكومة شكلها، وبعد الانتخابات انفصل عن ديغول وعاد إلى المعارضة. وبعد سلسلة من الهزائم التي مني بها الاشتراكيون، اعتزل الحياة السياسية النشطة عام ١٩٦٩م. أيد إسرائيل وأقام علاقات صداقة بقيادة الحركة الصهيونية. تفرغ للعمل الكتابي في إطار المكتب الجامعي للدراسات الاشتراكية، فقد ترأسه حتى وفاته. من أهم كتبه «الاشتراكية التيتوية». انظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٥، ص ٤٧٨.

أنطوني روبرت إيدن^(١). والفرنسي بيير بارجو^(٢)، فقال:

لَيْسَ يُؤَلَّفُهَا وَيُخْرِجُهَا لَنَا
مَوْلِيَهُ أَوْ إِيْدِنُ أَوْ بَايَارُ^(٣)

ومن أبرز الأمثلة على استحضار الشخصيات الثلاثية في بيت واحد، ما نظمه خالد الفرّج، حيث جمع من عدّهم التاريخ من أكثر القادة السياسيين في العالم إجراماً وولعاً بالحروب، فقال:

فَخَلاَئِعُ نَيِّرُونَ لَمْ يَأْتِهَا
وَلَا مُؤَسِّلِينَ وَلَا هِتْلَرُ^(٤)

ونراه يستحضر في ثلاثية أخرى أكثر من عرفهم التاريخ بالمكر السياسي في تلك الفترة، وممّن كان لهم دور كبير في توطين اليهود في فلسطين، فجمع كلّاً من بلفور، وونستون تشرشل^(٥)

(١) أنطوني روبرت إيدن Anthony.Eden (١٨٩٧-١٩٧٧م) سياسي بريطاني، كان ضابطاً أركان حرب في الحرب العالمية الأولى. بدأ حياته السياسية عام ١٩٢٣م، حين انتُخب عن المحافظين في لمنجوتون. مثّل الحكومة نائباً لوزير الشؤون البرلمانية في اجتماعات عصبة الأمم وجنيف بين عامي (١٩٢٥-١٩٣٥م). عُيّن وزيراً للخارجية عام ١٩٣٥م، وواجه أزمة احتلال هتلر لبريطانيا. استقال احتجاجاً على سياسة تشمبرلين للمهادنة لهتلر عام ١٩٣٨. عُيّن تشرشل وزيراً للخارجية (١٩٤٠-١٩٤٥م). كان له دور كبير في تشجيع إنشاء جامعة الدول العربية عام ١٩٤٣م. وعُيّن مرّةً ثالثة وزيراً للخارجية (١٩٥١-١٩٥٥م)، وحين استقال تشرشل أصبح رئيساً للوزراء. اشترك في العدوان الثلاثي على مصر، وبفشل هذا العدوان انسحب من الحياة السياسية. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٤٢١.

(٢) أميرال بيير بارجو Pierre Barjot (١٩٨٨-١٩٦٠م) عسكري فرنسي برتبة لواء، كان نائب القائد العام للقوات البحرية الفرنسية في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م.

(٣) عبدالمحسن الرشيد، أغاني ربيع، ص ٦٠.

(٤) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٤٦.

(٥) ونستون ليونارد سبنسر تشرشل Winston Leonard Spencer-Churchill (١٨٧٤-١٩٦٥م) سياسي بريطاني مخضرم، ينتمي إلى أسرة مارلبورو البريطانية العريقة المحافظة سياسياً. بدأ حياته العملية في الخدمة العسكرية في الهند وكوبا والسودان، وعمل مراسلاً حربياً. تقلّد عدداً من المناصب السياسية المهمة، منها: وزير المستعمرات، وزير المالية، وزير البحرية، ثم رئيس وزارة خلفاً لنيفيل تشمبرلين طوال الحرب العالمية الثانية. عُرفت عنه نزعة الأرستقراطية البعيدة عن الشعب في الداخل، والاستعمارية المتطرفة في الخارج، وكان صهيونياً متطرفاً، لعب دوراً خطيراً في دعم مشروع إقامة دولة صهيونية في فلسطين. وعلى الرغم من فشله في الكثير من القضايا الرئيسية في حياته، فإنّ الكثيرين من الغربيين يعتبرونه من أعظم رجال التاريخ الحديث. اشتهر كمؤلف، وأهم مؤلفاته: «تاريخ الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية»، ومذكراته عن الحرب العالمية الثانية. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٧٤١-٧٤٢.

وعيزر ويزمان^(١)، فقال:

أَنْسَاهُمْ ذِكْرُ بَلْفُورٍ وَمَوْعِدِهِ
وَشِرْشِلُ بَلِّ وَأَصْلُ الشَّرِّ وَيزْمَانُ^(٢)

انحصرت الثلاثية الأولى عنده في استحضار شخصيات عالمية كان لها تاريخ سياسي حربي على المستوى الدولي، بعيداً عن العرب.

بينما ارتبطت الثلاثية الثانية بشخصيات عالمية كان لها أثرها السلبي في البلاد العربية، إذ يشتركون في تحقيق استعمار فلسطين من الكيان الصهيوني.

ومحاكاة لهذه الثلاثية المرتبطة بالموقف العالمي من القضية الفلسطينية، يقول الأيوبي:

فَبَنَتِيُوسَ وَصَمُوئِيلُ وَأَوَّلُهُمْ
بَلْفُورُ كُلُّهُمْ لِلْجَوْرِ ذُؤْبَانُ^(٣)

ومن الأمثلة على توظيف ثلاث شخصيات معاً، قول الشاعر الأيوبي:

(١) عيزر ويزمان Ezer.Weizman (١٩٢٤-٢٠٠٥م) قائد عسكري وسياسي يهودي صهيوني، ولد في حيفا، والتحق بسلاح الطيران البريطاني في الحرب العالمية الثانية، وخدم في مصر والهند، وتلقى تدريباً في تشيكوسلوفاكيا، وفي روديسيا. في عام ١٩٤٧ أصبح من مؤسسي سلاح الطيران الصهيوني، وفي العام التالي أعد برامج تدريب الدفقات الأولى من طياري السلاح الإسرائيلي. وفي عام ١٩٥١ التحق بكلية الأركان في بريطانيا. وبعد انتهاء الدورة عُيِّنَ في فرع عمليات سلاح الطيران الإسرائيلي، وعُيِّنَ رئيساً له (١٩٥٦-١٩٥٨م)، ثم قائداً (١٩٥٨-١٩٦٦م)، فرئيساً لعمليات هيئة الأركان العامة، وبذلك كان من أهم المخططين والمنفذين لعدوان عام ١٩٦٧. انظر: م، ن، ج ٧، ص ٢٥٥.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٩٠.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١٩٨.

بَيْنُو^(١) وَلَاكُوسْتُ^(٢) عَتْرِيفَانِ ثَالِثُهُمْ

مُولِيَهُ نَذَلْ عَلَيْهِمْ حَيِّمَ الْكَدَرِ^(٣)

ومن الأمثلة على توظيف الشخصيات الثنائية ما نظمه الأيوبي، حيث استحضر شخصيتين سياسيتين كان لهما أسوأ الأثر في تثبيت أركان الكيان الصهيوني في فلسطين، فندد بتدخلهما إلى جانب الصهاينة أعداء العرب في فلسطين، فقال:

مَا شَأْنُ إِيدِنَ وَمُولِيهِ الَّذِينَ هُمَا

تَبْنِيَا الْمَفْتِ فِي حَقِّ الْأُلَى صَبَرُوا؟^(٤)

وقد وظف الشاعر صقر الشبيب الشخصيتين نفسيهما، في أبيات نظمها يوم انقلب أصحاب العدوان الثلاثي الأثيم على أعقابهم خائبين عن مصر عام ١٩٥٦م، لكنه جعل الثنائية في بيتين اثنين، قال:

وَهَلْ إِيدِنُ الْمُغْتَرُّ مُغْتَبِرٌ بِمَا

جَنَاهُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ فَرَطُ اغْتِرَارِهِ؟

(١) كريستيان بينو Pineau Christian (١٩٠٤-١٩٩٥م) وزير خارجية فرنسا وقتئذ، ممثل فرنسا في أثناء التوقيع على معاهدة إلغاء الحماية. انظر: أحمد الشقيري، قصة الثورة الجزائرية، ط١، بيروت: المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ٣٠-٣٥.

(٢) روبرت لاکوست Lacoste Robert (١٨٩٨-١٩٨٩م) جنرال فرنسي، عينته الحكومة الفرنسية مقيماً في الجزائر (١٩٥٦-١٩٥٨م)، ويعتبر عمل لاکوست أكبر عملية إجرامية قامت بها فرنسا في الجزائر، إذ كان يُنصر الشعب الجزائري ويجرده من دينه وعقائده. عندما فرضت الثورة الجزائرية نفسها وقوتها، ولاحت في الأفق علامات الاستقلال، شرع الجنرال ديغول في إعداد خطته لسرقة الانتصار الجزائري، وطلب إلى الجنرال لاکوست تسريح الضباط الجزائريين الذين كانوا ضمن القوات الفرنسية، والذين وجدوا أنفسهم تلقائياً، قبيل الاستقلال وبعيده، في صفوف جيش التحرير الشعبي الوطني الجزائري. انظر: تاريخ الحكم والسلاطات الحاكمة، الفرنسيون في الجزائر. انظر: أحمد الشقيري، قصة الثورة الجزائرية، ص ٣٢.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ١١٧. [العنبريف: الخبيث الفاجر الذي لا يبالي ما صنع، وجمعه عتاريف]. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٦.

(٤) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٥٥.

وَهَلْ عَيْشٌ مُوْلِيهِ سَيَعَذِّبُ بَعْدَمَا

رَمَى نَفْسَهُ حُمْقًا بِسَهْمِ دَمَارِهِ؟^(١)

نلاحظ أنَّ حضور الشخصيات العالمية المرتبطة بالقضية الفلسطينية ورد أكثر من غيره من الشخصيات؛ إذ شكَّلت حلقة الوصل بين الغرب والعرب، والرابط المشترك بين العربي والآخر الغربي، على الرغم من أنَّ هذا القاسم كان سلبياً أكثر الأحيان. تجدر الإشارة إلى كثرة اعتماد الشعراء الكويتيين على استحضار شخصية سياسية مفردة في البيت الشعري الواحد، ومن ذلك توظيف شخصية الرئيس الأمريكي هاري ترومان في قول خالد الفرج:

فِي تَلِّ أَبِيبَ بَنُو صِهْيُونِ قَدْ نَصَبُوا

تِمْنَالٍ حَاخَامِهِمْ هَارِي تُرُومَانَ^(٢)

وقوله في قصيدة أخرى له مستحضراً الشخصية السياسية نفسها، في تصوير قلق الرئيس ترومان السلبى من توحيد الكوريتين، وخوفه من قيام دولة قوية تنافس الولايات المتحدة الأمريكية:

وَلِذَاكَ قَدْ أَرْغَى تُرُو

مَانَ النَّزِيْهُ وَأَزْبَدَا^(٣)

إنَّ الحضور السلبى لشخصية الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة «هاري ترومان»، يعود إلى علاقته المباشرة بالكيان الصهيوني؛ «حيث لعب دوراً في تأييد الحركة الصهيونية، وفي دعم قيام إسرائيل بكل الوسائل، وكان أوَّل من اعترف بها. وقد وصف في مذكراته طبيعة الضغط الصهيوني على البيت الأبيض في عهده»^(٤).

(١) أحمد البشر الرومي، ديوان صقر الشبيب، ص ٣٩٧.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٩٠.

(٣) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٦٦. انظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرج: حياته وأثاره، ص ٦١-٦٢. انظر: علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٢١.

(٤) عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٧٢٤.

وفي سياق الشخصيات السياسية البارزة بمواقفها السلبية، يستوقفنا الفرج في مكان آخر مع شخصية الرئيس الرابع والثلاثين للولايات المتحدة «دوايت ديفيد أيزنهاور» الذي طرح مشروعاً يقترح فيه حلول أمريكا مكان فرنسا وبريطانيا في المنطقة العربية، إلا أن العرب عموماً رفضوه. فقال الفرج في ذلك:

تَمَخَّضَ الطُّودُ فَهَلْ مِنْ خَبَرٍ

يُنْبِئُ عَمَّا جَرَى مِنْ عِبَرٍ؟

تَبَسَّمَ النَّاسُ وَقَالُوا لَنَا:

قَابَلَ حَسُونَةَ^(١) أَيْزَنْهَوْرُ^(٢)

جمع الشاعر بين شخصيتين سياسيتين: عربية وأجنبية، في سياق إشارته إلى المشاورات السياسية التي كانت تتم بين الطرفين العربي والأجنبي.

وتعقيباً على هذه النقطة فقد ورد هذا الجمع بين شخصيات عربية وأجنبية في أكثر من مكان، ومن أمثلة ذلك ما قاله الفرج في معرض حديثه عن الشريف حسين ومراسلاته مع مكماهون:

أَغْرَاهُ مَكْمَاهُونُ فِي أُسْلُوبِهِ

حُلْمُ رَأَاهُ وَإِنَّهُ لَجَمِيلُ^(٣)

(١) محمد عبد الخالق حسونة (١٨٩٨ - ١٩٩٢ م) أمين عام جامعة الدول العربية (١٩٥٢ - ١٩٧٢ م) تقلدها بعد عبدالرحمن عزّام. حاز الماجستير في الاقتصاد والسياسة في جامعة كامبردج ١٩٢٥ م، وصار محافظاً للإسكندرية (١٩٤٢ - ١٩٤٨ م). خلفه في الأمانة العامة محمود رياض (١٩١٧ - ١٩٩٢ م).
انظر: محمد خير رمضان يوسف، تنمّة الإعلام للزركلي، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م ج ٢، ص ٣٣٣.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٧٤.

(٣) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ٧٦.

يتطرق الشاعر في القصيدة إلى السياسيّ الإنجليزيّ «لورنس العرب»^(١)، وعلاقته
الوطيدة بالسياسيين في المشرق العربي بعامة، وفي بلاد الشام بخاصة، مستغرباً قدومه
من بلاد الغرب ليُنصَّب ملكاً -نظرياً- على بعض العرب، فيقول خالد الفرج:

لُورْنَسُ بَيْنَهُمْ مَلِيكَ حَاكِمٌ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّاجُ وَالْإِجْلِيلُ^(٢)

ويستحضر الشاعر الأيوبيّ شخصيّة صهيونيّة كان لها أسوأ الأثر إبان العدوّان
الثلاثيّ على مصر ١٩٥٦م، فقال:

أَمَّا وَبِنُغُوزِيُونُ^(٣) أَوْ شُذَاذُهُ
فِي الْأَرْضِ، لَا سِلْمٌ وَلَا مِنْ مَهْرَبٍ^(٤)

(١) توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence (١٨٨٨-١٩٣٥م) سياسيّ بريطانيّ، عرف
بلورانس العرب. درس التاريخ والآثار في جامعة أكسفورد، وانضمّ إلى بعثة الآثار في بلاد ما بين النهرين
عام ١٩١١م، وبقي بعد سفر البعثة في البلاد العربيّة، يتعلّم لهجتها السارية حتّى عام ١٩١٤م. التحق
بالمخابرات التابعة للجيش البريطانيّ في أثناء الحرب العالميّة الأولى في مصر، ثمّ انضمّ عام ١٩١٦م إلى
القوّات العربيّة لمحاربة الدولة العثمانيّة بقيادة فيصل الأوّل ابن الشريف حسين. لعب دوراً مهمّاً في تلك الثورة
المعلنة على الحكومة العثمانيّة، وقطع الخط الحديديّ الواصل بين المدينة المنوّرة ودمشق، وقاد الجيش العربيّ
إلى احتلال ميناء العقبة. ودخل مع الجيش العربيّ دمشق عام ١٩١٨م، قبل أن يدخلها الجنرال اللنبيّ. رافق
الملك فيصل إلى مؤتمر السلام في فرساي، ولعب دوراً في خداع العرب وتنفيذ سياسة بريطانيا، وبعد فشل
المؤتمر ونكث بريطانيا وعودها للعرب، رجع إلى بريطانيا، وانضمّ إلى القوّات الجويّة بالاسم المستعار «روس». في
الوقت نفسه غيّر اسمه إلى «ت.أ.شو». له عدد من المؤلّفات السياسيّة، منها: «ثورة في الصحراء»، وأعمدة
الحكمة السبعة»، و«دار سكّ النقود». وترجم الأوديسا إلى اللغة الإنجليزيّة. مات بحادث صدام في أثناء قيادته
دراجته الناريّة عام ١٩٣٥. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، موسوعة السياسة، ج ٥، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٢) خالد محمّد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٦٦.

(٣) دافيد بن غوريون David Ben-Gurion (١٨٨٦-١٩٧٣م) زعيم صهيونيّ، ورئيس وزراء، ووزير دفاع
سابق في إسرائيل، ولد في بولندا في بلدة بلونسك، وكان اسمه دافيد غرين. لعب دوراً رئيساً في بلورة الفكر
الصهيونيّ في فلسطين، وكان من مؤيدي مقاطعة العرب وطردهم من أراضيهم. شغل منصب وزير الدفاع في
جميع الوزارات التي رأسها، ثمّ شغلها أتباعه من بعده. حرص على التحالف مع الإمبريالات المختلفة بعدما
أكد دور إسرائيل كحامية للمصالح الإمبرياليّة في المنطقة العربيّة. تحالف مع فرنسا عام ١٩٥٥م، وجدد
الحلف مع بريطانيا بعدها بقليل، وكان رأس حربة العدوّان الثلاثيّ على مصر عام ١٩٥٦م، عاش حتّى عام
١٩٧٣م. انظر: عبد الوهّاب الكيّالي، م، س، ج ١، ص ٥٧٣-٥٧٤.

(٤) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٤٦.

وقال في مكان آخر مشيراً إلى أنه أساس البلاء، حين استعان بفرنسا
وبريطانيا متذرعاً بالسلم، وهو وحلفاؤه أبعد ما يكونون عنه:
لَدَيْهِمَا نَاحٍ بِنُغُوزِيُونُ مُلْتَمِسَا
عَوْنِ التَّمَّاسِيحِ مَنْ لِّلْسَلَمِ قَدْ نَحَرُوا^(١)

وترتبط شخصيته بالعدوان الغاشم، وهو رأس حربة فيه، وهو الذي عقد
التحالف الصهيوني مع فرنسا عام ١٩٥٥م، ثم جدد تحالفه مع بريطانيا عام
١٩٥٦م، في تخطيط منه لدحر القوّات العربيّة والقضاء عليها.

إنّ الواقع السياسيّ المضطرب في البلاد العربيّة، والدور الغربيّ الفعّال
في هذا الاضطراب، ألجأ الشاعر إلى توظيف الشخصيات السياسيّة توظيفاً
سلبياً، بيد أن بعض الشعراء لم يهتموا استدعاء الشخصيات الأجنبية بإيجابية في
أشعارهم، وهو ما سنقف عليه في ما يلي.

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٥٥.

ب - الشخصيات الإيجابية

على الرغم من موقف الشاعر الكويتي المعادي عمومًا للغرب، وتوظيفه لشخصياته السياسية البارزة في جانبها السلبي، كان منصفًا في توظيفه لشخصية الآخر الأجنبي توظيفًا إيجابيًا، بل حضَّ العرب على التعلم من هذه الشخصيات، والسير على خطاها، والأخذ من خصالها الثورية والسياسية. ومن ذلك ما قاله الشاعر عبداللطيف النصف:

مَنْ لِي بِرُؤُوسٍ يُذَكِّي نَارَهَا
حَمْرَاءَ تَخْفِقُ فَوْقَهَا رَايَاتُهُ^(١)

فهو يأخذ من الخصال الثورية للمناضل الفرنسي ماكسميليان روبسبير، قائد الثورة الفرنسية، بل يأمل أن تأتي شبه الجزيرة العربية برجلٍ مثله يقوم بثورةٍ تغير مسار الأمور. وقال في قصيدة أخرى له:

وَقَدْ عَلِمُوا لَوْ أَضْبَحَ الْعِلْمُ نَافِعًا
بِأَنَّكَ مِنْ بَسْمَارِكَ أَذْهَى وَأَحْزَمُ^(٢)

اشتهر الألماني بسمارك بالحصافة والحنكة السياسية، تقلد منصب مستشار للإمبراطور الألماني غليوم الثاني، وكان ذا رأي صائب في الكثير من المسائل السياسية التي أثرت في التاريخ الألماني آنذاك، إذ وحد الدويلات المتفرقة لتؤسس باجتماعها إمبراطورية ألمانيا العظمى.

وقد استدرك الشاعر خالد الفرج على معاصره النصف، فعارضه بقصيدة تباريها في الوزن والقافية والغرض، ووظف شخصية بسمارك التي تتمتع بالدهاء السياسي ورجاحة العقل، توظيفًا إيجابيًا، قال:

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١١٠. [وردت القصيدة في ديوان الفرج ضمن مراسلات كانت تنم بينه وبين معاصره الشاعر عبداللطيف النصف].
(٢) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٨١. انظر: مجلة البعثة، السنة الأولى، ١٩٤٧، العدد ٩، ص ١٧٩.

مَنْ لِي بِبِسْمَرِكِ يَضُمُّ صُفُوفَهُ

وَعَلَيْهِ تَجْمَعُ نَفْسُهَا أَشْتَاتُهُ^(١)

وورد عدد من الشخصيات في سياق موقفها الإيجابي من القضايا العربية، بمنأى عن الدولة التي تنتمي إليها، منها ما أورده الأيوبي في قصيدته التي نظمها بعيد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، يقول:

نَادَاهُ بُولْغَانِينُ^(٢) وَهُوَ بِلَنْدِنِ

مُتَارِجٍ فِي شَكِّهِ الْمُتَسَرِّبِ^(٣)

ويعود حضور شخصية القائد السياسي الروسي في هذا الجانب الإيجابي إلى دعواته غير المنتهية إلى السلام في الشرق الأوسط وفي العالم، واتضح هذا الموقف بالإنذار الذي وجهه إلى فرنسا وإنجلترا قبيل العدوان على مصر، في سعيه إلى منع وقوع هذا العدوان. أمّا ما يتعلق بتفاصيل موقف بولغانين فيستوقفنا ما نظمه الشاعر الأيوبي مؤرخاً وممتدحاً الموقف الروسي من العدوان على مصر، قال:

إِنْدَارُ بُولْغَانِينِ فِي الدُّنْيَا لَهُ

نُذْرٌ عَلَى الْمُسْتَعْمِرِ الْمُتَجَافِي

(١) خالد محمد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١١٢.

(٢) نيكولاي بولغانين Nikolai Bulganin. (١٨٩٥-١٩٧٥م)، سياسيٌّ سوفياتيٌّ، وصل إلى مستويات السلطة العليا في سنٍّ متأخرة نسبياً. ويبدو أنَّ تقدُّمه في الزعامة يعود إلى الاعتراف بكفائته الإدارية العالية أكثر ممَّا يعود إلى منجزاته الحزبية، فقد أثبت كفاءة نادرة واكتسب سمعة ممتازة بوصفه إدارياً صناعياً. وفي عام ١٩٤٨م تولّى رئاسة بنك الدولة. وكان قبل ذلك قد التحق بالجيش وترقى إلى رتبة جنرال، وحلَّ محل فورتشيلوف عضواً في لجنة الدفاع. وفي عام ١٩٤٦م أصبح وزيراً للدفاع، كما أصبح عام ١٩٤٨م عضواً كاملاً في المكتب السياسي للحزب. وفي أعقاب سقوط مالنكوف عام ١٩٥٤م، تولّى رئاسة الوزراء، ثمَّ اضطر عام ١٩٥٨م إلى الاستقالة بسبب خلافه مع خروشوف سكرتير الحزب الشيوعي حينذاك. اقترن اسمه بالإنذار السوفييتي لإنجلترا وفرنسا إبَّان العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م. انظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ص ٦١٠.

(٣) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٤٤. [الصحيح «مُتَرَجِّح»؛ لا «مُتَارِج»].

أَفْضَى بِقَوْلَتِهِ لِإِيْدِنَ وَهُوَ فِي
مُوسَكُو الْقَوِيَّةِ حَاسِمًا لِخِلَافِ
قِفَ عِنْدَ حَدِّكَ إِلَيْهِ إِيْدِنَ خَائِبًا
فَلَنَحْنُ أَنْصَارُ السَّلَامِ الْوَافِي
وَتَصَايَحِ الْمُتَطَوُّعُونَ أَلَا ارْقَعُوا
أَيْدِيَكُمْ عَنْ سَائِرِ الْأَطْرَافِ
خَلُّوا لِمِضَرَ سَبِيلَهَا وَتَرَاجَعُوا
حَتَّى تُحَقِّقَ أَغْظَمَ الْأَهْدَافِ
وَدَعُوا الشُّعُوبَ تَسِيرُ نَحْوَ مَصِيرِهَا
وَكَمَا تَعِيشُ بِسَلْمِهَا الرُّقَافِ
قَالَ السَّلَامُ الْأَزِيْجِيُّ مَقَالَهُ
وَسَرَى مَسِيرَ الْعِطْرِ فِي الْأَخْيَافِ
الْدِّينُ حُرٌّ، وَالشُّعُوبُ حُقُوقُهَا
مَحْفُولَةٌ بِتَضَامُنِ الْأَلَا^(١)

موقف الشاعر تجاه هذه الشخصية السياسية ناتج من موقفها المؤيد للسلام في المنطقة العربية، والأهم من ذلك هو أن الشاعر الأيوبي قد استحضر شخصية وزير الخارجية السوفييتي «ديمتري شبيليوف» بشكل إيجابيًا أيضًا، لموقفه العظيم تجاه رفضه لمشروع قرار توجيه ضربة عسكرية إلى مصر إبان مؤتمر الأربع والعشرين الذي انعقد في لندن في السادس عشر من أغسطس ١٩٥٦م^(٢)، وأرخ ما دار في هذا المؤتمر بقوله:

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) تحدث مندوبو عدة دول أوروبية وأسيوية وأفريقية في خلال المؤتمر، وأعلن «بينو» وزير الخارجية الفرنسية تأييده لإنشاء هيئة دولية لا للرقابة ولكن للإدارة. وجاء بعده «ديمتري شبيليوف» وزير الخارجية السوفييتي، فقام بتفنيد معظم الحجج التي ساقها مندوبو بريطانيا وفرنسا، أنصار استعمال سياسة القوة، وخلص من ذلك إلى إسداء النصيحة لهما، وأخيرًا وجه تحذيرات ذات طابع عسكري، وهي أن فرض مشروعات على مصر عن طريق استعمال القوة سوف يعني انتهاك السلام في الشرق الأوسط، وهو الأمر الذي قد يتحول إلى صراع عالمي واسع النطاق، وسوف يعرض مصالح بريطانيا وفرنسا الكثيرة للخطر. واقترح الوزير السوفييتي دعوة مؤتمر دولي موسع لعقد اتفاق مكمل لاتفاقية القسطنطينية الموقعة عام ١٨٨٨ م. انظر: موقع تاريخ بورسعيد.

أَمَّا شَبِيلُوفُ الْعَظِيمُ فَإِنَّهُ
طَرَقَ الْمَسَالِكَ رَائِعُ الْأَوْصَافِ
هُوَ لِلسَّلَامِ الْعَالَمِيِّ حَمَامَةٌ
بَيْضَاءَ ذَاتُ قَوَائِمٍ وَخَوَافِي
يَتَكَلَّمُ السَّلْمَ الْقَوِيَّ مُحَمَّسًا
قَلْبَ الضَّمِيرِ الْعَالَمِيِّ الصَّافِي
فَلْتَنْهَضِ الْأُمَمُ الضَّعِيفَةُ حُرَّةً
هَذِي رِسَالَتُهُ بِدُونِ خِلَافٍ
أَمَّا التَّعَائِشُ فَلْيَكُنْ بَيْنَ الْوَرَى
فِي الْأَرْضِ سَلْمِيًّا بِلا اسْتِخْفَافٍ
وَلْيَصْمُتِ الْمُسْتَعْمِرُونَ وَدُونُ مَا
يَبْغُونَ صَارُوخُ الدَّمَارِ الْكَافِي^(١)

موقف الشاعر من الشخصية مبني على موقف إيجابي لها إزاء قضية عربية، بعيداً عن الأطماع السياسية التي يمكن أن تستتر وراء هذا الموقف السوفييتي، وبغض النظر عن توجهات هذه الشخصية في مجالات أخرى خارج الرؤية العربية لها. وحرى بنا أن نذكر أن وزير الخارجية السوفييتي «شيبيلوف» الذي حثَّ على السلام في الشرق الأوسط، خرق كلَّ حقوق الإنسان في قمعه للثورة المجرية في العام نفسه ١٩٥٦م، فضلاً عن اتِّهامه باغتيال الأديب الفرنسي «ألبير كامو»^(٢) عام ١٩٦٠م^(٣).

(١) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) أديب فرنسي شهير حصل على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٥٧ قبل عامين من وفاته. ولد في الجزائر في السابع من نوفمبر ١٩١٣، وتوفي في الرابع من يناير ١٩٦٠. عُرف بعلاقته الوطيدة بالفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، وأُسمت رواياته بالطابع الوجودي الذي غلب على المشهد الفرنسي في ذلك الوقت. ومن رواياته: «الغريب»، و«الطاعون»، و«السقوط»، و«الرجل الأول» التي وجدها البوليس داخل حطام السيارة، وهي مخطوطة مكونة من مئة وأربعين ورقة، نُشرت بعد وفاته عام ١٩٩٥. انظر: موقع تاريخ بور سعيد.

(٣) يكشف «زابارنا» في مذكراته عن أن وزير الخارجية الروسي «ديم تري شيبيلوف» هو من أعطى الأمر شخصياً باغتيال «كامو»؛ كرد فعل على مقال نشره في إحدى المجلات الفرنسية في مارس من عام ١٩٥٧م، انتقد فيه دور «شيبيلوف» في أحداث المجر التي أطلق عليها كامو «مجازر شيبيلوف»، وهي الأحداث التي أرسلت فيها موسكو قوات سوفييتية لقمع الانتفاضة المجرية عام ١٩٥٦. انظر: موقع تاريخ بور سعيد.

كما لم يكن استحضار هذه الشخصيات بجانبها الإيجابي حكرًا على ارتباطها بالقضايا العربية، بل تجاوز الشعراء هذه العقبة وصولاً إلى الموقف الثوري العام للشخصية العالمية، وطريقة صعودها وبنائها واستقلالها، ومن ذلك قول خالد الفرج:

بَنَيْتُو^(١) بَنَيْتَ صُرُوحَ الْفَخَارِ

وَجَدَّدْتَ مَجْدَ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٢)

يشيد الشاعر بانتصار المقاومة المكسيكية على الغزو الفرنسي، ويهنئ الولايات المتحدة الأمريكية بهذا النصر، إذ إنها شاركت المكسيكيين في دحر القوات الفرنسية وهزمها؛ فبنو الأصفر هم الروم، أي ما يمكن أن يضم الأوروبيين والأمريكان، بدليل الحديث الشريف: «يكون بينكم وبين بني الأصفر الروم هدنة...»^(٣)، كما أن العرب كانوا يسمون الروم بالعرق الأصفر لتمييزهم ببياض بشرتهم وصفرة شعرهم.

إن التوظيف الإيجابي لبعض الشخصيات السياسية العالمية يظهر مدى اهتمام الشاعر الكويتي بعقد المقارنة بين الشرق والغرب، ويؤكد حرصه على إنصاف الآخر الغربي، وتناوله بما فيه من خصائص وجوانب، ويشير إلى عدم انحياز الشاعر إلى شخصية ما؛ مدحاً أو ذمماً، إلا بما يفرضه الموقف السياسي الذي وقفته هذه الشخصية.

(١) جواريز، بنيتو Juarez Benito (١٨٠٦-١٨٧٢م) قائد ورجل دولة مكسيكي جمهوري، ينحدر من أصول هندية، تلقى تعليماً جيداً، ووصل في مرحلة مبكرة إلى مناصب حكومية. قاوم محاولة الجنرال سانتا أنا للاستيلاء على حكم المكسيك، وأودع السجن بسبب ذلك، لكنه تمكن من الفرار إلى الولايات المتحدة حيث أخذ يخطط للثورة، وحين نجحت الخطة، عُيِّنَ وزيراً للعدل، فشرع القوانين المقيدة لسلطات القادة العسكريين والإكليروس، فأدى هذا إلى نشوب حرب أهلية (١٨٥٧-١٨٦٠م). أصبح عام ١٨٥٨م رئيساً للبلاد، وعندما تمت له السيطرة أعلن وقف دفع الديون الخارجية، فحمل فرنسا على تجهيز حملة لغزو المكسيك، وإقامة إمبراطورية تابعة لها تحت حكم الأرشدوق النمساوي ماكسميليان، فما كان من جواريز إلا أن أعلن الحرب على فرنسا، وتمكن بمساعدة الولايات المتحدة من إلحاق الهزيمة بها، والقبض على ماكسميليان وإعدامه عام ١٨٦٧م، وتولى رئاسة الجمهورية حتى مماته. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ص ١١٥.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٤٤.

(٣) «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ الرُّومُ هُدْنَةٌ...». انظر: موسوعة الحديث، رقم ١٤١١.

ج - استحضر أسماء الدول والمدن العالمية

كثيرة هي النماذج الشعرية التي احتوت على أسماء الدول والمدن العالمية في الدراسة، وبدا واضحاً اهتمام الشعراء الكويتيين باستعمال أسماء الدول الكبرى ذات التأثير في القرار السياسي العالمي والعربي، وبعض المدن والعواصم التي ارتبطت أسماؤها بأحداث سياسية أو حربية، والتي تحولت إلى رمز عرفت به هذه المدن لاحقاً، فدونها التاريخ مقرونة بهذا الحدث أو ذاك. مثال مدينة «هيروشيما» في قول خالد الفرج:

يَا يَوْمَ تُوشِيْمَا عَزَا

ءٍ مِنْ رَزَايَا هِيْرُوشِيْمَا^(١)

ومدينة «لنين غراد» التي اشتهرت بعد حصارها من القوات الألمانية في الحرب العالمية الثانية، ليرتبط اسمها بهذه الحرب، في قول الشاعر خالد الفرج:

هُوَ الثَّلْجُ لَا ثَلْجٌ يَجِيءُ بِهِ الشِّتَا

بِسَيْبِيْرِيَا أَوْ فِي لِنِيْنٍ غِرَادَا^(٢)

كما تحولت المدينة إلى رمز تاريخي بعيد عن المفردة الجغرافية أو السيادية لاسمها العلم؛ ومن ذلك أن ترتبط المدينة بفتح تاريخي، أو بهزيمة حربية، كما قال الشاعر عبداللطيف النصف:

فَقَدْ عَلِمْتُ مَدْرِيْدُ أَنْكَ فَاتِحُ

وَقَدْ شَهِدْتُ بَارِيْسُ أَنْكَ ضَيْغَمُ^(٣)

(١) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٥٧.

(٢) خالد محمد الفرج، ديوان خالد الفرج، ص ١٤٥.

(٣) علي عبدالفتاح، أعلام الشعر العربي في الكويت، ص ١٨١. [نشرت القصيدة في مجلة البعثة، السنة الأولى، ١٩٤٧، العدد ٩، ص ١٧٩].

وقد ترتبطُ أسماء المدن بالمعاهدات والمواثيق التي تُعقد فيها، ومن أبرزها مدينة «لوزان» في سويسرا، وظَّفها الشاعر الفرّج للإشارة إلى المؤتمر عقده فيها عام ١٩١٩م الأمم المتّحدة، للتّوفيق بين العرب واليهود حول فلسطين، وسُمّي «بروتوكول لوزان»، فيقول:

لِمَ الذَّهَابُ إِلَى لُوزَانَ فِي ضَعَةٍ
أَلَا عِتْرَافٍ؟ فَلَيْتَ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لِلْوَزَانِ نَفُوزُ بِهِ
إِلَّا خُنُوعٌ وَإِذْعَانٌ وَخُسْرَانٌ^(١)

نلاحظ أنَّ الاسمَ المباشرُ قد حقّق أعلى مُعدلٍ في التوظيف، ويرجعُ السببُ إلى توظيف الشعراءِ لمجموعةٍ كبيرةٍ من الشخصياتِ الأجنبية التي ليس لها كُنًى، ولا يعرفُ القارئُ العربيُّ إلا صفةً واحدةً لاستدعائها على أنَّها الاسمُ المباشرُ.

ولم يكن الشعراء الكوييتيون مغالين في نقد الشخصيات السياسية العالمية التي استحضروها في جوانبها السلبية، إذ إنَّ التاريخ السياسيّ يؤكّد إجرام هذه الشخصيات ومكرها، ودورها البغيض في مساندة اليهود لاحتلال فلسطين. كما أنَّ اتكاء الشعراء على شخصيات عالمية أخرى عُرِفَتْ بفطنتها السياسية، دليلٌ على منطقيّة الشعراء الكوييتيين في التوظيف والقياس بين الغرب بالغرب والعرب بالغرب.

بناءً على ما قدّمناه من نماذج شعريّة تناولت القضايا السياسيّة العالميّة، هل يمكن أن نطلق على الشعر السياسيّ الكوييتيّ صفة العالميّة، إذ إنَّ النماذج الشعريّة التي درسناها مفعمة بالإنسانيّة، ومغرقة في الشؤون العالميّة، وربط الشعراء فيها القضايا العربيّة بالقضايا العالميّة، وأوضحوا تأثّر كلٍّ منها بالأخرى، مع عدم إغفال

(١) خالد محمّد الفرّج، ديوان خالد الفرّج، ص ١٦٣. انظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرّج: حياته وآثاره، ص ٣٠.

أنَّ الأطماع الاستعماريَّة هي نقطة الالتقاء بين القضيَّتين؟ وإن كان من مأخذ على هذا الجانب، فهو اقتصار تناول القضايا العالميَّة في الشعر العربي في الكويت على بعض شعراء الكويت من دون غيرهم.

ويذهب بنا مفهوم عالميَّة الشعر - كما يحدِّده هنري ريماك^(١) - إلى اعتماد مفهوم العالميَّة لهذا الشعر؛ ومفهومه يقوم على أساس «أنَّ الأدب العالميَّ لا يكتفي بتناول كبار الأدباء الذين احتلُّوا مساحات شاسعة من رقعة تاريخ أدبهم القوميِّ، بل يتناول كذلك أدباء من الدرجة الثانية - إن صحَّ التعبير - ويحاول إبراز جهودهم التي طمرتها الأيَّام فأغفلها تاريخ أدبهم، كما يهتمُّ الأدب العالميُّ بتلك الآداب غير الواسعة الانتشار - زماناً ومكاناً - فيكشف عن إسهامها في مسيرة هذا التاريخ. إنَّ على تاريخ الأدب العالميَّ أن يولي تلك الآداب ذات الإشعاع المحدود ما تستحقُّ من عناية، فلا يكتفي بالإشارة إليها إشارات سريعة، بل عليه أن يُدخلها في تركيب الآداب الكبرى، ويضع كُتَّابها المبرزين في مكانهم من التطوُّر الأدبيِّ»^(٢).

تبدو جليَّة عناية الشعراء الكويتيِّين بالقضايا السياسيَّة العالميَّة؛ فمنهم من تناولها بكثير من التفصيل كخالد الفرج، وبعض قصائد محمود الأيوبيِّ. ومنهم من اقتصر على عموميَّاتها كصقر الشبيب، وعبدالله سنان محمَّد، وعبدالله اللطيف النصف. ومقارنة بين عدد الشعراء في الكويت، وعدد سكَّانها وحالتها الثقافيَّة في تلك الفترة على شعراء الدول العربيَّة، يمكننا أن نرجِّح الحكم بعالميَّة الشعر الكويتيِّ، إذ تناول القضايا العالميَّة في أكثر من جانب، واعتمد شعراؤه على النقد التحليليَّ البناء الذي يقترب من الإنسانيَّة - في كثير من الأحيان - أكثر من اقترابه

(١) هنري ريماك باحث وناقد أمريكي، وهو رائد الأدب المقارن في المدرسة النقديَّة الأمريكيَّة، من أبرز مؤلفاته «الأدب المقارن في مفتق الطرق».

(٢) عبدالواحد علَّام، مدخل إلى الأدب المقارن، ط١، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٩٠، ص ٣٦.

من عروبة القضية أو أجنبيّتها. كما تضمّن الشعرُ نقدًا سياسيًا لأبرز الهيئات
الدوليّة لحقوق الإنسان، وأبرز المؤتمرات العالميّة ذات التأثير المباشر في الدول
العربيّة، وتعرّض للمواثيق التي ما زال العرب يرسفون في قيودها إلى يومنا هذا.
كلُّ هذا دليلٌ على عالميّة الشعر الكويتيّ، وارتقائه إلى مصافِّ الآداب العالميّة.

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - ابن الرُّومي (علي بن العبَّاس بن جُريج)، ديوان ابن الرُّومي، الطبعة الأولى، [ضَبَطَ نُصُوصه وعلَّق حواشيه وقَدَّم له: عمر الطَّبَّاع]، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- ٣ - ابن عاشور (محمَّد الطاهر)، التحرير والتنوير، ٢٠٠٨، ج ١١.
- ٤ - ابن غنَّام (الحسين)، تاريخ نجد، الطبعة الرابعة، بيروت: دار الشروق، ١٩٩٤.
- ٥ - ابن لعبون (حمد بن محمَّد بن ناصر)، تاريخ ابن لعبون، الطبعة الثانية، الطائف (المملكة السعودية): مكتبة المعارف، ٢٠٠٧.
- ٦ - ابن منظور (محمَّد بن مكرم)، لسان العرب، الطبعة الأولى [طبعة جديدة منقَّحة]، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
- ٧ - أبو العلاء المعرِّي (أحمد بن عبدالله)، سقط الزند، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٧.
- ٨ - أبو حاكم (أحمد مصطفى)، تاريخ الكويت الحديث، الطبعة الأولى، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٧.
- ٩ - أبو ماضي (إيليا)، إيليا أبو ماضي: الأعمال الشعرية الكاملة، الطبعة الأولى، [جمع الشعر وقَدَّم له: عبدالكريم الأشتري]، الكويت: مؤسَّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٨.
- ١٠ - أحمد مشاري العدواني: الأعمال الشعرية الكاملة، الطبعة الأولى، الكويت: مؤسَّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ١٩٩٦.
- ١١ - الأفغانئي (صبري)، «الوعي القومي والسياسي في الكويت»، الكويت: مجلَّة البعثة، ١٩٥٠، العدد الثالث.

- ١٢ - إمام (عبد الفتاح)، الطاغية: دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، الطبعة الأولى، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٧٨.
- ١٣ - الأنصاري (عبد الله زكرياً)، ديوان عبدالله زكرياً الأنصاري، الطبعة الأولى [طبعة خاصة بترخيص من أصحاب الحقوق]، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠١٢.
- ١٤ - الأنصاري (عبد الله زكرياً)، فهد العسكر: حياته وشعره، الطبعة الرابعة، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٧٩.
- ١٥ - الأنطاكي (داود بن عمر)، تزيين الأسواق في أخبار العُشّاق، الطبعة الأولى، بيروت: دار البحار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
- ١٦ - الأيوبي (محمود شوقي)، ألحان الثورة، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٦٩.
- ١٧ - الأيوبي (محمود شوقي)، المنابر والأقلام، الطبعة الأولى [أعدّه وقدم له: عبدالله زكرياً الأنصاري]، الكويت: مطابع الوطن التجارية، ١٩٨٢.
- ١٨ - الأيوبي (محمود شوقي)، ديوان الملاحم العربية، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: دارُ الملك عبدالعزيز [ضمن منشوراتها لمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية]، ١٩٩٩.
- ١٩ - البدر (بدر خالد)، معركة الجَهْراء ما قبلها وما بعدها، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٠.
- ٢٠ - بدوي (أحمد زكي)، معجم المصطلحات السياسية الدولية: إنجليزي فرنسي عربي، الطبعة الأولى، مصر: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩.
- ٢١ - بسيسو (سعدي)، إسرائيل جناية وخيانة، لا ط، [الكتاب الثاني والثمانون من منشورات «كتب سياسية»].
- ٢٢ - البهي (محمد)، التفرقة العنصرية والإسلام، الطبعة الأولى، مصر: مكتبة وهبة، ١٩٧٩.
- ٢٣ - البوعياشي (أحمد عبدالسلام)، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، الطبعة الأولى، طنجة: مطبعة دار الأمل، ١٩٧٤.

- ٢٤ - التاجر (محمّد علي)، عقد اللآل في تاريخ أوّال، الطبعة الأولى، البحرين: مؤسّسة الأيّام للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٩٤. ٢٤ - جاسم (نجاة عبدالقادر)، قضايا في التاريخ السياسي والاجتماعي لدولة الكويت، الطبعة الأولى، الكويت، ٢٠٠٠.
- ٢٥ - الجبوري (يحيى)، الحنين والغربة في الشعر العربي: الحنين إلى الأوطان، الطبعة الأولى، عمّان: دار المجدلوي، ٢٠٠٧.
- ٢٦ - الجرجاني (علي بن محمّد)، التعريفات، الطبعة الأولى، مصر: المطبعة الخيريّة، ١٨٨٨.
- ٢٧ - الحصريّ القيروانيّ (إبراهيم بن علي)، زهر الآداب وثمر الألباب، الطبعة الأولى، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٧٠.
- ٢٨ - الحمدانيّ (طارق نافع)، الخليج والجزيرة العربيّة بين القرن السادس عشر والقرن العشرين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
- ٢٩ - حنظل (فالح)، الألفاظ العاميّة في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، الطبعة الثانية، تقديم ومراجعة: غسان الحسن، أبوظبي: وزارة الإعلام والثقافة، ١٩٩٨.
- ٣٠ - خليفة (إبراهيم عبدالفتاح)، التفرقة العنصريّة في جنوب أفريقيا، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.
- ٣١ - داهش (محمّد علي)، الشريف أحمد الريسوني: حياة وجهاد، الطبعة الأولى، تطوان: دار الحياة، ١٩٩٦.
- ٣٢ - الرشيد (عبدالعزيز)، تاريخ الكويت، [طبعة منقّحة، وضع حواشيها وأشرف على تنسيقها: يعقوب عبدالعزيز الرشيد]، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨.
- ٣٣ - الرشيد (عبدالمحسن)، أغاني ربيع، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤.
- ٣٤ - الرّومي (أحمد البشر)، ديوان صقر الشّبيب، الطبعة الثانية، [أعدّها وقدم لها وعلّق عليها: يعقوب يوسف الغنيم]، الكويت: مؤسّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ، ٢٠٠٨.
- ٣٥ - الرّوميّ (نوريّة)، محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعريّ عرض ونقد، الطبعة الأولى، الكويت: شركة المطبعة العصريّة ومكتباتها، ١٩٨٢.

- ٣٦ - الريحاني (أمين)، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، الطبعة الأولى، بيروت: المطبعة العلمية ليوسف صادر، ١٩٢٨.
- ٣٧ - الزركلي (خير الدين بن محمود)، الأعلام، الطبعة التاسعة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠.
- ٣٨ - الزركلي (خير الدين بن محمود)، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة التاسعة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩.
- ٣٩ - الزوزني (الحسين بن أحمد)، شرح المعلقات العشر، لا ط، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٨١.
- ٤٠ - الزيد (خالد سعود)، أدباء الكويت في قرنين، الطبعة الأولى، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨١، الجزء الثاني.
- ٤١ - الزيد (خالد سعود)، أدباء الكويت في قرنين، الطبعة الثالثة، الكويت: مطبعة السلام، ١٩٧٦، الجزء الأول.
- ٤٢ - السعدي (حصة أحمد عبدالرحمن)، الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٦.
- ٤٣ - السّمحان (فيصل)، معركة الصريف بين المصادر التاريخية والروايات الشفهية، الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة الكويت الوطنية، ٢٠٠٧.
- ٤٤ - سهر (عبدالله يوسف)، «العبودية القديمة والاستعباد الجديد... هل من علاقة!»، جريدة الوطن الكويتية، ٢٠ - ٨ - ٢٠١١.
- ٤٥ - الشرباصي (أحمد)، أيام الكويت، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٣.
- ٤٦ - الشطي (خالد يوسف)، مدرسة السعادة للأيتام ومؤسّسها شملان بن علي آل سيف، الطبعة الأولى، الكويت: مطابع الوطن التجارية، ٢٠٠٩.
- ٤٧ - الشملان (سيف مرزوق)، من تاريخ الكويت، ط١، القاهرة، ١٩٥٩.
- ٤٨ - شوقي (أحمد بن علي)، الشوقيات: ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، بيروت: دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١.

- ٤٩ - الشُّوكَانِيُّ (محمَّد بن علي بن محمَّد)، فَتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِعِ بَيْنَ فَنِّي الرُّوَايَةِ وَالْدَّرَايَةِ، لا ط، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤.
- ٥٠ - الشيخ خزل (حسين خلف)، تاريخ الكويت السياسي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، ١٩٦٢.
- ٥١ - صالح (محسن محمَّد)، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، [طبعة مزيدة ومنقَّحة]، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٢.
- ٥٢ - الصُّباح (عواطف خليفة العذبي)، الشعر الكويتي الحديث، الطبعة الأولى، الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧٣.
- ٥٣ - صليبا (جميل)، المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ج ٢.
- ٥٤ - الطبطبائي (عبدالجليل)، ديوان السيد عبدالجليل الطبطبائي، الطبعة الثانية، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٩٦٦.
- ٥٥ - الطبطبائي (عبدالجليل)، روض الخل والخليل، الطبعة الثالثة، دمشق: المكتب الإسلامي، لا تا.
- ٥٦ - عبدالحميد (محمَّد محيي الدين)، مقامات بديع الزمان الهمذاني، الطبعة الأولى، الهند: مطبعة بومباي، ١٩٢٣.
- ٥٧ - عبدالفتاح (علي)، أعلام الشعر العربي في الكويت، الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة ابن قتيبة، ١٩٩٦.
- ٥٨ - عبدالفتاح (علي)، العدوان في عيون معاصريه، الطبعة الأولى، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ١٩٩٦.
- ٥٩ - عبدالله (محمَّد حسن)، الكويت والتنمية الثقافية، لا ط، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، سبتمبر ١٩٩٠.
- ٦٠ - عبدالله (محمَّد حسن)، ديوان الشعر الكويتي، الطبعة الأولى، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٤.

- ٦١ - عبدالله (محمّد حسن)، عبد اللطيف النّصف: تجربته الشعريّة ورؤيته الإصلاحية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٢. [ندوة منشورة عُقدت في الثامن والعشرين من يناير].
- ٦٢ - علّام (عبد الواحد)، مدخل إلى الأدب المقارن، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٩٠.
- ٦٣ - الغنيم (يعقوب)، الأزمنة والأمكنة، الطبعة الأولى، الكويت: مطابع الهدف التجارية، ٢٠١٣.
- ٦٤ - الفرّج (خالد محمّد)، الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق ودراسة: عبد الرحمن بن عبدالله الشقيير، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠.
- ٦٥ - الفرّج (خالد محمّد)، ديوان خالد الضرج، تقديم وتحقيق: خالد سعود الزّيد، الطبعة الأولى، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٩.
- ٦٦ - الفرحان (راشد عبدالله)، مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، راجعه: عبدالله زكريّا الأنصاري، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦٠.
- ٦٧ - الفكيكي (حسن)، الشريف محمد أمزيان: شهيد الوعي الوطني (١٩٠٨ - ١٩١٢)، الطبعة الأولى، الرباط: مطبعة ربانيت، ٢٠٠٨.
- ٦٨ - القاضي (محمّد بن محمّد عمر)، أسد الريف محمّد بن عبد الكريم الخطابي، لا ط، تطوان: مطبعة ديسبريس، ١٩٨١.
- ٦٩ - القلقشنديّ (أحمد بن علي)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتّاب اللبنانيين، ١٩٨٠.
- ٧٠ - القناعي (يوسف بن عيسى)، الملتقطات، الطبعة الثانية، الكويت: مطابع الرسالة، ١٩٩٨.
- ٧١ - كحّالة (عمر)، معجم المؤلّفين، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٩٣.
- ٧٢ - الكيّاليّ (عبد الوهّاب)، موسوعة السياسة، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١.
- ٧٣ - مجلّة البعثة (الكويت)، القاهرة: بيت الكويت بمصر، ١٩٤٧ - ١٩٥٣.

- ٧٤ - مجلة الكويت (الكويت)، مصر: ١٩٢٨.
- ٧٥ - مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، الطبعة الثالثة، مصر: مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية، ١٩٨٥، ج٢.
- ٧٦ - المرداوي (أحمد بن عبدالله)، اللآلئ البهية شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
- ٧٧ - مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، الطبعة الأولى، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٨.
- ٧٨ - مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الطبعة الثانية، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢.
- ٧٩ - النبهاني الطائي (محمد بن خليفة)، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٩.
- ٨٠ - النجدي الحنبلي (عثمان بن بشر)، عنوان المجد في تاريخ نجد، الطبعة الرابعة، الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٩٨٢.
- ٨١ - النوري (عبدالله)، من الكويت، الطبعة الأولى، الكويت: مطبعة المقهوي، ١٩٦٢. [نسخة مصورة محفوظة لدى مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي في الكويت].
- ٨٢ - الوائلي (عثمان بن سند)، ديوان الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الصحاب، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٧.
- ٨٣ - الوائلي (عثمان بن سند)، سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، الطبعة الأولى، الهند: مطبعة البيان، ١٨٩٧.
- ٨٤ - الوائلي (عثمان بن سند)، مطالع السُّعود بطيب أخبار الوالي داود، الطبعة الأولى، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٠.

- ٨٥ - الوقيان (خليفة)، الثقافة في الكويت: بواكير - اتجاهات - ريادات، الطبعة الخامسة [منقّحة ومعدّلة]، الكويت: شركة مطبعة الفيصل، ٢٠١١.
- ٨٦ - الوقيان (خليفة)، القضية العربية في الشعر الكويتي، الطبعة الثانية [معدّلة ومنقّحة]، الكويت: شركة مطبعة الفيصل، ٢٠١٢.
- ٨٧ - يوسف، (محمّد خير رمضان)، تتمة الأعلام للزركلي، الطبعة الأولى، الطبعة الثانية، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ٢٠٠٢.

قائمة المراجع المترجمة

- ١ - آلان تايلور، مدخل إلى إسرائيل: الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧-١٩٤٧، ترجمة: شكري محمود نديم، الطبعة الثالثة، بغداد: مطابع شركة دار الجمهورية، ١٩٦٥.
- ٢ - أوبنهايم (ماكس فون)، البدو، ترجمة: محمود كبيكو، تحقيق وتقديم: ماجد شبر، [الطبعة العربية الثانية]، لندن: شركة دار الوراق للنشر، ٢٠٠٧.
- ٣ - لوريمر (جون جوردون)، دليل الخليج: القسم التاريخي، [طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدتها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر]، قطر: مطابع علي بن علي، لا تا.
- ٤ - لورنس (إدوارد توماس)، أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة: محمد نجار، الطبعة العربية الأولى، عمان: دار الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.
- ٥ - معلوف (أمين)، التائهون، ترجمة: نهلة بيضون، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣.

قائمة المراجع الإلكترونية

- ١- بديل: المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين. <http://www.badil.org>
- ٢- تاريخ الكويت. <http://www.kuwait-istory.net>
- ٣- الحارة العُمانية. <http://alharah2.net>
- ٤- قاموس المعاني. <http://www.almaany.com>
- ٥- كلمات دار المعرفة. <http://www.kl28.com>
- ٦- مركز البحوث والدراسات الكويتية <http://crskc1.mawaqaademo.com>
- ٧- معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات <http://www.alamuae.com>
- ٨- ملتقى البحرين: القرى البحرانية المندثرة. <http://bahrainonline.org>
- ٩- منتدى هوازن: وقعة النقاير. <http://www.hwazn.com>
- ١٠- موسوعة الحديث النبوي <http://hadith.al-islam.com>
- ١١- الموسوعة العربية الإلكترونية. <http://www.arab-ncy.com>
- ١٢- الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة. <http://www.un.org/ar>
- ١٣- الموقع الرسمي للديوان الأميري في الكويت. <http://www.da.gov.kw/ara>
- ١٤- موقع الطَّبِّي. <http://www.altibbi.com>
- ١٥- موقع بور سعيد <http://portsaidhistory.com>
- ١٦- وزارة التربية الكويتية. <http://www.moe.edu.kw>
- ١٧- ويكيبيديا. <http://ar.wikipedia.org>

فهرست المحتوى

- التصدير..... ٣
- مقدمة..... ٥

الباب الأول: القضايا السياسية الداخلية في الشعر العربي في الكويت قبل الاستقلال

الفصل الأول: الوطن في الشعر العربي في الكويت

- أولاً: مفهوم الوطن..... ٢٦
- أ - وطن الشعراء بمفهومه الواسع..... ٣١
- ب - وطن الشعراء بمفهومه المعاصر..... ٣٦
- ج - وطن الشعراء بمفهوم الهوية..... ٤٤
- ١ - الهوية الوطنية..... ٤٤
- ٢ - هوية الولاء لمحل الإقامة..... ٤٥
- ٣ - الهوية العربية..... ٤٧
- ٤ - الهوية الدينية..... ٥٨

- ٥ - الهوية الإنسانية ٦٥
- الإخاء الإنساني والتسامح الديني ٦٥
- دُمُّ الحروب والتَّحذير من أضرارها ٦٨
- د - وطن الشعراء بمفهومه الرمزي ٧٠
- ثانيًا: الوطن بين الرفض والقبول ٧٥
- أ - رفض الوطن والرغبة عنه ٧٥
- ١ - أسباب رفض الوطن ٧٥
- ٢ - طبيعة الرفض وطرائق الخلاص منه ٨٦
- ب - قبول الوطن والفخر به ٩٦
- ثالثًا: قصائد المناسبات الوطنية ١٠٦
- أ - افتتاح النادي الأدبي عام ١٩٢٣ ١٠٧
- ب - زيارة حافظ وهبة الكويت عام ١٩٢٣ ١٠٩
- ج - زيارة طالب باشا النقيب الكويت عام ١٩٢٤ ١١١
- د - زيارة محمَّد الأمين الشنقيطي الكويت عام ١٩٢٤ ١١٢
- هـ - زيارة عبدالعزيز الثعالبي الأولى الكويت عام ١٩٢٤ ١١٤
- و - زيارة عبدالعزيز الثعالبي الثانية الكويت عام ١٩٢٨ ١١٧
- ز - زيارة الأمير سعود بن عبدالعزيز الكويت عام ١٩٤٠ ١١٩

ح - عيد جلوس الأمير عبدالله السالم الصباح عام ١٩٥٠ ١٢٠

ط - انتخاب المجالس المحليّة عام ١٩٥٢ ١٢١

الفصل الثاني: المواجهات الحربيّة الداخليّة

- أولاً: أسباب المواجهات الحربيّة ١٢٦

أ - الأسباب السياسيّة ١٢٦

ب - الأسباب الفكريّة ١٢٧

- ثانياً: الفرق بين حركة الإخوان الوهابيّين وجماعة الإخوان المسلمين ١٣٣

- ثالثاً: دور الشعراء الكويتيّين في توثيق المواجهات الحربيّة ١٣٦

أ - معركة الجهراء ١٣٨

ب - معركة الرقعي ١٤٢

- رابعاً: مواقف الشعراء بين الحُضّ على الجهاد والدعوة إلى السّلم ١٤٧

الفصل الثالث: السُّلطة الكويتيّة بين النقد والتأييد

- أولاً: نقد السُّلطة الكويتيّة ١٦٢

أ - نقد الحاكم والتهديد بالثورة ١٦٢

١ - التذمر من الاضطراب السياسي ١٦٨

٢ - الفارق الطبقيّ في المجتمع الكويتيّ ١٧٥

- ب - نقد الفساد في المؤسسات الحكومية ١٨٠
- ثانياً: تأييد الحاكم ومدح الحكومة ١٩٧
- أ - مدح الحاكم وإظهار الولاء له ١٩٧
- ب - مدح الحكومة ومؤسساتها ٢٠٥
- ج - المدح السياسي التكميلي ٢٠٨

الباب الثاني

القضايا السياسية الخارجية في الشعر العربي في الكويت قبل الاستقلال

الفصل الأول: قضايا التحرر في الوطن العربي ومناهضة الاستعمار الأجنبي في الشعر العربي في الكويت

- أولاً: مواقف الشعراء الكويتيين من الدولة العثمانية ٢٢٩
- ثانياً: قضايا التحرر من الاستعمار في دول الخليج العربي ٢٣٦
- أ - مملكة المنتفق في العراق ٢٣٦
- ب - مملكة البحرين في ظل الاستعمار البريطاني ٢٤٦
- ج - العدوان البرتغالي على سلطنة عُمان، والتدخل البريطاني في أراضيها ٢٥٥
- د - العدوان البريطاني على العراق، وثورة رشيد عالي الكيلاني ٢٦٠
- ثالثاً: قضايا التحرر من الاستعمار في بلاد الشام ٢٦٦
- أ - قضية فلسطين في التاريخ والشعر ٢٦٧

- ١ - لمحة سياسية..... ٢٦٧
- ٢ - القضية في الشعر..... ٢٧٣
- ب - قضايا التحرُّر من الاستعمار الفرنسي في سورية، ومناصرة القضية الفلسطينية..... ٣١٣
- ج - الثورة الأردنية المناصرة للقضية الفلسطينية..... ٣١٧
- رابعاً: مصر الملكية والجمهورية، والعدوان الثلاثي عليها..... ٣٢٣
- أ - المملكة المصرية..... ٣٢٤
- ب - الجمهورية المصرية..... ٣٢٦
- ١ - الشعراء الموالون للثورة المصرية ١٩٥٢..... ٣٢٦
- ٢ - الشعراء المعارضون للثورة المصرية ١٩٥٢..... ٣٢٩
- ج - العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦..... ٣٣٣
- خامساً: قضايا التحرُّر من الاستعمار في دول إقليم المغرب العربي..... ٣٣٩
- أ - الاحتلال الإسباني والفرنسي للمملكة المغربية..... ٣٤٠
- ب - الاحتلال الفرنسي للجزائر..... ٣٤٦
- ج - الاحتلال الفرنسي لتونس..... ٣٥١
- د - الاحتلال الإيطالي لليبيا..... ٣٥٤

الفصل الثاني: القضايا السياسية العربية العربية في الشعر العربي في الكويت

- أولاً: مملكة المنتفق ودولة بني كعب..... ٣٦٠
- ثانياً: نشأة الدعوة الوهابية، ومواقف الشعراء الكويتيين منها..... ٣٦٩
- ثالثاً: قيام الدولة السعودية، ومحاربة الإخوان المتمردين عليها..... ٣٧٧
- رابعاً: علاقة آل سعود بالشريف حسين..... ٣٨٩
- خامساً: الخلافات بين مصر والحجاز والدولة العثمانية..... ٣٩٣
- سادساً: الخلافات الداخلية في مملكة البحرين..... ٤٠٠
- سابعاً: شعراء المديح السياسي بين الواقعية والتكسب..... ٤٠٧
- أ - مدائح البلاط السعودي..... ٤٠٨
- ب - المدائح السياسية خارج البلاط السعودي..... ٤١٥

الفصل الثالث: القضايا السياسية العالمية في الشعر العربي في الكويت

- أولاً: الحرب العالمية الثانية في عيون الشعراء الكويتيين..... ٤٢٥
- أ - الحرب العالمية الثانية في شعر خالد الفرج..... ٤٢٦
- ب - الحرب العالمية الثانية في شعر صقر الشبيب..... ٤٤١
- ج - الحرب العالمية الثانية في شعر فهد العسكر..... ٤٥١
- د - الحرب العالمية الثانية في شعر محمود شوقي الأيوبي..... ٤٥٣

- ثانيًا: موقف خالد الفرج إزاء سياسة الولايات المتحدة الأمريكية..... ٤٦٠
- ثالثًا: انتقاد الشعراء الكويتيين للهيئات والمؤسسات السياسية الدولية ٤٧٤
- رابعًا: مواقف الشعراء الكويتيين إزاء أبرز الأحزاب السياسية ٤٨٣
- خامسًا: الثورة الوطنية الإندونيسية في مواجهة الاحتلال الهولندي ٤٩١
- سادسًا: توظيف الشخصيات والرموز السياسية العالمية في الشعر العربي في الكويت ٥٠١
- أ - الشخصيات السلبية ٥٠١
- ب - الشخصيات الإيجابية ٥١٠
- ج - استحضار أسماء الدول والمدن العالمية ٥١٥
- قائمة المصادر والمراجع ٥١٩
- قائمة المراجع المترجمة ٥٢٧
- قائمة المراجع الإلكترونية ٥٢٨
- فهرست المحتوى ٥٢٩

